الباب الأول :

معنى لا إله إلا الله

الفصل الأول :

مكانة لا إله إلا الله من الدين وأهميتها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أهمية كلمة التوحيد .

المبحث الثاني : أسماء كلمة التوحيد .

المبحث الثالث : الأساليب القرآنية الدالة على كلمة التوحيد .

المبحث الرابع : فضائل كلمة التوحيد الواردة في السنة النبوية المطهرة .


٣


المبحث الأول :
أهمية كلمة
التوحيد

المبحث الأول : أهمية كلمة التوحيد:

من المعلوم بداهة ما لكلمة التوحيد من أهمية ومكانة في دين الإسلام ، فهي قطب رحى الدين ،وركنه المتين. ولأجلها نصبت الموازين ، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار و الأبرار والفجار، وبها تكون الشقاوة والسعادة ، وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده المؤمنين إذ هداهم إليها. ولقد تعددت الدلائل في هذا كله .

فلعل من نافلة القول و مكرر الكلام أن يقال : إن لا إله إلا الله أساس الإسلام، و أنها من أصوله بمكانة الذروة من السنام؛ إذ أن ذلك أمر أطبقت عليه جميع الرسل دعوة ونشراً بياناً وتقريراً حثاً وترغيباً.

ولا أدل على أهميتها من انقسام الناس لأجلها إلى مؤمنين وكفار، وأولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ولأجلها خلقت الجنة والنار، ولأجلها نصبت القبلة،وأسست الملة .

ونحن نذكر هنا مما يدل على أهميتها ومكانتها مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله علية وسلم- وما جاء عن السلف الصالح في ذلك ما يبين المقصود ويفي بالموعود، فمما يدل على أهميتها :

١- أنها الغاية من خلق الجن والإنس :

من المعلوم ضرورة أن الغاية من خلق الخلق هو تحقيق العبودية لله -عز وجل- على مقتضى قول الله -عز وجل-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] أي : خلقهم لعبادته.

ومعنى يعبدوني : يوحدوني[2] .

---

(١) سورة الذاريات .

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (٤٥).

قال ابن عباس- رضي الله عنهما -:(كل ما في القران من اعبدوا فمعناه وحدوا) [١].

وقد جاء عن محمد بن كعب [٢]في قوله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[٣] : إلا ليقولوا لا إله إلا الله.[٤]

وحقيقة هذه الكلمة تتضمن تحقيق الألوهية لله -عز وجل - كما سيأتي بيانه([٥])-

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : الله ذو الإلهية والعبودية على خلقه أجمعين [٦].

وقال ابن كثير[٧] عند هذه الآية : ومعنى هذه الآية أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له[١].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (١/ ١٢٥).

(٢) هو : محمد بن كعب بن سليم القرضي المدني أبو حمزة (٤٠-١٢٠) هـ إمام ثقة عالم من كبار التابعين، روى له الجماعة.
انظر تقريب التهذيب (٥٠٤) وسير أعلام النبلاء(٢/ ٦٥)

(٣) سورة الذاريات .

(٤) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (٢/ ٤٩٢) وانظر مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٦).

[٥]انظر المبحث الثاني من الفصل القادم والذي هو بعنوان المقصود بكلمة التوحيد عن السلف.

(٦)تفسير ابن جرير(١/ ٤١)، درء تعارض العقل والنقل ت.د. رشاد سالم(٨/ ٤٧٨).

(٧) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي (٧٠٠-٧٧٤)هـ من أئمة الإسلام وكبار المحدثين مؤرخ مفسر فقيه حافظ من أشهر كتبه البداية والنهاية و تفسير القرآن العظيم والنهاية في الفتن والملاحم. انظر معجم المؤلفين (٢/ ٢٨٣).

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [٢]أي أن تعبدوه وحده دون ما سواه ، وهذا معنى لا إله إلا الله[٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ ﴾[٥] .

قال ابن كثير :(أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا ؟! إنما خلقناكم للعبادة، وإقامة أوامر الله- عز وجل-)أ.هـ[٦] .

ومقتضى هذه العبادة هو تحقيق هذه الكلمة قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً – كما سيأتي –.

والمقصود بيان أن الحكمة من خلق الجن والإنس وإيجادهم هو: تحقيق هذه الكلمة.

وقد جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة –رضي الله عنه- مرفوعاً : (قال الله –عز وجل-: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك)[١].

....

(١) تفسير ابن كثير ت.المرعشلي (٤/ ٢٥٥)وانظر مجموع الفتاوى (٨/ ٥٦).

(٢) سورة الإسراء (٢٣) .

(٣) انظر فتح المجيد ت . الفريان(١/ ٩١).

(٤) سورة النحل (٣٦) .

(٥) سورة المؤمنون .

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٩).

فهذا الحديث يدل على أن الوظيفة التي أنيطت بهذا المكلف هي عبادة الله والتفرغ لما خلق له[٢].

٢- **أنها متعلقة بأعظم ذات**[٣]: وهو الله - جل جلاله- فحقيقتها:

ـ إما خبر عن الله- جل جلاله- وما يتصف به من صفات الجلال ونعوت الجمال، وما تسمى سبحانه به من الأسماء الحسنى .

ـ وإما أمر بما يستحقه الله من العبودية والإخلاص وما أشبه ذلك.

وشرف العلم مبني على شرف المعلوم، ولا أشرف من الله وأمره. وسيأتي تفصيل ذلك أكثر في المباحث التالية إن شاء الله تعالى.

٣- **أنها أساس دعوة الرسل:-**

لا ريب أن لا إله إلا الله أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها وأفضلها ، وألزمها لصلاح الإنسانية. فبوجودها يكون الصلاح والفلاح،

....

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٥٨)القديمة ، (١٤/ ٣٢١) رقم (٨٦٩٦) و الترمذي في جامعه : (كتاب صفة يوم القيامة) رقم (٢٤٦٦)والحديث صححه أحمد شاكر والألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٣٠٠) ولفظ الترمذي (ملأت يديك شغلاً).

(٢) انظر حصول المأمول (٤٤-٤٥)ومجموع الفتاوى (٨/ ٥٦).

(٣) يصح إضافة الذات إلى الله عز وجل لكن لا على أن ((ذات)) صفة له ، بل ذات الشيء بمعنى نفسه وحقيقته، وقد جاء إضافة ذلك إلى الله عز وجل في السنة النبوية وكلام سلف الأمة . فانظر صحيح البخاري رقم (٣٣٥٨)، (٣٠٤٥)وانظر الحجة في بيان المحجة (١/ ٧١) ومجموع الفتاوى (٥/ ٣٣٠، ٣٣٨) ، (٦/ ٢٠٦) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري(١/ ٢٤٥)صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة للسقاف(١١٧)فقد فصل في ذلك وأجاد .

وبفقدها يكون الشر والفساد، كما جاء في الحديث مرفوعاً : (إن الساعة لا تقوم على من قال لا إله إلا الله. وإنما تقوم على شرار الخلق) [١] .

لذا كانت هذه الكلمة زبدة دعوة الرسل، وغاية رسالاتهم، وأساس مبعثهم يقول تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَاْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٣].

(لذا أطبقت كلمتهم وأجمعت حجتهم على كلمة لا إله إلا الله ، ولم يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا الله موجود ،بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود، رداً لما توهموا وتخيلوا) [٤] .

وقد دل القران الكريم في مواطن عديدة أن هذه الكلمة مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه كلمة التوحيد، و إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه.

قال تعالى عن نوح– عليه السلام –: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥] .

---

(١) سيأتي تخريجه (١٠٣) وهو صحيح.

(٢) سورة النحل (٣٦) .

(٣) سورة الأنبياء .

(٤) شرح الفقه الأكبر لملأ علي (١٧).

(٥) سورة المؤمنون .

وقال عن هود -عليه السلام- : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[(١)] .

وقال عن صالح -عليه السلام- : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[(٢)] .

وقال شعيب لقومه : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[(٣)] .

وفي حديث هرقل لأبي سفيان لما سأله عن النبي - ﷺ- قال :(ما يقول لكم ؟ قال : يقول : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم)[(٤)].

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي- ﷺ- قال: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) [(٥)].

قال ابن حجر[(٦)]- رحمه الله -: (أولاد العلات الإخوة من الأب و أمهاتهم شتى، ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد ،وهو التوحيد وإن اختلفت الشرائع)أ.هـ[(١)] .

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة الأعراف (٦٥, ٨٥, ٧٣, ٥٩) وهود(٨٤, ٥٠, ٦١).
(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي رقم (٧) ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد رقم (١٧٧٣).
(٥) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله :(و اذكر في الكتاب مريم) رقم (٣٤٤٣).
(٦) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢)هـ من كبار أئمة الشافعية وهو من المحدثين الحفاظ من أشهر كتبه فتح الباري و تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وبلوغ المرام . انظر ترجمته لنفسه رفع الإصر (١/ ٨٥) .

وروى ابن جرير[٢] بسنده عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[٣]. قال :والإسلام :شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله ، وهو دين الله الذي شرعه لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به)[٤] .

والمقصود بيان دعوة الرسل إلى هذه الكلمة وقد تحقق هذا والحمد لله[٥].

٤- أنها أول واجب على المكلف :

مذهب السلف أهل السنة والجماعة أن أول واجب على المكلف هو كلمة التوحيد ، وقد استفاضت النصوص الشرعية في ذلك مع كلام أهل العلم.

....

(١) فتح الباري (٦/ ٤٨٩). وانظر بدائع الفوائد (٤/ ٢١٠).

(٢) هو : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد الطبري (٢٢٤-٣١٠)هـ الإمام المفسر العلم من أئمة السلف المشهورين صنف في التفسير كتابه ((جامع البيان)) من أشهر كتب التفسير وأوسعها وله في العقيدة صريح السنة والتبصير في معالم الدين .
انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧) .

(٣) سورة آل عمران(١٩).

(٤) تفسير ابن جرير(٣/ ٢١٢) وانظر أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (٢/ ٤٩٣).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (١٥/ ١٨٥)، التحفة العراقية ت الهنيدي(٣٧٨-٣٨٤)،الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ق (١/ ٢-١٣)، الرد على المنطقيين ق (٢٩١-٢٩٣)،جامع الرسائل(١/ ٢٨١-٢٨٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ط. المحمدي (٤٥٠-٤٥٦) تذكير الموحدين (٢٨-٣٥)، فتاوى الأئمة النجدية (١/ ١٢٦-١٢٧) حماية الرسول ﷺ جناب التوحيد (٥١-٢٠٤).

خلافاً للمتكلمين الذين يرون أن أول واجب النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة ، أو القصد إلى النظر أو الشك . وهذا الخلاف الذي وقع في كلام المتكلمين من المعتزلة و الأشاعرة[١] والماتريدية[٢] حول أول واجب حقيقته خلاف لفظي. (فإن النظر واجب وجوب الوسيلة ، من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، والمعرفة واجبة وجوب المقاصد. فأول واجب وجوب الوسائل هو النظر ، وأول واجب وجوب المقاصد هو المعرفة ، ومن هؤلاء من يقول : أول واجب هو القصد إلى النظر، وهو أيضاً خلاف لفظي ، فإن العمل الاختياري مطلقاً مشروط بالإرادة)[٣] وأما القول بأن أول واجب هو الشك،

---

(١) الأشاعرة : نسبة إلى أبي الحسن الأشعري و الذي كان معتزلياً في نشأته ، ثم انتقل إلى مذهب الكلابية، ثم رجع إلى مذهب السنة في الجملة . أما أتباعه فهم على عقيدة الكلابية في الجملة . انظر إلى حقيقة مذهبهم :منهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي(٧٩)وما بعدها ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٥٠٥)وما بعدها، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٤٤٩, ٢٥٧, ١٢١) ، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في التوحيد (٢٨)وما بعدها .

(٢) الماتريدية :هي فرقة تنسب إلى أبي منصور الماتريدي المولود سنة(٢٥٨) هـ و المتوفى سنة (٣٣٣) هـ ومذهبه قريب جداً من مذهب الأشاعرة . غير أنهم في مسألة كلام الله يقربون من المعتزلة أكثر . انظر إلى مذهبهم : الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات(٥٠١)وما بعدها والماتريدية دراسة وتقويماً للحربي(١٣٣) وما بعدها و (٤٩١-٥٠١) من المصدر نفسه.

(٣) درء التعارض (٧/ ٣٥٣) ، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/ ٩٣٥).

وهو قول منسوب إلى أبي هاشم الجبائي المعتزلي[(١)(٢)]، وقد أخذ به الغزالي[(٣)] ونسبه ابن حزم[(٤)] إلى الأشعرية[(٥)] ، فيرى شيخ الإسلام :(أنه مبني على أصلين:

أحدهما : أن أول الواجبات النظر المفضي إلى العلم.

والثاني : أن النظر يضاد العلم ، فإن الناظر طالب للعلم ، فلا يكون في حال النظر عالماً)[(٦)] أي أنه ولو كان غير شاك لما احتاج إلى النظر[(٧)] .

والأشاعرة و الماتريدية[(١)] تبع في هذه المسألة للمعتزلة : يقول عبدالجبار المعتزلي[(٢)]: (إن سأل سائل :ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل :

---

(١) هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي ت (٣٢١) هـ من أئمة المعتزلة الكبار . من كتبه الجامع الكبير و كتاب الأبواب الكبير وكتاب النقض على أرسطاليس في الكون والفساد . انظر ترجمته الكامل (٨/ ٢٧٣) و المحيط لعبد الجبار (٤٣٦).

(٣) انظر الشامل لإمام الحرمين (١٢٠-١٢١).

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الأشعري عقيدة ، من أشهر كتبه الاقتصاد في الاعتقاد و إحياء علم الدين والمستصفى في أصول الفقه والأربعين في أصول الدين . اهتم بالرد على الفلاسفة فألف تهافت الفلاسفة ، واشتغل بالتصوف وألف فيه ثم رجع في آخر حياته وأعلن توبته واشتغل بالحديث حتى مات وصحيح البخاري على صدره ت(٥٠٥) هـ . انظر السير(١٩/ ٣٢٢) والحموية لابن تيمية(٢١١)

(٤) ابن حزم هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ولد (٣٨٤) هـ من أئمة الظاهرية صنف في الفقه المحلى وفي العقيدة الدرة فيما يجب اعتقاده وفي الفرق الفصل في الملل والنحل وغيرها . وهو تارة يوافق السلف في الاعتقاد كمسائل الأيمان وتارة يخالفهم كمذهبه في السماء والصفات ، ت (٤٥٦)هـ. انظر عقيدته ابن حزم وموقفه من الإلهيات لأحمد الحمد .

(٥) الفصل في الملل والنحل ت عميرة (٤/ ٧٤).

(٦) درء التعارض (٧/ ٤١٩).

(٧) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة(٣/ ٩٣٥) .

النظر المؤدي إلى معرفة الله ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر)(٣) .

وما ذهب إليه هؤلاء المتكلمون كله مخالف للصواب الذي جاء به رسول الله - ﷺ -، فإن القران الكريم و السنة النبوية لم يجعلا المعرفة هدفاً أساسياً لدعوة الناس إليه، وإنما كانت الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - ﷺ - . والأدلة في هذا كثيرة ،يمكن حصرها في عدة أوجه :

* **الأول:** أن جميع الرسل جاءوا بالدعوة إليها ، والآيات على هذا كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(٥) .

....

(٣) انظر الإنصاف للباقلاني ت حيدر (٣٣) و المواقف للإيجي (٢٨) و شرح المقاصد للتفتازاني ت عميرة (١/ ٢٩٠) والإرشاد (٣) والشامل في أصول الدين(٢١٠) كلاهما للجويني وتحفة المريد على جوهرة التوحيد للباجوري (٣٨-٣٩)

(٢) هو أبو الحسين عبدالجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني ، من رؤوس المتكلمين ، وشيخ المعتزلة في عصره . من كتبه المغني في أبواب العدل والتوحيد أضخم كتب المعتزلة، وشرح الأصول الخمسة والمحيط بالتكليف. ت (٤١٥) هـ. انظر الأعلام (٣/ ٢٧٣).

(٣) شرح الأصول الخمسة ت عبدالكريم عثمان (٣٩)وانظر أيضاً المحيط بالتكليف ت السيد عزمي (٦٨) والكشاف للزمخشري (١/ ٩١) .

(٤) سورة الأنبياء .

(٥) سورة النحل .

وكل نبي أرسل إلى قومه يبدأ دعوته فيهم بقوله : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[١].

فإذا كان الأنبياء و المرسلون يدعون قومهم - أول ما يدعون- إلى إفراد الله بالعبادة – التي هي مقتضى الكلمة وحقيقتها ـ فإن هذا يدل على أنها أول واجب على المكلفين ، لأن من تمام البلاغ أن يأمر كل نبي قومه بأول ما أوجبه الله عليهم ، فتم بهذا أن هذه الكلمة أول واجب على المكلف.

*** الثاني :**

حديث معاذ المشهور ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والنبي - ﷺ- لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً ، ولا إلى مجرد إثبات الصانع ، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان وبذلك أمر أصحابه ، كما قال في الحديث المتفق على صحته- لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه – لما بعثه إلى اليمن: (إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)[٢] وكذلك سائر الأحاديث عن النبي - ﷺ - موافقة لهذا) أ.هـ[٣] .

ويلاحظ التصريح بلفظ (أول) في الحديث حيث قال : (فليكن أول ما تدعوهم إليه) فهو نص في الموضوع ، مع أن المتواتر من أحواله – ﷺ –

(١) سورة الأعراف (٥٩, ٧٣, ٨٥, ٦٥) .

(٢) البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة.رقم (١٤٩٦) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان رقم (١٩).

(٣) درء التعارض(٨/ ٦-٧).

وسيرته أنه كان يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله . وهذا منهج رسل الله جميعاً حيث إنهم يأمرون بالغايات المطلوبة من الإيمان بالله ورسوله وتقواه ، ويذكرون من طرق ذلك وأسبابه ما هو أقوى وأنفع[١] .

وقد جاء عن ابن عباس- رضي الله عنه- في قول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾[٢] .

قال: (إن الله تعالى بعث نبيه محمداً- ﷺ- بشهادة ألا إله إلا الله، فلما صدق بها المؤمنون ، زادهم الله الصلاة ،فلما صدقوا بها زادهم الله الصيام ، فلما صدقوا بها زادهم الحج ، فلما صدقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم الدين ، فقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾)[٣][٤] .

*** الثالث:**

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- :أن رسول الله - ﷺ - قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) متفق عليه.[٥] وهذا الحديث علق عصمة الدم و المال على إفراد الله بالعبادة. وعصمة الدم والمال هو ثبوت الإسلام في الظاهر ،

(١) درء التعرض(٨/ ٢١) ،وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة(٣/ ٩٣٧- ٩٣٨).

(٢) سورة الفتح (٤) .

(٣) سورة المائدة(٣).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة . وحسن سنده محققه (٢/ ٥٥٦) رقم (١٩٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب (فإن تابوا و أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) رقم (٢٥) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان رقم (٢٢).

وإذا كان أول أمر يثبت به عصمة الدم والمال هو التلفظ بالكلمة ، فبالتالي يثبت عقد الإسلام بها ، وهذا دليل على أنه أول واجب على المكلف[١].

قال الحافظ ابن رجب[٢]- رحمه الله- : (ومن المعلوم بالضرورة أن النبي- ﷺ- كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط ، ويعصم دمه بذلك ، ويجعله مسلماً ، فقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال: لا إله إلا الله، لما رفع السيف عليه، و اشتد نكيره عليه[٣] ، ولم يكن النبي- ﷺ – يشترط على من جاءه يريد الإسلام أن يلزم الصلاة والزكاة)أ.هـ[٤]. أي قبل الشهادتين.

وهكذا كان أمره لرسله إلى القبائل والملوك وأهل الكتاب، وكذلك إذا بعث السرايا . هذا منهجه وقد تقدم حديث معاذ في بعثه إلى اليمن ، ويشهد لذلك أيضاً حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله – ﷺ – قال: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه)...... فدعا علياً فبعثه و قال : (اذهب فقاتل يفتح الله عليك ، و لا تلتفت . فمشى ساعة أو قال قليلاً ثم وقف ولم يلتفت. فقال : يا رسول الله علام أقاتل الناس؟

---

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين للسلمي (١٦١-١٦٢)بتصرف يسير.

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي (٧٢٦-٧٩٥)هـ من أئمة السلف حافظ ناقد فقيه محدث من كتبه جامع العلوم والحكم وشرح كلمة الإخلاص. انظر معجم المؤلفين(٥/ ٨٥).

(٣) يأتي تخريجه قريباً .

(٤) جامع العلوم والحكم ت الأرناؤوط (١/ ٢٢٨).

قال : (قاتلوهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك ، منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله)[١][٢] .

*** الرابع: الإجماع :**

فإن أئمة الدين وعلماء المسلمين (مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول : أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين سواءً كان معطلاً أو مشركاً أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك) [٣].

قال أبو بكر بن المنذر[٤] : (أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق ، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام – وهو بالغ صحيح العقل – أنه مسلم . فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتداً يجب عليه ما يجب على المرتد)أ.هـ[٥] .

وقال ابن حزم : (وقال سائر أهل الإسلام: كل من اعتقد بقلبه اعتقاداً لا يشك فيه ، وقال بلسانه : لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، وأن كل ما جاء

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضل علي بن أبي طالب رقم(٢٤٠٥).

(٢) الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه (٥٥-٦٢) مختصراً.

(٣) درء التعارض (٨/ ٧).

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ت (٣١٦) هـ الإمام الحافظ الحجة صاحب التصانيف منها الإجماع والأوسط والمبسوط .
انظر سير أعلام النبلاء(١٤/ ٤٩٠) .

(٥) درء التعارض (٨/ ١٢) .

به حق ، وبريء من كل دين سوى دين محمد- ﷺ- فإنه مسلم مؤمن، ليس عليه غير ذلك) أ.هـ[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وقد علم بالاضطرار من دين الرسول، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام ، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله أن محمداً رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلماً، والعدو ولياً، والمباح دمه وماله ، معصوم الدم والمال ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان ، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان)[٢] .

وقال أيضاً :(والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ) أ.هـ[٣] .و لعل بهذا يتضح أن أول واجب على المكلف كلمة التوحيد.

تنبيه :

وكما أن كلمة التوحيد أول الواجبات ، فقد قال غير واحد من أهل العلم: إنها آخر واجب .يقول ابن القيم- رحمه الله – مقرراً ذلك : (فالتوحيد أول ما يدخل به الإسلام ،و آخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال- ﷺ - : (من

---

(١) الفصل (٤/ ٣٥).

(٢) نقله عنه في فتح المجيد(١/ ١٩١) .

(٣) درء التعارض (٨/ ١١) وانظر الفصل (٤/ ٦٧-٧٨) والمحلى لابن حزم (١/ ٩١) ، والنبوات(١/ ٢٤٥-٢٥٥) ومدارج السالكين(٣/ ٤١٢) ومنهج الأشاعرة في العقيدة (٨٠) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٣٤-٩٤٦) وفطرية المعرفة (٢٢١-٢٢٣) ، وأصول الدين عند أبي حنيفة (٥٩٨-٦٠٠) ، وحماية الرسول جناب التوحيد (١٩٦-٢٠٤) .

كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)[١] فهو أول واجب وآخر واجب . والتوحيد أول الأمر وآخره) أ.هـ [٢] ووافقه ابن أبي العز[٣][٤]. وقال الإمام محمد ابن عبد الوهاب : (تمسكوا بأصل دينكم أوله و آخره ، أسه و رأسه وهو شهادة أن لا إله إلا الله) أ.هـ[٥] .

وظاهر كلامهم –رحمهم الله – يشعر بوجوب التلفظ بها عند الاحتضار ، ولاشك أن هذا إن كان هو مرادهم ففيه نظر، لأنه يلزم منه لوازم باطلة؛ منها تأثيم من لم يمت عليها ، ولا شك في بطلان ذلك إذ أنه يقتضي تأثيم غالب أمة الإسلام إلا ما ندر. ثم إن كثيراً من سادات الأولياء والأئمة الأتقياء قد ماتوا على التلفظ بغيرها. ومع ذلك عد المسلمون وفاتهم من حسن الخاتمة، لكن لعلهم أرادوا رحمهم الله بالوجوب هنا باعتبار الموافاة على اعتقادها والإيمان بها فهذا لاشك في وجوبه واعتقاده .

٥- أنها كلمة شهد الله بها لنفسه، وأشهد عليها ملائكته و خيرة خلقه من أهل العلم ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨ ﴾[٦] .

---

(١) يأتي تخريجه (١١٠) .

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤١٢).

(٣) هو أبو الحسين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الحنفي(٧٢١-٧٩٢)هـ من أئمة الشافعية من كتبه شرح العقيدة الطحاوية والإتباع.
انظر ترجمته : الدرر الكامنة(٣/ ٨٧) .

(٤) انظر شرح الطحاوية (٢٧) ط. أحمد شاكر.

(٥) الدرر السنية (٢/ ١١٩).

(٦) سورة آل عمران .

قال ابن القيم : (فتضمنت هذه الآية أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها ، من أجلّ شاهد بأجلِّ مشهود ، فشهد الله قائماً بالعدل – قولاً وفعلاً- أنه لا إله إلا هو . وفي ذلك تحقيق لكون هذه الشهادة شهادة عدل و قسط . وهي أعدل شهادة كما أن المشهود به أعدل شيء وأصحه و أحقه . و[قد] ذكر ابن السائب[1] و غيره في سبب نزول هذه الآية ما يشهد بذلك . و هو أن حبرين من أحبار الشام قدما على النبي- ﷺ - ، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه : ما أشبه هذه المدينة بمدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان. فلما دخلا على النبي – ﷺ – قالا له : أنت محمد ؟ قال : نعم . وأحمد ؟ قال : نعم . قالا : نسألك عن شهادة ؟

فإن أخبرتنا بها آمنا بك . قال : سلاني . قالا : أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله ؟ فنزلت (شهد الله أنه لا إله إلا هو ....) الآية[2] .

٦- **أنها سبب لعصمة الدم والمال :**

ومما يدل على أهميتها أنها سبب لعصمة الدم والمال ولو كان قائلها كاذباً في قوله. والأدلة في هذا كثيرة جداً منها:

حديث ابن عمر- المتفق عليه -وفيه (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله ،ويقيموا الصلاة ،ويؤتوا الزكاة، فإذا

---

(١) هو أبو محمد عطاء ابن السائب الثقفي مولاهم ت (١٣٦) هـ الإمام الحافظ الحجة محدث الكوفة. وكان من كبار العلماء غير أنه اختلط في آخر عمره.
انظر سير أعلام النبلاء(٦/ ١١٠) وتقريب التهذيب(٣٩١).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤١٨-٤٢٦) مختصراً وسبب النزول ذكره الواحدي في أسباب النزول (٥٤)وانظر دقائق التفسير لابن تيمية (٢/ ٢٩٩-٣١٨).

فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[(١)] .

فمن نطق بالشهادة كما هو ظاهر الحديث ،وعمل بما دلت عليه ظاهراً، فإن ذلك يمنع نفسه وماله، و يعصمهما ،وليس للمسلمين في المعاملة إلا الظاهر من فعله.

قال القرطبي[(٢)]- رحمه الله- : (و حسابهم على الله أي: سرائرهم على الله، لأنه تعالى هو المطلع عليها، فمن أخلص في إيمانه، وأعماله جازاه الله عليها جزاء المخلصين. ومن لم يخلص في ذلك كان من المنافقين ،يحكم له في الدنيا بأحكام المسلمين ، وهو عند الله أسوأ من الكافرين) أ.هـ[(٣)] .

وقال البغوي[(٤)]- رحمه الله -: (إن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضاً إنما تجري على الظاهر من أحوالهم، دون باطنها ، وإن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه ، ولم يكشف عن باطن أمره. ولو وجد مختون بين قتلى

---

(١) تقدم تخريجه (١٧)وجاء أيضاً من حديث أبي هريرة رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة رقم(١٣٩٩)و مسلم في صحيحه كتاب الإيمان رقم (٢١).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي (٥٧٨-٦٥٦)هـ فقيه محدث شرح صحيح مسلم في كتاب سماه المفهم .
انظر سير أعلام النبلاء(٢٣/ ٣٢٣) والبداية والنهاية(١٣/ ٢٢٦) .

(٣) المفهم على صحيح مسلم(١/ ١٨٩) وانظر كتاب الدعوة في صحيح البخاري (١/ ٥٤٤).

(٤) هو الحسين بن مسعد بن محمد الفراء البغوي أبو محمد (٤٣٦-٥١٦)هـ والملقب بمحيي السن إمام محدث مفسر من كتبه معالم التنزيل وشرح السنة .
انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩) .

غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلاد المسلمين حكم بإسلامه)أ.هـ[١]

وقد جاء عند البزار[٢] في مسنده عن عياض الأنصاري عن النبي -ﷺ- أنه قال : (لا إله إلا الله ؛ كلمة حق على الله كريمة ، ولها من الله مكاناً ، وهي كلمة جمعت وتركت ، فمن قالها صادقاً أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فحاسبه)[٣] .

وعن المقداد بن الأسود – رضي الله عنه – قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني ، فضرب إحدى يدي بالسيف فقلعها ثم لاذ مني بشجرة. فقال : أسلمت لله (وفي رواية : فلما أهويت لأقتله، قال : لا إله إلا الله) أفأ قتله يا رسول الله بعد أن قالها؟

قال رسول الله- ﷺ- : لا تقتله .

قال: يا رسول الله إنه قطع يدي .ثم قال : ذلك بعد أن قطعها . أفأ قتله؟ قال رسول الله- ﷺ- : لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال) متفق عليه[٤].

٧- ومما يدل على أهميتها أن حرمتها عظيمة :

---

(١) شرح السنة (١/ ٧٠) وانظر العذر بمسائل الاعتقاد(٦٧-٧٨).

(٢) هو أحمد بن عمرو بن عبدا لخالق البصري أبو بكر البزار ت (٢٩١٢)هـ صاحب المسند الكبير المعلل.
انظر سير أعلام النبلاء(١٤/ ٥٥٤) .

(٣) قال الهيثمي في الجمع (١/ ٢٦) : (رواه البزار ورجاله موثقون إن كان تابعيه عبدالرحمن بن عبدا لله بن مسعود) .

(٤) البخاري في صحيحه كتاب المغازي رقم(٤٠١٩) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان (٩٥) واللفظ له .

يشهد لذلك حديث عمران بن الحصين قال : شهدت رسول الله – ﷺ – وقد بعث جيشاً من المسلمين إلى المشركين، فلما لقوهم قاتلوهم قتالاً شديداً فمنحوهم أكتافهم ، فحمل رجل من لحمتي على رجل من المشركين بالرمح ، فلما غشيه قال : أشهد أن لا إله إلا الله إني مسلم ، فطعنه فقتله ، فأتى رسول الله – ﷺ – . فقال يا رسول الله هلكت ،قال : وما الذي صنعت؟ مرة أو مرتين . فأخبر بالذي صنع ، فقال له رسول الله –ﷺ – : فهلا شققت عن بطنه فعلمت ما في بطنه ؟ قال: يا رسول الله لو شققت بطنه لكنت أعلم ما في بطنه . قال :فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في بطنه .

قال : فسكت عنه رسول الله– ﷺ – فلم يلبث يسيراً حتى مات فدفناه ، فأصبح على ظهر الأرض . فقالوا: لعل عدواً نبشه . فدفناه ثم أمرنا غلماننا يحرسونه فأصبح على ظهر الأرض . فقلنا: لعل الغلمان نعسوا. فدفناه ثم حرسناه بأنفسنا ، فأصبح على ظهر الأرض ، فألقيناه في بعض تلك الشعاب . زاد في رواية (فأخبر النبي – ﷺ –. فقال : إن الأرض لتقبل منه شراً منه ولكن الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا إله إلا الله)(١).

٨- أنها أول مسائل القبر :

يشهد لذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب– رضي الله عنه– أن رسول الله –ﷺ –قال : (المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

---

(١) رواه ابن ماجه كتاب الفتن باب الكف عمن قال لا إله إلا الله رقم (٣٩٣٠-٣٩٣١) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾[١][٢] .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : شهدنا مع رسول الله – ﷺ – جنازة فقال رسول الله – ﷺ – : (إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه ، جاءه ملك معه مطراق من حديد ، فأقعده فقال : ما تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول: صدقت.......) [٣] .

٩- أن بها تتحقق تزكية النفوس :

قال الله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [٤] .

(قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم[٥] : الزكاة هاهنا هي التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، والإيمان الذي به يزكو القلب . فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب ، وذلك طهارته. وإثبات إلهيته سبحانه هو أصل كل زكاة ونماء) [٦] .



(١) سورة إبراهيم(٢٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر رقم (١٣٦٩) .

(٣) الحديث قال ابن كثير في تفسيره (إسناده لا بأس به) (٢/ ٥٥٢) .

(٤) سورة فصلت (٦-٧) .

(٥) منهم ابن عباس وعكرمة تلميذه. انظر تفسير ابن جرير (٢٤/ ٩٢) وتفسير البغوي (٤/ ٥٨).

(٦) إغاثة اللهفان (١/ ٨١) .


المبحث الثاني :
أسماء كلمة
التوحيد

المبحث الثاني : أسماء كلمة التوحيد:

قد تعددت أسماء كلمة لا إله إلا الله ،على ما جاء في كتاب الله الكريم مما بينه السلف عند تفسيرهم لآي القران، وكذا ما جاء في السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وما قرره علماء السلف رضوان الله عليهم أجمعين .

وتكمن أهمية هذا المبحث في الأثر المترتب على معرفة دلائل هذه الأسماء، ومعانيها مما يساعد في معرفة حقيقة هذه الكلمة، مع ما يعقب ذلك من أثر إيماني .

وقد عقد الفخر الرازي[1] مبحثاً خاصاً في ذكر أسماء لا إله لا الله في القران ، ضمنه بضعاً وعشرين اسماً اقتبسه من القران ، بعضها قد ورد صريحاً في النصوص الشرعية، أو عن سلف الأمة من الصحابة وتابعيهم ، وبعضها بني على اجتهاد منه في تأويل آي القران ، غير أنه غفل عن ذكر ما ورد في السنة المطهرة والتي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع .

ونحن نذكر هنا ما جاء في القران وتفسير السلف من تسميتها وكذا ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم- في ذلك .

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن علي الرازي المشهور بالفخر الرازي (٥٤١-٦٠٦)هـ كبير المتكلمين وإمامهم والمنظر للمذهب الأشعري في المتأخرين. نعته الذهبي بقوله : (وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم ، وسحر وانحرافات عن السنة. والله يعفو عنه . فإنه على طريقة حميدة والله يتولى السرائر) أ.هـ رجع في آخر حياته إلى مذهب السلف في الجملة .

له مؤلفات عدة منها : التفسير الكبير ، والأربعين في أصول الدين ، عصمة الأنبياء ، وأساس التقديس ،والمباحث المشرقية وغيرها . انظر الحموية(٢٠٨-٢١٠) و السير (٢١/ ٥٠٠).

١- **كلمة التوحيد :**

لما كانت لا إله إلا الله قد تضمنت جميع أنواع التوحيد – كما سيأتي ذلك – صح بهذا تسميتها كلمة التوحيد . وقد تقرر ذلك عند صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بما لا مجال للشك فيه حيث عبر كثير منهم عن لا إله لا الله بكلمة التوحيد. ومما يدل على ذلك :

ـ ما جاء من حديث جابر بن عبد الله عند ذكره لسياق حجة النبي- صلى الله عليه وسلم-قال: (فبدأ بالصفا فرقى عليها ، حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة ، ووحد الله وكبر؛ قال :لا إله لا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله لا الله وحده ، أنجز وعده وهزم الأحزاب وحده)[١].

– وفي حديث ابن عباس لما بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم- معاذاً إلى اليمن قال له : (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى) الحديث .

وفي رواية (أدعهم إلى شهادة أن لا إله لا الله)[٢] ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ لم يكرر هذه الألفاظ في مجلس واحد، وإنما رواة الحديث رووه بالمعنى لأنهم يعلمون أن هذه الألفاظ بمعنى واحد [٣] .

وقد قال ابن عباس – رضي الله عنهما- عن كلمة (لا إله إلا الله) : (بأنها كلمة التوحيد) وبمثله قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم رقم (٢٩٤١).

(٢) تقدم تخريجه (١٦) .

(٣) انظر حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية(٥٥) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٣٦-٣٧)

وبمثل قول الصحابة فهم التابعون وأتباعهم ، بل لم يخالف في ذلك أحد من أهل الإسلام ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - في معرض رده قول من قال من أهل التصوف : (إنه لا تصح العبارة عن التوحيد) قال : (وقوله إنه لا تصح العبارة عن التوحيد كفر بإجماع المسلمين ، فإن الله قد عبر عن توحيده، ورسوله عبر عن التوحيد ، والقران مملوء من ذكر التوحيد ، بل إنما أرسل الله الرسل و أنزل الكتب بالتوحيد .

وقد قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٣].

وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد ، كما قال- صلى الله عليه وسلم - : (أفضل الذكر لا إله لا الله، وأفضل الذكر الحمد الله) [٤] وقال : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) [٥] [٦]أ.هـ.

وقد جاء في أحاديث كثيرة أن أهل التوحيد ،هم أهل لا إله إلا الله[١] .

....

(١) انظر تفسير ابن جرير (١٦/ ٣٩٨) وتفسير البغوي (٢/ ٥٢٠)وفتح القدير (٣/ ٨٩).

(٢) سورة الزخرف.

(٣) سورة الأنبياء

(٤) سيأتي تخريجه (١٠٠) .

(٥) سيأتي تخريجه (١١٠) .

(٦) الفتاوى (٢/ ٣٥١).

٢- **كلمة الإخلاص :**

الأصل في كلمة (لا إله لا الله) تحقيق الإخلاص لله – تعالى- في العبادة له وحده دون ما سواه – كما سيأتي –ومن هنا جاءت التسمية بذلك .

وقد جاء في تسميتها تصريحاً بذلك أحاديث مرفوعة منها :

- حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان- رضي الله عنه- في مسند الإمام أحمد- رحمه الله -، وهو أن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول : (إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرم عليه النار) فقال له عمر بن الخطاب : أنا أحدثك ما هي ؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله- تبارك وتعالى -محمداً – صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله- صلى الله عليه وسلم – عمه أبا طالب عند الموت: شهادة ألا إله لا الله)[٢].

ومعنى ألاص عليها : أي أداره عليها ، وراوده فيها([٣]).

- ومنها ما رواه البيهقي في شعبه بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال : (حضر ملك الموت رجلاً يموت ، فنظر فشق أعضاءه فلم يجد عملاً خيراً ، ثم شق قلبه فلم يجد فيه

---

(١) انظر جامع الترمذي رقم (٢٥٩٢) و(٢٦٣٨) ومسند احمد رقم (١٥١٩٨) ط شعيب وطبقات الشافعية (١/ ٦٣) وتفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٦) عند قوله تعالى ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ .

(٢) مسند الإمام أحمد(١/ ٤٩٩) رقم(٤٤٧) وسنده قوي كما قال الأرناؤوط وصححه الألباني في موارد الظمآن (١/ ٩٣) .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد(١/ ٤٩٩) .

خيراً ، فنظر في قلبه فلم يجد شيئاً ، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه، يقول لا إله لا الله ، فغفر له بكلمة الإخلاص)[١] .

وكتب ملك الروم إلى معاوية يسأله عن أشياء منها : و أفضل الكلام ما هو ؟ فكتب : أفضل الكلام لا إله لا الله ، كلمة الإخلاص ولا يتقبل الله عملا إلا بها[٢] .

وقد ثبت عن جمع من أئمة التابعين تسميتها بذلك؛ منهم مجاهد و سعيد بن جبير[٣] ومحمد بن كعب القرظي وقتادة وعطاء[٤]والقاسم بن أبي بزة[٥].[٦]

٣- كلمة الإحسان :

---

(١) شعب الإيمان (٢/ ٩)رقم(١٠١٥) وابن أبي الدنيا قي المحتضرين كما في كنز العمال (١/ ٤١٧) رقم(١٧٧٠) كما قال محقق كتاب التمهيد في التوحيد:ورواه ابن الجوزي بسنده وأبو موسى المدائني أيضاً . وفي سند البيهقي راو لم يسم.
انظر التمهيد في الكلام على التوحيد لابن عبدالهادي(١٩٧).

(٢) انظر التمهيد لابن عبد الهادي(٢١٨) وكلمة الإخلاص لابن رجب(٤٨) .

(٣) هو سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ت (٩٥)إمام ثقة ثبت فقيه فاضل قتل بين يدي الحجاج ولم يكمل الخمسين ، روى له الجماعة. انظر تقريب التهذيب (٢٣٤) والكاشف (١/ ٤٣٣).

(٤) هو ابن أبي رباح القرشي مولاهم ت(١١٤) هـ أحد الأعلام إمام ثقة ثبت فقيه فاضل روى له الجماعة . انظر تقريب التهذيب (٣٩١) والكاشف (٢/ ٤٣٣).

(٥) القاسم هو ابن أبي أبزة المكي مولى بني مخزوم ت (١١٥) هـ إمام ثقة ثبت قارئ روى له الجماعة.
انظر تقريب التهذيب (٤٤٩) والكاشف(٢/ ١٢٧) .

(٦) انظر أقوالهم بسندها مبسوطة أقوال التابعين في مسائل التوحيد و الإيمان(٢/ ٤٢٥-٤٩٧) .

قال الفخر الرازي: (ويدل على هذه التسمية القران والخبر والمعقول أما القران فآيات:

منها قوله تعالى :﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ (١).

قال المفسرون : معناه هل جزاء من أحسنا إليه بالإيمان إلا أن نحسن إليه بالغفران .

وثانيها : قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢).

قال : قوله أحسنوا هو قول لا إله إلا الله باتفاق المفسرين(٣) .

وثالثها قوله تعالى في صفة الكفار : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (٤).

فكما لا قبيح أقبح من كلمة الكفر ، فكذلك لا أحسن من كلمة التوحيد.

و رابعها : قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾ (٥).

ولاشك أن الأحسن هو قول لا إله إلا الله ...)

إلى أن قال : (وأما الخبر : فما روى أبو موسى الأشعري قال: قال:

---

(١) سورة الرحمن .

(٢) سورة يونس(٢٦).

(٣) ليس ما ذكره الرازي ههنا من حكاية الاتفاق صحيحاً فقد جاء عن بعض السلف تفسيرها بغير ذلك.

(٤) سورة الأنعام(٢١).

(٥) سورة الزمر(١٨) .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -(للذي أحسنوا) أي للذين قالوا :لا إله إلا الله ؛ الحسنى وهي الجنة (وزيادة) النظر إلى وجه الله الكريم)[(١)].

قال : وأما المعقول فهو أن الفعل كلما كان أشد حسناً كان فاعله أشد إحساناً، ولا شك أن أحسن الأذكار : ذكر لا إله إلا الله ، وأحسن المعارف معرفة لا إله إلا الله ، وإذا كان كذلك كانت هذه المعرفة وهذا الذكر إحساناً إلى النفس) أ.هـ[(٢)].

قلت : قد جاء تفسير آية الرحمن بأنها لا إله إلا الله عن جمع من أئمة التابعين منهم : عكرمة ومحمد بن المنكدر[(٣)] و مجاهد رحمهم الله جميعاً[(٤)].

٤- دعوة الحق :

قال تعالى :﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾[(٥)].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما- وقتادة ومحمد بن المنكدر:(له دعوة الحق) لا إله إلا الله. وقال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه -: التوحيد[(٦)] .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[(٧)].

والمراد بها قول لا إله إلا الله ، فيكون المعنى إلا من شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون معنى ما ينطقون به[(١)] .

(١) لم أجده بهذا اللفظ بعد طول البحث لكن جاء بمعناه عند ابن جرير في تفسيره(١١/ ١٠٨)وقد جاء عن ابن عباس تفسير ذلك انظر نفس المصدر.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى(١٣٧-١٣٨).

(٣) هو محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير التيمي المدني ت (١٣٠)هـ إمام حافظ متأله بكاء. انظر تقريب التهذيب (٥٠٨) والكاشف (٢/ ٢٤٤).

(٤) انظر أقوالهم مسندة أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (٢/ ٤٣٩-٤٦٨) .

(٥) سورة الرعد(١٤).

(٦) انظر تفسير البغوي(٢/ ٥٢٠) و تفسير ابن كثير(٢/ ٥٢٥) وفتح القدير(٣/ ٩٥).

(٧) سورة الزخرف(٨٦).

وفي مسند البزار وغيره عن عياض الأنصاري- رضي الله عنه - قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة ، ولها من الله مكاناً ، وهي كلمة جمعت وتركت ، فمن قالها صادقاً أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله وحقنت دمه ، ولقي الله فحاسبه)[(٢)] .

٥- الكلمة الطيبة :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[(٣)] .

قال ابن عباس : (مثلاً كلمة طيبة: شهادة أن لا إله إلا الله)[(٤)] .

وقال محمد بن كعب القرظي- عند هذه الآية- : (لا إله إلا الله ،لا يزال صاحبها يجتني منها خيراً ، صلاة ، صياماً ، صدقةً ، حجاً ، عمرة)[(٥)] .

ويقول ابن قيم- رحمه الله -: (شبه الله -سبحانه- الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح ، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع ، و هذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة

....

(١) انظر تفسير البغوي(٤/ ١٠٩) وتفسير المراغي (٢٥/ ١١٦) وشروط لا إله إلا الله للمعتق(١٦).

(٢) تقدم تخريجه(٣٣).

(٣) سورة إبراهيم(٢٤).

(٤) تفسير ابن كثير(٢/ ٥٤٩).

(٥) عزاه في كتاب أقوال التابعين في التوحيد والإيمان(٢/ ٤٥٥) للطبراني في الدعاء.

الطيبة هي شهادة ألا إله إلا الله ، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة ، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة) أ . هـ[(١)] .

٦ – القول الثابت :

قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [(٢)].

قال طاؤوس [(٣)]: (القول الثابت : لا إله إلا الله) [(٤)].

وقال ابن القيم: (والقول الثابت هو القول الحق الصدق ، وهو ضد الباطل الكذب .

فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له.

وأثبت القول: كلمة التوحيد و لوازمها ، وفهمها أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة ....

فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت ، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم .

كما في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب- رضي الله عنه - أن النبي - صلى اله عليه وسلم- : (المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٧١-١٧٢) ، التفسير القيم(٣٢٧-٣٢٨) مختصراً وانظر أقوال التابعين في التوحيد والإيمان (٢/ ٤٥٥).

(٢) سورة إبراهيم(٢٧).

(٣) هو ابن كيسان اليماني الحميري مولاهم أبو عبد الرحمن الفارسي ويقال أن اسمه ذكوان و طاؤوس لقب له ت (١٠٦) هـ إمام ثقة فقيه فاضل ، روى له الجماعة . انظر تقريب التهذيب(٢٨١) والكاشف (٥١٢) .

(٤) ابن جرير(٢٠٧٧٥) ، أقوال التابعين في التوحيد (٢/ ٤٥٢).

وأن محمداً رسول الله فذلك قوله : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة)[(١)] أ . هـ

٧- **كلمة التقوى :**

قال تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا ﴾ [(٢)].

وفي الترمذي عن أبي بن كعب عن النبي- صلى الله عليه وسلم -: (وألزمهم كلمة التقوى ؛ قال: لا إله إلا الله)[(٣)].

وقد جاء[(٤)]في حديث عثمان في مسند الإمام أحمد وفيه قول عمر بن الخطاب: (هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله- تبارك وتعالى- محمداً - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله- صلى الله عليه وسلم -عمه أبا طالب عند الموت : شهادة ألا إله إلا الله).

وقد جاء تفسيرها بذلك أيضاً عن ابن عمر وابن عباس من الصحابة وعن جمع من أئمة التابعين منهم سعيد بن جبير وعطاء وقتادة و عمرو بن ميمون[(٥)]ومجاهد وعروة وعكرمة وإبراهيم التيمي[(١)] وغيرهم . [(٢)]-

---

(١) التفسير القيم(٣٣٣-٣٣٤) مختصراً والحديث في كتاب الجنائز باب قول الله (يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ).

(٢) سورة الفتح(٢٦).

(٣) جامع الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الفتح رقم (٣٢٦٥). وقال : غريب . وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٤) انظر (٣١) .

(٥) هو عمرو بن ميمون بن مهران الرقي الجزري أبو عبدا لله سبط سعيد بن جبير ت (١٤٥)هـ كان رأسا في السنة والورع، روى له الجماعة.
انظر تقريب التهذيب (٤٢٧) والكاشف (٢/ ٨٩).

وهي كلمة التقوى باعتبار ما يلحق صاحبها من وقاية في نفسه وماله في الدنيا ، وإن كان كاذباً . وما يلحق صاحبها من الوقاية من الذنوب والمعاصي إن كان صادقاً ، وذلك بتوفيقه إلى الخير في الدنيا والنجاة في الآخرة بقدر تحقيقها يشهد لذلك حديث البزار عن عياض الأنصاري و فيه (فمن قالها صادقا أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فحاسبه) [(٣)] .

٨ – الكلمة الباقية :

قال الله تعالى في بيان حال إبراهيم -عليه السلام - مع قومه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [(٤)] .

قال ابن كثير - رحمه الله - : (يقول الله مخبراً عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ، ووالد من بعث بعده من الأنبياء ، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان ، فقال: (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه) أي هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من

(١) هو إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي أبو إسحاق المدني ت (١١٠) هـ إمام ثقة روى له الجماعة عدا البخاري . انظر تقريب التهذيب (٩٣).

(٢) انظر فضل التهليل (٧٤) ومختصر تفسير ابن كثير لأحمد شاكر (٣ / ٣٣٨) وأقوال التابعين (٢ / ٣٣٣ – ٣٣٧) .

(٣) تقدم تخريجه (٢٣) .

(٤) سورة الزخرف .

هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي:إليها. و قال عكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم في قوله ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ ﴾ يعني لا إله إلا الله لا يزال في ذريته من يقولها ، وروي نحو عن ابن عباس . وقال ابن زيد : كلمة الإسلام وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة)أ.هـ[(١)].

٩- كلمة الله العليا :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [(٢)] .

قال ابن عباس- رضي الله عنهما- : يعني بكلمة الذين كفروا الشرك و كلمة الله : لا إله إلا الله[(٣)] .

وفي الصحيحين عن أبي موسى- رضي الله عنهما- قال : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -عن الرجل يقاتل شجاعة ،ويقاتل حمية ،ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر : والمراد هنا بقوله ﴿ كلمة الله هي العليا﴾ كلمة التوحيد[(٥)].

١٠-الكلمة السواء :

---

(١) مختصر ابن كثير لأحمد شاكر (٣ / ٢٧٠).

(٢) سورة التوبة(٤٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٧٣) .

(٤) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله عي العليا رقم(٢٨١٠)و مسلم في صحيحه باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. .

(٥) الفتح (١٣/ ٥٤٢).

قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[١].

قال أبو العالية[٢] :((هي كلمة لا اله إلا الله، والدليل على ذلك قوله بعد ذلك (أن لا نعبد إلا الله)ولا معنى لهذه الآية إلا ما يدل عليه قولنا: لا إله إلا الله)).أ.هـ[٣].

وقال ابن كثير- رحمه الله -: (هذا خطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة، كما قال هنا ، ثم وصفها بقوله: ﴿ سواء ﴾ بيننا وبينكم أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسرها بقوله ﴿ أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا ﴾ لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً بل نفرد العبادة لله وحدة لا شريك له.

وهذه دعوة جميع الرسل قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٥])أ.هـ[٦].

١١- كلمة النجاة :

---

(١) سورة آل عمران (٦٤).

(٢) هو رفيع بن مهران الرياحي ت (٩٥) هـ إمام عالم ثقة كثير الإرسال ، روى له الجماعة. انظر تقريب التهذيب (٢١٠).

(٣) الفتح (٨ / ٢٧٢ – ٢٧٣).

(٤) سورة الأنبياء (٢٥) .

(٥) سورة النحل (٣٦) .

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٩). وانظر فتح الباري (١٣/ ٥٤٢) ، (٨ / ٢٧٢ – ٢٧٣) وشرح أسماء الله الحسنى للرازي (١٤٤).

لحديث أحمد في المسند أن أبا بكر الصديق- رضي الله عنه- قال : (يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر الذي نحن فيه ؟ قال : من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي فردها علي فهي له نجاة)[١] .

١٢- العروة الوثقى :

قال تعالى ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [٢]

قال سعيد بن جبير والضحاك[٣] : العروة الوثقى : لا إله إلا الله .

وعن سفيان[٤] قال: هي كلمة الإخلاص[٥] .

١٣- كلمة الصدق :

قال تعالى : (وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)[٦] .

قال ابن عباس- رضي الله عنهما- : والذي جاء بالصدق قال : من جاء بلا إله إلا الله ، وصدق به يعني رسول الله – صلى الله عليه وسلم-)[١] .

---

(١) وهو صحيح بشواهده كما قال شعيب في تحقيقه للمسند حديث رقم (٢٠ ، ٢٤ ، ٣٧) وانظر فضل التهليل للبنا (٧٩) .

(٢) سورة البقرة (٢٥٦) .

(٣) هو ابن مزاحم الهلالي أبو القاسم توفي بعد المائة من أئمة التابعين روى له أصحاب السنن.

انظر تقريب التهذيب (٢٨٠).

(٤) هو ابن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي أبو عبد الله ت (١٦١) هـ ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس طبقته علماً وورعاً روى له الجماعة.

انظر تقريب التهذيب (٢٤٤) والكاشف (١/ ٤٤٩).

(٥) انظر أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (٢ / ٤٢٥) وتفسير ابن كثير (١/ ٣١٩) .

(٦) سورة الزمر (٣٣).

قال ابن جرير- رحمه الله - في تفسيره بعد ذكره لأقوال السلف في معنى الآية : (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - عنى بقوله (والذي جاء بالصدق وصدق به) كل من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسله والعمل بما ابتعث به رسول الله- صلى الله علية وسلم- من بين رسل الله، وأتباعه والمؤمنين به ، وأن يقال الصدق هو القران وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به : المؤمنون بالقران من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه) أهـ[٢] .

١٤- الحسنى :

قال تعالى : ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٣] .

قال أبو عبد الرحمن السلمي[٤] والضحاك : وصدق بالحسنى أي بلا إله إلا الله . أ . هـ[٥] .

و في طبقات الشافعية بسنده عن جابر : أن سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي قال : يا رسول الله أخبرنا عن ديننا كأننا خلقنا له الساعة ، في أي شيء نعمل ، أفي شيء ثبتت فيه المقادير ، وجرت فيه الأقلام ، أم في أمر مستأنف ؟

قال: بل فيما ثبتت فيه المقادير و جرت به الأقلام .قال سراقة : ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال رسول- صلى الله علية وسلم- :(اعملوا فكل

....

(١) ابن كثير (٤/ ٥٨) ورُوي عن سعيد بن جبير نحوه.

(٢) (٢٤/ ٤).

(٣) سورة الليل (٦) .

(٤) هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة الكوفي من أولاد الصحابة وقد ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي بعد السبعين . مقرئ الكوفة الإمام العلم ، قرأ القرآن وجوده ومهر فيه ، روى له الجماعة. انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧) والتقريب(٢٩٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٥٣).

ميسر لما خلق له ، وقرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -هذه الآية ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى(قال بلا إله إلا الله)فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ﴾.قال:بلا إله إلاالله(فسنيسره للعسرى) (١) .

وفي مسند الإمام الروياني عن أبي ذر مرفوعاً قال: قلت يا رسول الله علمني شيئا ينفعني . قال: إذا عملت سيئة تعمل حسنة فإنها عشر أمثالها. قال : قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا لله ؟ قال : نعم، وهي أحسن الحسنى)(٢) .

١٥- مفتاح الجنة :

قد جاء ذلك صريحاً في حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي- ﷺ – في قصة أطنام الطويل وفيه قال : (ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت الأبواب وأدخلته الجنة)(٣).

---

(١) (١ / ٢٩) وأصله في مسلم.

(٢) عزاه إليه ابن عبد الهادي في التمهيد (١٧٠) وأصله في مسند الإمام أحمد بعدة طرق صحح الألباني لأجلها الحديث . انظر الصحيحة (٣ ١٣٧) وصحيح الجامع (١/ ١٨٠) رقم(٦٩٠).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في النوادر(٣٢٤) وأيضا البيهقي في الشعب كما في كنز العمال (١٥/ ٩٢٦) رقم (٤٣٥٩٢). وقال ابن القيم رواه الحافظ ابن موسى المديني في كتاب الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية وبنى كتابه عليه وجعله شرحاً له ثم قال :وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعظم شأن هذا الحديث وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه)أ.هـ الوابل الصيب تحقيق الأنصاري (١٧٨) وقال: سمعت شيخ الإسلام يعظم هذا الحديث وقال: أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث)أ. هـ الروح (١٢٠) وانظر التمهيد لان عبدالهادي (١٩٦) كلام المحقق وانظر ايضاً فتح الباري (٣/ ١٤٢). وقد جاء مرفوعاً(مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله) رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وهو

وقد قيل لوهب بن منبه[١] : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك و إلا لم يفتح لك)[٢].

١٦- العهد :

قال تعالى﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾[٣].

قال ابن عباس : العهد هو قول لا إله إلا الله[٤] .

وجاء عن محمد بن كعب القرظي وا بن أبي كثير[٥]نحوه[٦].

١٧- القول السديد :

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾[١].

مع ضعفه لم يسمع من معاذ (٥/ ٢٤٢) وروي نحوه عن أنس مرفوعاً بأسانيد ضعيفه رواه ابن نعيم في صفة الجنة (٩٦) رقم ١٩٠ و(٢١) رقم (٥١) والديلمي في الفردوس (٢/ ١٦٤) رقم (٢٣٧٠)

(١) هو وهب بن منبه بن كامل اليماني ، أبو عبدالله الأبناوي مات سنة بضع عشرة بعد المائة . إمام ثقة روى له الجماعة.
انظر تقريب التهذيب (٥٨٥).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٤٢) .

(٣) سورة مريم .

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٣).

(٥) هو يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم ، أبو نصر اليمامي ت (١٣٢) هـ إمام ثقة ثبت يدلس ، روى له. الجماعة .
انظر تقريب التهذيب (٥٩٦).

(٦) انظر أقوالهم مسندة أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (٢/ ٤٢٩-٤٣٠).

قال عكرمة : قولوا لا إله إلا الله[٢] .

١٨- الدين الخالص :

قال تعالى : (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)[٣] .

قال قتادة : شهادة أن لا إله إلا الله[٤].

وعن مجاهد قال : شهادة إلا اله إلا الله ؛كلمة الإخلاص[٥] .

وقال الشنقيطي[٦]: (وقوله تعالى في هذه الآية ألا لله الدين الخالص أي التوحيد الصافي من شوائب الشرك، أي هو المستحق لذلك وحده، وهو الذي أمر به ، وقول من قال من العلماء: إن المراد بالدين الخالص : كلمة لا إله إلا الله . موافق لما ذكرناه والعلم عند الله تعالى)[٧] .

١٩- كلمة العدل :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[٨].

قال ابن عباس : شهادة ألا إله إلا الله.[١]

....

(١) سورة الأحزاب (٧٠).

(٢) تفسير ابن كثير : (٣ / ٥٢٩) وفضل التهليل (٧٥) وأقوال التابعين (٢ / ٤٥٣).

(٣) سورة الزمر(٣).

(٤) تفسير ابن كثير(٤ / ٤٩) .

(٥) أقوال التابعين(٢/ ٤٣٢) .

(٦) هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ت (١٣٩٣) هـ إمام عالم أصولي لغوي مفسر من أشهر كتبه أضواء البيان و دفع إيهام الإضطراب ومختصر روضة الناظر .

انظر ترجمته لتلميذه البار عطية سالم مقدمة أضواء البيان .

(٧) أضواء البيان (٤ / ٣٦٠).

(٨) سورة النحل(٩٠).

....

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٦٠٤).


المبحث الثالث :
الأساليب القرآنية
الدالة على
كلمة التوحيد

المبحث الثالث : الأساليب القرآنية الدالة على كلمة التوحيد:

لقد سلك القران الكريم أساليب متعددة في تقرير كلمة التوحيد، والدلالة عليها بأحسن تقرير، وأعجز بيان ، وأقوى حجة يذعن لها كل ناظر ومتأمل .

ونحن في هذا المبحث نذكر بعضاً من هذه الأساليب ما يفي بالمطلوب ، وإن كانت دلالات القران وأساليبه في تقرير التوحيد يحتاج إلى رسالة خاصة[١] فمن الأساليب القرآنية الدالة على كلمة التوحيد:

١- الاستدلال بتوحيد الربوبية عليها :

قد تكرر في القران كثيراً بيان أن الخالق هو المستحق للألوهية وأن المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة هو الإله الحق وحده دون ماسواه.

ونظراً لكثرة هذه الأدلة فإنا نذكر هاهنا بعضاً مما يؤدي الغرض المطلوب:-

* قال تعالى :- ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[٢] .

ففي هذه الآيات بيان أن الخالق والوكيل على كل شيء بحفظه ورزقه وتصريفه هو الذي يستحق أن يعبد ويؤله وحده .

---

(١) كتبت رسائل عدة في هذا الموضوع فمن ذلك رسالة عقيدة التوحيد في القرآن الكريم لمحمد ملكاوي .

(٢) سورة الأنعام .

يقول ابن جرير - رحمه الله - : (يقول جل ثناؤه لهم:-﴿ أيها الجاهلون﴾ إنه لا شئ له الألوهية والعبادة إلا الذي خلق كل شئ، وهو بكل شئ عليم .فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كل شئ وبارئه وصانعه ، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة).أ٠هـ[١] .

(فتأمل هذا البرهان الواضح والدليل القاطع على وجوب إفراد الله بالإلهية، فإن الذي يستحق من العباد أن يعبدوه ويفردوه بالتوحيد هو من كان رباً خالقاً مالكاً مدبراً ، وأما من لا شأن له في خلق، ولا في تدبير لا يصلح أن يكون إلها معبوداً إذا لم يصلح لأن يكون رباً مقصوداً)[٢] .

* وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ

(١) تفسير ابن جرير (٧/ ٢٩٩) .
(٢) انظر دعوة التوحيد للهراس(١١).

أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

فهذه الآيات الكريمات جاءت بعد أن ذكر الله إهلاكه لفرعون وقومه، وذهاب ملك سبأ، وإهلاك ثمود قوم صالح -عليه السلام -، وإهلاك قوم لوط- عليه السلام-، ووجه المناسبة كما قال ابن جرير- رحمه الله-: (قل يا محمد لهؤلاء الذين زينا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون :-آلله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصها عليكم في هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءاً ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعاً؟.

ويقول :-إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل ،فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ولا دفع ضر عنكم في عبادة من بيده النفع والضر وله كل شيء؟) أ.هـ[2] .

ثم شرع- تعالى - بعد ذلك يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره؛ فبين أنه تفرد بخلق السموات والأرض وإنزال المطر وإنبات الأرض بالزروع المختلفة الأصناف والثمار،وأنه المتفرد أيضاً بجعل الأرض قراراً ،وجعل الأنهار خلالها تسير عذبة طيبة، وجعل في الأرض الجبال رواسي تثبت الأرض، فلا تميد بكم ، وجعل بين البحرين - العذب والمالح - حاجزاً ومانعاً، يمنعها

---

(١) سورة النمل .

(٢) تفسير ابن جرير(١١/ ٢).

من الاختلاط فلا تفسد ، وأنه سبحانه هو المدعو عند الشدائد ، المرجو عند النوازل، الذي يهديهم في ظلمات البر والبحر ،المغيث لكم بالمطر عند الجدب وانقطاع الماء ، الرازق لكم من السماء والأرض. فبين سبحانه من دلائل قدرته وخصائص ربوبيته في هذه الآيات ما يدل على أنه المعبود بحق وحده، المألوه في ذلك، وأن ما سواه لا يستحق شيئاً من الألوهية، فإنه سبحانه كلما ذكر شيئاً من خصائص ربوبيته قال: (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ) أي يقدر على ذلك ويفعله؟ والجواب:- لا .

وإذا كان كذلك كان هو المستحق لأن يعبد وحده، ولذلك نص الله على ذلك بقوله:- (تعالى الله عما يشركون) بعد أن ابتدأ الآيات بقوله(آلله خير أما يشركون).

ثم بين- تعالى – عجز كل من يدعي شيئاً من خصائص ربوبيته لغيره – تعالى- فقال آمراً نبيه – صلى الله عليه وسلم- بأن يخاطبهم بصيغة التعجيز:- (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) في ذلك ، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان [(١)] .

* وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[(٢)] .

يقول ابن كثير -رحمه الله- : (ينبه – تعالى- عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق

---

(١) انظر تفسير ابن كثير(٣/ ٣٨١-٣٨٤) ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في التوحيد(١/ ١١٢) .

(٢) سورة فاطر.

فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ، ولهذا قال تعالى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ووضوح هذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان)أ.هـ[1] .

* وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [2] .

وهذه الآيات كسابقتها فيها الدلالة الواضحة على أن المستحق أن يكون هو الإله وحده ؛هو الذي تفرد بهذه الأشياء وجوداً وعدماً ، وهو الله الواحد الأحد الخالق الذي لا إله غيره ولا رب سواه[3] .

فقد أقام القران الحجة بهذا التوحيد= توحيد الربوبية = ليكون موصلاً لتوحيد الألوهية ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4].

---

(١) تفسير ابن كثير(٣/ ٥٥٥).

(٢) سورة غافر .

(٣) انظر تفسير ابن كثير(٤/ ٩٣).

(٤) سورة البقرة.

وقال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [١] .

والمعنى كما أنه ا لمتفرد بربوبية المشرق والمغرب ، وربوبية السموات والأرض ، وليس لذلك رب سواه، فكذلك ينبغي أن لا يتخذ إله سواه .

كما أقسم- سبحانه وتعالى- في سورة الصافات وأتبع هذا القسم بذكر ربوبيته- تعالى - للسموات والأرض ومشارقها فقال تعالى ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ [٢] .

يقول ابن القيم : (فإن الإقسام كالدليل على صحة ما أقسم عليه من التوحيد و[قد] أقسم- سبحانه- بذلك على توحيد ربوبيته فقال: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ [وهذا] من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ،ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركاً له في ربوبيته ، كما شاركه في إلهيته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذه قاعدة القران ؛ يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية ، فيقرر كونه معبوداً واحداً بكونه خالقاً ورازقاً وحده)ا.هـ[٣] .

---

(١) سورة المزمل .

(٢) سورة الصافات .

(٣) التبيان في أقسام القران (٤٢٨).

ونحن لو أردنا استقصاء ما جاء في الكتاب العزيز من آيات الربوبية والتي سيقت برهاناً على هذه الكلمة لطال بنا المقام ،ولكن حسبنا أن نعلم أن معظم السور المكية مليئة من هذه النوع لمن تدبرها فتأمل(١) .

٢- تفرد الله بالأسماء الحسنى والصفات العلا :-

ومن الأدلة بيان انفراد الله – سبحانه- بماله من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا يكون إلهاً إلا من اتصف بها:وذلك لأن الإله يجب أن يكون كاملاً حائزاً لجميع صفات الكمال ، فإن النقص مناف للإلهية،فإذا ثبت اختصاصه- سبحانه – بهذه الأسماء والصفات دل ذلك على تفرده بالإلهية(٢) .

يقول ابن سعدي(٣)- رحمه الله -عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾(٤): (يخبر تعالى وهو أصدق القائلين أنه (إله واحد) أي متوحد متفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.فليس له شريك في ذاته ، ولا سمي له ولا كفو له ولا مثل ولا نظير ولا خالق ولا

(١) انظر دعوة التوحيد للهراس (٣٣).
وأنظر مثلاً في آي القران :-(طه(٦) ، الزمر(٦)، غافر(٦٢)، الدخان(٨)، المزمل(٩)، الروم(١٠-٢٥)

(٢) انظر دعوة التوحيد(٣٩).

(٣) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦) هـ علامة القصيم إمام عَلَم مفسر أصولي من كتبه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ومختصره والقول السديد وشرح نونية ابن القيم وغيرها.
انظر ترجمته مقدمة تفسيره و جهود السعدي في توضيح العقيدة للبدر .

(٤) البقرة .

مدبر غيره. فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة ولا يشرك به أحد من خلقه)[(١)].

وقال : (ومن الأدلة على ذلك معرفة تفرد الرب بالكمال المطلق وأن له كل صفة كمال . وأن المخلوقات كلها كل وصف حميد فيها فإنه من الله- تعالى- ، ليس بها وليس منها. وهذا من أعظم البراهين على أنه هو المخصوص بالتأله والعبودية) ا.هـ[(٢)] .

(فهو- سبحانه- يدعوهم إلى هذا الأصل بما يتمدح به ويثني على نفسه الكريمة ، من تفرده بصفات العظمة والمجد ، والجلال والكمال، وأن له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك ؛ [فهو]أحق من أخلصت له القلوب الأعمال الظاهرة والباطنة)[(٣)] .

* قال تعالي : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[(٤)].

---

(١) (٧٧) من تفسيره.
(٢) الحق الواضح المبين (٥٨).
(٣) القواعد الحسان(١٧-١٨) .
(٤) سورة الحشر .

ففي هذه الآيات الكريمات التي اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، عظيمة الشأن وبديعة البرهان على أنه سجانه هو المألوه المعبود الذي لا إله إلا هو ، وذلك لكماله العظيم ، و إحسانه الشامل، وتدبيره العام ، و كل إله سواه فإنه باطل، لا يستحق من العبادة مثقال ذرة ؛لأنه فقير عاجز ناقص، ومن كانت هذه حاله كيف يجعل شريكاً مع من تقدس بكماله ؟!.

فله الأسماء الحسنى التي تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص في شيء منها بوجه من الوجوه .

فما أعظمها من دلالة على وحدانيته وألوهيته- سجانه - .وهو العزيز الحكيم[(١)] .

* وقال تعالي : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨ ﴾[(٢)].

فمن له ملك كل شيء، وقد أحاط بكل شيء علماً دقيقها و جليلها ،خفيها وظاهرها- وهذا من دلائل الكمال المطلق - استحق بأن يكون هو المألوه وحده.

يقول السعدي - رحمه الله- : (فلما قرر كماله المطلق ، بعموم خلقه وعموم أمره ونهيه وعموم رحمته وسعة عظمته وعلوه على عرشه وعموم ملكه وعموم علمه ، نتج من ذلك أنه المستحق للعبادة وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره باطلة ، فقال: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) انظر تفسير السعدي (٨٥٤).

(٢) سورة طه .

هُوَ) أي لا معبود بحق ولا مألوه بالحب والذل والخوف والرجاء والمحبة في الإنابة في الدعاء إلا هو له الأسماء الحسنى)(١).

* وقال تعالى في آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٣).

وقال تعالي : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾(٤).

يقول السعدي- رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية : (قل يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين ، إن طلبوا منك ما ليس لك ولا بيدك (إنما أنا منذر) هذا نهاية ما عندي ، وأما الأمر فلله تعالى ، ولكني آمركم وأنهاكم وأحثكم على الخير وأزجركم عن الشر، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها.

---

(١) المصدر السابق (٥٠٢).

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة غافر .

(٤) سورة ص .

(وما من إلـه إلا الله) أي: مـا أحـد يؤلـه ويعبـد بحـق إلا الله الواحـد القهار.

هذا تقرير لألوهيته بهذا البرهان القاطع ، وهو وحدته تعالى ، وقهره لكل شيء ، فإن القهر ملازم للوحدة ، فلا يكون قهاران متساويين في قهرهما أبـداً ، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له ، وهو الـذي يـستحق أن يعبد وحده كما كان قاهراً وحده ، وقرر ذلك أيضاً بتوحيد الربوبية فقال: (رب السموات في الأرض وما بينهما) أي خالقهما ومربيهما ومدبرهما بجميع أنـواع التدابير ، (العزيز)الذي له القوة التي بها خلق المخلوقات العظيمـة (الغفـار) لجمع الذنوب صغيرها وكبيرها لمن تاب إليـه وأقلـع منهـا ، فهـذا الـذي يجـب ويستحق أن يعبد دون من لا يخلق ولا يرزق ولا يضر ولا ينفع ولا يملك مـن الأمر شيئاً، وليس له قوة الاقتدار،ولا بيده مغفرة الذنوب و الأوزار.أ.هـ[١].

فالترابط بـين اسـتحقاق الله- تعـالى - وحـده للعبـادة و الألوهيـة وبـين الكمال المطلق في أسمائه وصفاته ترابط تام ، فإن الكامل الكمال المطلق يستحق للألوهية وحده ، و المستحق للألوهية لابد وأن يكون كاملاً كمالاً مطلقـاً ، ولا يتصور أن يكون الناقص إلهاً أبداً ،كما لا يتصور أن يكون الكامل غير إله[٢].

٣- الاستدلال بضرب الأمثال:

اعلم أن القران قد احتوى على أعلى و أكمل وأنفع المواضيع التي يحتـاج الخلق إليها في جميع الأنواع ، كما احتوى على أحـسن طـرق التعلـيم و إيـصال المعاني إلى القلوب بأيسر شيء و أوضحه.

---

(١) تفسير السعدي(١).

(٢) انظر حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٣٧٣).

ومن أنواع تعليمه : ضرب الأمثال في تقرير المطلوب أو نفيه، وهذا النوع يذكره الباري -سبحانه - في الأمور المهمة العظيمة سيما التوحيد وما يتعلق به، ويقصد بذلك توضيح المعاني النافعة وتمثيلها بالأمور المحسوسة ليصير السامع كأنه يشاهد معانيها رأي العين مما يكون له أثر عظيم في نفس السامع ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

فمن الأمثال التي ضربها الله في ذلك:

* قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2].

(فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر ، فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عباده النفع، ويدفع عنهم الضر ، فلو كان معه – سبحانه- من يشركه في ملكه : لكان له من خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك ، وتفرده بالملك والألوهية دونه فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه ، فلابد من ثلاثة أمور:

أ)- إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

ب)- وإما أن يعلو بعضهم على بعض .

---

(١) سورة العنكبوت (٤٣) و انظر القواعد الحسان(٧٦).

(٢) سورة المؤمنون.

جـ)- وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون من كل وجه ، وانتظام أمر العالم كله ، وارتباط بعضه ببعض ، وجريانه على نظام محكم أوضح دليل على أن مدبره إله واحد وملك واحد لا إله للخلق غيره ، ولا رب لهم سواه . فكون العالم صادراً عن صانعين اثنين متماثلين ممتنع لذاته ، ومعلوم بطلانه بصحيح العقل فكذا تبطل إلهية اثنين .فالآية موافقة لما ثبت واستقر في الفطر من توحيد الربوبية، دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الألوهية) (١) .

* وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٢) .

قال ابن القيم : (شبه - سبحانه وتعالى - الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح ، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع ، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون : (الكلمة الطيبة :هي شهادة أن لا إله إلا الله) فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة ، فكل عمل صالح مرضي لله - عز وجل- تثمره هذه الكلمة......

فإنه- سبحانه - شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علواً ، التي تؤتي ثمرها كل حين. وإذا تأملت هذا

---

(١) الجواب الكافي (١٤٣) وما بعدها، والتفسير القيم (٣٧١) أيضاً فإن النص فيهما واحد.

(٢) سورة إبراهيم .

التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء ،ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها ، وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاته حق رعايتها ، فمن رسخت هذه الكلمة قي قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها ، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فعرف حقيقة إلهيته التي يثبتها قلبه لله ، ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه . ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله - عز وجل -وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن يشهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربها ذللاً غير ناكبة عنها، ولا باغية سواها بدلاً ،كما لا ينبغي سوى معبوده الحق بدلاً، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرها من العمل الصالح .

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها عارفاً بمعناها وحقيقتها نفياً وإثباتاً متصفاً بموجبها قائماً قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه الكلمة من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء وهي مخرجة لثمرها كل وقت. أ.هـ[١].

وفي مقابل هذا كله : الكلمة الخبيثة كلمة الكفر ، قال ابن عباس : (ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر ، يقول: إن الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، يقول : الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد إلى الله، فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء)[٢].

---

(١) الأمثال (٢٢٨-٢٣١)مختصراً.

(٢) وجاء بنحوه عن الضحاك انظر تفسير ابن جرير(٧/ ٤٤٥) والأمثال لابن القيم(٢٣٦-٢٣٧).

والمقارنة بين المثلين هي في أمرين اثنين:

الأول : في ثبات الأصل واستقراره .

الثاني : في الثمرة الناتجة عنهما.

فكلمة التوحيد في ثبات أصلها ، واستقرارها تشبه ثبات الشجرة الطيبة ذات الثمر الطيب.

وكلمة الشرك في تلاشيها واضمحلالها وزوالها وخبثها تشبه الشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الأرض مالها من قرار(١) .

* وقال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٢) .

فهذا مثل ضربه الله للمشرك الذي يعبد آلهة شتى ، وللموحد الذي يعبد إلهاً واحداً وهو الله ، لينبه على قبح الشرك وحسن التوحيد .

فالمشرك بمنزلة عبد تملكه جماعة مشتركة في خدمته لا يمكنه رضاهم جميعاً. والموحد لما كان يعبد الله وحده ، فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده ، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه ، بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه مع رأفة مالكه ورحمته له وشفقته عليه ، وإحسانه إليه وتوليته بمصالحه . فهل يستوي هذان العبدان ؟. وهذا من أبلغ

---

(١) انظر الأمثال لابن القيم (٢٢٨-٢٤٥) والتفسير القيم(٣٢٧-٣٣٤)، القواعد الحسان (٧٨) تفسير السعدي (٤٢٥) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين(٣٨٠-٣٨٢).

(٢) سورة الزمر .

الأمثال فإن الخالص لمالك واحد مستحق من معونته و إحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين . والحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون [١] .

٤- التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله بإظهار حالها وعجزها:

من المعلوم أن الإله المستحق للعبادة لابد وأن يكون كاملاً في ذاته وأفعاله وصفاته، كما أن الإله كذلك لابد وأن يكون منزهاً عن النقائص، فلا يوصف بالنقص بأي وجه من الوجوه ، إذ لا يتصور أن يكون الناقص إلهاً معبوداً أبداً.

وهذا أمر متفق عليه بين العقلاء ، ولقد تعددت الدلائل القرآنية في إبطال ما اتخذه الناس آلهة من دون الله، وذلك بإظهار حالها من العجز الشنيع، والفقر البالغ، والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها ، وأنها لا تملك من خصائص الربوبية شيئاً بل هي متصفة بالنقص الملازم لها .

فإذا ثبت هذا لزم ضرورة إفراد الله بالإلهية وحده دون ما سواه ، وهذه الطريقة تعتمد على إثبات المطلوب بإبطال ضده . فالمطلوب إثباته هو توحيد الألوهية ، وضده هو الشرك في الألوهية مع الله فإذا ثبت بطلان الشرك في الألوهية فإنه يثبت توحيد الألوهية لله وحده دون ما سواه، وأنه لا إله إلا الله[٢].

والآيات الواردة في تقرير هذا المنهج وإبطال عبادة آلهة المشركين جاءت على نوعين:

---

(١) انظر جهود الإمام ابن القيم في توضيح العقيدة (٢٣٩) ، منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في التوحيد(١/ ١٣٧).

(٢) انظر حقيقة التوحيد بين أهل السنة و المتكلمين (٣٨٦) ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في التوحيد(١/ ١١٣-١٢٠).

أ – بيان اتصافها بصفات النقص.

ب – دليل العجز.

وسنعرض أمثلة من خلال هذين النوعين :

أ- بيان اتصافها بصفات النقص :

وتنبني هذه المسألة على أن الآلهة التي تعبد من دون الله متصفة بصفات النقص المستلزم عدم إلهيتها :

* قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[1].

ففي هذه الآية تقريع لمن اتخذ من دون الرحمن آلهة مخلوقة ، افتقرت في وجودها إلى غيرها فضلاً عن أن تكون خالقة . فكيف إذا كانت لا تملك دفع الضر عن نفسها ،أو أن تجلب لها نفعاً لا قليلاً ولا كثيراً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟ .

فأي نقص أعظم من هذا، وأي بطلان وفساد أعظم ممن اتخذها آلهة من دون الله[2] .

* وقال تعالى في وصف العجل الذي اتخذه بنو إسرائيل إلهاً من دون الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ ﴾[3] .

---

(١) سورة الفرقان .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٠) وتفسير السعدي(٥٧٨).

(٣) سورة طـه .

(أي لا يتكلم ويراجعهم ويراجعونه ، ولا يملك لهم ضـراً ولا نفعـاً ، فالعـادم للكمال والكلام والفعال لا يستحق أن يعبد وهو أنقص من عابديه)[١] .

فجعل امتناع صفة الكلام والتكلم وعدم ملك الضرر والنفع دليلاً علـى عدم الإلهية ، وهذا دليل عقلي سمعي على أن الإله لابد أن يتكلم ويملك لعابد يه الضر والنفع وإلا لم يكن إلهاً لنقصه[٢] .

* وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٢٢ ﴾[٣] .

أخبر- تعالى- في هذه الآيات أن من صفات آلهة المشركين كونها مخلوقة لا تخلق شيئاً ، وهذا ما أشار إليه إبراهيم - عليه السلام-بقوله: ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾[٤]، ثم هي ميتة لا أرواح فيها، بل هي جمادات لا تعقل وما تدري متى تكون الساعة ؟ فكيف يُرتجى عندها ثواب وجزاء؟ .

إن الإله الذي يهب الحياة لغيره لابد وأن يكون حياً ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وبما أن أصنام المشركين من عمل أيديهم من حجر أو خـشب أو غـيره.

---

(١) انظر تفسير السعدي (٥١١).

(٢) انظر الصواعق المرسلة(٣/ ٩١٥) ودعوة التوحيد للهراس (٢٤-٣١).

(٣) سورة النحل .

(٤) سورة الصافات .

فهي ميتة لا تصلح للألوهية ، وعبادها أكمل منها لأن فيهم الروح والحياة، والحي أكمل من الميت[١].

* وقال تعالى في دعوة إبراهيم – عليه السلام – لأبيه وقومه : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [٢] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [٣] .

فلا يليق بالعاقل أبداً أن يعبد إلهاً دونه وأقل منه ، والعابد هو أكمل من معبوده وأقوى بروحه التي بها حياته ، وبحواسه التي بها يصرف أموره ، وبنطقه الذي به يفهم عن الناس ويفهمون به الناس، وقد بين – تعالى- أن هذه الآلهة التي يدعوها المشركون لا تسمعهم في دعائهم لها ، ولو سمعت لم يتيسر لها إجابة الدعاء فليست ناطقة ولا سامعة وليس كل سامع قولاً يتيسر له الجواب عنه ، وقد وصفها الله – تعالى- بالغفلة تشبيهاً لها بمن يسهو عما يقال ، وهذا فيه غاية التوبيخ لهم في عبادتهم ما لا يعقل شيئاً ولا يفهم ؛ وهو كالغافل فيقول تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ [٤] .

---

(١) انظر عقيدة الموحدين في القرآن الكريم (٢٩١-٢٩٢).

(٢) سورة مريم .

(٣) سورة الشعراء .

(٤) سورة فاطر .

وقال أيضاً : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ (١).

ب - دليل العجز :

وهذه المسألة وإن كانت داخلة في التي قبلها إلا أنه قد ورد إفرادها بالذكر في القران الكريم ، وترد كذلك مرتبطة مع تلك المسألة .

ومن هذه الآيات الدالة عليها قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴾ (٢).

ففي هذه الآية تعجيز للمدعوين من دون الله سواء كانوا ملائكة أو كانوا إنساً أو جناً أو أصناماً أو غير ذلك ، إذا أراد الله إنزال ضر أن يدفعوه أو يحولوه إلى نفع أو يحولوا الضر إلى آخرين، ولاشك أن المدعوين من دون الله عاجزون عن ذلك . إذ المقدر هو الله فلا يقدر أحد أن يغير ما قدره الله . وبهذا يعلم أن أولئك لا يجوز صرف شيء من العبادة إليهم ، إذ المستحق لأن يعبد هو الذي لا يعجزه شيء وهو الله سبحانه(٣).

---

(١) سورة الأحقاف . وانظر عقيدة التوحيد في القران الكريم(٢٩٦).

(٢) سورة الإسراء .

(٣) انظر منهج أهل السنة و منهج الأشاعرة في التوحيد(١/ ١١٦).



* وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [1] .

قال ابن القيم : (حقيق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره ، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه ، ولا يقدرون على الانتصار من الذباب . وإذا سلبهم الذباب شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه [لا] يستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان ، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما يسلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة ، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى)أ.هـ[2].

* وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الحج .

(٢) الأمثال (٢٤٧-٢٤٨).

(٣) سورة الأنبياء .

(٤) سورة الأعراف .

فعجز المعبودات دليل على بطلان عبادتها ، وما يحصل لها من عبادة فهو نابع من سفه عابديها وتفاهة عقولهم. يقول السعدي عند هذه الآية : ([و] من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله ، فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وغيرها ، كلهم فقراء إلى الله عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، ولا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق، والرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها الضار والنافع ، المعطي المانع ، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء .

فأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو دليل عقلي وفطري كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله ، وأنه الحق ، ودليل كذلك على بطلان الشرك)[1].

٥- ومنها بيان حكم الله الشرعي والجزائي :

ومن الأساليب القرآنية الدالة على كلمة التوحيد ما تضمنه القران من بيان لحكم الله الشرعي والجزائي المتعلق بالكلمة. فإنه- سبحانه - قد حكم وشرع =وهو خير الحاكمين= بأنه المعبود وحده دون ما سواه، ونهى عن عبادة، وتأليه أحد غيره ، وبين بطلان عمل المشركين وصحة عمل الموحدين. وبين أن أولياءه وأحباءه وخيرة خلقه من أخذ بهذه الكلمة وعمل بمقتضاها، فكان لهم النصر الدنيوي والأخروي جزاء إيمانهم بها ، كما بين أن أعداءه الذين

(١) تفسير السعدي (٢/ ١٨٠).

(٢) الزيادة من عندي

توعدهم بالخزي والعذاب في الدنيا والآخرة هم من لم يؤمن بهذه الكلمة . وبالجملة فالقران الكريم (تارة يقرر هذا بذكر محاسن التوحيد، وأنه الدين الوحيد الواجب شرعاً و عقلاً وفطرة على جميع العبيد، ويذكر مساوئ الشرك وقبحه، واختلال عقول أصحابه بعد اختلال أديانهم وتقلب أفئدتهم ،و كونهم أضل من الأنعام سبيلا، وتارة يدعو إلى [كلمة][(١)] التوحيد بذكر ما رتب عليها من الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة ، والحياة الطيبة في الدور الثلاث، وما رتب على ضدها من العقوبات العاجلة والآجلة . وكيف كانت عواقب المشركين أسوأ العواقب وشرها) [(٢)] .

ومن هنا فهذا الأمر متعلق به مسألتان:

المسألة الأولى : الحكم الشرعي .

ويتضح هذا من خلال ما يلي :

أ) إجماع الرسل على تحقيقها والدعوة إليها.

ب) الأمر بها شرعاً.

ج) النهي عن الشرك.

المسألة الثانية : الحكم الجزائي:

ويتضمن العاقبة التي لحقت من آمن بها في الدنيا و الآخرة. وكذلك أيضاً العاقبة التي لحقت من صد عنها وكفر بها في الدنيا والآخرة .

وسنقف مع كل مسألة منهما بشيء من البيان :

المسألة الأولى : الحكم الشرعي:

أ) إجماع الرسل على تحقيقها والدعوة إليها:

---

(١) زيادة يقتضيها السياق

(٢) القواعد الحسان (١٨) مع اختلاف يسير.

وقد تقدمت هذه المسألة في المبحث الأول من هذا الفصل، وإنما ذكرتها هنا لتعلقها بالموضوع فأغنى ذلك عن إعادتها هنا ولكن حسبنا أن نذكر بعض الآيات الدالة على ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [١] .

وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٣]وغيرها من الآيات فكل هذه الآيات وغيرها كثير، تدل دلالة واضحة على أن جميع الرسل من أولهم وهو نوح - عليه السلام - إلى نبينا - صلى الله عليه وسلم- كانت زبدة رسالاتهم وأصلها هو الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود ،وأن إلهية ما سواه باطلة .

ومن تأمل قصة كل نبي ذكر في القران مع قومه وجد البرهان على ذلك بيناً ، فتأمل قصة نوح مع قومه[٤] وتأمل قصة إبراهيم مع أبيه وقومه، وقصة موسى مع فرعون، ثم مع قومه، وعبادتهم للعجل ،بل تأمل غالب قصص

---

(١) سورة النحل(٣٦).

(٢) سورة الزخرف .

(٣) سورة الأنبياء .

(٤) انظر مثلا سورة الأعراف وسورة نوح وسورة الشعراء و الأنعام والأنبياء والقصص وهود والنمل ويوسف وال عمران.

القرآن تجد فيها الدلالة على ذلك ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [١] .

ب) الأمر بها شرعاً:

قد أمر الله – تعالى- بتحقيق الكلمة وإفراده - سبحانه - بالألوهية في آيات كثيرة من كتابه بل صدر جملة من الأحكام الشرعية بهذه الكلمة أو النهي عن ضدها كقوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢] الآيات .

وكقوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [٣] وتسمى هذه الآية بآية الحقوق العشرة.

وكقوله تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [٤].وكقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [٥]وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) سورة آل عمران .

(٢) سورة الإسراء .

(٣)سورة النساء(٣٦).

(٤) الآية هود .

(٥) سورة البينة .

يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [١] وغيرها من الآيات .

فبين -سبحانه - في هذه الآيات ما يجب على عباده ، وما أمرهم به من إفراده بالألوهية والعبادة ،فالحكم كله لله، فالحلال ما أحله ،والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه.

(ومن حكمه الشرعي أيضاً: حكمه سبحانه بصلاح عمل الموحدين وحسنه ، وذلك يوجب تقديمه على كل عمل ،فمن الآيات في هذا الباب قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [٢] .

فلا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود الذي هو حقيقة الاستسلام ،وهو محسن متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، واتبع ملة إبراهيم - عليه السلام - حنيفاً ومائلاً عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق) [٣] .

قال قتادة (الحنيفية : شهادة أن لا إله إلا الله) [٤] .

---

(١) سورة الرعد .

(٢) سورة النساء .

(٣) انظر تفسير السعدي (٢٠٦).

(٤) أقوال التابعين في التوحيد والإيمان(٢/ ٥٠٠) وانظر منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في التوحيد (١/ ١٣١).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١) .

أي أنه لا أحد أحسن قولاً ممن آمن بالله ووحده ، ودعا إلى الإيمان به ، واستسلم لشرع الله، فقام بأمره ، واجتنب نهيه ، ثم بين الله حكمه الشرعي بعدم تساوي الحسنة والسيئة، وأعظم الحسنات لا إله إلا الله كما في حديث أبي ذر مرفوعاً: (هي أحسن الحسنات) (٢) .

وسياق الآية يقتضي العموم . قال ابن جرير: (ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته) (٣).

جـ - النهي عن الشرك:

من المعلوم أن أعظم ما نهى الله عنه الشرك بالله ، فهو أعظم ذنب عصى الله به، إذ هو هضم للربوبية ، وتنقص للألوهية، وحقيقته: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله كما قال الله تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة فصلت.

(٢) وقد تقدم تخريجه (٤٣) .

(٣) تفسير ابن جرير(١٢/ ١١٩)وانظر منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في التوحيد(١/ ١٣١).

(٤) سورة الشعراء .

لذا لا يغفره الله إلا بالتوبة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[1] .

وقال الله تعالى :﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [2] .

فقرن النهي عنه بأعظم أمر أمر به، وهو عبادته التي من أجلها خلقت الخليقة.

كما أنه أول المحرمات و أعظمها يدل لذلك قوله تعالى : ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ...الآية)[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [4] .

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [5] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة النساء ، وانظر التبيان شرح نوا قض الإسلام (٧).

(٢) سورة النساء(٣٦).

(٣) سورة الأنعام(١٥١).

(٤) سورة النساء(٤٨).

(٥) سورة المائدة(٧٢).

(٦) سورة الأنعام (٨٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[(١)] .

فهذه النصوص وغيرها كثير كلها دالة على عظم جرم الشرك عند الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيميه: (من أعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان أن يدعى غير الله ،فإن ذلك من الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به،وإن الشرك لظلم عظيم)[(٢)].

وقال ابن القيم : (ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله -عز وجل- حرم الله الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد)[(٣)] .

ومن حكم الله الشرعي ما وصف الله به أهل الشرك وعملهم ،فقد بين سبحانه أنه لا أضل من المشركين . ولا ضلال أبعد من ضلال عملهم،وهو حكم شرعي يوجب ترك الشرك فقال الله تعالى: (وَمَن يُشْرِكْ بِاللّـهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا)[(٤)] .

وقال الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[(٥)] .

---

(١) سورة الزمر(٦٥).

(٢) الرد على البكري(٩٥).

(٣) الوابل الصيب (١٨).

(٤) سورة النساء (١١٦).

(٥) سورة الأحقاف .

وقال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيَ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾[2] .

فكل هذه الآيات دالة على ما ذكرناه والله تعالى أعلم[3].

المسألة الثانية :- الحكم الجزائي :

وهو العاقبة التي لحقت من آمن بها في الدنيا والآخرة ، ومن صد عنها بكفره.

فإن الله قد بين في كتابه إثابته لأوليائه الموحدين، ونصرهم في الدنيا والآخرة، وعلى العكس من ذلك من كفر بها وصد من المشركين ، فإن الله - تعالى - قد حكى عن إهلاكه للمشركين المكذبين للرسل . وإنجائه لأوليائه الموحدين من الرسل وأتباعهم ، وأبقى لنا من الدلائل والمشاهد ما يثبت لنا صدق ذلك بما نراه ونسمعه بطرق قطعية، ثم يبين –سبحانه- أن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، مما يبين استحقاقه- سبحانه- بالألوهية وحده دون سواه . فمن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾[4] .

---

(١) سورة الأنعام .

(٢) سورة الحج .

(٣) انظر منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في التوحيد (١/ ١٣٢).

(٤) سورة فصلت .

قوله : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾ (١) .

قوله عن عاقبة ثمود وما لحقهم من العذاب وما حصل للمؤمنين منهم : ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

وقال عن قوم لوط - عليه السلام - وما حصل من نجاة للمؤمنين وإهلاك للكافرين ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٣) .

وقد قص الله -عز وجل- في سورة الشعراء قصص الرسل مع أقوامهم وأنهم جاؤهم بالتوحيد ، فيقع التكذيب من أكثر الناس ، فينزل الله عليهم عذابه بسبب ذلك، ويذكر إنجاءه للموحدين، ثم يقول سبحانه في ختام كل قصة: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (٤) أي :علامة على صحة استحقاقه العبادة ، وبطلان عبادة غيره.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة العنكبوت (٣٨).

(٢) سورة النمل(٥١-٥٣).

(٣) سورة النمل .

(٤) سورة الشعراء .

(٥) سورة غافر .

وقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (١).

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

وأما في الآخرة فالنصوص القرآنية أعظم من أن تحصر كثرة فمنها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (٢).

وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (٤) .

وقال في حق من آمن بها: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٥) .

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الصافات .

(٢) سورة الإسراء(٣٩).

(٣) سورة المائدة .

(٤) سورة آل عمران .

(٥) سورة البقرة .

(٦) سورة الأنعام .

٦- الإخبار عن التعادي الحاصل يوم القيامة بين العابدين ومعبوديهم، وبين الأتباع والمتبوعين:

من الأساليب القرآنية التي جاءت في تقرير كلمة التوحيد ما أخبر الله به من التعادي الحاصل بين المعبودين ومعبود يهم ، والتابعين و متبوعيهم، وتبرؤ بعضهم من بعض ، وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين، وإنكارهم أن يكون لهم يد في إضلالهم وشركهم(١).

فإن من يعبد غير الله -تعالى- يتبرأ منه معبوده يوم القيامة، وينقلب ضداً عليه ، وتنقطع بينهما أسباب المودة مع استحكام العداوة ولعن بعضهم بعضاً ففي هذا حسم لمادة الشرك بالله -عز وجل-(٢).

* قال تعالى ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾(٣).

فأخبر- سبحانه-عن الكفار المشركين بربهم أنهم اتخذوا من دون الله آلهة يعتزون بها ويستنصرونها، ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا ولا يكون ما طمعوا ، فإنهم يوم القيامة يكونون لهم أعداء و خصماء ، قال قتادة : قرناء في النار يلعن بعضهم بعضاً ، ويكفر بعضهم ببعض(٤).

وهكذا يتبرأ المعبودون من عبدتهم يوم القيامة ، وإذا كانت هذه حالتهم يوم القيامة، فكيف يشرك بهم من عنده مسكة من العقل؟(٥).

---

(١) انظر دعوة التوحيد للهراس (٣٨).

(٢)انظر منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في التوحيد(١/ ١٢٠).

(٣) سورة مريم .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٣).

(٥) انظر الشرك في القديم والحديث(٢/ ١٤٣٢).

* وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ۝ ﴾ [(١)] .

يقول ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة، حيث يناديهم فيقول (أين شركائي الذين كنتم تزعمون) يعني أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الأصنام والأنداد ،هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا على سبيل التقريع والتنديد. كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ ﴾ [(٢)] .

وقوله تعالى: (الذين حق عليهم القول) يعني الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر، (ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرؤا من عبادتهم)أ.هـ[(٣)] .

* ومن ذلك ما قاله الله - تعالى- عن خليله إبراهيم -عليه السلام - : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ

---

(١) سورة القصص .

(٢) سورة الأنعام .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٧-٤٠٨).

ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [١] .

جاءت هذه الآيات ضمن آيات بينت موقف إبراهيم - عليه السلام- من قومه ، وما يعبدون من دون الله في أسلوب حواري عظيم، أقام فيه إبراهيم الحجة ، وبين لهم الدليل على فساد معتقدهم، واضمحلال حجتهم . فما كان مجاوبة قومه حين دعاهم إلى ربه قبول دعوته ، والاهتداء بنصحه ورؤية نعمة الله عليهم بإرساله إليهم ، وإنما كان مجاوبتهم له شر مجاوبة حيث قالوا : اقتلوه أو احرقوه.

وقال لهم -عليه السلام- في جملة ما قاله من نصحه : (إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي غاية ذلك مودة في الدنيا ستنقطع وتضمحل، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض، ويلعن بعضكم بعضاً. أي يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه يتبرأ من عابديه ويلعنهم ؟ وإن مأوى الجميع ، العابدين والمعبودين النار، وليس أحد ينصرهم من عذاب الله ، ولا يدفع عنهم عقابه[٢] .

وقال تعالى :﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ

(١) سورة العنكبوت .

(٢) انظر تفسير السعدي(٦٢٩).

ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١).

وقال أيضاً : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (٣).

فهذه الآيات السابقة وغيرها كثير أفادت عدم نفع ما يعبدون من دون الله، بل أفادت وقوع العداوة والبغضاء مما يدل على بطلان ما يتخذ من دون الله من آلهة ، وأن المستحق لأن يكون الإله وحده هو الله -جل جلاله -.

٧- الاستدلال عليها بالفطرة المستقرة في نفوس الخلق:

---

(١) سورة سبأ .

(٢) سورة يونس .

(٣) سورة البقرة .

لقد خلق الله الخلق حنفاء مسلمين، موحدين لرب العالمين بالألوهية، ومتبرئين من الشرك والتأله لما سواه، وجعل ذلك من لوازم فطرتهم ،بحيث لو تركوا ودواعيها لما كانوا إلا عارفين بالله وبتوحيده وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا القائم عليها والمترتب عليها وحدانية تألهه كما قال -عليه الصلاة والسلام-: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه[(١)] ......

وفي الحديث القدسي : (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)[(٢)].

وكذلك شهدت فطرة الموحدين وعقولهم بأن الله أهل أن يعبد وحده، ولو لم يرسل بذلك رسولاً ولم ينزل به كتاباً ،وعليه أصبحت الفطرة بينة التوحيد، وشاهدة في أنفس الموحدين كما قال سبحانه عن مؤمن آل فرعون : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[(٣)].

ومن هنا استحال جواز الشرك في الفطرة السليمة والعقول المستقيمة[(٤)].

قال ابن القيم على آية يس السابقة : (فتأمل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنى وأجله، وهو أن كونه - سبحانه- فاطراً لعباده يقتضي عبادتهم له، وأن من كان مفطوراً مخلوقاً فحقيق به أن يعبد فاطره وخالقه ، ولاسيما إذا

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم (٧٣٨٦) وأحمد في المسند (١٧٩٤٧) ت شعيب من حديث عياض بن حمار.

(٣) سورة يس .

(٤) انظر الشرك في القديم والحديث (٢/ ١٤٠٨).

كان مرده إليه، ومبدؤه منه ، ومصيره إليه، وهذا يوجب التفرغ لعبادته. ثم احتج عليهم بما تقرُّبه عقولهم وفطرتهم من قبح عبادة غيره، وأنها أقبح شيء في العقل وأنكره ، فقال: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) أفلا تراه كيف لم يحتج عليهم بمجرد الأمر، بل احتج عليهم بالعقل الصحيح ومقتضى الفطرة) (٢) .

وقال أيضاً: (وقال الله- تعالى- عن إبراهيم أنه قال لقومه : ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣).

أي فما ظنكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.........

فإن إدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته، وإلهيته وتوحيده، وظن به ظن السوء ، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطرة جوازه، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح).أ هـ(٤).

* وقال تعالى ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٥).

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: (وهذا يحتمل شيئين:

أحدهما:ـ أفي وجوده شك؟ فإن الفطرة شاهدة بوجوده ، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطرة السليمة ،ولكن قد يعرض

(١) سورة يــس .

(٢) بدائع التفسير (٣/ ٤٧٨) .

(٣) سورة الصافات .

(٤) الجواب الكافي (٢١٢)وانظر الشرك في القديم والحديث(٢/ ١٤٠٩).

(٥) سورة إبراهيم(١٠).

لبعضها شك أو اضطراب ، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده. ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم على طريق معرفته بأنه (فاطر السموات والأرض) الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سابق ، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها ، فلابد لها من صانع ، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شئ وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني : في قولهم (أفي الله شك)أي :- أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ، وهو الخالق لجميع الموجودات ، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له. فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط ، يظنونها تنفعهم أو تقربهم إلى الله زلفى) أ.هـ[1] .

فالفطر السليمة تقبل التوحيد الذي جاءت به الرسل، ومما يزيد هذا البيان وضوحاً لجوء الإنسان وفزعه إلى خالقه- سبحانه وتعالى - سواء كان هذا الإنسان موحداً أو مشركاً سيما عند الشدة والحاجة الملحَّة .

(فإن بني آدم جميعاً يشعرون بحاجتهم وفقرهم ، وهذا الشعور أمر ضروري فطري، إذ الفقر وصف ذاتي لهم ، فإذا ألمت بالإنسان -حتى المشرك- مصيبة قد تؤدي به إلى الهلاك فزع إلى خالقه والتجأ إليه وحده، واستغنى به ولم يستغن عنه، وشعور هذا الإنسان بحاجته وفقره إلى ربه أمر ضروري ، لا يمكنه دفعه ، فشعوره بالإقرار به أولى أن يكون ضرورياً)[2].

والعقل السليم لا يرضى بالتجاء صاحبه إلى إله في الشدة وآخر في الرخاء كما في قصة إسلام حصين والد عمران- رضي الله عنه- يقول عمران قال النبي- صلى الله عليه وسلم -لأبي : يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً ؟ قال : سبعة

---

(١) (٢/ ٥٤٤) من تفسيره.

(٢) الشرك في القديم والحديث (٢/ ١٤١٠).

ستة في الأرض وواحداً في السماء .قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال الذي في السماء)(١).

والمقصود بيان أن المشركين كانوا يفزعون عند الشدائد إلى الله تعالى تدفعهم إلى ذلك فطرتهم المستقرة في نفوسهم.

فكانوا إذا ركبوا في الفلك واشتدت الريح هيجاناً، وتلاطمت الأمواج وأوشكوا على الغرق، أيقنوا عند ذلك أنه لا ينجيهم إلا الله ، فعند ذلك يتركون أصنامهم ويلتجئون إلى الله وحده ؛ فيحتج الله عليهم بأنه يجب أن يفردوه وحده في السراء كما أفردوه في الضراء .ومن الآيات في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(٢).

ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾(٣) .

---

(١) رواه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات رقم (٣٤٨٣) وقال حسن غريب .

(٢) سورة يونس .

(٣) سورة الأنعام .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ (١).

(فرجوع الإنسان وإنابته إلى ربه عند الشدائد دليل على أنه يقر بفطرته بخالقه وربه سبحانه ، وأنه الإله وحده لا يرضى بالشرك ، وهكذا كل إنسان إذا رجع إلى نفسه أدنى رجوع عرف افتقاره إلى الباري- سبحانه- في تكوينه في رحم أمه وحفظه له ، وعرف كذلك افتقاره إليه في بقائه وتقلبه في أحواله كلها، وتتقوى هذه المعرفة في نفسه فتكون حجة قوية لأن الحاجة استلزمتها ، فتكون أوضح من الأدلة الكلية التي سطرها المتكلمون مثل افتقار كل حادث إلى محدث) (٢).

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (٣).

قال الشيخ الشنقيطي : (لا يخفى على الناظر في هذه الآية الكريمة أن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده، ولا يصرفون شيئاً من حقه لمخلوق ، وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده. التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة ، ويعلم من ذلك أن بعض جهلة المتسمين بالإسلام أسوأ حالاً من

---

(١) سورة الزمر.و انظر منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في التوحيد (١/ ١٢٢-١٢٣).

(٢) الشرك في القديم والحديث (٢/ ١٤١١).

(٣) سورة الإسراء(٦٧).

عبدة الأوثان، فإنهم إذا داهمتهم الشدائد ، وغشيتهم الأهوال والكروب إلتجأوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح ، في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله ، مع أن الله - جل وعلا- أوضح في غير موضع أن إجابة المضطر، وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره) أ.هـ[١] .

وقال الشوكاني : (وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد ....

وبيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة وما يشابهها ، فيا عجباً لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات ، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون)[٢].

فإذا صفا الفكر واستيقظت الفطرة أيقن الإنسان أنه لا إله إلا الله، فلا يعبده إلا هو وحده في جميع أنواع العبادات .

٨) الأسلوب الحواري الجدلي العقلي :

سلك القران مسالك عدة في مخاطبة الناس على اختلاف طبقاتهم و فهومهم ، فهو حجة الله على العالمين ، ومن ذلك تصديه للمخالفين من أهل الشرك وغيرهم بالإنكار عليهم ومجادلتهم وتفنيد مزاعمهم ، كل ذلك بغية هدايتهم واستجابتهم للحق ، أو قطعهم وقمع حجتهم حماية للمؤمنين من شرهم حتى يصفو حمى التوحيد من مفتريا تهم، ومن ذلك ما سلكه في تقرير كلمة التوحيد ، وبطلان الشرك ، فقد سلك في تقرير ذلك مسالك عدة منها :-

١) محاصرة المشرك :-

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٣٢٠-٣٢١).

(٢) فتح القدير(٢/ ٤٣٥) .

قال تعالى :- ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [(١)] .

ففي هذه الآيات من أنواع الدلالات ما يبطل دعاوي المشركين باتخاذهم الأنداد من دون الله تعالى فمن ذلك :-

أ)- **محاصرة المشرك بين قولين باطلين لا يستطيع أن يختار واحداً منهما . وهما :-**

- إما أن يكون الإنسان قد خُلِق من غير خالق .
- أو أنه خلق نفسه وأوجدها .

وكلا الأمرين ظاهر البطلان ،لا يقول به عاقل يتصور ما يقول ، فلم يبق إلا القول بأن الله هو الذي خلق الإنسان وخلق كل شيء، الأمر الذي يستلزم منه إفراده سبحانه بالألوهية والعبادة.

وهذه الآية من أقوى الآيات في بيان توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهية، ولهذا كان وقعها على المشركين كبيراً ، كما روى البخاري في صحيحه عن جبير بن مطعم قال :- سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ

---

(١) سورة الطور .

ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ كاد قلبي أن يطير(١).

قال ابن كثير رحمه الله :- (و جبير بن مطعم كان قد قدم على النبي- صلى الله عليه وسلم- بعد وقعت بدر في فداء الأسارى ، وكان إذ ذاك مشركاً، فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك)(٢)أ.هـ

وقال السعدي عند هذه الآية :- (وهذا استدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق أو الخروج عن موجب العقل والدين ، وبيان ذلك :- أنهم منكرون لتوحيد الله ، مكذبون لرسوله ، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم .وقد تقرر في العقل مع الشرع أن الأمور لا تخلو من أحد ثلاثة أمور :-

١ ـ إما أنهم خلقوا من غير شيء. أي لا خالق خلقهم بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد ، وهذا عين المحال .

٢ ـ أم [إنهم]هم الخالقون لأنفسهم ، وهذا أيضاً محال ؛ فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم .

٣ـ فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما ، تعين القسم الثالث [وهو] أن الله [هو] الذي خلقهم ، وإذا تعين ذلك ، علم أن الله- تعالى - هو المعبود وحده ، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى) أ.هـ(٣) .

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير (سورة الطور) رقم (٤٨٥٤) .

(٢) (٤/ ٢٦١)من تفسيره .

(٣) (٨١٦) من تفسيره.

ب) ثم قال سبحانه بعد تقرير ذلك :﴿ أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[١] وهذا استفهام يدل على تقرير النفي الحاصل في الآية[٢] فلما ظهر بطلان خلقهم أنفسهم ، فظهور بطلان خلقهم السموات والأرض – مع عظمها – من باب أولى ، وكذلك بطلان تصرفهم في ملكوت الله تعالى .

ج) وعلى هذا فالمشركون ليست معهم حجة تصحح أفعالهم وأقوالهم ، فليس معهم إلا الهوى وإتباع الظن .

د) ونخرج من هذا بنتيجة وهو مطالبتهم بالإتيان بتوحيد الإلهية حيث إنه من لازم الإقرار بالربوبية ولهذا قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣] أي ألهم إله يدعى ويرجى نفعه؟، ويخاف ضره ، غير الله تعالى ؟ [٤]

(سبحان الله عما يشركون) فليس له شريك في الملك ولا شريك في الوحدانية والعبادة، وهذا هو المقصود من الكلام الذي سيق لأجله ، وهو بطلان عبادة ما سوى الله ، وبيان فسادها بتلك الأدلة القاطعة ، وأن ما عليه المشركون هو الباطل ، وأن الذي ينبغي أن يعبد ويصلى له ويسجد ويخلص له دعاء العبادة ودعاء المسألة هو الله المألوه المعبود كامل الأسماء والصفات ، كثير النعوت الحسنة ، والأفعال الجميلة ذو الجلال والإكرام والعز الذي لا يرام، الواحد الأحد ، الفرد الصمد الكبير الحميد المجيد لا إله إلا هو[٥].

---

(١) سورة الطور (٣٦) .

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) سورة الطور (٤٣) .

(٤) انظر منهج الجدل والمناظرة (١/ ٤١٥-٤١٦).

(٥) انظر تفسير السعدي (٨١٧).

٢) دليل التمانع (فساد الكون بوجود إله معه) :

ينبه الله في كتابه على أن من الدلائل العقلية على إثبات الإلهية لله تعالى وقبح الشرك :- انتظام الكون بما فيه ، لأنه لو كان يحكم هذا الكون أكثر من إله لم ينتظم أمره ولدخله الفساد والخلل ، يقول الله مبيناً هذه الحقيقة: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] .

يقول ابن سعدي- رحمة الله عليه- عند تفسيره لهذه الآية : (فالمشرك يعبد المخلوق الذي لا ينفع ولا يضر ، ويدع الإخلاص لله ، الذي له الكمال كله وبيده الأمر كله والنفع والضر، وهذا من عدم توفيقه ، وسوء حظه، وتوفر جهله ، وشدة ظلمه ، فإنه لا يصلح الوجود إلا إله واحد ، كما أنه لم يوجد إلا برب واحد .

ولهذا قال (لو كان فيهما) أي في السموات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا في ذاتهما ، وفسد من فيهما من المخلوقات .

وبيان ذلك أن العالم العلوي والسفلي على ما يرى في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب ولا ممانعة ولا معارضة ، فدل ذلك على أن مدبره واحد ، وربه واحد ، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وإلهان أو أكثر من ذلك لاختل نظامه وتقوضت أركانه، فإنهما يتمانعان ويتعارضان ، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء وأراد الأخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معاً.

ووجود مراد أحدهما دون الآخر يدل على عجز الآخر وعدم اقتداره ، واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذاً تعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده من غير ممانع ولا مدافع هو الله الواحد القهار)أ.هـ[2] (فبين

---

(١) سورة الأنبياء .

(٢) (٢٢) من تفسيره.

لهم سبحانه أن وجود أكثر من إله يؤدي إلى فساد العالم، وطالبهم بالدليل على صحة قولهم ، وأنى لهم مع مخالفته لما جاء به رسول الله تعالى؟!)(١).

ولقد تكلم ابن القيم على الآية السابقة مبيناً قطعيتها في الدلالة على وحدانية الإله المعبود ، وقبح الشرك به - سبحانه - بكلام جميل ما مضمونه: إنه لو كان في السموات والأرض إله غير الله لفسد أمرهما واختل نظامهما وتعطلت مصالحهما وإذا كان البدن يستحيل أن يكون المدبر له روحان متكافئان متساويان ولو كان كذلك لفسد وهلك مع إمكان أن يكون تحت قهر ثالث هذا من المحال في أوائل العقول وبداية الفطر فلو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون فهذا برهان يعجز الأولون والآخرون أن يقدحوا فيه بقدح صحيح أو يأتوا بأحسن منه ولا يعترض عليهما إلا من لم يفهم المراد منه ولولا خشية الإطالة لذكرنا تقديره وبيان ما تضمنه من السر العجيب والبرهان الباهر(٢).

* ومنها قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾(٣).

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين فإن الإله لابد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عابديه النفع ويدفع عنهم الضر، فلو كان معه - سبحانه - إله لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى شركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره والتفرد بالإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد

(١) منهج الجدل والمناظرة (١ / ٤١٧).

(٢) انظر مفتاح السعادة (١/ ٢٠٦).

(٣) سورة المؤمنون(٩١).

بخلقه، وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بمماليكهم،إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه . فلابد إذن من أحد أمور ثلاثة :-

١- إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

٢- وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

٣- وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه، فيكون وحده هو الإله الحق، وهم العبيد المربوبون المقهورون.

فانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض، وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد: من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره، كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لا رب غيره. فذلك تمانع في الفعل و الإيجاد وهذا تمانع في الغاية والألوهية.

ومن هنا فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل أن يكون له إلهان معبودان[١] .

* ومنها قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[٢].

والمعنى :-أنه على فرض وجود آلهة مع الله تعالى كما يزعم المشركون فهذه الآلهة تعبد الإله الحق وتتقرب إليه وتبتغي إليه الوسيلة.

يقول السعدي- رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية([و] هذا الدليل العقلي الذي ذكره [الله] هنا فقال: قل للمشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر (لو كان معه آلهة كما يقولون) أي :على موجب زعمهم وافترائهم (إذاً لابتغوا

---

(١)التفسير القيم (٣٧١)بتصرف يسير.

(٢) سورة الإسراء .

إلى ذي العرش سبيلاً)أي لا تخذوا سبيلاً إلى الله بعبادته والإنابة إليه، والتقرب، وابتغاء الوسيلة، فكيف يجعل العبد الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه، إلهاً مع الله ؟ هل هذا إلا من أظلم الظلم وأسفه السفه؟)أ.هـ[١].

ويروى هذا القول من التفسير عن قتادة كما اقتصر عليه ابن كثير في تفسيره وهو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية و صححه قال: (فإنه قال (لو كان معه آلهة كما يقولون)وهم لم يكونوا يقولون إن آلهتهم تمانعه وتغالبه وأيضاً فقوله (لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) يدل على ذلك فإنه لم يقل إليهن سبيلا وأيضاً فاتخاذ السبيل إليه مأمور به كقوله(وابتغوا إليه الوسيلة)))أ.هـ [٢] .

وهناك قول آخر؛ وهو أن معنى الآية :- (لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعم الكفار، لابتغوا أي الآلهة المزعومة أي لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً أي إلى الله سبيلاً- وسعوا في مغالبة الله – تعالى- وإزالة ملكه، فإما أن يعلوا عليه فيكون من علا وقهر هو الرب والإله لأنهم يكونون شركاءه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض . سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فأما وقد علموا أنهم يقرون أن آلهتهم التي يعبدون من دون الله مقهورة مغلوبة ليس لها من الأمر شيء، فلم اتخذوها وهي بهذه الحال ؟ فيكون هذا كقوله تعالى :(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)

وهذا المعنى في الآية مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهم .

وهو الذي رجحه الشنقيطي في تفسيره وقال :- (إن هذا القول هو المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحسب اللغة العربية، لأن في الآية فرض المحال، والمحال المفروض الذي هو وجود آلهة مع الله مشاركة له لا يظهر معه أنها تتقرب إليه،

---

(١) (٤٥٨)من تفسيره.

(٢) انظر درء التعارض (٩/ ٣٥٠-٣٥١)

بل تنازعه لو كانت موجودة ولكنها معدومة مستحيلة الوجود. والعلم عند الله تعالى)أ.هـ[١].

وأياً ما كان، فكلا القولين يدل دلالة واضحة على مقصودنا فلا حاجة لاتخاذ آلهة مع الله- سبحانه وتعالى- لأن ذلك هو السفه والسخافة والحسرة والندامة فويل للمشركين.



(١) أضواء البيان(٢ / ٣١٠-٣١١) وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣) وتفسير ابن جرير (١٥/ ٩٠-٩١) وتفسير السعدي (٤٥٨) ومنهج الجدل والمناظرة (١/ ٤١٨)

المبحث الرابع :
فضائلها الواردة في السنة النبوية المطهرة

المبحث الرابع: فضائلها الواردة في السنة النبوية:

إن المتأمل لكتب السنة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- يجد أن لكلمة التوحيد فضائل عديدة، ومنزلة عظيمة في الإسلام، ولا يستطيع حصر تلك الفضائل الواردة لكثرتها، ويكفي في ذلك استشعاراً ؛ أن جميع الفضائل الواردة في فضل الذكر تدخل فيها كلمة التوحيد دخولاً أولياً ، ومن تأمل المبحث الأول من هذا الفصل يجد فيه منزلة هذه الكلمة من دين الإسلام وما يترتب عليها من الأمور العظيمة ، ونحن نذكر في هذا المبحث ما هو جزء من أهميتها ؛ وهو فوائدها و الفضائل التي جاءت في شأنها ، وما يترتب عليها من عظيم الأجور: مما جاء في السنة النبوية والأحاديث القدسية ، مما صح سنده، وكثرت شواهده وفي ما يلي توضيح ذلك:

١- **أنها أفضل وأعلى شعب الإيمان :-**

أ- عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال:- (قال رسول الله -ﷺ- : (الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) وفي رواية (أعلاها) متفق علية[١].

ب - عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله- ﷺ - أوصني قال: (إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها. قلت : يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله ؟ قال : هي أفضل الحسنات)[٢].

٢- **اختراقها الحجب ووصولها إلى الله - عز وجل :**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان رقم (٩) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان رقم (١٥١) واللفظ له.

(٢) رواه احمد في مسنده (٥/ ١٦٩) من الطبعة القديمة (٣٥/ ٣٨٦) رقم (٢١٤٧٨) قال الأرناؤوط في تحقيقه للمسند : حسن لغيره .

أ - عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ-:(ما قال عبد : لا إله إلا الله . قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما أجتنب الكبائر)(١).

ب - عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله -ﷺ -: (ما من شي إلا بينه وبين الله حجاب إلا قول لا إله إلا الله . كما أن شفتيك لا تحجبها وكذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل)(٢).

جـ - عن يعقوب بن عاصم أنه سمع رجلين من أصحاب النبي -ﷺ - أنهما سمعا رسول الله يقول :(ما قال عبد قط : لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شي قدير . مخلصاً بها روحه ، ومصدقاً بها قلبه لسانه ، إلا فتق له أبواب السماء حتى ينظر الله إلى قائلها، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله)(٣).

٣) أنها أفضل الذكر :-

أ-عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن الرسول- ﷺ- قال : (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا و النبيون قبلي : لا إله إلا الله وحده

---

(١) رواه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات (باب دعاء أم سلمة) رقم (٣٥٩٠) وقال حسن غريب وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢/ ٩٨٧) رقم (٥٦٤٨).

(٢) أخرجه الختلي كما نقل السيوطي في اللآلئ (٢/ ٣٤٥) وفي إسناده عثمان بن عطاء الخرساني فيه لين و الأكثر على تضعيفه ويشهد له ما بعده.
التهذيب (٣/ ٧١-٧٢) التقريب (٣٨٥).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٩/ ١٧-١٨) رقم (٩٧٧٢) وسنده حسن فيما يظهر لي والله أعلم .

لا شريك له)[١] .

ب - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما- قال :قال رسول الله - ﷺ- : (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله)[٢].

جـ - عن ابن مسعود- رضي الله عنه -أن رسول الله - ﷺ - خطب يوماً فقال : (ألا أخبركم بأفضل أهل الأرض عملاً يوم القيامة؟ رجل يقول كل يوم مائة مرة مخلصاً: لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، إلا من زاد عليه)[٣].

د - عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ - : (من قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ،وهو على كل شي قدير. في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الحج باب جامع الحج (١/ ٣٧٨). والطبراني في فضل عشر ذي الحجة (٢/١٣) كما قال الألباني والحديث صححه الألباني. انظر الصحيحة (٤/ ٦)رقم (١٥٠٣) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة رقم (٣٣٨٣).

وابن ماجة في سننه (كتاب الأدب باب فضل الحامدين) رقم (٣٨٠٠)

وابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق باب الأذكار (٣/ ١٢٦) رقم (٨٤٦) والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير باب أفضل الذكر لا إله إلا الله (١/ ١٧٩) رقم (١٨٩٥) .

وقال الترمذي (حديث حسن غريب)والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الارناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبا ن (٣/ ١٢٦) .

(٣) أخرجه ابن البناء في فضل التهليل و الديلمي في الفردوس (١/ ١٦٨)

والحديث حسنه محقق كتاب فضل التهليل(٦٥)

حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)[١] .

٤- أحب الكلام إلى الله ورسوله - ﷺ- :

أ -عن سمرة بن جندب- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ-: (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا يضرك بأيهن بدأت)[٢] .

ب - عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال : قال النبي -ﷺ- : (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس)[٣] .

جـ - عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : قال رسول الله- ﷺ-: (إن الله اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر. فمن قال: سبحان الله، كتبت له عشرون حسنة ، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال :الله أكبر مثل ذلك ، ومن قال :لا إله إلا الله مثل ذلك ، ومن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده رقم (٣٢٩٣) ومسلم في صحيحه كتاب الذكر باب فضل التهليل رقم (١٩٠٨) من مختصر المنذري .

(٢) مسلم في صحيحه كتاب الأدب باب النهي أن يسمي بأفلح و رباح ويسار ونافع (٦/ ١٧٢) و أحمد في المسند (٥/ ١٣) ، (٥/ ٢١).

(٣) رواة مسلم في صحيحه كتاب الذكر باب في فضائل التسبيح (٨/ ٧٠)الترمذي في جامعه كتاب الدعوات رقم (٣٥٩٧) وقال :- هذا حديث حسن صحيح.

قال: الحمد لله رب العالمين ، من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون خطيئة)[١].

٥) ترتب الفلاح لقائلها :-

عن ربيعة بن عباد الدِّيلي وكان جاهلياً فأسلم قال: رأيت رسول الله - ﷺ- بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول :-(يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[٢].

٦) تفريج الكروب عند اشتدادها :-

أ-عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي- صلى الله عليه وسلم - كان يدعو عند الكرب (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب العرش الكريم) وعند ابن أبي الدنيا (كلمات الفرج لا إله إلا الله ..)[٣].

ب - عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله =ﷺ-: (دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سُبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شي قط إلا استجاب الله له)[٤].

---

(١) احمد في المسند (٢/ ٣١٠)، (٣/ ٣٥) الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل باب فضيلة التسبيح (٢/ ١٩٢) رقم (١٩٢٩) والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٥٣) رقم (١٧١٨) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٢)ق ، (٢٥/ ٤٠٥) رقم (١٦٠٢٣) ت الأرناؤوط وقال: صحيح لغيره.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قوله ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ رقم (٧٤٣١) وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة وانظر صحيح الجامع (٢/ ٨٣٩) رقم(٤٥٧١).

(٤) رواه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات رقم (٣٥٠٥)وأحمد في المسند(١/ ١٧٠)والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء باب من دعاء بدعوة ذي النون استجاب الله له (٢/ ١٨٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي و الألباني في الصحيحة رقم(١٧٤٥).

جـ - عـن أبـي بكـرة -رضـي الله عنـه- قـال :قـال رسـول الله - ﷺ-: (دعوات المكروب؛ اللهم رحمتك أرجـو ، فـلا تكلـني إلى نفـسي طرفـة عـين ، وأصلح شأني كله لا إله إلا أنت)[١].

٧)- **لا تقوم الساعة على أحد من أهلها :-**

أ- عن أنس- رضي الله عنه- قال : قـال رسـول الله -ﷺ -: (لا تقـوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله)[٢] .

٨)- **إنها اسم الله الأعظم :-**

أ-عن أسماء بنت يزيد- رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - قال: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، وفاتحة آل عمران ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[٣].

---

(١) رواه احمد في المسند (٥/ ٤٢)والبخاري في الأدب المفرد (باب الدعاء عند الكرب) انظر صحيح الأدب المفرد (٢٦) رقم (٥٣٩) وأبو داود في سننه كتاب الأدب باب ما يقول إذا اصبح (٥٠٩٠) وابن حبا ن في صحيحه كتاب الرقائق باب ذكر وصف دعوات المكروب (٣/ ٢٥٠) رقم (٩٧٠) والحديث حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٦٠) وصحيح الجامع(١/ ٦٣٨)رقم(٣٣٨٨) والأرناووط أيضاً في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٧٧) من رواية ابن أبي جعفر . كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان أخر الزمان وابن حبا ن في صحيحه(١٥/ ٢٦٢) رقم (٦٨٤٨) كتاب التاريخ باب الأخبار عن وصف الناس الذين يكون قيام الساعة على رؤوسهم والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٩٤) رقم (٨٥٥٩) كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي و الارناؤوط في تحقيقه لابن حبان.

(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٦١)وأبو داود في سننه كتاب الوتر باب الدعاء (١٤٩٦) والترمذي في جامعه كتاب الدعوات رقم (٣٤٧٨) وابن ماجة في سننه كتـــــاب=

ب -عن عبد الله بن بريده عن أبيه : سمع رسول الله - ﷺ - رجلاً يقول : (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد ،الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد . فقال سأل الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب)[١].

٩) أن بها نجاة الأمة :

أ-عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر ؟

قال : (ما عرضت على عمي ؛ قول لا إله إلا الله)[٢] .

ب -عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ :- (خذوا جنتكم).

قالوا : يا رسول الله أمن عدو وقد حضر ؟

قال: (لا ، جنتكم من النار ؛ قال : قولوا سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، يأتين يوم القيامة مقدمات معقبات مجنبات هن الباقيات الصالحات)[١] .

....

= الدعوات باب اسم الله الأعظم رقم (٣٨٥٥) وقال الترمذي : - هذا حديث حسن صحيح. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع رقم(٩٨٠)

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٩) والترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ رقم (٣٤٧٥) وابن حبا ن في صحيحه وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه احمد في المسند (١/ ٦).

وابن البناء في فضل التهليل وثوابه الجزيل (٧٩) وحسنه محققه وأصله في الصحيحين.

١١)- أنها غراس الجنة :-

أ) عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله- ﷺ- : (ألا أدلكم على غراس هو خير من هذا؟ تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله اكبر، يغرس لك بكل كلمة منها شجرة في الجنة)[٢].

ب)- عن ابن مسعود- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله- ﷺ- : (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر)[٣] .

١٢)- أنها كفارة لكل مجلس كثر فيه اللغط :-

أ- عن أبي هريرة وأبي برزة الأسلمي رضي الله عنهما قالا : قال : رسول الله ﷺ : (من جلس مجلساً يكثر فيه اللغط فقال :- قبل أن يقوم من

....

(١) رواه النسائي في الكبرى (عمل اليوم والليلة باب ثواب من سبح الله مائة تسبيحه و تحميده وتكبيره (٩/ ٣١١) رقم (١٠٦١٣)والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء باب المنجيات الباقيات الصالحات(١/ ٢٣٤)وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦١٢) رقم (٣٢١٤).

(٢) رواة ابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب فضل التسبيح رقم (٣٨٠٦)والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء باب فضيلة التسبيح (٢/ ١٩٢) رقم (١٩٣٠)والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي وكذا الألباني في صحيح الجامع (٢٦١٣)

(٣) رواه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود .والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩١٦) رقم(٥١٥٢) وفي السلسلة الصحيحة (١٠٥)

مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك)[١] .

١٣)- إن الله يضحك لقائلها ويصدقه :-

أ) عن أبي هريرة وأبي سعيد- رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله - ﷺ- : (إذا قال العبد : لا إله إلا الله ، والله أكبر ؛ قال الله : صدق عبدي؛ لا إله إلا أنا ،وأنا أكبر. فإذا قال: لا إله إلا الله وحده ؛قال الله : صدق عبدي ؛ لا إله إلا أنا وحدي. فإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له؛ قال : صدق عبدي :لا إله إلا أنا ، ولا شريك لي. فإذا قال: لا إله إلا الله، له الملك وله الحمد ؛ قال: صدق عبدي؛ لا إله إلا أنا، لي الملك ولي الحمد . فإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ قال : صدق عبدي؛ لا إله إلا أنا ، ولا حول ولا قوة إلا بي. من رزقهن عند الموت لم تمسه النار)[٢] .

---

(١) رواة الترمذي في جامعه كتاب الدعوات باب ما يقال إذا قام من المجلس رقم (٣٤٣٣) والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتهليل والتكبير والتسبيح والذكر باب دعاء كفارة المجلس (٢/ ٢٢٩) رقم (٢٠١٤، ٢٠١٥)
وابن حبان في صحيحه باب ذكر مغفرة الله عز وجل (٢/ ٣٥٤) رقم (٥٩٤)
وقال الترمذي :هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الحاكم والذهبي والألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٥) رقم (٦١٩٢) وأيضاً الأرناوؤط في تحقيق صحيح ابن حبان .

(٢) رواه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات باب ما يقول العبد إذا مرض (٣٤٣٠) والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ثواب من قال لا إله إلا الله (٩/ ١٩) رقم (٩٧٧٧)، وابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب فضل لا إله إلا الله رقم (٣٧٩٤) ، وابن حبا ن في صحيحه كتاب الرقائق باب ذكر الكلمات التي إذا قالها المسلم صدقه ربه جل وعلا عليها (٣/ ١٣١) رقم (٨٥١) =

ب)-عن أبي الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على النبي- ﷺ - وأنا أشهد عليهما أنه قال: (إن العبد إذا قال:لاإله إلا الله والله أكبر صدقه ربه - تبارك وتعالى-)[1] .

ج) دعاء الركوب :

- عن علي بن ربيعة قال: كنت ردفاً لعلي - رضي الله عنه- فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله ،فلما استوى على ظهر الدابة؛ قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال :- لا إله إلا الله، سبحانك إني ظلمت نفسي فأغفرلي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم قال بإحدى شفتيه فضحك، ثم قال: إني كنت ردفاً للنبي- ﷺ- فصنع كما صنعت، فقلت له كما قلت لي، فقال : (إن الله -عز وجل- يضحك إلى عبده إذا قال: لا إله إلا أنت، إني ظلمت، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، قال: عبدي عرف أن له رباً يغفر ويعاقب)[2].

....

= والحاكم في المستدرك كتاب الإيمان باب صقل القلب بالتوبة.

وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب . والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني في صحيح الجامع (٧١٣) والصحيحة (١٣٩٠) و الأرناؤوط أيضاً في تحقيق صحيح ابن حبا ن (٣/ ١٣١) رقم (٨٥١).

(١) النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة باب ثواب من قال لا إله إلا الله (٩/ ١٩) رقم (٩٧٧٥-٩٧٧٦) وسنده صحيح .

(٢) أخرجه المحاملي في كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا ركب دابته. وابن خزيمه في التوحيد باب ذكر إثبات ضحك ربنا -عز وجل -(٢/ ٥٧٨) رقم (٣٤١) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٩٤) والأجري في الشريعة باب الإيمان بأن الله عز وجل يضحك(٢/ ١٠٥٩) رقم (٦٤٢- ٦٤٥) والحديث ثابت صحيح انظر الدعاء للمحاملي (١٠٣-١١١) والشريعة للآجري المحققة (٢/ ١٠٥٩-١٠٦٣)(٩/ ٤١٨-٤١٩) رقم (٩١٣-١) وكلام المحققين هنالك .

١٣)- **ثقلها في الميزان :-**

أ)- عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- عن الرسول - ﷺ- قال : قال موسى : يا رب علمني شيئاً أذكرك به و أدعوك به. قال : يا موسى ؛ لا إله إلا الله . قال موسى :- يا رب كل عبادك يقول هذا . قال: قل: لا إله إلا الله ، قال :لا إله ألا أنت؛ إنما أريد شيئاً تخصني به. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع و عامرهن غيري و الأرضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله)[(١)] .

ب) عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما- أن النبي - ﷺ - قال :- (إن نوحاً -عليه السلام- قال لابنه عند موته: (آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع و الأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السماوات السبع و الأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله)[(٢)].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ثواب من مات ويشهد أن لا إله إلا الله (٩/ ٤١٨-٤١٩) رقم (١٠٩١٣) وابن حبا ن في صحيحه كتاب : التاريخ باب بدء الخلق (١٤/ ١٢٠) رقم ٦٢١٨) والحاكم في المستدرك كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل باب فضل لا إله إلا الله وأمر الله به موسى عليه السلام (٢/ ٢١٥) رقم ١٩٧٩) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥٤) رقم (١٢٧٣) والطبري في الدعاء (٣/ ١٤٨٩) رقم ١٤٨، ١٤٨١) والحديث صححه جمع من الأئمة منهم الحاكم والذهبي وابن حبا ن وابن حجر والمنذري وقال الهيثمي: رجاله وثقوا وفيهم ضعف.أ.هـ . قلت : وللحديث شواهد تقويه منها حديث البطاقة الآتي . وانظر تخريجه بتوسع تخريج البهلال للأحاديث المنتقدة من كتاب التوحيد (٧-١٣)

(٢) رواه أحمد في المسند (١١/ ١٥٠) المحققة رقم (٦٥٨٣) والبخاري في الأدب المفرد باب الكبر (٢٠٦) من صحيح الأدب المفرد والحديث صححه أحمد شاكر والألباني و الأرناؤوط في تحقيق المسند . وانظر صحيح الأدب المفرد (٢٠٦) رقم (٤٢٦) والمسند (١١/ ١٥١) ط . شعيب.

ج) عن أبي سلام عن مولى لرسول الله - ﷺ - : أن رسول الله - ﷺ - قال : (بخٍ بخٍ . خمس ما أثقلهن في الميزان : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ،والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده)(١) .

د) حديث البطاقة المشهور :-

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال :سمعت رسول الله - ﷺ- يقول : (إن الله -عز وجل- يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر . ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟

قال: لا يا رب .

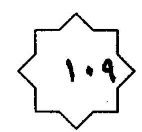
فيقول ألك عذرأو حسنة ؟

فيبهت الرجل ، فيقول :لا يا رب .

فيقول : بلى، إن لك حسنة واحدة . لا ظلم اليوم عليك ، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقول أحضروه . فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٤٣) القديمة ، (٢٤/ ٤٣٠) المحققة رقم (١٥٦٦٢) والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب التسبيح والتهليل و التحميد (٩/ ٧٤) رقم (٩٩٢٣) وابن حبا ن في صحيحه كتاب الرقائق باب الأذكار (٣/ ١١٥) رقم (٨٣٣) والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل باب بخٍ بخٍ خمس ما أثقلهن في الميزان (٢/ ١٩٢) رقم (١٩٢٨) وابن أبي عاصم في السنة باب ذكر الميزان (٣٤٩) رقم (٧٨١) والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني في تحقيق السنة لابن أبي عاصم و الارناؤوط في تحقيقه صحيح ابن حبا ن والمسند . ومولى رسول الله -ﷺ- اسمه أبو سلمى كما جاء في النسائي مصرحاً.



فيقول إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة، قال : فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم)[(١)] .

١٤)- فضل من قالها عند الموت :-

أ- عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي- ﷺ- أنه قال : (ما من عبد قال :لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك دخل الجنة)[(٢)] .

ب - عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله - ﷺ- : (من كان آخر كلامه :لا إله إلا الله، وجبت له الجنة)[(٣)] .

جـ - عن طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : (كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا فرج الله عنه كربته ، وأشرق لونه ، قال: فما منعني أن أسأل عنها إلا القدرة عليها حتى مات ﷺ. فقال له عمر: إني لأعملها فقال له طلحة: و ما هي؟ فقال عمر : هل تعلم كلمة هي

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١٣، ٢٢١) القديمة ، (١١/ ٥٧١، ٦٣٧) المحققة رقم (٦٩٩٤، ٧٠٦٦) والترمذي في جامعه كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله رقم (٢٦٣٩) وابن ماجة في سننه كتاب الزهد باب ما يرجى رحمة من رحمة الله يوم القيامة رقم (٤٣٠٠)والحديث صححه الحاكم والذهبي وكذا السيوطي في تدريب الراوي(٢/ ٥٨١) والألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٥) رقم (١٧٧٦) وأحمد شاكر والأرناؤوط في تحقيق المسند (١١/ ٥٧١)

(٢) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب الثياب البيض رقم(٥٨٢٧) ومسلم كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً (٢٦٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٣) وأبو داود في سننه كتاب الجنائز باب في التلقين رقم (٣١١٦) والحاكم في المستدرك كتاب الجنائز باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . (١/ ٦٧٤) رقم (١٣٣٩). والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني أيضاً في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٥) رقم (٦٤٧٩).

أعظم من كلمة أمر بها عمه ؟ لا إله إلا الله . فقال طلحة :- هي والله هي)[(١)].

د - عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ- : (من قال: لا إله إلا الله عند الموت، هدمت ما قبلها من الخطايا. قال كيف هي في الدنيا ؟ قال : أهدم و أهدم)[(٢)] .

١٥)- **مغفرة الذنوب وتكفير السيئات :-**

أ)- عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ-: (من قال :أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي والقيوم و أتوب إليه ، غفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف)[(٣)] .

ب) عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (ما على الأرض أحد يقول :- لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر)[(٤)] .

---

(١) رواه احمد في المسند (١/ ١٦١) القديمة (٣/ ٩) رقم (١٣٨٦) والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول عند الموت (٩/ ٤٠٢-٤٠٤) رقم (١٠٧٨١- ١٠٨٧٦) وابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب فضل لا إله إلا الله رقم (٣٧٩٥) والحديث صححه الألباني في صحيح ابن ماجة وشعيب الارناؤوط في تحقيقه للمسند (٣/ ٩).

(٢) رواه ابن البناء في فضل التهليل وثوابه الجزيل (٦٦) وصحح سنده محقق الكتاب .

(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب الوتر باب في الاستغفار (١٥١٧) والترمذي في جامعه كتاب الدعوات باب دعاء الضيف (٣٥٧٧) والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل باب فضل لاستغفار(٢/ ١٩٢) قال الحاكم : حديث صحيح على على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه أيضاً الأرناؤوط في تعليقه على رياض الصالحين (٧٠٣) وكذا الألباني في صحيح الترمذي.

جـ) -عن أنس أن النبي - ﷺ - مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصاه ، فتناثر الورق ، فقال: إن الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة)[٢] .

د) - عن علي قال : قال لي رسول الله - ﷺ - : (ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر ذنبك ، وإن كانت مثل زبد البحر ؟ مع إنه مغفور لك :- لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم)[٣].

هـ) عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ -: (من قال بعد الغداة وبعد المغرب :لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ، وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير، عشر مرات كتب الله له بها عشر حسنات، ورفع له بها عشر درجات، وحط عنه عشر خطيئات، ....

(١) رواه احمد في المسند (٤/ ٢١٢)و الترمذي في جامعه كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل و التحميد رقم (٣٤٦٠) وقال الترمذي :حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٥٨) رقم (٥٦٣٦)

(٢) رواة الترمذي في جامعه : كتاب الدعوات رقم (٣٥٣٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٣١) رقم (١٦٠١) .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٩٢٠) القديمة، (٢/ ١١٩) رقم (٧١٢) والترمذي في جامعه كتاب الدعوات رقم (٣٥٠٤) والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول عند الكرب (٩/ ٢٣٧) رقم (١٠٣٩٨)وابن أبي عاصم في السنة باب ما ذكر في فضل علي- رضي الله عنه- (٢/ ٨٨٢-٨٨٤) رقم (١٣٥٠) تحقيق الجوابرة والآجري في الشريعة كتاب فضائل علي باب ذكر دعاء النبي - ﷺ - لعلي (٤/ ٢٠٧٥) رقم(١٥٦٠) والحديث حسنه الارناوؤط في تحقيقه للمسند وصححه الجوابرة في تحقيق السنة لابن أبي عاصم.

وكان له بكل واحدة منهن رقبة من ولد إسماعيل ، ولم يلحقه من ذلك اليوم ذنب إلا الشرك) [١] .

و) - عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : (ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب موقن ، إلا غفر الله له) [٢] .

ز)- عن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ- : (من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ،رباً، وبمحمد نبياً ، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنوبه) [٣].

ح)دعاء السوق :-

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ- : (من قال في السوق : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد، يحيي ويميت ، بيده الخير كله وهو على كل شي قدير. كتب الله له ألف ألف

---

(١) رواه ابن البناء في فضل التهليل (٤٣) وصححه محققه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٩) والنسائي الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ثواب من مات ويشهد أن لا إله إلا الله (٩/ ٤١٦) رقم (١٠٩٠٩) وابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب فضل لا إله إلا الله رقم (٣٧٩٦) والحديث حسنه الألباني في صحيحه (٢٢٧٨) وصحيح الجامع (٢/ ١٠٠٨) رقم (٥٧٩٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب فضل من قال مثل ما يقول المؤذن (٤/ ٣١٠) رقم (٨٤٩).

حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، وبني له بيت في الجنة) وفي رواية للترمذي والدارمي (ورفع له ألف ألف درجة) [١].

١٦)- دخول الجنة :-

أ- عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه- عن الرسول - ﷺ- قال : (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق. أدخله الجنة على ما كان من عمل) [٢].

ب- عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ- : (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله؛ لا يلقى بهما عبد غير شاك فيحجب الجنة) [٣].

ج) عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- : (إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال:

---

(١) رواه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات باب مايقال إذا دخل السوق رقم (٣٤٢٨، ٣٤٩٤) وابن ماجة في سننه كتاب التجارات باب الأسواق ودخولها رقم (٢٢٣٥) والدارمي في سننه كتاب الاستئذان باب ما يقول إذا دخل السوق رقم (٢٦٩٤) وابن البناء في فضل التهليل (٣٥) والحديث حسنه الألباني في صحيح السنن وصححه الجديع في تحقيقه لكتاب ابن البناء. وانظر تخريجه بتوسع فضل التهليل وثوابه الجزيل (٣٥-٤١)

(٢) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ رقم (٣٤٣٥) ومسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (١٣٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١٣٨).

أشهد أن لا إله إلا الله. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله .ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله. ثم قال: حي على الصلاة، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال : حي على الفلاح ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا الله؛ من قلبه دخل الجنة)[(١)] .

د- عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ - قال : (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أوفيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)[(٢)] .

هـ - عن شداد بن أوس-رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ - : (سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، و أبوء لك بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . قال: من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه رقم (٨٤٨) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء رقم (٥٥٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب فضل الاستغفار رقم (٦٣٠٦) .

و- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال له : (يا أبا هريرة ، اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة)[١].

ز- عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ -: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله ؛ دخل الجنة)[٢].

١٧- نيل الشفاعة :-

أ - عن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله - ﷺ -في غزاة : فقال : (إنه أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو الشفاعة فاخترت الشفاعة) فقال أبو موسى : فقلت ادع الله أن يجعلني من أهل الشفاعة. فقال : (اللهم اجعله من أهلها، ثم قال آخر. فقال آخر. ثم قال آخر ، فلما كثروا قال رسول الله - ﷺ- : (شفاعتي لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)[٣] .

ب - عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال : قيل يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟

قال: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه أو نفسه)[٤] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (١٤٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (١٣٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٤١٥) القديمة (٣٢/ ٤٩٩) وابن ماجة في سننه والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٨) رقم (٧٨٤) والحديث صححه الأرناووط في تحقيقه للمسند.

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الحرص على الحديث (٩٩).

جـ - عن أنس- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ- : (مازلت أشفع ويشفعني ، وأشفع ويشفعني ، حتى أقول : يا رب شفعني فيمن قال: لا إله إلا الله. فقال: يا محمد هذه ليست لك ، ولا لأحد ، إنما هي رحمة لي ، وعزتي ورحمتي لا أدع أحداً في النار يقول : لا إله إلا الله)[١].

١٨- النجاة من النار والخروج لمن دخلها ممن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله:

أ- عن أنس ابن مالك – رضي الله عنه – قال : كان رسول الله – ﷺ- يغير إذا طلع الفجر ،وكان يستمع الأذان ، فإن سمع أذاناً أمسك و إلا أغار . فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر ، فقال رسول الله.- ﷺ - : (على الفطرة) ثم قال : (أشهد أن لا إله إلا الله) فقال رسول الله - ﷺ - : (خرجت من النار) فنظروا فإذا هو راعي معزى)[٢].

ب-عن عتبان بن مالك قال: قال رسول الله - ﷺ - : (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله)[٣].

جـ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (من قال حين يصبح أو يمسي : اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، أعتق الله ربعه من النار ، فمن قالها مرتين

(١) متفق علية البخاري كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم رقم (٧٥١٠) ومسلم كتاب الإيمان رقم (١٩٣)

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان رقم (٨٤٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت رقم (٤٢٥).

أعتق الله نصفه ، ومن قالها ثلاثاً أعتق ثلاثة أرباعه ، ومن قالها أربعاً أعتقه الله من النار)[١] .

د- عن أنس عن النبي - صلى الله عليه - قال: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير. ويخرج من النار قال: لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن بره من خير . ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير)[٢].

هـ - عن عتبان ابن مالك قال: قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم : (لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله، يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار)[٣].

١٩- فضائل عامة:

أ- عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- : (من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا

---

(١) رواه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح (٥٠٦٩)، والترمذي في جامعه كتاب الدعوة رقم (٣٥٠١) والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ثواب من قال حين يصبح وحين يمسي (٩/ ٩) رقم (٩٧٥٣). والبخاري في الأدب المفرد باب ما إذا أصبح رقم (١٢٠١).
والحديث حسنه العلامة ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار(٢٣) وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول(٤/ ٢٤٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان و نقصانه رقم (٤٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب العمل الذي يبتغي به وجه الله. رقم (٦٤٢٣) .

حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : اللهم اغفر لي ، أو دعا ، استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته) (١) .

ب - عن عمار بن شبيب السبائي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات على إثر المغرب بعث الله له مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح ، وكتب الله له بها عشر حسنات موجبات ، ومحى عنه عشر سيئات موبقات ، وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات) (٢).

جـ -عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: (من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . في يوم مائة مرة . كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي . ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه) (٣).

د – عن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال : إن رسول الله – ﷺ – قال: (من توضأ فقال بعد وضوئه : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب أبواب التهجد باب فضل من تعار من الليل فصلى رقم (١١٥٤) .

(٢) رواه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات رقم (٣٥٣٤) و قال : هذا حديث حسن غريب . وحسنه الألباني في صحيح الترمذي .

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب فضل التهليل رقم (٦٤٠٣).

أستغفرك وأتوب إليك ، طبع عليها طابع وجعلت تحت العرش – أحسبه قال – إلى يوم القيامة) وفي رواية (كتب في رق ، فلم يكسر إلى يوم القيامة) [(١)].

هـ – عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال : قال رسول الله – ﷺ– : (قولوا : لا إله إلا الله فإنها تنفع صاحبها يوماً من الدهر ، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه) [(٢)].

و–عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال : قلت لرسول الله – ﷺ – غلبنا أصحاب الأموال نصلي فيصلون ، ونصوم فيصومون ، ولهم أموال ينفقونها في سبيل الله ، ويصلون بها الرحم ، وليس لنا أموال ننفقها كذلك . فقال له رسول الله – ﷺ – : (يا معاذ بن جبل أرأيتك لو كان لك الدنيا كلها، ثم جعلت بعضها فوق بعض أتراها تبلغ السماء ؟) قال : لا والله يا رسول الله. فقال له رسول الله – ﷺ – : (أفلا أدلك على ما يبلغ السماء؟) قال : (بلى، يا رسول الله ، قال : قل لا إله إلا الله، وسبحان الله والله أكبر فإن ذلك يبلغ السماء) [(٣)].



---

(١) رواه النسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا فرغ من وضوئه (٩/ ٣٦) رقم (٩٨٣١٩ , ٩٨٣٠ , ٩٨٢٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢١) رقم (٣٠) عن السلسلة الصحيحة رقم (٢٣٣٣) والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٢) رقم(٦١٧٠) والسلسة الصحيحة(٢٣٣٣).

(٢) أخرجه البزار (١/ ١٠) رقم(٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٠٩) رقم (٩٧). والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٠٩٨) رقم (٦٤٣٤) والسلسلة الصحيحة رقم (١٩٣٢).

(٣) أخرجه البزار والطبراني بمعناه من حديث أبي ذر في كتاب الدعاء (٣) رقم (١٧٢٨) و قال محققه : إسناده حسن.

الفصل الثاني :

معنى لا إله إلا الله

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى الإله في اللغة .

المبحث الثاني : إعرابها .

المبحث الثالث : المقصود بها عند السلف .



المبحث الأول :

معنى الإله في اللغة

المبحث الأول : معنى الإله في اللغة

إن الوقوف على معنى كلمة ((الإلـه)) في اللغـة يعتـبر في غايـة الأهميـة وتتجلى هذه الأهمية في عدة أمور منها :

أ) أن القرآن جاء بلغة العرب ، ففهم القـرآن وتفـسيره والوقـوف علـى أسراره ومكنوناته لا تتحقق بدون معرفة للغـة العـرب سـيما في هـذا الزمان ؛ الذي تغيرت فيه كثير من المفاهيم ، وانتشرت فيه العجمـة ، وقل فيهم الناطق الفصيح . وكلمة التوحيد أساس معرفتها مبني على معنى كلمة الإله ، إذ بقية أجزائها معروفة متحققة .

ب) ما حصل من خلط في مفهوم كلمة التوحيد عند المتكلمين خـصوصاً للمعنى الذي قصدوه من مفهـوم كلمـة الإلـه ، فحـصل الخلـط بـين توحيدي المعرفة والإثبات والتوحيد الإرادي الطلبي ، مما ترتـب عليـه الاهتمام بتوحيد الربوبية ((المعرفة والإثبـات)) وجَعْلِـه الغايـة مـن إرسال الرسل، وإنزال الكتب ، فـشمر مـن شمـر في تحقيقـه ومرامـه الأمر الذي ترتب عليه .

ت) إهمال توحيد الألوهية والعبادة والذي هو الغاية – كما سبق ذلـك – في إرسال الرسل ، وهو حقيقة الكلمة ؛ مما تسبب في طروء الشرك في كثير من أرجاء الأمة واستفحاله ؛ نظـراً للمعنـى المقـصود مـن كلمـة ((الإله)) فحصل الخلط حيث فشت الاسـتغاثة بـالأموات ودعـائهم والتقرب إليهم بل اعتقاد ذلك من أفضل القرب إلى الله، وأن التوحيد كله في ذلك وأن الشرك ضد ذلك ، يحمل راية ذلـك أئمـة المـتكلمين ورواده .

وقد ترتب على هذا الشرك المناقض لأصل دعوة الرسل تفرق الأمة واختلافها وتنازعها في أصل دينها ، حتى تكالب عليها الأعداء من كل جانب ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ يقول المعلمي[1] – رحمه الله – في ذلك (فإني تدبرت الخلاف المستطير بين الأمة في القرون المتأخرة في شأن الاستغاثة بالصالحين الموتى ، وتعظيم قبورهم ومشاهدهم، وتعظيم بعض المشايخ الأحياء ، وزعم بعض الأمة في كثير من ذلك أنه شرك . وبعضها : أنه بدعة ، وبعضها : أنه من الدين الحق .

ورأيت كثيراً من الناس قد وقعوا في تعظيم الكواكب والروحانيين مما يطول شرحه، وهو موجود في كتب التنجيم والتعزيم كشمس المعارف وغيره .

وعلمت أن مسلماً من المسلمين لا يقدم على ما يعلم أنه شرك، ولا على تكفير من يعلم أنه غير كافر ، ولكنه وقع الاختلاف في حقيقة الشرك ؛ فنظرت في حقيقة الشرك ؛ فإذا هو بالاتفاق : اتخاذ غير الله –عز وجل– إلهاً من دونه أو عبادة غير الله –عز وجل– ، فاتجه النظر إلى معنى الإله والعبادة فإذا فيه اشتباه شديد ، فإن أصح الأقوال في تفسير إله قولهم : معبود أو معبود بحق .

فعلمت أن ذلك الاشتباه هو سبب الخلاف ، وإذا الخطر أشد مما يظن ؛ لأن الجهل بمعنى الإله يلزمه الجهل بمعنى كلمة التوحيد ((لا إله إلا الله)) وهي أساس الإسلام وأساس جميع الشرائع)[2] . أ.هـ.

---

(١) هو : عبدا لرحمن بن يحيى بن علي المعلمي العتمي اليماني المكي (١٣١٢-١٣٨٦) من أئمة الجرح والتعديل في علم الحديث وتحقيقاته نقش على حجر كما يقول بكر أبو زيد وقد برع في جميع الفنون من كتبه المطبوعة التنكيل والعبادة ومجموع يحوي عدة رسائل وغيرها .

انظر ترجمته في رسالة له اسمها هذه ترجمتي طبعت في مقدمة كتابه فوائد في كتاب العلل .

(٢) رفع الاشتباه (٣١-٣٢) .

ويقول ابن تيمية – بعد أن ذكر مفهوم الكلمة [لا إله إلا الله] وبطلان تفسير المتكلمين لها – ((فهذا موضع عظيم جداً ، ينبغي معرفته لما قد لبس على طوائف من الناس أصل الإسلام ، حتى صاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونها شركاً، وأدخلوا في التوحيد والإسلام أموراً باطلة ظنوها من التوحيد وهي تنافيه ، وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أموراً عظيمة لم يظنوها من التوحيد وهي أصله))[١] .

((فهذا مقام وأي مقام ... زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وبدل فيه دين المسلمين ، والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الأصنام على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والكلام))[٢] .

وأكبر سَبَب خَطَئِهم في هذا يرجع إلى حمل النصوص والآثار على المصطلحات المستحدثة بعد عهد التنزيل بدهور، بعيداً عن تخاطب العرب وفهم السلف ؛ اللسان العربي المبين .

فكان لزاماً بيان هذا الأصل العظيم وتجليته لتظهر الحجة، وتستبين المحجة، وما يذكر إلا ألوا الألباب .



---

(١) التسعينية (٣/ ٨٠١) .

(٢) الفتاوى (٨/ ١٠٣) .

معنى الإله في اللغة :

لا يخرج معنى الإله عن أحدى معان هي كما يلي :

أولاً : الإله فعال بمعنى مألوه أي معبود .

قال الزجاج[(١)] : ((فإله فعال بمعنى مفعول كأنه مفعول أي معبود مستحق للعبادة ، يعبده الخلق ويؤلهونه .

ومعنى قولنا ((إلاه)) إنما هو الذي يستحق العبادة وهو الله تعالى المستحق لها دون من سواه))[(٢)] .

فالإله هو المعبود وهو الله تعالى .

قال ابن عباس : ((الإله هو: الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق . والله ذو الألوهية و المعبودية على خلقه أجمعين))[(٣)] . وروي هذا أيضاً عن مجاهد[(٣)] .

ولهذا جاء في كتاب الله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[(٤)]، أي مألوه ومعبود فيهما .

قال قتادة في هذه الآية : ((يعبد في السماء والأرض))[(٥)] .

---

(١) هو : إبراهيم بن محمد السري أبو إسحاق (٣١١هـ) . لزم المبرد وبرع في علم النحو وكان عزيزاً على المعتضد من كتبه معاني القرآن والاشتقاق والنوادر والفرس ، وهو من شيوخ أبي علي الفارسي .

انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠) .

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى (٢٤-٢٦) .

(٣)انظر تفسير ابن جرير (١/ ٤١) .

(٤) سورة الزخرف (٨٤) .

(٥)انظر تفسير ابن جرير (١١/ ٢٥) ، فتح القدير (٤/ ٥٦٧) .

والتأله التنسك والتعبد، والتأليه التعبيد ومنه قول رؤبة بن العجاج[(١)] :

لله در الغانيات المدَّه   سبحن واسترجعن من تألهي

يعني : من تعبدي[(٢)] .

والألوهية العبادة. قال ابن سيده[(٣)] : والإلاهة والألوهة الألوهية العبادة[(٤)] .

وقد قرأ ابن عباس : ويذرك وإلاهَتَك بكسر الهمزة أي وعبادتك كما فسرها ابن عباس نفسه . وهذا هو اختيار ثعلب وعلل لذلك بقوله : لأن فرعون يُعْبَد ولا يَعبُد[(٥)] .

وقال الراغب الاصبهاني[(٦)] :(وإله جعلوه اسماً لكل معبود لهم)[(٧)] .

---

(١) هو : رؤبة بن العجاج التميمي الراجز من أعراب البصرة وكان رأساً في اللغة روى عنه يحيى القطان والنضر بن شميل وأبو عبيدة .
انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٢) .

(٢)انظر تفسير ابن جرير (١/ ٤١) ، واشتقاق أسماء الله الحسنى (٢٤) ، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٩) .

(٣) هو : أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي الضرير ، قال فيه الذهبي إمام اللغة وأحد من يضرب بذكائه المثل من كتبه المحكم في لسان العرب والعالم في اللغة نحو مائة سفر وشواذ اللغة في خمسة أسفار والمخصص .
انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٤٥) .

(٤)انظر لسان العرب (١٣/ ٤٦٨) .

(٥)انظر تفسير ابن جرير (١/ ٤٢) وتفسير أبي المظفر السمعاني (١/ ٣٣) .

(٦) هو : أبو القاسم الحسين محمد بن المفضل الأصبهاني الملقب بالراغب (٥٠٢) أديب لغوي مفسر من كتبه (الذريعة إلى مكارم الشريعة) والمفردات في غريب القرآن.
انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠) ومعجم المؤلفين (٤/ ٥٩) .

(٧) المفردات (٣١) .

وقال ابن منظور[(١)] : ((الإله (الله) -عز وجل- وكل ما اتخذ من دونه معبوداً؛ إله عند متخذه، والجمع آلهة: والآلهة الأصنام؛ سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لهم)) [(٢)] .

وقال الفيروز آبادي[(٣)] : ((إله كفعال بمعنى مألوه وكل ما أتخذ معبوداً إله عند متخذه)) [(٤)] .

وقال الزبيدي[(٥)] : ((فإذا قيل الإله أطلق على الله -سبحانه- وعلى ما يعبد من الأصنام ، وإذا قلت ((الله)) لم يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى)) [(٦)] .

---

(١) هو : محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الأفريقي ، جمال الدين (٦٣٠-٧١٧) إمام في اللغة من كتبه لسان العرب ومختصره ومختصر تاريخ دمشق .
انظر العبر (٤/ ٢٩) ومعجم المؤلفين (١٢/ ٤٦) .

(٢) لسان العرب (١٣/ ٤٦٧) .

(٣) هو : محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الفيروز آبادي الشافعي (٧٢٩-٨١٧)هـ من أئمة اللغة ، من كتبه القاموس وفتح الباري وهو شرح لصحيح البخاري ولم يتمه وتفسير الفاتحة في مجلد .
انظر طبقات الشافعية لابن شهبة (٤/ ٣٩١) ومعجم المؤلفين (١٢/ ١١٨) .

(٤) القاموس المحيط (١٦٠٣) .

(٥) هو : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (١١٤٥-١٢٠٥) نحوي محدث أصولي أديب مؤرخ حنفي المذهب ، من كتبه تاج العروس وإتحاف السادة المتقين في شرح أحياء علوم الدين . انظر معجم المؤلفين (١١/ ٢٨٢) .

(٦) تاج العروس (٩/ ٣٧٥) .

تنبيه : لفظ الجلالة ((الله)) أصلها كما يقول ابن الأثير[(١)] : ((هو مأخوذ من إله، وتقديرها فُعلانية بالضم تقول : إله بيِّن الألهية ، والألهانية))[(٢)] .

وقال ابن القيم : ((القول الصحيح أن الله أصله الإله، كما هو قول سيبويه[(٣)] وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم)) .[(٤)] أ.هـ .

ومن خلال هذه النقول عن أئمة اللغة المعتبرين ومن نقل عنهم يتضح أن الإله ليس صفة ذات لله -عز وجل وتعالى- كصفة الخلق والرازق والرب مثلاً ، وإنما هو لبيان استحقاق الله للألوهية التي هي حقيقة العبودية[(٥)] – كما تقدم – من كلام ابن عباس ومجاهد ومن تبعهما من أئمة اللغة .

قال ابن جرير – رحمه الله – : ((ولاشك أن الآلهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد مصدر من قول القائل : أله الله فلان إلهة كما يقال عَبَدَ اللهَ فلان عبادةً ، وعَبَّرَ الرؤيا عبارة ، فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا : أن أله عبد ،

---

(١) هو : مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الشيباني الموصلي (٥٤٤-٦٠٦) أديب لغوي محدث، من كتبه جامع الأصول وغريب الحديث .
انظر سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨) .

(٢) النهاية في غريب الحديث (١/ ٦٢) وانظر لسان العرب (١٣/ ٤٦٧-٤٦٨) تهذيب اللغة (٦/ ٤٢١-٤٢٤)، ومعجم مقاييس اللغة (١/ ٦٩).

(٣) هو : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري توفي (١٨٠هـ) إمام النحو وحجة العرب طلب الفقه والحديث مدة ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه ، هكذا وصفه الذهبي عاش اثنين وثلاثين سنة وقيل نحو الأربعين .
انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥١) .

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٤٧٣)

(٥) ضوابط التكفير (٢٨) .

وأن الإلاهة مصدره فالإله : هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط .

فالإله إذن على معنى ما روي عن ابن عباس هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق))[١] . أ.هـ.

وقال الأزهري[٢] أخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق الله في اللغة فقال : كان حقه إله ، أدخلت الألف واللام عليه للتعريف فقيل الإله، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف وذهبت الهمزة أصلاً فقيل : أيلاه فحركوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة ، ثم التقى لامان متحركان، فأدعموا الأولى في الثانية فقالوا : الله كما قال الله عزوجل ﴿ لكنا هو الله ربي ﴾ معناه لكن أنا ...

قال أبو الهيثم : فالله أصله إله قال الله -عزوجل- : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾[٣] .

قال : ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً، وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومدبراً وعليه مقتدراً، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبد ظلماً بل هو مخلوق ومتعبِّد ...

وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها إلاهة .

---

(١)تفسير ابن جرير (١/ ٤١) .

(٢) هو : أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي الشافعي (٣٧٠) من أئمة الشافعية برع في الفقه وكان رأساً في اللغة ، من كتبه تهذيب اللغة وتفسير ألفاظ المزني وعلل القراءات .
انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥) .

(٣) المؤمنون (٩١) .

وكانت العرب في جاهليتها يدعون معبوداتهم من الأصنام والأوثان ألهة وهي جمع إلاهة))[١] .

وبهذا يتضح أن معنى كلمة الإله هو المعبود. وهذا الذي نقله الأزهري. قد صرح به عند بيانه معنى قول الرب تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢] فقال : ((وقوله لله أي للمعبود الذي هو معبود جميع الخلق، لا معبود سواه، ولا إله غيره، قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[٣] أي : لا معبود نعبد رباً سواه ولا نشرك به شيئاً))[٤] .

وقال أبو المظفر السمعاني[٥] عند قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أي : معبود في السماء والأرض .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[٦] أي معبود سواه[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (٦/ ٤٢١-٤٢٤) بتصرف .

(٢) الفاتحة .

(٣) الزخرف (٨٤) .

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ضمن الحادي (٢٢٨) عن كتاب جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (٦٠) .

(٥) هو : منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد التميمي المروزي أبو المظفر السمعاني (٤٢٦-٩) أحد أعلام أهل السنة وكان شوكة على المبتدعة من كتبه الإنتصار لأهل الحديث وتفسير القرآن .
انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤) .

(٦) الأعراف (٨٥) .

وقال الآجري[٢] عند آية الزخرف السابقة : هو الإله يعبد في السموات وهو الإله يعبد في الأرض هكذا فسره العلماء .

ثم ذكر بإسناده عن قتادة تفسيره للآية بمثل ما قرره[٣] .

وقد قال البغوي عند قوله تعالى : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾[٤] . أي هل معه معبود سواه أعانه على صنعه ؟ بل ليس معه إله[٥] .

ثانياً : الإله مأخوذ من أله إذا تحيّر، وأصله وله يوله ولهاً على وزن تعب يتعب تعباً ، فإن الإله هو الله سبحانه تتحير الألباب والفكر في حقائق صفاته ومعرفته وعلى هذا فأصل كلمة إله : ولاه وأن الهمزة مبدله من واو.

وممن قال بهذا القول ابن الأثير حيث قال في النهاية : ((وأصله من آله يأله إذا تحير ، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف همة إليها أبغض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد))[٦] .

وعلى هذا فأصل إله : ولاه فقلبت الواو همزة ومعنى ولاءٍ أن الخلق يولهون إليه في حوائجهم ويضرعون إليه فيما يصيبهم ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم كما يوله كل طفل إلى أمه [١] .

(١) تفسير السمعاني (٥/ ١١٩) ، (٣/ ٤٧١) .

(٢) هو : أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الأجري توفي (٣٦٠هـ) من أئمة السلف وصاحب تواليف منها الشريعة والرؤية والغرباء .
انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣) .

(٣) الشريعة (٣/ ١١٠٤) .

(٤) النمل (٦٠) .

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٤١٠) ، وانظر جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (٥٨-٦٤).

(٦) النهاية في غريب الحديث(١/ ٦٢) ، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٧) .

وقد نقل الزجاجي[٢] عن الخليل بن أحمد[٣] أنه قال : ((أصل إله ولاه من الوله و التحير ، وقد أبدلت الواو همزة لانكسارها فقيل إله كما قيل وعاء إعاء))[٤].

والتحير والوله يكون من العباد إلى الله تعالى فقط دون آلهتهم التي تعبد على ما ذكره ابن الأثير. وهذا يقوي ما ذهب إليه ابن فارس[٥] والزجاج[٦] من تضعيف هذا القول من حيث الاشتقاق، وهو الذي تقتضيه سياقات القرآن إذ لم تتحير مشركة العرب في معبوداتهم من دون الله ولم توله إليها في حوائجهم بل أفردت ذلك لله وحده دون من سواه[٧] .

....

(١)انظر لسان العرب (١٣/ ٤٦٨) .

(٢) هو : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النحوي توفي (٣٤٠هـ) من أئمة اللغة من كتبه اشتقاق أسماء الله والجمل والإيضاح .
انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٥) .

(٣) هو : الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري أبو عبد الرحمن (١٠٠-١٧٠هـ) الإمام صاحب اللغة ومنشئ علم العروض من كتبه العين في اللغة .
انظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩) .

(٤) اشتقاق أسماء الله الحسنى (٢٦-٢٧) .

(٥) هو : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المعروف بالرازي توفي (٣٩٥هـ) ، إمام حجة لغوي محدث مالكي المذهب من كتبه معجم مقاييس اللغة .
انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣) .

(٦)قال ابن فارس : ((فأما قولهم في التحير أله يأله فليس من الباب لأن الهمزة واو)) معجم مقاييس اللغة (١/ ٦٩) وقال الزجاج :(ولا تعرج على قول من ذهب إلى أنه مشتق من وله يوله لأن الواو فيه واو في توله وفي إجماعهم على أنه تأله بالهمز ما يبين أنه ليس من وله) تفسير أسماء الله الحسنى (٢٥) .

(٧) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٠) .

ثالثاً : أن الإله مأخوذ من أله إلى كذا : أي لجأ إليه .

وقد جاء عن الضحاك[١] أنه قال : إنما سمي الله إلهاً لأن الخلق ، يتضرعون إليه في حوائجهم ويتضرعون إليه عند شدائدهم ، فيكون المعنى هو من يفزع إليه في النوائب؛ لأنه المجير لجميع الخلائق من كل المضار .

ومن هذا المعنى قول من قال : أنه مشتق من ألهت إلى فلان أي : سكنت إليه ، فالقلوب لا تسكن إلا بذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره ، فمن خاف الله تقرب إليه فيحصل له الاطمئنان والسكون كما قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[٢][٣] .

وهذا القول في الحقيقة يدخل في المعنى الأول .

ومن هنا فليس بين هذه المعاني كبير اختلاف إذا صرفت لله وحده بل هي عند التأمل متلازمة ولابد . فالإله المعبود المستحق للعبادة هو الذي تألهه القلوب وتسكن إليه عند فزعها واشتدادها ، وهو الذي تتحير العقول فيه لبديع صنعه، وعظيم مفعولاته وهذا معلوم بداهة إذ الذي يعبد لابد وأن يكون متصفاً بصفات من يستحق ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإن الإله، هو المألوه، و المألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع))[٤] .

---

(١) هو : ابن مزاحم الهلالي أبو القاسم مات بعد المائة ، روى عنه أصحاب السنن . انظر تقريب التهذيب (٢٨٠) .

(٢) الرعد (٢٨) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٠) ، الشرك في القديم والحديث (١/ ٤٨) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٩) .

وقال أيضاً : ((فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها ، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده))[١] .

وقال أيضاً : ((فالإله المألوه الذي تألهه القلوب ، وكونه يستحق الألوهية مستلزم لصفات الكمال ، فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو ، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره، وحب غيره، يوجب الفساد كما قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٢]))[٣] .

وقال ابن القيم : ((الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلاً))[٤] .

وقال ابن رجب الحنبلي : ((الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاءً ، وتوكلاً عليه ، وسؤالاً منه ودعاء له ، ولا يصلح هذا كله إلا لله عز وجل))[٥] .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٢) ، (١٣/ ٢٠١-٢٠٢) ، (١٠/ ٢٨٤) النبوات(١/ ٤٨٢-٤٨٥).

(٢) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٤٦) .

(٤) المدارج (٣/ ٤٦٠) .

(٥) كلمة الإخلاص (٢٣) .

وقال الشوكاني[١] : ((لفظ إله إنما هو لبيان استحقاق الله للألوهية التي هي حقيقة العبودية ، ولهذا جاء في كتاب الله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾[٢] أي : مألوه معبود فيها ، قال قتادة : يعبد في السماء والأرض))[٣] .

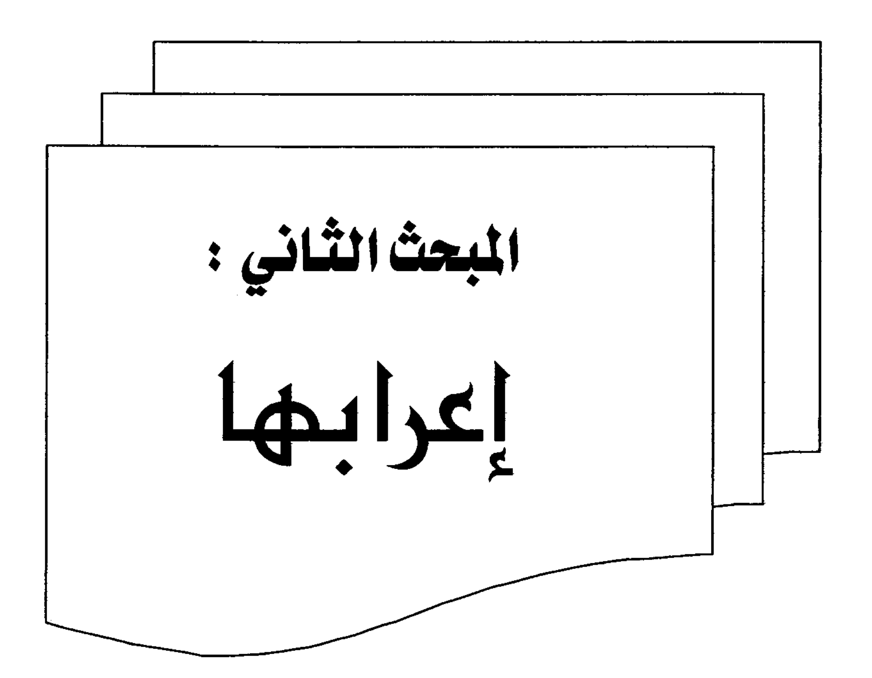
ومن خلال هذه الأقوال المنقولة من العلماء من أهل اللغة وغيرهم يتبين لنا دلالة واضحة شافية من أن معنى الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، وأن التأله هو التعبد .



(١) هو : محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (١١٧٣-١٢٥٠) من العلماء الأعلام ومصنفاته كثيرة منها فتح القدير ونيل الأوطار والدر النضيد وغيرها كثير .
انظر البدر الطالع (٢/ ٢١٤) .

(٢) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٣) فتح القدير (٤/ ٥٦٧) .


المبحث الثاني :
إعرابها

المبحث الثاني : إعرابها :

اهتم العلماء رحمهم الله بإعراب لا إله إلا الله وصنفوا في إعرابها مصنفات عدة(١) لأن الإعراب فرع المعنى وفيما يلي إعراب هذه الكلمة على وفق ما ذكره أهل العلم .

لا : نافية للجنس ((الماهية)) قال ابن عقيل : ((والمراد بها أي : ((لا)) التي قصد بها التنصيص على استغراق النفي للجنس كله))(٢).

وهي تعمل عمل ((إنَّ)) في نصب اسمها ورفع خبرها .

وتعمل بنقيضها من حيث الإثبات والنفي ، حيث أن ((لا)) للنفي أو توكيده بعكس ((إن)) فهي لتوكيد الثبوت والتحقق .

قال سيبويه : ((ونصبها – أي لا – كنصب إن لما بعدها))(٢).أ.هـ.

إله : اسم لا النافية للجنس مبني على ما ينصب به لو كان معرباً ، وهو الفتحة الظاهرة بآخره لأنه مفرد(٣) .

ومذهب سيبويه : أنها واسمها في محل رفع بالابتداء ، ولا عمل لها في الخبر . ومذهب الأخفش(٤) : أن اسمها في محل رفع وهي عاملة في الخبر .

---

(١) منها رسالة لابن الصباغ والزمخشري و الزركشي وملا علي قارئ في آخرين.

(٢) شرح ابن عقيل (١/ ٣٩٣) .

(٢) الكتاب (٢/ ٢٧٤) عن محقق كتاب الزركشي في معنى لا إله إلا الله . وانظر شرح ابن عقيل (١/ ٣٩٣) .

(٣) شرح قطر الندى (٢٨٠) .

(٤) هو : أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري مولى بني مجاشع توفي بعد (٢١٠)هـ . إمام النحو ، أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حتى برع ، صنف في النحو والعروض ومعاني القرآن . انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٦) .

وخبرها محذوف مقدر ، قدره بعضهم بالوجود ، وبعضهم ((لنا)) وبعضهم ((بحق)) ؛ قال لأن الآلهة الباطلة موجودة في الوجود كالوثن، والمقصود نفي ما عدا إله الحق .

ونازع فيه بعضهم ونفى الحاجة إلى قيد مقدر محتجاً بأن نفي الماهية من غير قيد أعم من نفيها بقيد . وعلى هذا فيكون النفي منصباً على ماهية الآلهة دون ملاحظة أي قيد – أي لا إله مطلقاً إلا الله – والقائل بنفي الحاجة إلى تقدير هو الرازي في تفسيره حيث قال : ((لا حاجة إلى التقدير بل نفي الماهية أقوى)) .

قال الزركشي[(١)] معقباً : ((والتقدير أولى جرياً على القاعدة العربية في تقدير الخبر ، وعلى هذا فالأحسن تقدير الأخير – وهو قول ((بحق)) – لما ذكر، ولتكون الكلمة جامعة لثبوت ما يستحيل نفيه ، ونفي ما يستحيل ثبوته))[(٢)]أ.هـ.

وقال ابن مالك[(٣)] : ((صدر الكلام نفي لكل معبود بحق ، فيكون الواحد الحق توحيداً خالصاً)) .

---

(١) هو : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (٧٤٥-٧٩٤) من أئمة الشافعية أشعري المعتقد من كتبه البحر المحيط والبرهان في علوم القرآن وسلاسل الذهب .
انظر طبقات الشافعية لابن شهبة (٤/ ٣١٩) والدرر الكامنة (٤/ ١٧) .

(٢)معنى لا إله إلا الله للزركشي (٧٥) .

(٣) هو : أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن مالك الطائي الجياني (٦٠٠-٦٧٢)هـ الإمام النحوي صاحب المصنفات المشهورة منها : الكافية الشافية وشرحها والخلاصة المشهورة بالألفية في النحو .
انظر ترجمته : البداية والنهاية (١٣/ ٢٨٣) ، الأعلام (٧/ ١١١) .

إلا : ذكر الزركشي أن بعضهم ذكر أن ((لا)) في كلمة الشهادة بمعنى ((غير)) واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ، ثم بقول الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه   لعمر أبيك إلا الفرقدان

فإنه لو حمل ((إلا)) على الاستثناء الصريح لم يكن اللفظ بالكلمة الشريفة توحيداً محضاً : فإن تقدير الكلام : لا إله مستثنى عنه الله ، فلا يكون نفياً لآلهة لا يستثنى عنها الله . قال : وهذا ليس بتوحيد[1] .

ثم رد الزركشي هذا القول فقال : : ((وهذا القائل منازع في هذا الفهم ، وإجماع العلماء على أنه يفيد التوحيد المحض [حتى استدل الأصوليون على أن النكرة في موضع النفي تعم بالإجماع على كلمة التوحيد ((لا إله إلا الله))] ، وإطلاق الشارع لها غير مقيدة بقيد لاسيما في موضع البيان والتفسير دليل قطعي على أنه صريح فيه .

قال : وأما حمل إلا في الآية على معنى ((غير)) فظاهر ، لأنها مرفوعة نعتاً لآلهة لا أن المراد بها الاستثناء ، إذ المراد نفي المعية لانتفاء التمانع المنفي لانتفاء غير الله تعالى وهو الذي أورده المتكلمون في صورة التقسيم المسمى عندهم ببرهان الخلق – [وهو ما يسمى عند المناطقة بالقياس الاستثنائي] – الذي يقصد فيه إثبات المطلوب بإبطال ضده)).

ولفظ الجلالة ((الله)) في الكلمة مستثنى مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة بآخر ، لأنه مستثنى من الخبر، المرفوع المقدر[2] .

---

(١) انظر ص (٧٧)من المصدر السابق .

(٢) انظر إعراب التجريد في لا إله إلا الله لملا علي قاري (٣٥) ومعنى لا إله إلا الله للزركشي(٧٧) ولا إله إلا الله للفوزان ().

تنبيـــه :

ذهبت المعتزلة في الإعراب إلى عدم تقدير الخبر مطلقاً، وليس لأن تقدير الخبر بموجود يفضي إلى أن كل إله موجود هو الله أي الوحدة .

ولكن لأن التقدير بموجود ينفي الإله الموجود ، ولا ينفي ماهية الإله فقد يكون هناك إله في العدم لأن العدم شيء ثابت عندهم ، وأما عامة أهل العلم فلا فرق عندهم بين لا موجود ولا ماهية إذ لا تتصور الماهية إلا مع الوجود[(١)] .

وأما قول من اعترض[(٢)] على النحويين في تقديرهم الخبر في الكلمة بالوجود ، فقال : ((يكون ذلك نفياً لوجود الإله ، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود ، فكان إجراء الكلام على ظاهره والأعراض عن هذا الإضمار أولى)) .

فإنه يجاب عنه : ((بأن هذا كلام من لا يعرف لسان العرب ، فإن الإله في موضع المبتدأ على قول سيبويه ، وعند غيره اسم ((لا)) وعلى التقديرين فلابد من خبر المبتدأ ، وإلا فما قاله من الاستغناء عن الإضمار فاسد))[(٣)] .

وأما قوله إذا لم يضمر يكون نفياً للماهية فليس بشيء لأن نفي الماهية هو نفي الوجود ، إذ لا تتصور الماهية إلا مع الوجود فلا فرق بين لا ماهية ولا وجود وهذا مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة فإنهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود .

و ((إلا الله)) مرفوع بدلاً من ((لا إله)) لا خبر لـ ((لا)) ولا للمبتدأ[(٤)]))[(٥)] .

---

(١) تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٥٣) .

(٢) هو صاحب المنتخب في النحو واسمه الحسن بن صافي ت (٥٦٨هـ) .

(٣) شرح الطحاوية (٩٩) ، والتجريد في إعراب كلمة لا إله إلا الله (٣٥) .

(٤) علق ابن باز رحمه الله في هذا الموضع من شرح العقيدة الطحاوية فقال : ما قاله صاحب المنتخب ليس بجيد وهكذا ما قاله النحاة وأيده الشيخ أبو عبدالله المرسى من

تقدير الخبر بكلمة في الوجود . ليس بصحيح ، لأن الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة وموجودة ، وتقدير الخبر بلفظ ((في الوجود لا يحصل به المقصود من بيان أحقية إلوهية الله سبحانه وبطلان ما سواها)) لأن القائل : أن يقول : كيف تقولون لا إله= في الوجود إلا الله ؟ وقد أخبر الله سبحانه عن وجود آلهة كثيرة للمشركين ، كما في قوله سبحانه : ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء ﴾ [سورة هود : ١٠١] وقوله سبحانه : ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٨] الآية .

فلا سبيل إلى التخلص من هذا الاعتراض، وبيان عظمة هذه الكلمة، وأنها كلمة التوحيد المبطلة لآلهة المشركين وعبادتهم من دون الله ، إلا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة ، وهو كلمة ((حق)) لأنها هي التي توضح بطلان جميع الآلهة، وتبين أن الإله الحق والمعبود بالحق هو الله وحده كما نبه على ذلك جمع من أهل العلم منهم أبو العباس ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وآخرون رحمهم الله .

ومن أدلة ذلك قوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾ [سورة مريم : ٩] فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق وأن ما دعاه الناس من دونه هو الباطل ، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله، من البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات ، واتضح بذلك أنه المعبود بالحق وحده، ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة، وامتنعوا من الإقرار بها، لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية بحق عن غير الله سبحانه، ولهذا قالوا جواباً لنبينا محمد ﷺ لما قال لهم : قولوا : لا إله إلا الله ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [سورة ص : ٥] وقالوا أيضاً : ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [سورة الصافات : ٣٦] وما في معنى ذلك من الآيات . وبهذا

وليس المراد ذكر الإعراب في هذا التنبيه بل رفع الإشكال الوارد على النحاة في ذلك ، وبيان أنه من وجهة المعتزلة وهو فاسد : فإن قولهم : في الوجود ليس تقييداً لأن العدم ليس بشيء ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[٢] [٣] .

....

التقدير يزول جميع الإشكال ويتضح الحق المطلوب والله ولي التوفيق .عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، شرح الطحاوية (١٠٩-١١٠) الحاشية

(١) التجريد في إعراب كلمة التوحيد (٣٥) .

(٢) سورة مريم (٩) .

(٣) شرح الطحاوية (١٠٩-١١١) ط المكتب الإسلامي .

المبحث الثالث :

المقصود بكلمة التوحيد عند السلف

المبحث الثالث: المقصود بها عند السلف :

لما كان جماع التوحيد وأساسه وعموده هو معرفة معنى شهادة الحق، كان من اللازم أن يحرص المسلم على إدراك معناها، وفهم مرامها، والعمل بمقتضاها، على وفق ما كان يعرفه السلف الصالح -رضوان الله عليهم- ، إذ السلف الصالح[١] وهم الصحابة ومن سار على نهجهم في الاعتقاد من التابعين وتابعيهم . ولاشك أن عقيدة الصحابة هي العقيدة الصحيحة المرضية. وذلك بنص كلام رسول الله ﷺ فإنه قال : ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة . قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))[٢] .

وفي مقدمة الصحابة الخلفاء الراشدون = الذين هم خير البشرية بعد الأنبياء عليهم السلام = وقد أمر الرسول ﷺ بإتباع سنتهم والاهتداء بهديهم

---

(١) مذهب السلف هو الاتجاه المقدم للنصوص الشرعية على البدائل الأخرى منهجاً و موضوعاً الملتزم بهدي الرسول ﷺ وهدي أصحابه علماً وعملاً المطرح للمناهج المخالفة لهذا الهدي في العقيدة والعبادة والتشريع وهو يرتكز على ثلاثة أسس الكتاب و السنة تطبيقاً و فهم الصحابة عملاً ونموذجاً والحذر من تجاوز ذلك ولو بحسن قصد. انظر السلفية وقضايا العصر للدكتور عبد الرحمن الزنيدي (٤٨-٤٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)ق ، والحاكم في المستدرك كتاب العلم باب تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة (١/ ١٢٨) وقال على شرط مسلم وقال شيخ الإسلام صحيح مشهور (٣/ ٢٤٥) مجموع الفتاوى .

فقال ﷺ : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)) (١) .

وقد أثنى الله عليهم، وعلى من سار على نهجهم، وتمسك بهديهم، فقال تبارك وتعالى -: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾(٢) ، فأخبر سبحانه : ((أن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؛ وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة ، وليس المراد بهم التابعين اصطلاحاً [فقط]، وهم كل من أدرك الصحابة ولم يدرك النبي ﷺ، بل هم من جملة من يدخل تحت الآية، فيكون المراد بالتابعين من بعد الصحابة من الأمة إلى يوم القيامة .

وقوله : ((بإحسان)) قيد للتابعين أي : والذين اتبعوهم متلبسين بإحسان في الأفعال والأقوال اقتداء منهم بالسابقين الأولين)) (٣) .

وقد قال النبي ﷺ : ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) (٤) .

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه : كتاب المقدمة باب أتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، رقم (٤٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

(٢) سورة التوبة (١٠٠) .

(٣) فتح القدير (٢/ ٥٠٧-٥٠٨) مختصراً وانظر تفسير الطبري (١١/ ٦-٩)والنبوات لابن تيمية (٢/ ٦٣٤-٦٤٠).

(٤) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد رقم (٢٦٥١) ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة (٦٦٣٢) .

وقال أيضاً : ((النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون))[(١)] .

ويستحيل أن يكون أصحابه ﷺ أمنة لأمته وهم ليسوا على عقيدة صحيحة، بل من المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر أنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته – محال مع هذا وغيره – أن يكون ترك باب الإيمان بالله والعلم بلا إله إلا الله ملتبساً مشتبهاً .

فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول .

ومن المحال أيضاً أن يكون الرسول ﷺ قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة وقد قال : ((تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))[(٢)] ...

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دق – أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه بقلوبهم من ربهم و معبودهم

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ : أنا أمنة لأصحابي وأصحابي أمنة لأمتي (١٦/ ٢٩٩) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٧) ق (٢٨/ ٣٦٧) رقم (١٧١٤٢) وابن ماجة في سننه كتاب المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين رقم (٤٣) والحديث صححه الألباني في صحيح السنن والأرناؤوط في تحقيقه للمسند .

الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب. بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية .

فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع في قلوبهم على غاية التمام؛ وهم خير القرون وأفضلها[١] .

وكيف لا تكون عقيدتهم صحيحة؛ وقد اجتمعت فيهم جميع مقومات الفهم الصحيح : فالقرآن بلغتهم وهم أهلها ، يدركون أساليبها ومعانيها ، والرسول ﷺ عاش بين أظهرهم ، وهو أفصح الخلق وأقدرهم على البيان وأرغبهم وأحرصهم عليه، وهم من أحرص الناس على العلم والعمل جميعاً .

حتى أن نساءهم سألن رسول الله ﷺ في مسائل لا تجرؤ عليها المرأة عادة حداهن إليها دينهن ورغبتهن في معرفة رضا ربهن .

فكيف بكلمة التوحيد التي هي أصل الدين وعموده ، مع سلامة فطرهم وحسن فهمهم لما يلقى عليهم ؟

فحقيق بأمثال هؤلاء أن يكون الرجوع إليهم في تفسير القرآن العظيم وبيان أصول الدين – سيما كلمة التوحيد – هو المطلب الأساس الذي به تتضح المحجة للسالكين في طريق العبودية لرب العالمين[٢] .

وإذا اتضحت هذه المقدمة: ضرورية البيان =ننتقل إلى مقدمة أخرى لم تعد سابقتها يتضح من خلالها المفهوم الصحيح لكلمة التوحيد .

* * * * *

*** مفهوم كلمة التوحيد عند المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ :**

---

(١) الحموية (١٩٤-١٩٩) بتصرف وانظر الفتاوى الكبرى(٦/ ٣٥٢) .

(٢) انظر حقيقة التوحيد والفرق بين توحيد الألوهية والربوبية (٤٩-٧٨) الفتاوى الكبرى(٦/ ٣٦٢) .

من خلال تتبع الآيات القرآنية التي حكى الله سبحانه فيها مواقف مشركي قريش من دعوة النبي ﷺ، وبينت فيها حالهم تجد أنها لم تختلف عما ذكرناه سابقاً من المبحث الأول وهو معناها في اللغة .

فقد سمى الله تعالى معبودات المشركين آلهة وأبطل كونها آلهة حقاً .

قال تعالى ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾(١) فكانوا يسمون معبوداتهم آلهة مع اعتقادهم أنها ليست خالقة لهذا الكون، ولا مالكة كما حكى عنهم في آية أخرى فقال : ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا ﴾(٢) وقال أيضاً : ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾(٣) فأنت ترى في هذه الآيات أن المشركين سموا معبوداتهم آلهة مع أن المشركين لم يعتقدوا فيها أنها خالقة لهذا الكون .

ولا حتى مالكة بل لما قال لهم رسول الله ﷺ قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، أعرضوا عنه وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾(٤) .

وهم مع ذلك كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية وإفراد الله بالخلق والرزق والتدبير وأن آلهتهم التي يعبدونها ليس لها من هذا الأمر شيء .

---

(١) سورة الفرقان (٣) .

(٢) سورة الفرقان (٤٢) .

(٣) سورة الصافات (٥) .

(٤) سورة ص (٥) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾(١) .

والمتأمل لهذا جيداً يجد أن المشركين قد فهموا من الكلمة إفراد الله بالعبودية وحده دون ما سواه ، وأن الذي نازعتهم فيه رسلهم هو توحيد الألوهية والعبادة؛ الذي هو حقيقة مفهوم الكلمة. لا توحيد الربوبية إذ كانوا مقرين بذلك لله وحده كما صرحت بذلك آيات القرآن في مواضع عدة .

يقول شيخ الإسلام في هذا الصدد وبيان ضلال من لم يميز بين التوحيد الذي جاءت الرسل لتحقيقه وبين غيره : ((والمشركون= مشركوا العرب= لم يكونوا يعتقدون أن المخلوقات كالملائكة والأنبياء والشمس والقمر والكواكب وتماثيلهم ؛ شاركت الرب في خلق العالم بل كانوا معترفين بأن الله خلق ذلك وحده ، كما أخبر الله عنهم في غير موضع كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾(٣) .

ومثل هذا من القرآن كثير ....

وهذا باب واسع ، وكل من كان به أعرف ، إذا عرف ما جاءت به الرسل وعرف ما في القرآن من التوحيد العظيم ، والعناية العظيمة بذلك ،

---

(١) سورة يونس (٣١) .

(٢) سورة العنكبوت (٦١) .

(٣) سورة المؤمنون (٨٤-٨٥) .

ومذمة الشرك على اختلاف أنواعه ؛ عرف بعض قدر ما جاء به الرسول ﷺ، وتبين له كثرة الشرك في بني آدم، الذين لا يعرفون بل يظنون أن العرب كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها شاركت الله في الخلق؛ وهذا من غاية الجهل والكذب بمن يظنه بهم؛ وذلك لأن الشرك الذي كانوا فيه قد وقع هو وأمثاله في نوع منه، وهو لا يعرف أنه شرك . يعتقد أن التوحيد هو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، لم يشاركه في الخلق أحد ، فهذا عنده غاية التوحيد ، كما تجد ذلك في كلام كثير من الناس من متكلميهم وعبادهم ، فإذا رأى هذا هو التوحيد كان الشرك عنده ما يناقض ذلك .

وقد علم بالتواتر وإجماع المسلمين ونص القرآن أن العرب كانوا مشركين. وأن النبي ﷺ دعاهم إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك، وكان هذا من أعظم أسباب معاداتهم له، ولمن آمن به . فيظن هذا الذي لم يعرف حقيقة الأمر أن ذلك الشرك: أنهم جعلوا آلهتهم شركاء لله في خلق السموات والأرض، وإنزال المطر، وخلق النبات ونحو ذلك .

ولو كان هذا يفهم القرآن ، ويعرف ما كانت عليه العرب، ويعرف التوحيد والشرك لتبين له أن ما يقر به من التوحيد كان المشركون يقرون به أيضاً. وهم مع هذا مشركون، حيث أحبوا غير الله كما يحبون الله، وحيث دعوا غير الله وجعلوه شفيعاً لهم، وحيث عبدوا غير الله يتقربون بعبادته إلى الله .

فهذا وأمثاله كان شركهم، مع اقرارهم بأن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق غيره، ولهذا قال عمر بن الخطاب : ((إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة: إذا نشأ من الإسلام من لا يعرف الجاهلية)) .

فمعرفة المسلم بدين الجاهلية هو مما يعرفه بدين الإسلام، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه ؛ وبه يعرف الفرق بين دين المسلمين الحنفاء أهل التوحيد والإخلاص أتباع الأنبياء ودين غيرهم ، ومن لم يميز بين هذا وهذا فهو

في جاهلية وضلال وشرك وجهل ، ولهذا ينكر هؤلاء ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من إخلاص الدين لله ، إذ ليست لهم به خبرة من جهة النقل ، ولا لهم فهم في القرآن يعرفون به توحيد القرآن، ولا لهم معرفة بحقيقة الإيمان والتوحيد الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، فليس لهم علم لا بالقرآن، ولا بالإيمان ولا بأحوال الناس وما نقل من أخبارهم، ومعرفة هذا من أهم الأمور وأنفعها و أوجبها))[1] . أ.هـ .

وقال أيضاً في معرض رده على المتكلمين في مسألة القرآن .

((وأما التوحيد الذي ذكر الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمون من كل أمة فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ كما بيّن ذلك بقوله : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[2] فأخبر أن الإله واحد، لا يجوز أن يتخذ إلهاً غيره، فلا يعبد إلا إياه كما قال في السورة الأخرى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[3] وكما قال : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[4] إلى قوله:﴿ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[5].

---

(١)قاعدة عظيمة (١٣٤-١٤٠) مختصراً .

(٢) سورة البقرة (١٦٣) .

(٣) سورة النحل (٥١) .

(٤) سورة الإسراء (٢٢) .

(٥) سورة الإسراء (٣٩) .

وكما قال : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(١) .

وكما قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾(٢) .

والشرك الذي ذكره الله في كتابه إنما هو عبادة غيره من المخلوقات، كعبادة الملائكة أو الكواكب أو الشمس أو القمر والأنبياء أو تماثيلهم أو قبورهم أو غيرهم من الآدميين، ونحو ذلك مما هو كثير في هؤلاء الجهمية ونحوهم، ممن يزعم أنه محقق في التوحيد وهو من أعظم الناس إشراكاً .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٣) .

وقال : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الزمر (١-٣) .

(٢) سورة الفرقان (٦٨) .

(٣) سورة الزمر (٣٨) .

(٤) سورة الزمر (٦٤-٦٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ﴾[١] إلى قوله – رحمه الله – وقوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٢] .

قال ابن عباس وعطاء وعكرمة ومجاهد : يسألهم من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون الله . وهم مع هذا يعبدون غيره ويشركون به ويقولون له ولد وثالث ثلاثة .

قال : فكان الكفار يقرون بتوحيد الربوبية،و كانوا مع هذا مشركين لأنهم كانوا يعبدون غير الله قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[٥] .

فبين سبحانه أنه بهذا التوحيد بعث جميع الرسل ، وأنه بعث إلى كل أمة رسولاً به ، وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله لا من الأولين ولا من الآخرين ديناً غيره .

---

(١) سورة الزمر (٤٥) .

(٢) سورة يوسف (١٠٦) .

(٣) سورة الزخرف (٤٥) .

(٤) سورة الأنبياء (٢٥) .

(٥) سورة النحل (٣٦) .

قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١] ، فدين الله أن يدينه العباد ويدينون له ، فيعبدونه وحده ويطيعونه وذلك هو الإسلام ، فمن ابتغى غير هذا ديناً فلن يقبل منه ، وكذلك قال في الآية الأخرى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢] .

فذكر أن الدين عند الله الإسلام، بعد إخباره بشهادته وشهادة الملائكة وأولي العلم : أنه لا إله إلا هو .

والإله هو المستحق للعبادة، فأما من اعتقد أنه رب كل شيء وخالقه، وهو مع هذا يعبد غيره، فإنه مشرك بربه، متخذ من دونه إلهاً آخر ، فليست الإلهية هي الخلق أو القدرة على الخلق أو القدم كما يفسرها هؤلاء المبتدعون في التوحيد من أهل الكلام .

إذ المشركون الذين شهد الله ورسوله بأنهم مشركون من العرب وغيرهم؛ كما لم يكونوا يشكون في أن الله خالق كل شيء وربه ، فلو كان هذا هو إلهيته لكانوا قائلين أنه لا إله إلا هو .

---

(١) سورة آل عمران (٨٣-٨٥) .

(٢) سورة آل عمران (١٨) .

فهذا موضع عظيم ينبغي معرفته، لما قد لبس على طوائف من الناس الإسلام .

فالتوحيد الذي لابد منه لا يكون إلا بتوحيد الإرادة والقصد= وهو توحيد العبادة= وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله = أن يقصد الله بالعبادة ويريده بذلك دون ما سواه وهذا هو الإسلام))[1] .

ومن كلام شيخ الإسلام هذا يتضح أن مشركة العرب فهمت أن المقصود من هذه الكلمة هو أنه لا معبود يستحق أن تفرد له العبودية إلا الله وحده لا شريك له .

ومن تأمل الكتاب العزيز يعرف جلياً أن حقيقة الكلمة إفراد الله بالعبادة.

فقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[2] دليل في هذا .

فقد اتفق المفسرون على أنه قوله تعالى : ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تفسير لقوله تعالى : ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ .

وقد قال ابن جرير في معنى ((كلمة)) هو قوله لا إله إلا الله ثم أسند إلى أبي العالية قوله : ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ : لا إله إلا الله[3] .

وبناء على هذا يكون معنى لا إله إلا الله : ألا نعبد إلا الله .

وأنت إذا قابلت بين هاتين الجملتين تحصل لك أن الإله بمعنى المعبود .

---

(١) التسعينية (٣/ ٧٩٧-٨٠١) مختصراً .

(٢) سورة آل عمران (٦٤) .

(٣) انظر تفسير ابن جرير (٣/ ٣٠١-٣٠٤) .

ومما يدل على هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] .

قال ابن جرير في قوله : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ وجعل قوله : ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ وهو قول: لا إله إلا الله؛ كلمة باقية في عقبه وهم ذريته فلم يزل في ذريته من يقول ذلك بعده .

ثم نقل عن مجاهد بسنده في تفسير الكلمة بأنها: لا إله إلا الله. وكذا عن السدي مثله[2] . وقال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته من يقولها بعده[3] .

ووجه الاتفاق بين معنى قوله : ﴿ إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾ وقول لا إله إلا الله ؛ هو أن الشهادة مشتملة على جزئين :

- النفي في قوله لا إله .
- الإثبات في قوله إلا الله .

وهذان الجزءان موجودان في الآية بحيث يمكن أن نفسر معنى الإله عندما نطابق بين المعنيين .

- فقوله : ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ موافق لقوله ((لا إله)) لأن كليهما نفي في المعنى ؛ ويلاحظ أن الآية تشتمل على العبادة الموافقة لمعنى الإله.

---

(١) سورة الزخرف (٢٦-٢٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (٢٥/ ٦٢) .

(٣) المصدر السابق (٢٥/ ٦٣) .

- وقولـه : ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ موافـق لقولـه ((إلا الله)) لأن كليهمـا إثبات في المعنى .

فدل هذا التقرير على تفسير الكلمة بلا إله إلا الله . يـدل علـى أن الإلـه في القرآن بمعنى المعبود .

وحقيقة التوحيد هو إفراد الله بالعبادة. وهذا معنى لا إله إلا الله كما جاء ذلك في تفسيرات السلف أي لا معبود بحق إلا الله .

والشرك الواقع في ذلك هو أحقية غير الله في العبادة وجعله شريكاً لله .

وهذا في الحقيقة تشبيه المخلوق بالخالق ، ورفع لدرجة المخلوق إلى درجة لا يستحقها ولا تـصلح لـه بـل تمتنـع عليـه وهـي درجـة الإلهيـة واسـتحقاق العبادة[1].

((وإثبات التوحيد بهذه الكلمة الـتي دعـت إليهـا الرسـل باعتبـار النفـي والإثبات المقتضي للحصر ، فـإن الإثبـات المجـرد قـد يتطـرق إليـه الاحتمـال ، ووقوع الشركة فيه .

ولهذا والله أعلم لما قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[2] قال بعده لا إله إلا هو الرحمن الرحيم فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني :هب أن إلهنا واحد فلغيرنا إله غيره ، فقال تعالى ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾))[3].

فتضمنت هذه الكلمة (لا إله إلا الله) والتي هي مدلول الآية ركني الكلمة (النفي والإثبات) .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢٣٧)ط الألباني، (١/ ٧٢) ط التركي .

(٢)سورة البقرة (١٦٣) .

(٣) المصدر السابق (١١١) .

- الركن الأول : النفي؛ وهو نفي الألوهية عن كل ما سوى الله تعالى من جميع المخلوقات كائناً ما كان .

- الركن الثاني : الإثبات : وهو إثبات الإلهية لله وحده دون ما سواه .

فهو الإله الحق وما سواه من الآلهة باطل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1] [2] .

فمعنى الكلمة إذن لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لا شريك له.

- وكما قال تعالى أيضاً : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3] .

مع قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[4] .

فصح بهذا أن معنى الإله بمعنى المعبود .

ولهذا قال قوم لنبيهم : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[5] .

وهو إنما دعاهم إلى لا إله إلا الله .

فهذا هو معنى لا إله إلا الله وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه وهو الكفر بالطاغوت .

---

(١) سورة الحج (٦٢) .

(٢) العروة الوثقى (٢٣) وسيأتي تفصيل هذين الركنين آخر المبحث .

(٣) سورة الأنبياء (٢٥) .

(٤) سورة النحل (٣٦) .

(٥) سورة الأعراف (٧٠) .

فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وأظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصح الإلهية لغيره .

فتضمنت نفي الإلهية عما سواه وإثباتها له وحده لا شريك له وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهاً وحده والنهي عن اتخاذ غيره معه .

وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات .

وقد دخل في الألوهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك له .

- ومما يدل على هذا المفهوم أيضاً قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾[1] .

- وقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ ﴾[3][1] ونحن لو أردنا أن نستعرض ذلك ما استطعنا لذلك حصراً .

---

(١) سورة يس (٢٢-٢٣) .

(٢) سورة الزخرف (٤٥) .

(٣) سورة المائدة (١١٦-١١٧) .

وإنما المقصود تقرير معنى هذه الكلمة عند المشركين الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم وما قرره في مواجهة الرسل لأقوامهم .

وعلى منوالها في الدلالة الآثار الواردة المسندة فقد دلت بمثل ما دلّ القرآن الكريم ، فقد جاء في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل وفيه ((أخبرني عن الإسلام ؟ فقال الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...)) [(٢)] وجاء في رواية أبي هريرة في القصة نفسها قال بالإسلام ، قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً الحديث[(٣)] .

وأنت إذا جمعت بين الروايتين تبيّن لك أن الإله بمعنى المعبود .

قال الحافظ ابن حجر : ((ولما عبر بالعبادة احتاج إلى أن يوضحها بقوله ولا تشرك به شيئاً)) ولم يحتج إليها في رواية عمر لاستلزامها ذلك)) [(٤)] .

وكذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس وفيه : ((آمركم بالإيمان بالله وحده قال أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟.

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)) الحديث[(٥)] .

....

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٣٥٤-٣٥٧) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان .. رقم (١).

(٣) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان رقم (٥٠) ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان باب الإيمان ما هو ؟ وبيان خصاله رقم (٥) .

(٤) فتح الباري (١/ ١١٩) .

وجاء في الصحيح من حديث أبي سعيد في القصة نفسها ((آمركم بأربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)) الحديث[٢] .

وإذا جمعت بين الروايتين تجد أن رواية أبي سعيد تفسر رواية ابن عباس الأولى .

ومن الشواهد أيضاً الدالة على أن الإله بمعنى المعبود ما ثبت عن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، و إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً)) [٣] .

وقد جاء في بعض روايات الحديث – عند مسلم – أنه قال: ((بني الإسلام على خمس : على أن يعبد الله ويكفر بما دونه ...)) الحديث .

وإذا طابقت بين معنى كلمة الشهادة وهذه الرواية تجد أنها متفقة في المعنى والمضمون وأن الإله مفسر فيها بقوله : ((أن يعبد الله ويكفر بما دونه)) فيعبد أي يؤله[٤] .

....

(١) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي باب وفد عبد القيس رقم (٤٣٦٨) ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ رقم (٢٣) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ رقم (٢٦) .

(٣) متفق عليه – رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب الإيمان وقول النبي ﷺ ((بني الإسلام على خمس (١/ ١٠) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان (١٦) .

(٤) انظر حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٣٥٧-٣٥٩) .

- ومنها ما جاء في حديث معاذ – وقد تقدم – عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن وفيه أنه قال له : ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) الحديث .

وفي رواية : ((فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ...)) .

وفي أخرى : ((فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى)) [١] .

وكل هذه الروايات متفقة في المعنى، وهو ما فهمه رواة الحديث؛ إذ من المعلوم أن الرسول ﷺ لم يكرر هذه الألفاظ في مجلس واحد ، وإنما رواة الحديث رووه بالمعنى؛ لأنهم يعلمون أن هذه الألفاظ كلها مفسرة بعضها بعضاً[٢] .

ومنها أيضاً ما جاء في حديث المغيرة بن شعبة وقوله لعامل كسرى : ((أمرنا نبينا ﷺ رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده وتؤدوا الجزية))[٣] .

ومثله قول ربعي بن عامر لرستم : ((إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله)) [٤] .

وهذه الغاية التي ذكرها هؤلاء وهي عبادة الله وحده وصفها الرسول ﷺ بأنها كلمة الشهادة حيث قال : ((أمرت أن أقاتل حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده وأن محمداً رسول الله ...)) الحديث [٥] .

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٣٦-٣٧) .

(٢) انظر حقيقة التوحيد والفرق بين توحيد الألوهية والربوبية للعلياني (٥٤-٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجزية والموادعة باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة الحرب رقم (٣١٥٩) .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣٩-٤٠) .

(٥) وقد تقدم تخريجه (١٧) .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : ((الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين)) .

وقال أيضاً : ((كل ما في القرآن من اعبدوا فمعناه وحدوا))[(١)] .

وبما أن المقصود في هذا الفصل تقرير مذهب السلف لهذه الكلمة، ومفهومها عندهم، وفي مقدمتهم الصحابة الكرام – كما قد مر ذلك – فإن هذه النصوص المتقدمة مما جاء في لغة العرب، ومواقف المشركين من الرسالة، وبعثة الرسل، مما قرره القرآن، ووافقته السنة. كلها تدل دلالة واضحة أن الصحابة الكرام فهموا من الكلمة تحقيق العبودية لله –عز وجل- وأن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله .

يقول المعلمي –رحمه الله- : ((إن الصحابة –رضي الله عنهم- كانوا يفهمون اتحاد معنى شهادة أن لا إله إلا الله التي يثبت بها الإسلام ومعنى التزام عبادة الله تعالى وعدم الشرك به))[(٢)] .

فهذا فهم خير القرون الذين عايشوا المواقف النبوية، والذين نشأوا، وترعرعوا في تلك البيئة التي غشاها الوحي، فأخذوا عن النبي ﷺ دينه مباشرة دون واسطة .

وهم الذين سلمت ألسنتهم، واستقامت فهومهم، واتحدت كلمتهم على دين الله في صغير الأمر و جليله. فما أثر عن أحد منهم بدعة، ولا تعمد مخالفة سنة ، فهم أفضل الناس، وأعلم الناس، وخير الناس للناس ، كيف لا يكون ذلك ومعلمهم الذي يتعلمون منه محمد ﷺ، فعلى يديه تربوا، وعلى منهجه نشأوا وترعرعوا فكانوا شموس دجى وأنواراً في الظلمات .

---

(١) تقدم تخريجه (٥) .

(٢) رفع الاشتباه (٣٧) .

يقول عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد : ((عليك بآثار القوم (يعني صحابة رسول الله ﷺ) وقف حيث وقفوا فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا ، ولهم على كشفها كانوا أقوى ، وبالفضل لو كان فيها أحرى ، فلئن قلتم حدث بعدهم ، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ، ورغب عن سنتهم. ولقد وصفوا منه ما يشفى، وتكلموا منه بما يكفى فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر. لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا. وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم))[١] .

* * * * *

وبمثل فهم الصحابة -رضوان الله عليهم- لهذا الاعتقاد سار التابعون وتابعوهم من أئمة الهدى، وعلماء الإسلام، فقد فهموا من كلمة التوحيد ومفهوم الإله مثل ما فهم الرعيل الأول لم يشذ عنهم فيما نعلم أحد. لأنهم يقتبسون من مشكاة واحدة، وينهلون من معين واحد، وإليك بعضاً من نقولهم وشذراً من فهومهم في هذا: —

قال قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢] قال : هو الذي يعبد في السماء ويعبد في الأرض .

وعلى هذا فلا إله إلا الله معناها لا معبود بحق إلا الله .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٣] .

(١) لمعة الاعتقاد (١٧٥) ضمن مجموع بتحقيق البدر .
(٢) سورة الزخرف (٨٤) .
(٣) سورة الأنبياء (٢٥) .

((أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم عمل حتى يقولوه ويقروا به . والشرائع مختلفة ؛ في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة حلال وحرام ، وهذا كله في الإخلاص لله وحده والتوحيد له .

وقال أيضاً : والإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به)) .

وعن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] . قال : إلا ليقولوا لا إله إلا الله .

وعن مجاهد أنه قال عند قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[2] .

لا إله إلا الله : كلمة الإخلاص .

وقال السدي[3] في قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[4] .

قال : أأتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الرحمن ؟ فأنكر الله عليهم ذلك[5] .

---

(١) سورة الذاريات (٥٦) .

(٢) سورة الزمر (٣) .

(٣) هو : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكوفي توفى (١٢٧هـ) أحد المفسرين المشهورين روى له الجماعة عدا البخاري .
انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣) .

(٤) سورة الزخرف (٤٥) .

(٥) انظر أقوال جميع من تقدم من أقوال التابعين: أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (٢/ ٥٩٤-٦٠٦) .

وعن أبي العالية عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[١] .

قال : هي كلمة لا إله إلا الله . والدليل على ذلك قوله بعد ذلك : ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[٢] ولا معنى لهذه الآية إلا ما دل عليه قولنا : لا إله إلا الله[٣] .

وقال ابن زيد : ((ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه وأن الله خالقه ورازقه وهو يشرك به ألا ترى كيف قال: إبراهيم ، قال ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾[٤] .

قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون .

قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به ، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك .

المشركون كانوا يقولون هذا))[٥] . أي ومع ذلك أبوا أن يقولوا: لا إله إلا الله .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾[٦] قرأ مجاهد ((إلاهتك)) أي: عبادتك وقد روي هذا عن ابن عباس وغيره .

---

(١) سورة آل عمران (٦٤) .

(٢) سورة آل عمران (٦٤) .

(٣) فتح الباري (٨/ ٢٧٢-٢٧٣) .

(٤) سورة الشعراء (٧٥-٧٦) .

(٥) تفسير ابن جرير (١٣/ ٥١-٥٢) .

(٦) سورة الأعراف (١٢٧) .

وقال الحسن: كان لفرعون إله يعبده في السر[(١)] .

وعلى هذا فلا إله إلا الله عند هؤلاء بمعنى إفراد الله بالعبادة وحده .

فما تقدم من تفسير هؤلاء التابعين يدل على أنهم فهموا من لا إله إلا الله، ما فهمه صحابة رسول الله ﷺ : بل إن المتأمل لكلام الصحابة الكرام، ومن جاء بعدهم؛ ممن سار على هديهم في تفسيرهم لآي القرآن يجد أنهم لا يذكرون لمعنى الإله معنى أخر غير المعبود . ولهذا فسر كثير من السلف الآيات المتضمنة لكلمة (إله) بأن المراد به المعبود[(٢)] .

* * * * *

وبمثل أقوال السلف من الصحابة والتابعين نهج علماء الإسلام وأعلامه. فإنهم فسروا الكلمة بمثل ما كان يعتقده من سبقهم من الصحابة والتابعين وسنقف على بعض من أقوالهم لا حصرها :

قال الإمام ابن جرير : ((ولاشك أن الآلهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد [في قوله تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾] مصدر من قول القائل أله الله فلان إلهة : كما يقال: عَبَدَ اللهَ فلان عبادة، وعبر الرؤيا عبارة . فقد بيّن قول ابن عباس ومجاهد هذا أن أله : عبد، والإلاهة مصدره)) .

وقال : ((فالإله هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب بمعنى مكتوب، وبساط بمعنى مبسوط، فالإله إذن على معنى ما رُوي عن ابن عباس هو الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق))[(٣)] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٩) .

(٢) انظر حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٣٥٩) ، وانظر مثلاً من تفسير ابن جرير (١/ ٦١٣) ، (٢/ ٦٤) ، (٤/ ٣٧٥، ٦٥٣) ، (٥/ ٦٣) ، (٦/ ٤٥) ، (٧/ ٥٧٤، ٥٩٥) ، (٨/ ٤٤٧، ٤٥٤) ، (٩/ ١٨، ١٠١، ١٥١) ، (١١/ ٢١٧، ٤٢٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (١/ ٤١) وانظر الشرك في القديم والحديث (١/ ٥٢) .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(١) ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاعلم يا محمد، أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية، ويجوز ذلك، وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه))(٢) .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾(٣)((يقول: وأيقنوا أيضاً أن لا معبود يستحق الألوهية على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر. فاخلعوا الأنداد والآلهة وأفردوا له العبادة))(٤) .

وقال أيضاً : ((وأما قوله تعالى : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فإنه خبر منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيره، ولا يستوجب على العباد العبادة سواه، وأن كل ما سواه فهم خلقه، والواجب على جميعهم طاعته، والانقياد لأمره، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، وهجر الأوثان والأصنام لأن جميع ذلك خلقه، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهية، ولا تنبغي الألوهية إلا له))(٥).

وقال الخطابي : ((وقول الموحدين: لا إله إلا الله، معناه لا معبود غير الله))(٦) .

---

(١) سورة محمد (١٩) .

(٢) تفسيره (٢٦/ ٣٤) .

(٣) سورة هود (١٤) .

(٤) المصدر السابق (١٢/ ٨) .

(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٦) .

(٦) شأن الدعاء (٣٣-٣٤) عن كتاب جهود علماء الشافعية (٦٧) .

وقال أبو المظفر السمعاني عند قول نوح عليه السلام لقومه : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[١] (أي : معبود سواه)[٢] .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[٣] ((أي : وحدوا الله الذي خلقكم ، ثم قال مبيناً معنى ذلك ، يعني إذا كان الله خالقكم وخالق من قبلكم فلا تعبدوا إلا إياه))[٤] .

ولما عرض لأقوال أهل العلم في اسم ((الله)) وهل هو مشتق أو غير مشتق؟ ذكر القول الذي أيد اشتقاقه وبين أن في موضع اشتقاقه قولان: أحدهما أنه مشتق من أله إلهة أي : عبد عبادة، وقال: ((فيكون معناه أنه المستحق للعبادة، إليه توجه كل المعبودات، وأنه المعبود فلا يعبد غيره))[٥].

فتبين من ذلك كله معنى لا إله إلا الله عنده، فإن الإله الذي اختار أن معناه المعبود مشتق من أله إلهة[٦] .

وقال قوام السنة الأصبهاني[٧] : ((وقول القائل : لا إله إلا الله، معناه لا معبود غير الله))[٨] .

---

(١) سورة الأعراف (٥٩) .

(٢) تفسير السمعاني (٣/ ٤٧١) ، وانظر (٥/ ١١٩) .

(٣) سورة البقرة (٢١) .

(٤) المصدر السابق (١/ ٥٦) .

(٥) المصدر السابق (١/ ٣٣) .

(٦) انظر جهود علماء الشافعية في تقرير توحيد العبادة (٦٩) .

(٧) هو : أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الاصبهاني الملقب بقوام السنة (٤٥٧-٥٣٥) الإمام الحافظ من أئمة السنة الكبار وصاحب التصانيف منها : الحجة في بيان المحجة والترغيب والترهيب ودلائل النبوة والمعتمد في التفسير .

(٨) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٦) .

وقال الإمام البغوي : وقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١] ((أي : هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره))[٢] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾[٣] ((أي : هل معه معبود سواه أعانه على صنعه ؟ بل ليس معه إله))[٤] .

وقال القرطبي في تفسيره : ((لا إله إلا الله معناه : لا معبود إلا الله))[٥] .

وقال شيخ الإسلام : ((وأفضل الكلام : لا إله إلا الله ، والإله هو الذي يستحق أن تألهه القلوب بالحب والتعظيم ، والإجلال والإكرام ، والخوف والرجاء فهو بمعنى المألوه وهو المعبود الذي يستحق أن يكون كذلك))[٦] .

وقال في شرح حديث ذي النون : ((وقوله : ﴿ لا إله إلا أنت ﴾ فيه إثبات انفراده بالإلهية ، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد، فإن الإله هو المألوه . والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع ؛ والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل))[٧] .

---

(١) سورة النمل (٢٦) .

(٢) معالم التنزيل (٣/ ٣٩٦) .

(٣) سورة النمل (٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣) .

(٤) المصدر السابق (٣/ ٤١٠) .

(٥) (١/ ١٧٥) تفسير القرطبي .

(٦) در التعارض (٩/ ٣٧٧) .

(٧) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٩) وانظر (١٠/ ٢٦٠-٢٦١) .

وقال أيضاً : ((فإن الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، ولهذا كانت العبادة متعلقة باسمه الله))[١] .

وقال ابن القيم : ((الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً[٢])) .

وقال ابن رجب الحنبلي : ((وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله أن لا يأله قلبه غير الله حباً ورجاء وخوفاً وطمعاً وتوكلاً واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً.

فقول العبد : لا إله إلا الله ؛ يقتضي أن لا إله له غير الله .

والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه وسؤالاً منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله : لا إله إلا الله ، ونقصاً في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك))[٣] .

وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٤] حكاية عن موسى :

((يقول لهم موسى -عليه السلام- : ليس هذا إلهكم ، إنما إلهكم الله؛ الذي لا إله إلا هو؛ أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له))[١] .

---

(١) المصدر السابق (١٠/ ٢٨٤) ، وانظر التدمرية (١٨٦) وكلمات هذا الإمام كثيرة جداً انظر مثلاً اقتضاء الصراط المستقيم (٤٥١-٤٥٦) ، ط الحميدية، الفتاوى الكبرى (٥/ ٢٥٠-٢٥١) ، (٥/ ٢٤٨) ، الصارم المسلول القديمة (٥١٩) ، والمجموع (٢/ ٢٥٦) .

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٦٠) .

(٣) تحقيق كلمة الإخلاص (١٥-١٦) .

(٤) سورة طه (٩٨) .

وقال عند تفسيره لمقولة المشركين : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا ﴾[٢] أي: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو ؟

أنكر المشركون ذلك قبحهم الله، وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان ، وأشربته قلوبهم ، فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم، وإفراد الإله بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾[٣] وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين : أمشوا ، أي استمروا على دينكم ، واصبروا على آلهتكم ، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد))[٤] .

وقال عند كلامه في بيان سيد الحنفاء للتوحيد : ((تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم للأوثان فقال : ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾[٥] أي : هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله))[٦] .

ويتضح من كل ما تقدم من كلام هذا الإمام أن معنى كلمة التوحيد هو لا معبود مستحق للعبادة سوى الله، وأن كل ما عبد من دونه فهو باطل[٧] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٤) .

(٢) سورة ص (٥) .

(٣) سورة ص (٥-٦) .

(٤) المصدر السابق (٤/ ٣١١) .

(٥) سورة الزخرف (٢٦-٢٨) .

(٦) المصدر السابق (٤/ ١٢٦) .

(٧) انظر جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة (٧٤-٧٥) .

وقال البقاعي[1] : ((لا إله إلا الله أي انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم))[2] .

وقال الشوكاني : ((ولفظ إله إنما هو لبيان استحقاق الله للألوهية التي هي حقيقة العبودية))[3] .

فلا إله إلا الله معناها لا مستحق للعبودية غير الله .

وقال محمد بن عبد الوهاب : ((فاعلم أن الإله هو المعبود . هذا هو تفسير هذه اللفظة **بإجماع أهل العلم** ، فمن عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً من دون الله ، وجميع ذلك باطل إلا إله واحد ، وهو الله وحده تبارك وتعالى علواً كبيراً))[4] .

وقال محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي[5] : ومعنى الإيمان [بمعنى يعني في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

---

(١) هو : إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي (٨٠٩-٨٨٥هـ) عالم مفسر صاحب التصانيف من كتبه نظم الدرر في تناسب الآي والسور وتفسير آية الكرسي .
انظر البدر الطالع (١/ ١٩) ومعجم المؤلفين (١/ ٧١) .

(٢) نقله عنه عبد الرحمن آل الشيخ في فتح المجيد (١/ ١٢٦) ط. آل فريان .

(٣) فتح القدير (٤/ ٥٦٧) .

(٤) مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ١٦) ، وفتاوى الأئمة النجدية (١/ ١٠٢) .

(٥) هو محمد بن سلطان بن محمد أدرون المعصومي الخجندي (١٢٩٧-١٣٧٩هـ) الإمام العلامة الحنفي له عدة مؤلفات منها مفتاح الجنة وأصل الشرع المتين وأجوبة المسائل الثمان وغيرها .
انظر ترجمته مقدمة محقق كتابه أجوبة المسائل الثمان .

وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[1]] أن يعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة لله وحده، وتنفيها عن كل معبود سواه)) .

((وقد ثبت ثبوتاً بيناً أن لا إله إلا الله : -

مفتاح دار السلام ؛ ولكن بشرط كونها خالصة مخلصة : فلابد أولاً من الكفر بالطاغوت والتبرؤ من كل الآلهة الآفاقية والأنفسية ؛ ثم إثبات الواحد الأحد المعبود حقاً ؛ وأهم ما نفته هذه الكلمة ؛ استحقاق العبادة لغير الله نفياً كلياً ؛ ولأجل هذا أرسلت الرسل وجردت السيوف)) .

((واعلم أن مدلول لا إله إلا الله : التزام بعبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بما يعبد من دون الله ؛ وهذا أصل دين الإسلام وقاعدته ؛ ولهذا كانت هذه الكلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، والفارق بين المؤمنين والكافرين من الأنام))[2] .

وقال الشنقيطي : ((ولا إله إلا الله؛ معناها خلع جميع المعبودات غير الله جل وعلا في جميع أنواع العبادات، وإفراده جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية))[3] .

ولعل هذا الذي نقلناه عن هؤلاء الأعلام من أئمة الهدى من غير حصر مع ما سبق من دلالة القرآن الكريم، وما أثر عن خير الأنام، وصحابته الكرام، مع معنى كلمة الإله في لغة العرب، يتبين لنا من هذا كله أن معنى كلمة التوحيد

---

(١) سورة النحل (٣٦) .

(٢) مفتاح الجنة (٤٣-٨٣) مختصراً عن كتاب جهود علماء الحنفية (١/١٥٦-١٥٩) .

(٣) أضواء البيان (٢/ ٧) .

هو أن المستحق للعبادة وحده دون شريك هو الله تعالى ، وأن كل ما عبد من دونه فهو الباطل .

فمن حقق هذا المعنى فقد حقق التوحيد الذي بعث الله به المرسلين .



أركان كلمة التوحيد :

تضمنت كلمة التوحيد لا إله إلا الله ركنين :

الأول : النفي :

وهو نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى من جميع المخلوقات كائناً ما كان .

الثاني : الإثبات :

وهو إثبات الإلهية لله وحده دون سواه ، فهو الإله الحق وما سواه من الآلهة باطل . ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[١] .

ولا يتم إيمان عبد إلا بتحقيق هذين الركنين الذي هو حقيقة العروة الوثقى ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[٢] .

ومن هنا فسنتولى هذين الركنين بشيء من التفضيل تتضح من خلاله معالم هذه الكلمة :

*** أولاً : الركن الأول : النفي :**

---

(١) سورة الحج (٦٢) .

(٢) سورة البقرة (٢٥٦) .

والمقصود به : خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت : وذلك بالكفر بعبادتها ونبذ ذلك بالعداوة والبغضاء، وهي التي عبر الله عنها في كثير من كتابه بالطاغوت (١).

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾(٢) .

فلا يتم التمسك بالعروة الوثقى لا إله إلا الله إلا بتحقيق الركنين :

- الكفر بالطاغوت - الإيمان بالله .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(٣) .

فحقيقة دعوة الرسل عبادة الله والكفر بالطاغوت وهي فحوى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾(٥) .

---

(١) الكفر بالمعبودات من دون الله قد يكون لذات المعبودات كالأصنام وقد يكون كفر عبادتها لا ذاتها كالأنبياء و الصالحين الذين عبدوا من دون الله .

(٢) سورة البقرة (٢٥٦) .

(٣) سورة النحل (٣٦) .

(٤) سورة الأنبياء (٢٥) .

(٥) سورة الزمر (١٧) .

فجعل البشرى بالجنة لعباده الذين أنابوا إليه واجتنبوا الطاغوت. ومن خلال هذه الآيات يتبين أن الكفر بالطاغوت ركن لا يتم إيمان العبد بدونه وهو مقتضى كلمة الشهادة لا إله إلا الله . يتجلى ذلك أكثر عندما نتأمل قول إبراهيم لأبيه وقومه : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١] فمعنى لا إله إلا الله البراءة من كل معبود سوى الله تعالى[٢] .

وعندما نتأمل أيضاً قوله ﷺ : ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله))[٣] .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب معلقاً على هذا الحديث : ((وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل ولا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه . فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع))[٤] .

ومن هنا يعلم أن الكفر بما يعبد من دون الله أو بالطاغوت ركن كلمة التوحيد وأساسه .

---

(١) سورة الزخرف (٢٦-٢٨) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٢٥/ ٦٢-٦٤) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله رقم (٣٧) .

(٤) فتح المجيد (١/ ٢٢١) .

وحقيقة الكفر بالطاغوت أو بما يعبد من دون الله يقتضي البراءة والبغض والكراهة بالقلب واللسان والجوارح وإعلان المعاداة لها بغضاً ومعاداةً لازمين له لا ينفكان عنه مادامت روحه بين جنبيه مع بغض أهلها والداعين إليها قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ((وأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن نعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم))[١] .

كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ومن معه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[٢] .

يقول ابن جرير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية : ((يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة : كفرنا بكم ؛ أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله، وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقاً ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً على كفركم بالله ، وعبادتكم ما سواه ، ولا صلح بيننا ولا هوادة حتى تؤمنوا بالله وحده . يقول : حتى تصدقوا بالله وحده فتوحدوه وتفردوه بالعادة))[٣] .

وقال تعالى أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤] .

---

(١) مجموعة مؤلفاته (١/ ٣٧٦) قسم العقيدة .

(٢) سورة الممتحنة (٤) .

(٣) تفسير ابن جرير (٢٨/ ٦٢) .

(٤) سورة الشعراء (٧٥-٧٧) .

وقوله : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾[1] .

وقال عن نوح عليه السلام وإعلانه براءته من شرك قومه : ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[2] .

وعلى شاكلتها تبرؤ هود عليه السلام من شرك قومه حيث قال لقومه : ﴿ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى أمراً نبيه ﷺ : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[4] .

* **ثانياً : الركن الثاني من أركان كلمة التوحيد : ركن الإثبات :** وهو إثبات التوحيد لله عز وجل .

قد اشتملت كلمة التوحيد على أنواع التوحيد الثلاثة لأن معنى توحيد الله الذي تضمنته هذه الكلمة ؛ انفراده الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الصفات والأفعال ، وكذلك ما يختص به من الحقوق والأعمال من العباد .

---

(١) سورة مريم (٤٨-٤٩) .

(٢) سورة هود (٣٥) .

(٣) سورة هود (٥٤) .

(٤) سورة يونس (٤١) .

فهو شامل لانفراد الله تعالى بالأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا يماثله فيها مخلوق أبداً ، وبأفعاله المتعدية كالخلق والرزق والتدبير ، وباستحقاقه للعبادة وحده دون ما سواه .

وهذه المعاني إذا نظرنا إليها من جهة العبد نجد أنها تنقسم إلى قسمين :

- قسم علمي وهو ما يعبر عنه أهل العلم بتوحيد المعرفة والإثبات أو بالتوحيد العلمي أو توحيد العلم والاعتقاد أو التوحيد القولي أو التوحيد الخبري ويدخل في هذا توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية .

- قسم عملي وهو ما يعبر عنه بالتوحيد العملي، أو توحيد القصد والطلب، أو التوحيد في العمل، أو التوحيد الفعلي، أو التوحيد الإرادي الطلبي، أو توحيد الجوارح وعمل القلب إلى غير ذلك .

ويدخل في هذا توحيد الألوهية .

وأما إذا نظرنا إليه من جهة ما يتعلق بالله جل وعلا فإنه يقسَّم إلى ثلاثة أقسام:

- ربوبية الله .
- وألوهيته .
- وأسمائه وصفاته .

وهو المشهور عند أهل العلم بأنواع التوحيد الثلاثة .

وكلا التقسيمين صحيح لا خلاف بينهما، فالربوبية والأسماء والصفات يدخل في المعرفة والإثبات . والألوهية يدخل في القصد والطلب .

ومن هنا فقد اشتملت كلمة التوحيد على أنواع التوحيد الثلاثة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وكلمة الشهادة التي دعا إليها الرسول – لا إله إلا الله – تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة ؛ فقد دلت على توحيد العبادة ؛ لأن معناها لا معبود بحق إلا الله، ففيها إثبات العبادة لله ونفيها عما سواه .

ودلت على توحيد الربوبية ؛ لأن العاجز لا يكون إلهاً فإن المعبود لابد وأن يكون خالقاً مدبراً .

ودلت على توحيد الأسماء والصفات ؛ لأن فاقد الأسماء الحسنى وصفات الكمال غير كامل، ولا يصلح من هذا حاله أن يكون إلهاً خالقاً))أ.هـ.

وقال أيضاً : ((وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات وهي الأصول الثلاثة:

- توحيد الربوبية .
- وتوحيد الألوهية .
- وتوحيد الأسماء والصفات .

وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل، وما أنزل إليهم. وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر))[١] .

وقال الشنقيطي – رحمه الله – : ((وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيده في ربوبيته :

وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٢] الآية وقال : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[٣]

---

(١) نقلهما عنه البدر في كتابه القول السديد (٢٩) ولم يشر إلى موطنهما ، وقد اجتهدت في البحث عنهما فيما بين يدي من كتب ابن تيمية فلم أجدهما .

(٢) سورة الزخرف (٨٧) .

(٣) سورة يونس (٣١) .

وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(١)] تجاهل من عارف أنه عبد مربوب ، بدليل قوله تعالى : ﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾[(٢)] الآية ، وقوله : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[(٣)] .

وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[(٤)] والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً .

الثاني : توحيده جل وعلا في عبادته ، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى لا إله إلا الله، وهي متركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها : خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت .

ومعنى الإثبات منها : إفراد الله جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص ، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام . وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد ، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[(٥)] .

---

(١) سورة الشعراء (٢٣) .

(٢) سورة الإسراء (١٠٢) .

(٣) سورة النمل (١٤) .

(٤) سورة يوسف (١٠٦) .

(٥) سورة ص (٥) .

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾(1) وقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾(2) وقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(3) وقوله : ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(4) وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(5) .

فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول : إنما أوحي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد . لشمول كلمة ((لا إله إلا الله)) لجميع ما جاء في الكتب . لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده . فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة .

النوع الثالث : توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته .

وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين :

---

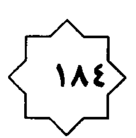
(1) سورة محمد (19) .

(2) سورة النحل (36) .

(3) سورة الأنبياء (25) .

(4) سورة الزخرف (45) .

(5) سورة الأنبياء (108) .



الأول : تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾[1] .

والثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله . كما قال بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2] مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف . قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[3]))[4] أ.هـ.

وليس هذا التقسيم الذي ذكره هذان الإمامان بدعاً من القول أحدثه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن جاء بعده كما قاله بعض المتأخرين، بل إن هذا التقسيم واضح ومفهوم عند الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية – قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5] أي : لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم ولا يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لاشك فيه[6] .

---

(١) سورة الشورى (١١) .

(٢) سورة الشورى (١١) .

(٣) سورة طه (١١٠) .

(٤) أضواء البيان (٢/ ٢١٨-٢١٩)وانظر ذم التأويل لابن قدامة (٤١)التوحيد لابن خزيمة ت الهراس (١١) التدمرية(٦) .

(٥) سورة البقرة (٢٢) .

(٦) تفسير ابن جرير (١/ ١٦٤) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[١] .

ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض ؟ ليقولن الله وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأنداد دونه .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٢] إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره .

وقال قتادة عند هذه الآية : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣] أي : تعلمون أن الله خلقكم وخلق السماوات والأرض ثم تجعلون له أنداداً[٤]؟

وقال في قوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٥] في إيمانهم هذا . إنك لست تلقى أحداً منهم إلا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته .

وقال عكرمة عند الآية السابقة تسألهم من خلقهم ؟ ومن خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله . فذلك إيمانهم بالله وهم يعبدون غيره .

وقال ابن أبي زيد : ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه وأن الله خالقه ورازقه وهو يشرك به .

---

(١) سورة الزخرف (٨٧) .

(٢) سورة يوسف (١٠٦) .

(٣) سورة البقرة (٢٢) .

(٤) تفسير ابن جرير (١/ ١٦٤) .

(٥) سورة يوسف (١٠٦) .

فقوله وهو يعرف أن الله ربه وخالقه ورازقه هذا هو توحيد الربوبية وقوله وهو يشرك به أي في عبادته وألوهيته .

ونصوص هؤلاء الأئمة من تأمل فيها أدنى تأمل وجد أنهم يفرقون بين التوحيدين؛ توحيد الربوبية المتضمن لتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية.

وأما تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

- توحيد الألوهية .
- توحيد الربوبية .
- توحيد الأسماء والصفات .

فهو كذلك قد تطرق إليه ثلة من أئمة السلف – رحمهم الله تعالى – فهذا الإمام ابن بطة العكبري[١] يقول في إبانته الكبرى :

((وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها : أن يعتقد العبد ربانيته. ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً .

والثاني : أن يعتقد وحدانيته. ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذي أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره .

والثالث : أن يعتقده موصوفاً بالصفات، التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها؛ من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه .

---

(١) هو : عبيد الله بن محمد بن حمدان الحنبلي البكري أبو عبدالله (٣٠٤-٣٨٧هـ) من كبار علماء أهل السنة من كتبه الإبانة الكبرى والصغرى .
انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩) .

إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقرُّبِهِ ، ويوحده بالقول المطلق، قد يلحد في صفاته، فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده .

ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها))[1] .أ.هـ.

وهذا منه تصريح صريح لتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام .

وقال الإمام أبو جعفر[2] الطحاوي في مقدمة متنه في عقيدته المشهورة باسمه:((نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله .

إن الله واحد لا شريك له .

- ولا شيء مثله .
- ولا شيء يعجزه .
- ولا إله غيره))[3] .

فقوله لا شيء مثله متعلق بذاته وهو توحيد الأسماء والصفات .

وقوله ولا شيء يعجزه متعلق بربوبيته وكمال قدرته .

وقوله ولا إله غيره متعلق بتوحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة .

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي[1] : مقسماً للتوحيد على نحو من سبقه :

---

(١) تحقيق الوابل (٢/ ١٧٢-١٧٣) نقلاً عن القول السديد للبدر .

(٢) هو : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحنفي (٢٣٩-٣٢١) محدث الديار المصرية إمام مشهور من كتبه معاني الآثار والعقيدة الطحاوية واختلاف العلماء .

انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩) .

(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق ابن باز (٢-٥) .

((وأشهد له بالربوبية، والوحدانية، وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الأوفى))[٢] .أ.هـ.

فهذه بعض من أقوال أهل العلم في تقسيم التوحيد، تدل دلالة ظاهرة على ما ذكرنا، ولم نرد استقصاء جميع أقوالهم في هذا؛ إذ قد أشار إليه مع من سبق من الأئمة ابن منده[٣] وابن جرير الطبري وأبو حنيفة وصاحبه أبو يوسف[٤] وابن أبي زيد القيرواني[٥] في آخرين[٦] .

الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية :

....

(١) هو : محمد بن الوليد بن خلف الفهري الأندلسي الطرطوشي (٤٥١-٥٢١هـ) الإمام العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية وأحد أئمة السلف من كتبه سراج الملوك والرد على أهل البدع . انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٠) .

(٢) من مقدمة كتاب سراج الملوك (١/ ٧) ، من كتاب البدر القول السديد (٤٥) .

(٣) هو : محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني (٣١٠-٣٩٥) أبو عبد الله من علماء الإسلام وأئمة أهل السنة من كتبه التوحيد والإيمان. انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨).

(٤) هو : أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي توفى عام (١٨٢هـ) القاضي الإمام المجتهد القدوة صاحب أبي حنيفة .
انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥) .

(٥) هو : أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي (٣٨٦هـ) عالم المغرب ويقال له مالك الصغير وكان أحد من برز في العلم والعمل من كتبه النوادر والرسالة ومختصر المدونة .
انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠) .

(٦) انظر في أقوالهم : التوحيد لابن منده (٣/ ٣٠٤-٣٠٦) ، وتفسير ابن جرير (١-١٩٦-٢٠٠، ٧/ ٣١٢-٣١٥) ، بل مجمل تفسيره ، والحجة في بيان المحجة (١/ ١١١-١١٣) ، ومقدمة ابن أبي زيد القيرواني (٥٦-٥٩) ، والتوحيد من صحيح البخاري وانظر القول السديد للبدر (١٦-٥٦) ، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (١١١-١١٦) ، والشرك في القديم والحديث (١/ ٨١-٩٧) .

اهتم أهل السنة والجماعة في توضيح الفرق بين هذين التوحيدين وذلك لما التبس على أئمة البدع الفرق بين التوحيدين مما تسبب في طروء الشرك في الأمة كما سبق من كلام شيخ الإسلام و المعلمي، وقد ذكروا رحمهم الله فروقاً عدة من أهمها ما يلي :

* - فرق في الاشتقاق اللغوي :

فالربوبية مشتقة من اسم الرب والإلوهية مشتقة من لفظ الإله .

* - فرق في التعريف :

فتوحيد الربوبية إفراد الله بأفعاله من خلق ورزق وتدبير ونحو ذلك .

وتوحيد الألوهية إفراد الله بأفعال عباده من صلاة وصيام وصدقة ونحوها.

* - فرق في الكفاية :

فتوحيد الربوبية لا يكفي وحده في دخول الإسلام .

وأما توحيد الألوهية فيكفي وحده، لأن من أتى بتوحيد الألوهية فقد أتى بتوحيد الربوبية ضمناً، لذلك من قال لا إله إلا الله فقد أتى بجميع أنواع التوحيد.

* - فرق في الإقرار :

فتوحيد الربوبية قد أقر بأصله المشركون .

وأما توحيد الألوهية فقد رفضه المشركون، ولم يؤمنوا به، فعبدوا آلهة أخرى، وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب .

* - فرق في اللزوم و التضمن :

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فمن أتى بتوحيد الربوبية لزمه أن يأتي بتوحيد الألوهية(١) .

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية، وذلك أن من توحيد الألوهية الإيمان بما اتصف الله به من صفات الكمال والأفعال. ودلالة التضمن هو دلالة الشيء على جزء معناه أو مسماه(٢) .

* - أن توحيد الألوهية مما جرى فيه الخلاف بين الرسل وأممهم الكافرة، وأما توحيد الربوبية فهو مما أقر به المشركون جملة(٣) .

هذه أهم ما جاء من فروق بين توحيدي الربوبية والإلوهية وقد ذكر أهل العلم فروقاً أخرى غير ما ذكرنا(٤) .

العلاقة بين توحيد الربوبية والإلوهية :

قال ابن القيم : ((الإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأله ، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به ، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الألوهية)) (٥) .

ويقول الشنقيطي : ((ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته ، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير ، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٤) .

(٢) منهاج السنة (٢/ ٦٨) .

(٣) درء التعارض (٩/ ٣٤٥) .

(٤) انظر منهج ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (٢/ ٥٣٦-٥٣٩) ، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (١٠٨-١١١) ، والمفيد في أمهات التوحيد (٦٢-٦٣) ، وحقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والإلوهية (١١٠-١١٥) .

(٥) إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٥) ، وانظر الشرك في القديم والحديث (١/ ٩٩) .

أنه هو المستحق لأن يعبد وحده ، ووبخهم منكراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده، لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده))[١] .

ومن هنا فالعلاقة بين توحيد الألوهية والربوبية علاقة تلازم وتضمن وشمول ، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية وشامل له[٢] .

* * *

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٢١٩) .

(٢) انظر الشرك في القديم والحديث (١/ ٩٧-٩٨) ، والمفيد في مهمات التوحيد(٦١-٦٢) .

الفصل الثالث :

التوحيد عند المخالفين لمذهب السلف

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم التوحيد عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام .

المبحث الثاني : مفهوم التوحيد عند المعتزلة .

المبحث الثالث : مفهوم التوحيد عند الأشاعرة .

المبحث الرابع : مفهوم التوحيد عند الصوفية .

تمهيد

إن المعلوم من الدين بالضرورة أن النبي ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، ونصح لأمته غاية النصح، وتركهم على مثل البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك؛ بل ترك ﷺ شيئين في أمته لن تضل الأمة ما تمسكت بهما: كتاب الله وسنته ﷺ.

وقد نشأ الضلال والتنكب عن الصراط السوي لما اتُخِذَ مصدر غير هذين المصدرين، فافترقت الأمة، ودب فيها الوهن، ورماها الأعداء من كل جانب، وإلى الله المشتكى وعليه التكلان.

ولما كانت معرفة الحق في أبهى صوره وأجمل حلله متوقفة على معرفة بطلان الباطل على مقتضى قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية))[١].

وعلى مقتضى قول حذيفة: ((وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركني))[٢] دفعني ذلك إلى بيان مذهب القوم وتناقضه.

ومما يزيد الأمر أهمية أن من منهج المبتدعة المخالفين للرسل إحداث أسماء شرعية يقصدون بها خلاف المعنى الشرعي لها كي يلتبس الحق بالباطل.

كما قال الإمام أحمد -في مقدمة كتابه الرد على الزنادقة والجهمية - في وصف أهل العلم من أهل السنة: ((ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب.

---

(١) الداء والدواء (٣٢٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦٠٦).

يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين))[1].

وقد ترتب على هذا الكلام الملبس الذي اصطلح عليه المبتدعة من المفاسد العظيمة التي لحقت بالأمة ما الله به عليم، حتى أصبح الشرك قربة يتقرب بها إلى الله، وصار التوحيد الذي جاءت به الرسل هو الشرك والضلال .

فلزم لذلك وغيره بيان مفهوم المبتدعة للتوحيد، ومدى تناقضه ومخالفته لما جاءت به الرسل أجمع حتى يظهر الحق الأبلج لأهله ولتستبين سبيل المجرمين.

---

(١) (٨٥) وانظر درء التعارض (١/ ٨) .

المبحث الأول :

مفهوم التوحيد عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام

المبحث الأول : التوحيد عند المتفلسفة المنتسبين للإسلام :

وهم الذين راموا الجمع بين عقائد المسلمين ومذهب فلاسفة اليونان، فأخذوا يتلاعبون بالنصوص الشرعية، وعبثوا في تأويلها بما يوافق فلسفتهم العفنة، فضلوا ضلالاً مبيناً بل جاؤوا بما هو مصادم لدين الرسل أجمع .

ولقد انبرى علماء الأمة لكشف زيغهم وإظهار عوارهم وتهافت ترهاتهم بما يكفي ويشفى .

وليس دينهم في دين الإسلام من شيء لكن لما انتسبوا للإسلام وتستروا به وتبنت جملة من الفرق أفكارهم، وبعضاً من مبادئهم، وعدت مقلاتهم من الفرق المنتسبة للإسلام أقتضى الحال وحدى إلى رسم مقالاتهم، وبيان موقفهم من التوحيد الذي جاءت به الرسل وقررته شريعتهم .

ومن هنا – حتى يتضح مذهبهم في التوحيد – سيكون هذا المبحث مبنياً على ثلاثة مطالب :

الأول : حقيقة الإلهية عند المتفلسفة .

الثاني : مذهبهم في توحيد الربوبية .

الثالث : مذهبهم في توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الأول : حقيقة الإلهية عندهم :

إن المتأمل لكتب أرباب القوم ومن نقل عنهم أو نقدهم يجد أن مقالاتهم ليس فيها دعوة إلى عبادة الله ومحبته وطاعته بل غايتهم أنهم يقولون : الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة والإمكان(١) .

يقول أبو البركات بن ملكا(٢) : ((يظهر من المتداول في كلام القدماء أن المراد بلفظ إله هي بمعنى إضافي بالقياس إلى من هو إله له ، وهو الذي يقتديه نفس الشيء الذي هو له إله في فعلها ، وتحرك الجسد الذي هي فيه على شاكلة إرادته بحسب مشيئته وتحركه، فكان المتعلم يسمى معلمه الذي يقتدي به إلهاً ورباً.

ويظهر منه أيضاً أن الإله هو الفاعل الذي لا يُرى وله على البشر سلطان وقدرة وليس لهم عليه)) .

وقال أيضاً : ((فالنفوس على مذاهبهم فعالة لا تُرى ولها سلطان على البشر لكن لهم عليها أيضاً سلطان ، فإن النفوس البشرية يؤذي بعضها بعضاً، ويتسلط بعضها على بعض، وكانوا يشيرون بذلك إلى الملائكة الروحانية، فعلم

---

(١) الصفدية (٢/ ٣٣٢) وما بعدها ، ومنهاج السنة (٣/ ٢٨٥) الرد على أبي الحسن الشاذلي(٤٧) ، وانظر مجموع الفتاوى (٦/ ٦) .

(٢) هو : أبو البركات هبة الله بن على بن ملكا البلدي فيلسوف طبيب من سكان بغداد كان يهودياً فأسلم في آخر عمره توفى بهمذان (٥٦٠هـ) من كتبه المعتبر والعقل وماهيته قال فيه شيخ الإسلام إنه من أقرب الفلاسفة إلى الحق وأبعدهم عن التعصب.
الأعلام (٨/ ٧٤) ، كشف الظنون (٦/ ٥٠٥) ، منهاج السنة (١/ ٣٤٨، ٣٥٤) .

الإلهيات هو : الذي تعرف فيه صفات الإله مطلقاً، ثم صفات إله الآلهة ورب الأرباب))[(١)] . أ.هـ.

فالإلهية عند القوم أمر مشترك بين الله وبين ملائكته وبين المعلمين ومن نقتدي به، لكن إلهية الله أفضل وأكمل، كما أن الوجود مشترك بين الموجودات لكن الوجود الواجب أكمل .

قال شيخ الإسلام في رده لهذا القول : ((وهذا الشرك شر من شرك مشركي العرب، فإن أولئك وإن أشركوا بالوسائط وقالوا : هم شفعاؤنا عند الله، وقالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى – فلم يكن التأله عندهم بمعنى التشبه والاقتداء بل بمعنى العبادة والذل والمحبة .

وهؤلاء – مع عظيم شركهم بالله بمخلوقاته – جعلوا التأله لنا هو التشبه بالإله ، لا أنه يحب ويعبد ويدعى ويسأل، ولهذا لم تكن الآلهة مختصة بالله عندهم؛ لأن التشبه مبناه على أن الأدنى يتشبه بالذي فوقه ، والذي فوقه يتشبه بمن فوقه حتى ينتهي إلى الغاية، ولهذا سموا الله إله الآلهة ...

ثم لما كان مقصود القوم التشبه به ، فهم في الحقيقة لا يعبدونه ولا يستعينونه . فهم خارجون عن دين المرسلين القائلين إياك نعبد وإياك نستعين .

فإن التشبه بغيره مقصوده أن يكون مثله بحسب قدرته. فلو قدر أن يكون مثله من كل وجه لفعل ذلك لكن يفعل ما يقدر عليه ، وليس مراده محبة نفس ذلك المتشبه به، ولا الذل له، بل مماثلته كما يقوم التلميذ مقام الأستاذ والابن مقام أبيه .

---

(١) نقله عنه شيخ الإسلام في الصفدية (٢/ ٣٣٢) .

وهذا لا يستلزم حب المتشبه ولا بغضه ، بل كثيراً ما يكون مع البغض والحسد والمنافسة ، كما قد يكون مع عدم ذلك . والغالب أنه مع وجود الاثنين لابد من المنافسة والمنادة، وهذا هو الند .

والكمال عند القوم أن يجعل أحدهم نفسه لله نداً .

وهذا شرك صريح في الإلهية التي هي مختصة بالله))[١] .

بل الأدهى من ذلك ما ذكره ابن سينا[٢] وأتباعه من الفلاسفة حيث :

((يجعلون الشفاعة مبنية على ما يعتقدونه من أن الرب لا يفعل بمشيئته وقدرته، وليس عالماً بالجزئيات، ولا يقدر أن يغير العالم، بل العالم فيض فاض عنه بغير مشيئته وقدرته وعلمه .

فيقولون : إذا توجه المستشفع إلى من يعظمه من الجواهر العالية كالعقول والنفوس والكواكب والشمس والقمر، أو إلى النفوس المفارقة؛ مثل بعض الصالحين؛ فإنه يتصل بذلك المعظم المستشفع به .

فإذا فاض ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على هذا المستشفع من جهة شفيعه .

ويمثلونه بالشمس إذا طلعت على مرآة ...

---

(١) الصفدية (٢/ ٣٣٥-٣٣٧) مختصراً .

(٢) هو : أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا الفيلسوف المشهور (٣٧٥) كان أهل بيته ينتمون إلى فرقة الإسماعيلية الباطنية . يعد مذهب ابن سينا الفلسفي الأوسع نتاجاً إذا ما قورن بنتاج من عداه من الفلاسفة المتسبين إلى الإسلام. وقد خلط ابن سيناء في مذهبه بين فلسفة أرسطو وأفلاطون وإن كان سائد مذهبه هو الفلسفة المشائية الأرسطية . من كتبه النجاة والشفاء والإشارات والتنبيهات والقانون في الطب مات (٤٢٨) .

انظر الأعلام (٢/ ٢٤١) ، الصفدية (١/ ٢-٣) ، الرد على المنطقيين (١٤٣) .

فهذا الداعي المستشفع إذا توجه إلى شفيعه أشرق عليه من جهته مقصود الشفاعة . وذلك الشفيع يشرق عليه من جهة الحق .

ولهذا يرى هؤلاء دعاء الموتى عند القبور وغير القبور، ويتوجهون إليهم، ويستعينون بهم، ويقولون : إن أرواحنا إذا توجهت إلى روح المقبور في القبور اتصلت به ففاضت عليها المقاصد من جهته .

وكثير منهم ومن غيرهم من الجهال يرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين من أهل البيت وغيرهم أفضل من الصلوات الخمس والدعاء في المساجد، وأفضل من حج البيت العتيق .

ومعلوم أن كفر هؤلاء بما يقولونه في الشفعاء أعظم من كفر مشركي العرب بما قالوه فيهم؛ لأن كلا الطائفتين عبدوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وقالوا : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . لكن العرب أقروا بأن الله عالم بهم، قادر عليهم، يخلق بمشيئته وقدرته، وقالوا : إن هؤلاء ينفعوننا بدعائهم لنا .

وأما مشركو الفلاسفة كما ذكره ابن سينا ومن اتبعه فيقولون : إن من يستشفع به لا يدعو الله لنا بشيء ، والله لا يعلم دعاءنا ولا دعاءه، ولا يسمع نداءنا ولا نداءه ، بل لا يعرف بنا، ولا نراه، ولا يعرف به . فإنا نحن من الجزئيات والله لا يعلم الجزئيات عندهم، ولا يقدر على تغيير شيء من العالم، ولا يفعل بمشيئته . لكن قالوا : نحن إذا توجهنا إلى هؤلاء بالدعاء لهم والسؤال منهم بل وبالعبادة لهم فاض علينا ما يفيض منهم، وفاض عليهم ما يفيض من جهة الله))[1] .

ولا يخفى شرك هؤلاء وكفرهم؛ بل إن شركهم وكفرهم أعظم من شرك العرب[2] .

(١) الرد على المنطقيين (١٠٣-١٠٥) وانظر الرد على أبي الحسن الشاذلي (٤٧-٤٨) .

(٢) المصدر السابق (٥٣٤-٥٣٧) .

*** وهنا مسألة ينبغي التنبيه إليها في هذا الجانب :**

وهي أن الفلاسفة يقولون : إن العبادات التي شرعتها الرسل إنما غايتها إصلاح خلق الإنسان، وإقامة عدل الدنيا .

ويزعمون أن الشرائع مقصودها إنما هو هذا الذي ذكر وهو السياسة المدنية والمنزلية والخلقية والاجتماعية .

وأن الرسل لم تبين للناس حقائق الأمور، بل كذبوا لمصلحة الجمهور؛ وإن كانت الرسل يعلمون أن الحق بخلاف قولهم - كما يقوله ابن سيناء وأمثاله.

ومنهم من يقول : إن الرسل لم تعلم الحق كما يعلمه نظار الفلاسفة وأمثالهم وهذا هو قول الفارابي[١] ومبشر بن فاتك[٢] وغيرهما[٣] .

وهؤلاء مشهورون عند الأمة بالإلحاد والزندقة، ولا يخفى كفر من يرى هذا القول[٤] .

---

(١) هو : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان المعروف بالفارابي تركي الأصل ويلقب بالمعلم الثاني ولد (٢٥٩هـ) ، أوسع الفلاسفة المتسبين إلى الإسلام إطلاعاً على كتب اليونان توفى عام (٣٣٩هـ) من كتبه مبادئ أراء أهل المدينة الفاضلة ، وشرح كتاب أرسطوا في العبارة وعيون المسائل .

انظر ترجمته : وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣) ، وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (٣٦٤-٣٦٦) .

(٢) هو : مبشر بن فاتك أبو الوفاء ، المدعو بالأمير . فيلسوف أديب أصله من دمشق توفي عام (٥٠٠هـ) . من كتبه : مختار الحكم ومحاسن الكلم وسيرة المستنصر .

انظر ترجمته : عيون الأنباء (٥٥٠) ، وكشف الظنون (٦/ ٦٦) ، وانظر موقف شيخ الإسلام من أراء الفلاسفة (١٨٤) .

(٣) درء التعارض (١/ ٨-١١) ، وانظر الصفدية (٢/ ٢٣٨-٢٣٩)النبوات(٢/ ٦٤٧) .

(٤) درء التعارض (١/ ١٧) .

المطلب الثاني : مذهبهم في توحيد الربوبية :

قد سبق أن توحيد الربوبية كانت تقربه مشركة العرب في الجملة . وأن هذا التوحيد مكنون في الفطر، ولم تنكره من البشرية إلا شرذمة قليلة كانت تظهر خلاف ما تبطن ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[(١)] ، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(٢)] .

ومع هذا فقد كثر الكلام في تقريره عند الفلاسفة الإسلاميين ومن تأثر بهم من أرباب الكلام ورواده حتى ظنوه هو الغاية من التوحيد ، فأتعبوا أنفسهم في تقريره، وضيعوا أوقاتهم في إبراز أدلته المتكلفة التي لم تزدهم إلا حيرة وشكاً[(٣)] .

وغاية هذا التوحيد عندهم إثبات وجود واجب الوجود ، وأن أخص خصائص الألوهية هو وجوب الوجود بالذات ، ولهذا يهتمون بإثبات أن لا واجب وجود إلا الله .

وواجب الوجود عندهم لابد أن يكون واحداً بسيطاً، لا تكثّر فيه لا ذهناً ولا خارجاً .

ولهذا نفوا جميع الصفات الوجودية، ولم يثبتوا إلا سلوباً وإضافات – كما سيأتي – بل إن كلامهم في هذا الباب ينتهي - كما قال ابن تيمية - إلى إثبات وجود مطلق لا تعين فيه .

---

(١) سورة النمل (١٤) .

(٢) سورة إبراهيم (١٠) .

(٣) انظر منهاج السنة (٣/ ٢٨٨) .

ومعلوم أن الوجود المطلق لا وجود له في الأعيان بل في الأذهان . ومعنى هذا أن كلامهم يؤول إلى نفي وجود الواجب وجعله أمراً تقديراً صرفاً[١] .

وعمدتهم في إثبات وحدة واجب الوجود حجتان :

أحدهما : أنه لو كان هناك واجبان لاشتركا في وجوب الوجود الذي هو تمام الماهية . وامتاز كل منهما عن الآخر بما يخصه تحقيقاً لمعنى الأثنينية .

ومعلوم أن ما به الاشتراك غير ما به الامتياز ؛ فيكون واجب الوجود مركباً .

والمركب مفتقر إلى أجزائه التي هي غيره، والمفتقر إلى الغير ممكن[٢] .

الثانية : أنهما إذا اتفقا في الوجوب، وامتاز كل منهما عن الآخر بما يخصه، لزم أن يكون المشترك معلولاً للمختص، كما إذا اشترك اثنان في الإنسانية؛ وامتاز كل منهما عن الآخر بشخصه ، فالمشترك معلول للمختص وهذا باطل هنا .

وذلك لأن كلاً من المشترك والمختص : إن كان أحدهما عارضاً للآخر لزم أن يكون الوجوب عارضاً للواجب أو معروضاً له .

وعلى التقديرين فلا يكون الوجوب صفة لازمة للواجب ، وهذا محال؛ لأن الواجب لا يمكن أن يكون غير واجب . وإن كان أحدهما لازماً للآخر لم يجز أن يكون المشترك علة للمختص؛ لأنه حيث وجدت العلة وجد المعلول؛ فيلزم أن يكون ما يختص بهذا في هذا، وما يختص بهذا في هذا . وهذا محال يرفع الاختصاص .

---

(١) انظر دعوة التوحيد (٢١٨) ، وابن تيمية السلفي (٧٩) كلاهما للهراس .

(٢) انظر منهاج السنة (٣/ ٢٩٨) ، وابن تيمية السلفي للهراس (٧٩) .

قال شيخ الإسلام : ((هذا ملخص ما ذكره ابن سينا في إشاراته هو وشارحو الإشارات كالرازي والطوسي[١] وغيرهما .

وهاتان الحجتان ملخص ما ذكره الفارابي والسهر وردي[٢] وغيرهما من الفلاسفة ، وقد ذكرهما بمعناهما أبو حامد الغزالي في : ((تهافت الفلاسفة))[٣].

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله : ((لكن الجواب من وجهين :

أحدهما : المعارضة :

وذلك أن الوجود ينقسم إلى واجب وممكن ، وكل واحد من الوجودين يمتاز عن الآخر بخاصته . فيلزم أن يكون الواجب مركباً مما به الاشتراك ومما به الامتياز .

وأيضاً فيلزم أن يكون الوجود الواجب معلولاً .

---

(١) هو : محمد بن محمد بن الحسن الطوسي نصير الكفر والشرك كما قال شيخ الإسلام وابن القيم كان وزير هولاكو . فيلسوف من ملاحدة الباطنية ساهم مع هولاكو في القضاء على الخلافة العباسية رام أن يجعل إشارات ابن سينا كالقرآن فلم يقدر فقال هو قرآن الخواص، وذلك قران العوام، صنف ودافع عن الشرك والملاحدة . من كتبه شرح إشارات ابن سينا وتجريد العقائد، هلك عام (٦٧٢هـ) .
انظر الأعلام (٧/ ٣) معجم المؤلفين (١١/ ٢٠٧) درء التعارض (٥/ ٦٧) .

(٢) هو : أبو الفتح يحيى بن حبش بن أميرك يلقب بالمقتول تمييزاً له عن غيره ولأنه قتل لانحلاله . فيلسوف اشراقي . عمل العلماء محضراً بكفره فقتل عام (٥٧٨هـ) من كتبه الألواح العمادية والتلويحات وحكمة الإشراق والمبدأ والمعاد .
انظر الأعلام (٨/ ١٤٠) ، وفيات الأعيان (٦/ ٢٦٨) .

(٣) ص (١٥٨-١٦٠) .

والمعارضة أيضاً بالحقيقة فإن الحقيقة تنقسم إلى واجب وممكن ، والواجب يمتاز عن الممكن بما يخصه ، فيلزم أن تكون الحقيقة الواجبة مركبة من المشترك والمختص ، ويلزم أن يكون الحقيقة الواجبة معلولة .

والمعارضة بلفظ الماهية فإنها تنقسم إلى واجب وممكن إلى آخره ....

الثاني : حل الشبهة :

وذلك أن الشيئين الموجودين في الخارج : سواء كانا واجبين أو ممكنين ، وسواء قدر التقسيم في موجودين أو جوهرين أو جسمين أو حيوانين أو إنسانين أو غير ذلك : لم يشرك أحدهما الآخر في الخارج في شيء من خصائصه؛ لا في وجوبه، ولا في وجوده، ولا في ماهيته، ولا غير ذلك، وإنما شابهه في ذلك .

والمطلق الذي اشتركا فيه لا يكون كلياً مشتركاً فيه إلا في الذهن، وهو في الخارج ليس بكلي عام مشترك فيه ، بل إذا قيل : الواجبان إذا اشتركا في الوجوب، فلا بد أن يمتاز كل منهما عن الآخر بما يخصه ، فهو مثل أن يقال : إذا اشتركا في الحقيقة فلابد أن يمتاز كل منهما عن الآخر بما يخصه، فالحقيقة توجد عامة وخاصة، كما أن الوجوب يوجد عاماً وخاصاً. فالعام لا يكون عاماً مشتركاً فيه إلا في الذهن، ولا يكون في الخارج إلا خاصاً لا اشتراك فيه ، فما فيه الاشتراك لا امتياز فيه ، وما فيه الامتياز لا اشتراك فيه ، فلم يبق في الخارج شيء واحد فيه مشترك ومميز ، لكن فيه وصف يشابه الآخر فيه، ووصف لا يشابهه فيه .

وهؤلاء اشتبه عليهم ما في الأذهان بما في الأعيان، فالكلي المشترك فيه لا يوجد في الخارج إلا مختصاً لا اشتراك فيه . والاشتراك والعموم والكلية إنما تعرض له إذا كان ذهنياً لا خارجياً))[١] .

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٣٠٠-٣٠٣) مختصراً .

فهؤلاء المتفلسفة في تصورهم لوحدانية الله عز وجل جعلوه مجرداً من كل صفة تجعل له وجوداً خارج الذهن وخارج التصور العقلي .

ولقد ذهبوا في تفسيرهم للوحدانية إلى معنى البساطة المطلقة، وعدم التركيب، فجعلوه ماهية بسيطة في الذهن مجردة من كل شيء. فهو واحد من كل وجه[١] .

ولقد ترتب على هذا التفسير للوحدانية ما تقرر في مذهبهم وتأصل في معتقدهم بأن الله ليس خالقاً للعالم، ولا مدبراً له، ولا يعلم ما يجري في ملكوته من حركات وأحداث[٢] .

وإذا كان هذا هو مذهبهم، فأي تعطيل للصانع أعظم من هذا التعطيل .

وأي تناقض لصريح ما جاءت به الرسل واستقرت عليه الفطر أعظم من هذا .

ولهذا كان قولهم شراً من قول اليهود والنصارى، وهم أبعد عن المعقول والمنقول منهم[٣] .

---

(١) ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل (١٩٢) .

(٢) انظر منهاج السنة (٣/ ٢٨٥-٢٨٦) ، عقيدة التوحيد للهراس (٢١٨) ، وحقيقة معتقد ابن سينا (٤٨-٥١) .

(٣) منهاج السنة (٣/ ٢٣٥) ، وانظر في هذا مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣٩) ، (١٨/ ٢٢٥) ، وابن تيمية وقضية التأويل (١٨٦-٢٠٢) ، موقف ابن تيمية من أراء الفلاسفة (٣٥٢-٣٦٥) .

المطلب الثالث : مذهبهم في توحيد الأسماء والصفات :

قد سبق بيان فهم المتفلسفة للإله، وتصورهم لوحدانية الله تعالى؛ حيث جعلوه مجرداً من كل صفة تجعل له وجوداً، وقد فسروا الصفات بأنها أعراض. وقالوا : لو اتصف الله بها للزم من ذلك التركيب والافتقار وكلاهما محال .

وعلى هذا فقد نفوا أسماء الله الحسنى، وما تستلزمه من الصفات العلا وعطلوها تعطيلاً يستلزم نفي الذات، كل ذلك بحجة أن إثباتها يخالف ما قرروه في ذاته من البساطة التامة من كل وجه، وأن ذلك يؤدي إلى الكثرة والتركيب الذي يخالف هذه البساطة[(١)] .

فهو كما يقول ابن سينا : ((ليس بجسم، ولا مادة جسم، ولا صورة جسم، ولا مادة معقولة لصورة معقولة، ولا صورة معقولة في مادة معقولة ، ولاله قسمة في الكم، ولا في المبادئ المقومة له، ولا في القول الشارح، ولا غير ذلك مما ينافي وحدة واجب الوجود وبساطته المطلقة))[(٢)] .

ولكنهم مع ذلك يقولون إنه خير محض، وكمال محض، وحق محض، وإنه عقل وعاقل ومعقول، وعشق وعاشق ومعشوق، ولذيذ وملتذ ولذة .

بل ويثبتون له العلم والقدرة والإرادة ونحوها من الصفات، ويزعمون أن ذلك لا يستلزم الكثرة والتركيب في ذاته؛ لأن مفهوم ذلك كله عندهم شيء واحد هو نفس الذات .

يقول ابن سينا في النجاة :

((فإذا حققت تكون الصفة الأولى لواجب الوجود أنه موجود ثم الصفات الأخرى يكون بعضها المتعين فيه هذا الوجود مع إضافة .

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من أراء الفلاسفة (٣٧٩) .

(٢) النجاة (٢/ ٣٧٢) ، وانظر ابن تيمية السلفي (٨٨) وأيضاً الرسالة التدمرية (١٧) .

وبعضها هذا الوجود مع السلب، وليس ولا واحد منها موجباً في ذاته كثرة البتة ولا مغايرة .

فاللواتي تخالط السلب أنه لو قال قائل في الأول (بلا تحاش): إنه جوهر لم يعن إلا هذا الوجود، وأنه مسلوب عنه الكون في موضوع .

وإذا قيل له واحد لم يعن به إلا الوجود نفسه مسلوباً عنه القسمة بالكم أو القول أو مسلوباً عنه الشريك .

وإذا قيل عقل وعاقل ومعقول لم يعن بالحقيقة إلا أن هذا الوجود مسلوب عنه جواز مخالطة المادة وعلائقها مع اعتبار إضافة ما)) .

إلى أن يقول :

((فإذا عقلت صفات الأول الحق على هذه الجهة لم يوجد فيها شيء يوجب لذاته أجزاء أو كثرة بوجه من الوجوه))[١] .

وخلاصة هذا المذهب أن واجب الوجود واحد بسيط لا كثرة فيه لا ذهناً ولا خارجاً. وكل ما يعبر به عنه من أسماء فمرجعه إلى مفهوم واحد هو نفس ذاته مع ملاحظة سلب أو إضافة[٢] .

ولما كان الباري يعقل ذاته، ويعقل ما يصدر عنها من معلولات، وكان ذلك موهماً للكثرة في ذاته ضرورة تعدد العلوم بتعدد المعلومات؛ أجاب عن ذلك ابن سينا في إشاراته بقوله :

((لعلك تقول : إن كانت المعقولات لا تتحد بالعاقل ولا بعضها مع بعض كما ذكرت .

ثم قد سلمت أن واجب الوجود يعقل كل شيء فليس واحداً حقاً بل هناك كثرة ؟

---

(١) النجاة (٢/ ١٠٧-١٠٨) .

(٢) ابن تيمية السلفي (٨٨-٨٩) .

فنقول : إنه لما كان يعقل ذاته بذاته ثم يلزم قيوميته عقلاً ((بذاته لذاته)) أن يعقل الكثرة ، جاءت الكثرة لازمة متأخرة لا داخلة في الذات مقومة بها .

وجاءت أيضاً على ترتيب .

وكثرة اللوازم من الذات مباينة أو غير مباينة لا تثلم الوحدة .

والأول يعرض له كثرة لوازم إضافية وغير إضافية وكثرة سلوب ، وبسبب ذلك كثرت الأسماء لكن لا تأثير لذلك في وحدانية ذاته))[١] .

أي أن الصفات تضاف إلى الذات إما بطريق السلب أو الإضافة أو بهما معاً .

فتراهم يصفون الله تعالى بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون له إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له في الواقع .

وعمدة المتفلسفة (ابن سينا وأمثاله) في هذا النفي للصفات هو : أن إثبات الصفات يقتضي التركيب، والمركب مفتقر إلى أجزائه وأجزاؤه غيره .

والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه[٢] .

يقول ابن سينا : ((وواجب الوجود واحد لا كثرة ذاته بوجه، ولا يمكن أن تصدر عنه كثرة))[٣] .

((والواحد من كل وجه لا تركيب فيه بوجه من الوجوه))[٤] .

فهم إذاً : ((بنوا أصل مذهبهم على أن الوجود لابد له من واجب، وأن الواجب يشترط أن يكون واحداً .

---

(١) (٢/ ٧١) انظر ابن تيمية السلفي (٨٩) .

(٢) هكذا قرره شيخ الإسلام ، انظر منهاج السنة (٢/ ١٦٤) .

(٣) النجاة (٢/ ٧٩) .

(٤) العرشية (٣) .

ويعنون بالواحد مالا صفة له، ولا قدر، ولا يقوم به فعل؛ لئلا يثبتوا له صفة كالعلم والقدرة))[١] .

فالمتفلسفة ينفون الصفات لئلا يتبعض، أو يتكثر، أو يتجزأ؛ فيكون مركباً، والتركيب من خصائص الممكن .

وهذه الحجة التي احتج بها المتفلسفة على مذهبهم في الصفات مبنية على ألفاظ مجملة تحتمل حقاً وباطلاً، وإنما جاء الخطأ والالتباس من نحو ذلك .

فما تنازع فيه الناس من الألفاظ غير الشرعية نفياً وإثباتاً؛ فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه ، حتى يعرف مراده ؛ فإن أراد حقاً قبل ، وإن أراد باطلاً رد ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً، ولم يرد جميع معناه. بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى كمثل هذه الألفاظ التي حشا المتفلسفة بها كتبهم[٢] .

فالمركب مثلاً لفظ مجمل يراد به ما ركبه غيره = وما كان متفرقاً فاجتمع ، =وما يقبل التفريق ؛ والله سبحانه منزه عن هذا بالاتفاق .

وأما الذات الموصوفة بصفات لازمة لها ؛ فإذا سمى المسمي هذا تركيباً كان هذا اصطلاحاً له هو، وليس هو المفهوم من لفظ المركب .

والبحث إذا كان في المعاني العقلية لم يلتفت فيه إلى اللفظ؛ فيقال : هب إنكم سميت هذا تركيباً فلا دليل لكم على نفيه .

فقولكم : لكان مركباً : إن أردتم : لكان غيره ركبه، أو لكان مجتمعاً بعد افتراقه، أو لكان قابلاً للتفريق؛ فاللازم باطل. فإن الكلام إنما هو في الصفات اللازمة للموصوف الذي يمتنع وجوده بدونها .

وإن أردتم بالمركب الموصوف أو ما يشبه ذلك . فلم قلتم أن ذلك ممتنع ؟

---

(١) الصفدية (٢/ ٢٢٧) ، وانظر تعريف الوحدة في النجاة لابن سينا (٢/ ٣٨) .

(٢) انظر التدمرية (٦٥) .

وقولكم : والمركب مفتقر إلى غيره .

قيل : أما المركب بالتفسير الأول ، فهو مفتقر إلى ما يباينه. وهذا ممتنع على الله تعالى .

وأما الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته الذي سميتموه أنتم مركباً فليس في اتصافه هذا ما يوجب كونه مفتقراً إلى مباين له .

فإن قلتم : هي غيره، وهو لا يوجد إلا بها، وهذا افتقار إليها .

قيل لكم : إن أردتم بقولكم هي غيره أنها مباينة له فذلك باطل .

وإن أردتم أنها ليست إياه .

قيل لكم : وإذا لم تكن الصفة هي الموصوف فأي محذور في هذا .

فإذا قلتم : هو مفتقر إليها .

قيل : أتريدون بالافتقار أنه مفتقر إلى فاعل يفعله أو محل يقبله أم تريدون أنه مستلزم لها فلا يكون موجوداً إلا وهو متصف بها؟ .

أما الثاني : فأي محذور فيه .

وأما الأول : فباطل إذ الصفة اللازمة للموصوف لا يكون فاعلاً لها[1] .

ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً ما ذكره شيخ الإسلام في معرض رده لهذه الشبهة وبيان تناقض أصحابها حيث قال :

((إن قال نفاة الصفات : إثبات العلم والقدرة والإرادة تستلزم تعدد الصفات. وهذا تركيب ممتنع .

قيل : وإذا قلتم : هو موجود واجب، وعقل وعاقل ومعقول، وعاشق ومعشوق، ولذيذ وملتذ ولذة .

أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا ؟

---

(١) ابن تيمية السلفي للهراس (٩٠-٩١) .

فهذه معان متعددة متغايرة في العقل . وهذا تركيب عندكم، وأنتم تثبتونه وتسمونه توحيداً .

فإن قالوا : هذا توحيد في الحقيقة، وليس هذا تركيباً ممتنعاً .

قيل لهم : واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة، وليس هو تركيباً ممتنعاً .

وذلك : أنه من المعلوم بصريح المعقول أنه ليس معنى كون الشيء عالماً هو معنى كونه قادراً، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالماً قادراً . فمن جوز أن تكون الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة .

ثم أنه متناقض ؛ فإنه إن جوز ذلك : جاز أن يكون وجود هذا هو وجود هذا = فيكون الوجود واحداً بالعين لا بالنوع .

وحينئذ ؛ فإذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب = كان وجود كل مخلوق – يعدم بعد وجوده ويوجد بعد عدمه – هو نفس وجود الحق القديم الدائم الباقي الذي لا يقبل العدم .

وإذا قدر هذا = كان الوجود الواجب موصوفاً بكل تشبيه وتجسيم وكل نقص وكل عيب، كما يصرح بذلك أهل الوحدة الذين طردوا هذا الأصل الفاسد . وحينئذ فتكون أقوال نفاة الصفات باطلة على كل تقدير .

وهذا باب مطرد فإن كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول ﷺ من الصفات لا ينفي شيئاً فراراً مما هو محذور إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه))[1] .

---

(١) التدمرية (٤٠-٤٢) .

وقال في موضع آخر : ((والفلاسفة يجعلون أخص وصفه [سبحانه] وجوب وجوده بنفسه، وإمكان ما سواه، ويجعلون التركيب الذي ذكروه موجباً للافتقار المانع من كونه واجباً بنفسه .

فالجواب عنها أيضاً من وجهين :

أحدهما : مشتمل على فنين : المعارضة والمناقضة .

والثاني : الحل .

أما الأول : فإنهم يثبتونه عالماً قادراً ويثبتونه واجباً بنفسه فاعلاً لغيره .

ومعلوم بالضرورة أن مفهوم كونه عالماً غير مفهوم الفعل لغيره . فإن كانت ذاته مركبة من هذه المعاني لزم التركيب الذي ادعوه، وإن كانت عرضية لزم الافتقار الذي ادعوه . وبالجملة فما قالوه في هذه الأمور : فهو قول أهل الكتاب والسنة في العلم والقدرة .

وأما المناقضة :

فإن كان الواجب بنفسه لا يتميز عن غيره بصفة ثبوته فلا واجب، وإذا لم يكن واجباً لم يلزم من التركيب محال .

ذلك أنهم إنما نفوا المعاني لاستلزامها ثبوت التركيب المستلزم لنفي الوجوب، وهذا تناقض . فإن نفي المعاني مستلزم لنفي الوجوب فكيف ينفونها لثبوته ؟

وذلك أن الواجب بنفسه حق موجود عالم قادر فاعل. والممكن قد يكون موجوداً عالماً قادراً فاعلاً. وليست المشاركة في مجرد اللفظ، بل في معاني معقولة معلومة بالاضطرار .

فإن كان ما به الاشتراك مستلزماً لما به الامتياز : فقد صار الواجب ممكناً والممكن واجباً ، وإن لم يكن مستلزماً فقد صار للواجب ما يتميز به عن الممكن غير هذه المعاني المشتركة ؛ فصار فيه اشتراك وجهة امتياز .

وهذا عندهم تركيب ممتنع .

فإن كان هذا التركيب مستلزماً لنفي الواجب فقد صار ثبوت الواجب بنفسه مستلزماً لنفيه ، وهذا تناقض . فتثبت بهذا البرهان الباهر أن هذه الحجة متناقضة في نفسها، كما ثبت أنها معارضة على أصولهم لما أثبتوه)) .

قال : ((وأما الجواب الذي هو الحل :

فنقول : التركيب المعقول في عقل بني آدم ولغة الآدميين هو : تركيب الموجود من أجزائه التي يتميز بعضها عن بعض؛ وهو تركيب الجسم من أجزائه؛ كتركيب الإنسان من أعضائه وأخلاطه .

وأما ما يذكره المنطقيون من تركيب الأنواع من الجنس والفصل؛ كتركيب الإنسان من حيوان وناطق؛ وهو المركب مما به الاشتراك بينه وبين سائر الأنواع، ومما به امتيازه عن غيره من الأنواع ، وتقسيم الصفات إلى ذاتي تتركب منه الحقائق وهو الجنس والفصل .

وإلى عرضي وهو العرض العام والخاص . ثم الحقيقة المؤلفة من المشترك والمميز : هي النوع .

فنقول : هذا التركيب أمر اعتباري ذهني؛ ليس له وجود في الخارج؛ كما أن ذات النوع من حيث هي عامة ليس لها ثبوت في الخارج .

فإن الإنسان الموجود في الخارج ليس فيه ذوات متميزة بعضها حيوانية وبعضها ناطقية وبعضها ضاحكية وبعضها حساسية، بل العقل يدرك منه معنى. ونظير ذلك المعنى ثابت لنوع آخر .

فيقول فيه معنى مشترك ويدرك فيه معنى مختصاً ، ثم يجمع بين المعنيين فيقول : هو مؤلف منهما .

فهذا النوع من التركيب ليس من جنس تركيب الجسد من أبعاضه وأخلاطه، فليست الأبعاض كالأعراض ، ونحن لا ننازع في تسمية هذا مركباً .

فإن هذا نزاع لفظي، ولكن الغرض أن هذا التركيب : ليس من جنس التركيب الذي يعقله بنو آدم بالفطرة الأولى حتى يطلق عليه لفظ الأجزاء .

وإذا عرف هذا : كان الجواب من فنين في الحل : كما كان من فنين في الإبطال .

أحدهما : أنا لا نسلم أن هناك تركباً من أجزاء بحال، وإنما هي ذات قائمة بنفسها، مستلزمة للوازمها التي لا يصح وجودها إلا بها . وليست صفة الموصوف أجزاءً له ؛ ولا أبعاضاً يتميز بعضها عن بعض، أو تتميز عنه حتى يصح أن يقال : هي مركبة منه أو ليست مركبة ، فثبوت التركيب ونفيه فرع تصوره ، وتصوره هنا منتف .

والجواب الثاني : أنه لو فرض أن هذا يسمى مركباً؛ فليس هذا مستلزماً للإمكان ولا للحدوث .

وذلك أن الذي علم بالعقل والسمع أنه يمتنع أن يكون الرب تعالى فقيراً إلى خلقه بل هو الغني عن العالمين ، وقد علم أنه حي قيوم بنفسه، وأن نفسه المقدسة قائمة بنفسه، وموجودة بذاته، وأنه أحد صمد، غني بنفسه ليس ثبوته وغناه مستفاداً من غيره، وإنما هو بنفسه لم يزل ولا يزال حقاً صمداً قيوماً . فهل يقال في ذلك إنه مفتقر إلى نفسه، أو محتاج إلى نفسه، لأن نفسه لا تقوم إلا بنفسه؟

فالقول في صفاته التي هي داخلة في مسمى نفسه هو القول في نفسه .

فإذا قيل: صفاته ذاتية. وقيل: إنه محتاج إليها : كان بمنزلة قول القائل: إنه محتاج إلى نفسه ، فإن صفاته الذاتية هي مالا تكون النفس بدونها .

وكذلك إذا قلنا : ذاته موجبة لوجوده، أو هو واجب بنفسه، أو هو مقتض لوجوبه .

فلو قال القائل : يلزم أن يكون معلولاً، والمعلول مفتقر. قيل له : ليست العلة هنا غير المعلول ، والمنتفي افتقاره إلى غيره، وكونه معلولاً لسواه . وأما قيامه بنفسه فحق .

ثم هذه العبارات التي توهم معنى فاسداً : إن أطلقت باعتبار المعنى الصحيح أو لم تطلق بحال : لم يضر ذلك إذا كان المعنى الصحيح معلوماً لا يندفع . فهذا المعنى الشريف يجب التفطن له ، فإنه يزيل شبهاً خيالية أضلت خلقاً كثيراً .

فليس في وصف الموصوف وجزء المركب – الذي لا تقوم ذاته إلا به – إلا بمنزلة ذاته ، وليس في قولنا : هذا مفتقر إلى نفسه ما يرفع وجوبه بنفسه فكذلك هذا .

فظهر الخلل في كلا المقدمتين، وهو أن الصفات مستلزمة للتركيب، وأن التركيب مستلزم للحاجة إلى الغير .

وإذا كان كل من المقدمتين باطلة : بطل هذا بالكلية. والله أعلم))[1] .

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٤٤-٣٥٠) مختصراً ، وانظر موقف ابن تيمية من أراء الفلاسفة (٣٨٣-٣٨٥) .



المبحث الثاني :

التوحيد عند المعتزلة

تمهيد :

المعتزلة فرقة كلامية عقلانية تنتسب إلى رجل يقال له واصل بن عطاء[١] اعتزل مجلس الحسن البصري الإمام المشهور بعد أن نازعه في مسألة مرتكب الكبيرة حيث قال : أنا أقول بأنه لا مؤمن ولا كافر إنما هو في المنزلة بين المنزلتين.

فاختلف في ذلك مع الحسن حتى اعتزل مجلسه وأنضم إليه عمرو بن عبيد[٢] وطائفة ، فسموا معتزلة لذلك[٣] .

وقد اشتهر المعتزلة بالغلو في تقديس العقل واعتباره المصدر الأول للاعتقاد ، وهم لا يترددون في تأويل ما يرونه من النصوص متعارضاً مع حكم العقل لأن حكم العقل قطعي في زعمهم وأما نصوص الكتاب والسنة فظنية الدلالة .

وهم فرق متعددة وطوائف شتى غير أنه تجمعهم أصول ومبادئ خمسة وهي:

الأول : التوحيد ويقصدون به نفى الصفات لله عز وجل وسيأتي تفصيل ذلك أكثر .

الثاني : العدل ويقصدون به نفي القدر وأن العبد يخلق فعل نفسه .

الثالث : المنزلة بين المنزلتين ويقصدون به الفاسق الملي (مرتكب الكبيرة) وأنه لا مؤمن ولا كافر بل في منزلة بين المنزلتين .

---

(١) هو : واصل بن عطاء المخزومي البصري الغزال أبو حذيفة ت (١٣١هـ) ، رأس المعتزلة ، كان فصيحاً مفوهاً إلا أنه كان يلثغ بالراء ، طرده الحسن البصري من مجلسه بسبب بدعته . انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤) .

(٢) هو : عمرو بن عبيد البصري أبو عثمان ت (١٤٣هـ) ، من رؤوس المعتزلة ، وكان من أصحاب واصل بن عطاء . انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٤) .

(٣) انظر اعتقاد فرق المسلمين للرازي (٣٧) .

الرابع : الوعد والوعيد ويقصدون به وجوب تخليد مرتكب الكبيرة في نار جهنم إذا لم يتب من كبيرته على مقتضى العدل الإلهي .

الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فمن قال بهذه الأصول وتبناها فهو معتزلي يقول الخياط المعتزلي(١) ((وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة؛ التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمسة فهو معتزلي))(٢) .

والسبب في اقتصارهم على هذه الأصول الخمسة بينه القاضي عبدالجبار حيث قال : ((لا خلاف أن المخالفين لنا لا يعدو أحد هذه الأصول ؛ ألا ترى أن خلاف الملحدة والمعطلة والدهرية والمشبهة قد دخل في التوحيد ، وخلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل ، وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد ، وخلاف الخوارج دخل تحت المنزلة بين المنزلتين ، وخلاف الإمامية دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٣)))(٤) .

والذي يعنينا هنا من هذه الأصول الخمسة الأصل الأول وهو التوحيد .

---

(١) هو : عبد الرحيم بن محمد بن عثمان أبو الحسين الخياط ت (٣٠٠هـ) ، من كبار المعتزلة ، وتنسب إليه فرقة الخياطية من فرق المعتزلة ، من كتبه الانتصار في الرد على ابن الراوندي . انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٢٠) .

(٢) الانتصار (١٨٨-١٨٩) وانظر شرح الأصول الخمسة (١٢٣) والمحيط بالتكليف (٢١-٢٢) .

(٣) في الأصل (الفكر) ولعل الصواب ما ذكر .

(٤) شرح الأصول الخمسة (١٢٤) .

وقد اهتم المعتزلة بالتوحيد كثيراً حتى سموا أنفسهم أهل التوحيد، غير أنهم أخطئوا في فهم معنى التوحيد ؛ فهو عندهم يعني نفي الصفات[١] – كما سيأتي – فهو مع خطئه من حيث التقرير؛ مخالف لمذهب السلف الصالح، ناقص في حقيقته لحقيقة دعوة الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- ومن هنا كي يتضح مذهب القوم سيكون هذا المبحث مبني على ثلاث مطالب يتضح من خلالها مدى مخالفتهم لمذهب السلف وهي كما يلي :

- حقيقة التوحيد عندهم وغايته .
- مذهبهم في توحيد الأسماء والصفات .
- موقفهم من توحيد الألوهية[٢] .



(١) قال الشهرستاني مبيناً موقف المعتزلة من هذا الأصل: ((والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة . [لذلك] فقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية)) الملل والنحل (١/ ٤٣-٤٥). وسيأتي تفصيل هذا ، وإنما أردت هنا الإشارة فقط .

(٢) انظر تفصيل مذهبهم مقالات الإسلامية (١٥٥-٢٧٨) التبصير في الدين (٦٣-٩٥)، اعتقاد فرق المسلمين (٣٨-٤٨) ، الملل والنحل (١/ ٤٣-٩١) ، والمعتزلة وأصولهم الخمسة للمعتق .

المطلب الأول : مفهوم التوحيد عند المعتزلة وغايته

قد سبق لنا مذهب السلف في التوحيد الذي جاءت به الرسل لتقريره وهو توحيد الألوهية[١] والعبادة المتضمن لتوحيد الربوبية والذي من أجله خلقت البشرية أجمع .

ونحن إذا ما نظرنا إلى التوحيد عند المعتزلة نجد أن التوحيد عندهم والذي شغلوا به أنفسهم في تقريره والدفاع عنه لا يعدو عن إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى على مقتضى تفسيراتهم للوحدانية حيث يرون أنه واحد ليس كمثله شيء وأنه تعالى قديم وما دونه محدث وأن القدم أخص وصف لذاته ؛ فهو واحد لا ثاني له في القدم والإلهية ولا شريك له فيما يثبت له أو ينفى عنه من الصفات مع اشتراط العلم والإقرار بهذه الوحدانية وعدم المشاركة .

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي في تعريفه للتوحيد بعد بيان أصله في اللغة؛ وهو عبارة عما به يصير الشيء واحداً: ((فأما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه . والإقرار به ؛ ولابد من اعتبار هذين الشرطين : العلم والإقرار جميعاً : لأنه لو علم ولم يقر أو أقر ولم يعلم لم يكن موحداً))[٢] .

---

(١) قال شيخ الإسلام : والتوحيد الذي أمر الله به العباد وهو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية ، بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، فيكون الدين كله لله ولا يخاف إلا الله ، ولا يدعون إلا الله ، ويكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ؛ فيحبون لله ويبغضون لله ، ولا يدعون إلا الله ، ويكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ؛ فيحبون لله ويبغضون لله ويعبدون الله ويتوكلون عليه . منهاج السنة (٢/ ٦٢) ق (٣/ ٢٨٩) ط محمد رشاد سالم.

(٢) شرح الأصول الخمسة (١٢٨) .

وبهذا يعرف أن المعتزلة إنما تركز في تقرير التوحيد على توحيد الذات وإفراد الربوبية .

وقد نشأ عن تفسيرهم للوحدة – بأنها وحدة الذات – بأن لا يكون لها صفات قديمة ، وذلك لأن أخص صفات الألوهية عندهم هو القدم فلو كان للذات صفات قديمة معها للزم أن تكون آلهة فيتعدد بذلك الإله[(١)] .

قال واصل بن عطاء المعتزلي : ((من أثبت لله معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين))[(٢)] .

وقال الجبائي : ((أخص وصف الإله هو القدم، والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في الأعم))[(٣)] .

ويقول القاضي عبدالجبار : ((قال شيخنا أبو علي [الجبائي] : إن القديم يوصف بأنه واحد على وجوه ثلاثة ...

أحدها : بمعنى أنه لا يتجزأ ولا يتبعض ...

والثاني : بمعنى أنه منفرد بالقدم لا ثاني له .

والثالث : أنه منفرد بسائر ما يستحقه من الصفات النفسية من كونه قادراً لنفسه ، وعالماً لنفسه وحياً لنفسه .

وعلى هذين الوصفين [الآخرين] يمدح بوصفنا له بأنه واحد ؛ لاختصاصه بذلك دون غيره)) .

قال : ((وجعل شيخنا أبو هاشم القسمين الأخيرين قسماً واحداً وبين أن وصفنا له بأنه واحد يجري على وجهين :

أحدهما : بمعنى أنه لا يتجزأ .

---

(١) التسعينية (٣/ ٨٠٠) .

(٢) الملل والنحل (١/ ٤٦) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٨٣) .

والثاني : بمعنى أنه يختص بصفات لا يشاركه فيها غيره .

فقول القائل : الله واحد ولا إله إلا الله توحيد؛ لأنه عبر عن كونه واحداً ويجري على ذلك العلم بأنه واحد وبأنه مختص بسائر صفاته على وجه لا يشاركه فيها أو في جهة استحقاقها غيره ولذلك يقولون هذا علم التوحيد))[(١)] .

وقد استدل المعتزلة بالأدلة السمعية والعقلية على نفي الثاني :

أما الأدلة السمعية فقد عبر عنها القاضي عبدالجبار بأنها كثيرة جداً قال : ((فأما دلالة السمع فأكثر من أن تذكر ، نحو قوله جل وعز : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[(٢)] وأشباهه وكذلك فمعلوم ضرورة من دين النبي عليه السلام فعلى هذا يجري الكلام في هذا الفصل))[(٣)].

وأما الأدلة العقلية : - فهم يعتبرون الاستدلال على معظم قضايا التوحيد من أمور العقل - فهي عند المعتزلة تعتمد على دليل التمانع المشهور[(٤)].

والذي يعتمد على قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[(٥)] [(٦)].

ويقول الجاحظ[(١)] مقرراً منهج هؤلاء لحقيقة التوحيد ومؤيداً : ((قد اختلف أهل الصلاة في معنى التوحيد وإن كانوا أجمعوا على انتحال السمة

---

(١) المغنى (٤/ ٢٤١-٢٤٢) مختصراً .

(٢) سورة البقرة (١٦٣) .

(٣)شرح الأصول الخمسة (٢٨٣-٢٨٤)

(٤) سيأتي الكلام عليه ونقده عند الكلام عن التوحيد عند الأشاعرة .

(٥) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٦) انظر شرح الأصول الخمسة (٢٧٨-٢٨٤) .

فليس يكون كل من انتحل اسم التوحيد موحداً إذا جعل الواحد ذا أجزاء وشبهه بشيء ذي أجزاء))(٢) .

ومقصوده بذلك أن من أثبت لله الصفات فقد جعله ذا أجزاء وشبهه بشيء ذي أجزاء ومن كانت هذه حالة فليس يصح تسميته موحداً . وعلى هذا فالمعتزلة ترى أن الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم ولا يقبل التفرقة والانقسام إلى أجزاء، وعلى هذه الشبهة الواهية عطلوا الذات الإلهية عن الصفات ومنشأ غلطهم كما قلنا هو قولهم إن أخص صفات الإلهية هو القدم وأن إثبات الصفات يوجب تعدد القدماء (٣) .

ومن هنا يعلم أن أصل قولهم في التوحيد مبني على القول بأن أخص وصف للإله هو القدم فلا يشركه فيه غيره(٤) .

وقد بنوا على هذا القول الذي أصلوه ما التبس عليهم أمره في الصفات وهو قولهم إن الصفات زائدة على الذات فإثباتها يستلزم تعدد القدماء .

قال شيخ الإسلام : ((إن نفاة الصفات من المعتزلة وغيرهم يقولون : إن الواحد هو الذي لا صفة له ولا قدرة ويعبرون عن هذا المعنى بعباراتهم ؛ فالجهمية من المعتزلة وغيرهم تقول : إن القديم واحد ليس معه في القدم غيره، ولو قامت به الصفات لكان معه غيره ، وأنه ليس بجسم ؛ إذ الجسم مركب

....

(١) هو : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعروف بالجاحظ ت (٢٥٠هـ) أديب متبحر معتزلي المعتقد ، أخذ عن النظام ، صاحب تواليف من كتبه الحيوان ، والبيان والتبيين والعثمانية وغيرها . انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦) .

(٢) رسائل الجاحظ (٢٢٩) .

(٣) انظر الانتصار للخياط (٨٢-٨٣)وأيضاً (١٦٨-١٧١) وانظر كتاب الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (١/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة (٢٨٤).

مؤلف منقسم ، وهذا تعدد ينافي التوحيد . أو يقولون أيضاً: إن ثبوت الصفات يقتضي كثرة وعدداً في ذاته وذلك خلاف التوحيد ، ويسمون أنفسهم الموحدين والعلم الذي يعلم به هذا علم التوحيد وهذا عندهم أول الأصول الخمسة التي هي عندهم))(١) . أ.هـ .

ويقول أيضاً : ((إن مقصود المعتزلة من قولهم إن أخص وصف الرب القدم: أن لا يثبتوا له صفة قديمة لامتناع المشاركة ، في أخص وصفه))(٢) .

ومن هنا كان نفي الصفات – كما سيأتي – هو السبيل الوحيد إلى القول بإفراد الله بالقدم والأزلية (٣) .

ولاشك أن هذا القول الذي ذهبوا إليه في التوحيد مع بطلانه شرعاً مرفوض عقلاً وذلك :

أولاً : أن جميع المسلمين يعتقدون أن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن .

ثانياً : أن التوحيد المنجي والذي جاءت به الرسل لتحقيقه هو توحيد الألوهية وقد سبق تقرير هذا بما يغني عن إعادته هنا وأما توحيد هؤلاء فغاية تحصيله – إن سلم بمقدماته ونتائجه وما يترتب عليه من مفاسد – تقرير توحيد الربوبية الذي كانت تؤمن به مشركة أهل مكة ، فحاصل توحيدهم تحصيل حاصل .

ثالثاً : أن يقال : إن قولكم : إنه يلزم على تقدير قدمها تعدد القدماء ؛ إن أردتم بذلك أن يكون الإله أكثر من واحد فالتلازم باطل ؛ فليس يجب أن تكون الصفة إلهاً .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٥) بتصرف يسير .

(٢) الاستغاثة (٥٧) ، وانظر درء التعارض (٩/ ٣٧٧) .

(٣) منهاج السنة (٢/ ١٢٠) .

وإن أردتم أن الصفة توصف بالقدم فليس المراد أنها توصف به على سبيل الاستقلال ، فإن الصفة لا تقوم بنفسها، ولا تستقل بذاتها، ولكنها تكون قديمة بقدم موصوفها . فإن الصفة لازمة للموصوف وتابعة له تكون قديمة بقدمه وباقية ببقائه .

رابعاً : أن يقال : إن إثبات ذات مجردة عن الصفات ممتنع وجوده في الأعيان، فتقديركم ذاتاً مجردة عن الصفات ممتنع تحقيقه في الخارج. وإنما هو أمر يقدره الذهن لا حقيقة له في الواقع .

خامساً : أنه لا يوجد في لغة العرب بل ولا في عامة اللغات أن الذات الموصوفة بالصفات لا تسمى واحداً، بل المنقول بالتواتر عن العرب تسمية الموصوف بصفات عدة واحداً[(١)] يقول الإمام أحمد بن حنبل في معرض رده على الجهمية والزنادقة : ((قالت الجهمية : - لما وصفنا الله بهذه الصفات - إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته [أي قلتم بتعدد الآلهة كالنصارى القائلين بالتثليث] .

قلنا : لا نقول إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول : لم يزل بقدرته ونوره لامتى قدر ولا كيف قدر .

فقالوا : لا تكونوا موحدين أبداً حتى تقولوا : قد كان الله ولا شيء .

قلنا : نحن نقول : قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها ، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته ؟

قال : وضربنا لهم في ذلك مثلاً :

---

(١) انظر الوجوه المتقدمة منهاج السنة (٢/ ١٢٠-١٣٤) ، وابن تيمية السلفي للهراس (٩٢-٩٤)

فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار ؟ واسمها اسم شيء واحد ، وسميت نخلة بجميع صفاتها ؟ فكذلك الله، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علماً فعلم . والذي لا يعلم هو جاهل ولكن نقول : لم يزل الله عالماً قادراً لامتى ولا كيف . وقد سمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال : ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴾[1] .

وقد كان هذا الذي سماه الله وحيداً له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة .

فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته . فكذلك الله وله المثل الأعلى هو بجميع صفاته إله واحد))[2] . أ.هـ .



(١) سورة المدثر (١١) .

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (١٣٣-١٣٤).

المطلب الثاني : مذهب المعتزلة في توحيد الأسماء والصفات :

أولاً : موقفهم من أسماء الله تعالى :

قبل أن نتعرض لمذهب المعتزلة في أسماء الله تعالى يحسن بنا أن نبين مذهب السلف أهل السنة والجماعة في توحيد أسماء الله حتى يتسنى لكل ناظر معرفة مدى مخالفة المعتزلة لمذهب السلف فيه ،وحتى لا يلتبس الحق بالباطل وتعلق الضلالة في ذهن الجاهل.

*** مذهب السلف أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى:**

مذهب السلف أهل السنة والجماعة قائم على إثبات أسماء الله تعالى الحسنى على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد ذكروا قواعد وخصائص لأسماء الله تعالى دبجوا بها كتبهم في المعتقد إما تصريحاً وإما تلميحاً يحسن بنا أن نجملها ههنا :

القاعدة الأولى :

أسماء الله تعالى كلها حسنى؛ أي بالغة في الحسن غايته قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(١) وقال : ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(٢) .

فهي كاملة المعاني، لا يلحقها نقص ولا عيب، تناسب عظمته وكبرياءه .

ومن حسنها أنه ليس فيها شر كما قال ﷺ : ((والشر ليس إليك))(٣) .

وإنما يذكر الشر في مفعولاته(٤) .

---

(١) سورة الأعراف (١٨٠) .

(٢) سورة طه (٨) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه رقم (١٨٠٩) (٦/ ٢٩٩) .

القاعدة الثاني :

أسماء الله أعلام وأوصاف :

فهي ليست جامدة لا تدل على معانٍ ؛ وإنما هي أعلام وأوصاف : أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار دلالتها على المعاني . وعلى هذا فهي مترادفة من حيث أنها أعلام لدلالتها على مسمى واحد ، وهي كذلك متغايرة متباينة من حيث أنها أوصاف لدلالة كل اسم منها على معناه الخاص[٢] .

القاعدة الثالثة :

أنها توقيفية :

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء بها الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأنها من الأمور الغيبية الموقوفة على خبر الصادق ﷺ عن ربه، لا يسعها الاجتهاد، ولا يدخل فيها القياس اللذان أدّيا إلى تعطيل حقائقها ومعانيها .

قال عبد العزيز يحيى الكناني[٣] : ((إن على الناس كلهم جميعاً أن يثبتوا ما أثبت الله ، وينفوا ما نفى الله ويمسكوا عما أمسك الله عنه))[٤] .

....

(١) الفتاوى (٨/ ٩٦) وانظر القواعد المثلى (٧-١٠) واسم الله الأعظم للدميجي (٤١-٤٤) .

(٢) انظر القواعد المثلى (١٠-١٤) اسم الله الأعظم (٤٤-٤٧) .

(٣) هو : عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم الكناني المكي ت (٢٤٠هـ) من أئمة السنة وصاحب كتاب الحيدة . انظر تقريب التهذيب (٣٥٩) .

(٤) الحيدة (٤٧) تحقيق الفقيهي .

وقال الخطابي : ((ومن علم هذا الباب ؛ أعني الأسماء والصفات ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس))[(١)] .

وقال ابن قدامة المقدسي[(٢)] : ((ومذهب السلف -رحمة الله عليهم- الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه، التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها، ولا نقص منها، ولا تجاوز لها))[(٣)] .

لكن ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن ما يدخل في باب الأخبار عن الله أوسع مما يدخل في باب الأسماء والصفات ((فما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء الموجود والقائم بنفسه، وهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية؟ أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض مالم يرد به السمع؟))[(٤)] .

القاعدة الرابعة :

أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين. لقوله ﷺ في دعاء الهم والحزن : ((أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك))[(٥)] .

القاعدة الخامسة :

---

(١) شأن الدعاء (١١١) عن كتاب الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة (١٢٤) .

(٢) هو : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (٥٤١-٦٢٠هـ) ، شيخ الإسلام وإمام الحنابلة في عصره ، سلفي المعتقد من كتبه : المغني ، وذم التأويل ولمعة الاعتقاد وغيرها وهي مشهورة . انظر أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٤) .

(٣) ذم الكلام (٢٢٢) .

(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٧٩) .

(٥) الحديث رواه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩).

أنها تطلق على الله حقيقة لا مجازاً .

قال ابن القيم : ((ومن أعظم الإلحاد في أسمائه إنكار حقائقها ومعانيها، والتصريح بأنها مجازات))(١) .

القاعدة السادسة :

أنها غير مخلوقة :

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي(٢) : ((باب الإيمان بأسماء الله وأنها غير مخلوقة))(٣) .

وقال ابن القيم : ((إن أسماء الرب قديمة لم يستحدثها من جهة خلقه بل لم يزل موصوفاً بها مسمى بها))(٤) .

وقد اشتد نكير السلف وتكفيرهم من قال بأن أسماء الله مخلوقة :

قال الإمام أحمد : ((من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر))(٥) .

وقال إسحاق بن راهويه(٦) : ((أفضوا [أي : الجهمية من المعتزلة وغيرهم] إلى أن قالوا : أسماء الله مخلوقة لأنه كان ولا اسم وهذا الكفر المحض

---

(١) مختصر الصواعق (٢٩٧) وانظر كلام ابن عبد البر في التمهيد (١/ ١٤٥) والإيضاح لابن الزاغوني(٥٩).

(٢) هو : أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي (٢٠٠-٢٨٠هـ) ، من أئمة أهل السنة الكبار ، وردوده على المبتدعة مشهورة مشهودة منها الرد على الجهمية ، والرد على بشر المريسي . انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩) .

(٣) نقص أبي سعيد عثمان بن سعيد على بشر المريسي (١/ ١٥٨) .

(٤) مختصر الصواعق (٣٠٠) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٤٠) .

(٦) هو : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه التميمي الحنظلي (١٦١-٢٣٨هـ) الإمام الكبير شيخ المشرق وسيد الحفاظ أبو يعقوب قرين الإمام أحمد والشافعي ، من كتبه المسند والتفسير . انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨) .

لأن لله الأسماء الحسنى ، فمن فرق بين الله وبين أسمائه وبين علمه ومشيئته فجعل ذلك مخلوقاً كله والله خالقها فقد كفر))[١] .

وقال خلف بن هشام[٢] : ((من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر وكفره عندي أوضح من هذه الشمس))[٣] .

هذا مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة السلف الصالح في باب أسماء الله تعالى .

وبعد هذا التقرير لمذهب السلف في أسماء الله ننتقل لنرى مذهب المعتزلة في هذه المسألة ومدى موافقته لمذهب السلف :

موقف المعتزلة من أسماء الله :

أجمعت المعتزلة على تسمية الله تعالى بالاسم، وإثبات أسماء لله متعددة. وهم في هذا موافقون لمذهب السلف، غير أنهم يختلفون عنهم في قضايا كثيرة تتعلق بحقيقة الأسماء الثابتة لله تعالى وإليك تفصيل مذهب القوم في ذلك :

أولاً : أن أسماء الله ليست توقيفية :

يرى المعتزلة خلاف ما يعتقده أهل السنة من كون أسماء الله تعالى ربانية المصدر؛ فترى أنه يمكن أن يطلق عليه أي اسم يفيد ما هو عليه في ذاته بغير إذنه فهذا القاضي عبد الجبار يبين حسن إجراء الأسماء على الله تعالى من غير إذنه حيث يقول : ((اعلم أن جميع ما ذكرناه في الدلالة على حسن إجراء الأسماء على المسميات من غير إذن يدل على حسن إجرائها على القديم تعالى ذكره من

---

(١) المصدر السابق .

(٢) هو : خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي البزار أبو محمد المقرئ (١٥٠-٢٢٩هـ) الإمام الحافظ الحجة سمع من الإمام مالك وحماد بن زيد . انظر سير أعلام النبلاء (١٠/٥٧٦) ، وتقريب التهذيب (١٩٤) .

(٣) المصدر السابق .

غير إذن ، لأنا إذا علمنا بالعقل، وعلمنا ما يستحق من الأوصاف، وعلمناه فاعلاً لما أحدثه، لم يمتنع أن تجري عليه من الأسماء ما يفيد ما هو عليه في ذاته، وما أوجده من فعله))[(١)] .

ثانياً : ترى المعتزلة أن أسماء الله تعالى أعلام محضة، لا تتضمن الدلالة على الصفات، فقد انعقد إجماعهم على أن أسماء الله مجردة عن الصفات يقول ابن المرتضى المعتزلي[(٢)] : ((فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا لمعان))[(٣)] .

والذي حدا بالمعتزلة إلى مثل هذا القول هو قولهم في التوحيد، وتفسيرهم للوحدانية، وأن أخص وصف الإله القدم. فإثبات الصفات يستلزم تعدد القدماء – كما سبق بيان ذلك – ولهذا أثبتوا أسماء محضة، لا تدل على معان، ولا تتضمن شيئاً من الصفات .

والمعتزلة لهم في نفيهم لتضمن الأسماء للصفات مسلكان بنوا عليهما مذهبهم :

المسلك الأول : من جعل الأسماء كالأعلام المحضة المترادفة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قائم به . فهم بذلك ينظرون إلى هذه الأسماء على أنها أعلام محضة لا تدل على صفة .

---

(١) المغنى (٥/ ١٧٩) وانظر حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٢٧١) .

(٢) هو : أحمد بن يحيى بن أحمد المرتضي المعتزلي الملقب بالمهدي لدين الله ت (٨٤٠) زيدي المذهب ، معتزلي المعتقد ، من كتبه (المنية والأمل) ، طبقات المعتزلة .
انظر الأعلام للزركلي (١/ ٢٦٩) والزيدية لأحمد محمود صبحي (٣٤٠-٣٩٣) .

(٣) المنية والأمل (٦) عن كتاب مقالة التعطيل (٢٥) .

فهم يقولون : إن العليم والخبير والسميع ونحو ذلك أعلام لله ليست على أوصاف، وهي بالنسبة إلى دلالتها على ذات واحدة : مترادفة[1] .

المسلك الثاني : مسلك من يقول منهم : إن كل علم منها مستقل، فالله يسمى عليماً وقديراً وحياً وليست هذه الأسماء مترادفة، ولكن ليس معنى ذلك أن هناك حياة أو قدرة ((وإنما اختلفت لاختلاف ما ينفى عنه من العجز والموت وسائر المتضادات من العمى والصمم وغير ذلك . لا لاختلاف ذلك في نفسه))[2] .

قال الجبائي : ((إنما اختلفت الأسماء والصفات لاختلاف الفوائد التي تقع عندها ، وذلك أنا إذا قلنا : إن الله عالم أفدناك علماً به، وبأنه خلاف مالا يجوز أن يعلم ، وأفدناك إكذاب من زعم أنه جاهل ، ودللناك على أن له معلومات . هذا قولنا : إن الله عالم .

فإذا قلنا إن الله قادر ؛ أفدناك علماً بأنه خلاف مالا يجوز أن يقدر ، وإكذاب من زعم أنه عاجز، ودللناك على أن له مقدورات .

وإذا قلنا إنه حي أفدناك علماً بأنه بخلاف مالا يجوز أن يكون حياً، وإكذاب من زعم أنه ميت، وهذا معنى القول أنه حي))[3] .

ثالثاً : أن أسماء الله مخلوقة :

يرى المعتزلة أن أسماء الله تعالى حادثة مخلوقة؛ لأنها غيره، وكل ما عداه فهو مخلوق، ولو لم تكن أسماؤه تعالى مخلوقة للزم من ذلك تعدد الآلهة بعدد تلك الأسماء، وهذا مبطل للتوحيد والوحدانية التي قرروها .

---

(١) التدمرية (١٨) .

(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٥) .

(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري (١٦٧-١٦٨) .

وأصل هذه الشبهة التي دخلت على المعتزلة في هذا الباب هو القول بأن الاسم غير المسمى، فأسماء الله على هذا غير الله؛ إذن فأسماؤه تعالى مخلوقة لأنها غيره[(١)] .

يقول شيخ الإسلام رداً على قول المعتزلة في هذا : ((والذي كان معروفاً عند أئمة السنة -أحمد وغيره- الإنكار على الجهمية الذين يقولون أسماء الله مخلوقة ؛ فيقولون : الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق. وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف، وغلظوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله من كلامه، وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلم به، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء .

والجهمية يقولون : كلامه مخلوق، وأسماؤه مخلوقة، وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته، ولا سمى نفسه باسم هو المتكلم به ، بل قد يقولون : إنه متكلم به، وسمى نفسه بهذه الأسماء ، بمعنى أنه خلقها في غيره، لا بمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به ، فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه))[(٢)] .

وفصل الخطاب في هذا أن يقال : ((الاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى .

فإذا قلت : قال الله كذا أو سمع الله لمن حمده ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه .

وإذا قلت : الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك ، فالاسم هاهنا المراد لا المسمى ، ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال .

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة (٥٤٢) .

(٢) الفتاوى (٦/ ١٨٥-١٨٦) .

فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعني فحق . وأن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له ، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى))[١] .

بل الصواب أن يقال : إن الاسم للمسمى على ما جاءت به النصوص الشرعية قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[٢] وقال : ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٣] وقال : ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٤] .

وقال ﷺ : ((إن لله تسعة وتسعين اسماً))[٥] .

قال شيخ الإسلام : ((وأما الذين يقولون : إن الاسم للمسمى كما يقوله أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول))[٦] .

وبعد فهذه ثلاثة معالم لمذهب المعتزلة في أسماء الله تعالى تدل دلالة واضحة على شدة التباين بين مذهب المعتزلة ومذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ثانياً : مذهبهم في الصفات :

(١) شرح الطحاوية (١٢٧) .

(٢) سورة الأعراف (١٨٠) .

(٣) سورة طه (٨) .

(٤) سورة الإسراء (١١٠) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الشروط ، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار رقم (٢٧٣٦) وكذا رقم (٦٤١٠، ٧٣٩٢) ومسلم في صحيحه : كتاب الذكر والدعاء رقم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) الفتاوى (٦/ ٢٠٦-٢٠٧) .

لقد سلكت المعتزلة في الصفات مسلكاً غريباً مبتدعاً في الإسلام حيث أنهم قالوا بنفي الصفات الإلهية الزائدة على الذات والقائمة بذاته سبحانه سواء منها ما أسموه بصفات الذات أو صفات الأفعال .

فقالوا : إنه ليس له سبحانه صفات أزلية قائمة بذاته من علم وقدرة ونحوها غير ذاته .

وقد ذكر ابن المرتضى المعتزلي إجماعهم على ذلك فقال : ((وأما ما أجمعت عليه المعتزلة ، فقد أجمعوا على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا لمعان))[(١)] .

وقد استندوا في بدعتهم هذه إلى شبه عقلية فلسفية المصدر والمنبع، يكفي في بطلانها تصورها مع مناقضتها للنصوص الشرعية التي جاء بها النبي ﷺ ويمكن أن نجمل هذه الشبه التي عدوها أصولاً في ثلاث شبه :

أ - شبهة تعدد القدماء .

ب- شبهة التجسيم وحدوث الأعراض .

جـ- شبهة التركيب .

وسنفصل في كل شبهة نوع تفصيل وننقده بما يوافق الحق :

أ- شبهة تعدد القدماء :

وهو أصل أصولهم في التوحيد فقد سبق في المطلب الأول عرض هذه الشبهة ونقدها. ونحن هنا نجمل المسألة والجواب عليها بما يكمل ما سبق من بيان، وبما يشفي عند ذوي العرفان. فنقول : يرى المعتزلة إن أخص وصف الإله القدم، وهذه الصفات إما أن تكون محدثة أو تكون قديمة؛ فإذا كانت محدثة فلا يصح أن يوصف الله بها لأنه ليس محلاً للحوادث .

---

(١) المنية والأمل (٥٦) وانظر شرح الأصول الخمسة (١٩٧) .

وإن كانت قديمة أوجب هذا وجود أكثر من إله، وهذا تعدد وهو قول فاسد[١].

هذا هو أصل شبهة القول بأن إثبات الصفات يوجب تعدد القدماء.

النقد : والجواب عن هذا بأن يقال : ((إن هذه الشبهة وغيرها لا يجوز معارضة أدلة الكتاب والسنة الصريحة في إثبات الصفات لله تعالى بها ؛ إذ هذا هو سبيل أهل الزيغ والفتنة، وقد دلت النصوص أنه موصوف بالصفات العلا كقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٢] وقوله : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾[٣] وقوله : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٤] وقوله : ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾[٥] وقوله: ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[٦] وقوله : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٧] وقوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٨] وقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[٩] إلى غيرها من الآيات.

فهذه النصوص صريحة في إثبات الصفات لله تعالى. وكذلك أسمائه سبحانه هي بلا ريب من قبيل الألفاظ المشتقة عن المعاني، فإذا أطلقت على

(١) انظر شرح الأصول الخمسة (١٩٦-١٩٧)، المحيط بالتكليف (٢٢٤) والانتصار للخياط (٨١-١٢٨).

(٢) سورة الأعراف (١٥٦).

(٣) سورة البينة (٨).

(٤) سورة النساء (١٦٤).

(٥) سورة النساء (١٦٦).

(٦) سورة البقرة (١٦٥).

(٧) سورة الفجر (٢٢).

(٨) سورة الرحمن (٢٧).

(٩) سورة طه (٥).

الذات فإنه يراد بها إثبات ما هو مأخذ الاشتقاق من المعاني لا إثبات الذات فحسب ، إذ كونها حسنى يدل على معان في غاية الحسن والكمال ، وإذا جعل ما هو من صفات المدح والكمال لقباً وعلماً أجوف بدون معنىً، وأطلق على ذاتٍ ما فإنه نوع من الهزء والسخرية ، ومن جعل إطلاق الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الأسماء الحسنى والصفات العلا على الخالق على طريق الهزء والسخرية؛ فهو غير عارف بالله تعالى وغير معظم له))[(١)] .

ثم إن تصور ذات مجردة عن الصفات لا وجود له في الخارج. وهو إنما يمكن وجوده في الذهن لا في الخارج كتقدير وجود لا يتعين في الخارج .

والمعتزلة عندما نفت الصفات تصورت ذاتاً مجردة عن الصفات (ولا يمكن وجود شيء قائم بنفسه في الخارج لا يتصف بصفة ثبوتية أصلاً ، بل فرض هذا في الخارج كفرض عرض يقوم بنفسه لا بغيره . وهو فرض محال ؛ ففرض عرض قائم بنفسه لا صفة له ، كفرض صفة لا تقوم بغيرها، وكلاهما ممتنع. فما هو قائم بنفسه فلا بد له من صفة ، وما كان صفة فلابد له من قائم بنفسه متصف به))[(٢)] .

ب- شبهة التجسيم وحدوث الأعراض[(٣)] :

وهي أشهر شبه المعتزلة في الصفات، وهي شبهة جهمية معتزلية محضة – على حد تعبير شيخ الإسلام[(١)] – والمنبع لهذه الشبهة هو أنهم يرون أن الدلالة

(١) تبصرة الأدلة (١/ ٢٠١-٢٠٣) ، وانظر التدمرية (٢١-٣١) .وقد قعد شيخ الإسلام في أول الحموية بقاعدة مهمة يحسن الرجوع إليها في هذا الباب بل وفي جميع مسائل الاعتقاد فانظرها (١٩٤-٢٤٩) من ط التويجري .

(٢) الأكملية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٩٩) وانظر منهاج السنة (٢/ ١٢٠-١٣٤) ، وابن تيمية السلفي (٩١-٩٦) ، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٢٨٣-٢٩١) .

(٣) انظر المحيط بالتكليف (٢١) .

المعتبرة في إثبات وجود الله هي إثبات حدوث العالم . فإذا كان القدم صفة ذات الله وحده يختص بها، ولا يشاركه فيها غيره، كان العالم حينئذ بكل ما فيه من أجسام محدثة .

فمستند مذهبهم في هذا مبناه على قاعدة ((إن مالا ينفك عن الحوادث فهو حادث)) .

والأجسام لا تنفك عن الأعراض ؛ والأعراض زائلة أو متغيرة، وما كان زائلاً أو متغيراً فهو حادث، وليس بقديم. وكل مالا ينفك عن الحوادث ولا يتقدمها فهو حادث ، إذن فالأجسام حادثة لأنها لا تنفك عن الحوادث ولم تتقدمها .

قال أبو الهذيل العلاف[٢] : ((إن الأجسام لم تنفك من الحوادث ولم تتقدمها، وما لم يخل من المحدث ولم يتقدمه يجب أن يكون محدثاً مثله))[٣] .

ولما كانت الصفات تعتبر أعراضاً وحوادث ؛ فلو قامت بالله تعالى للزم قيام الأعراض والحوادث به ، إذ الأعراض لا تقوم إلا بجسم وما كان محلاً للحوادث فهو حادث ، لذلك أنكروا قيام الصفات بذاته تعالى .

يقول أبو الحسين الخياط المعتزلي : ((إن الله لو كان عالماً بعلم ؛ فإما أن يكون ذلك العلم قديماً أو يكون محدثاً .

....

(١) منهاج السنة (١/ ٣٠٣) ، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٤٤) .

(٢) هو : محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصري الغلاف (١٣٥-٢٣٥هـ) ، شيخ أهل الكلام ورأس أهل الاعتزال ، صاحب تصانيف منها : الرد على المجوس ، والرد على اليهود . انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٣) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (٩٥) ، وانظر مذاهب الإسلاميين البدوي (٣٩٧-٤٠٢) .

ولا يمكن أن يكون قديماً لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين، وهو تعدد، وهو قول فاسد . ولا يمكن أن يكون علماً محدثاً : لأنه لو كان كذلك ؛ يكون قد أحدثه الله ؛ إما في نفسه أو في غيره أو لا في محل .

فإن كان أحدثه في نفسه : أصبح محلاً للحوادث، وما كان محلاً للحوادث فهو حادث وهذا محال .

وإذا أحدثه في غيره : كان ذلك الغير عالماً بما حله منه دونه كما أن من حله اللون فهو المتلون به دون غيره .

ولا يعقل أن يكون أحدثه لا في محل : لأن العلم عرض لا يقوم إلا في جسم فلا يبقى إلا حال واحد وهو أن الله عالم بذاته))[١] .

وقد نقل أبو الحسن الأشعري[٢] وابن المرتضى إجماع المعتزلة على أن الله ليس بجسم[٣] .

وقال عبد الجبار المعتزلي : ((كل ما كان مما لا يجوز إلا على الأجسام فيجب نفيه عنه تعالى وإذا ورد في القرآن آيات تقتضي بظاهرها التشبيه وجب تأويلها ؛ لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ،ودليل العقل بعيد عن الاحتمال))[٤] .

---

(١)الانتصار (٨٢-٨٣)و انظر أيضاً (١٦٨-١٧١) و كتاب الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (١/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) هو : علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري من أحفاد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري (٢٦٠-٣٣٠هـ) إمام الأشاعرة وإليه تنتسب ، رجع في آخره إلى مذهب السلف في الجملة ، من كتبه الإبانة ، ومقالات الإسلاميين ، ورسالة إلى أهل الثغر . انظر تبيين كذب المفترى (١٤٦) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥) .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (١٥٥) وطبقات المعتزلة لابن المرتضي (٧-٨) .

(٤) المحيط بالتكليف (٢٠٠) .

ومن خلال هذه النقول عن المعتزلة وغيرهم يتضح أن شبه المعتزلة في تعطيل الباري جل وعلا عن صفاته بالاستناد إلى دليل الأعراض وحدوث الأجسام ينحصر في أمرين :

أولهما : قولهم إن الله تعالى ليس بجسم لأن الأجسام متماثلة وهي محدثة على حد زعمهم .

ثانيها : قولهم : لا تقوم بالله تعالى الصفات ولا الأفعال لأن المعقول من الصفات والأفعال أنها أعراض حادثة قائمة بجسم ، فلو قامت به الصفات لكان جسماً والله ليس بجسم .

فلو قامت به الصفات وهي حوادث لكان بزعمهم محلاً لها ومالا يخلو من الحوادث فهو حادث[1] .

النقد : لاشك أن هذه الطريقة التي يستدل بها هؤلاء مع أنها طريقة مبتدعة في دين الإسلام هي باطلة طويلة خطيرة ومقدماتها تفصيل وتقسيم يمتنع ثبوت المدّعي بها مطلقاً[2] . فإن حاصلها - بعد التعب الكثير والسلامة – خير قليل ، فهي كلحم جمل غث على رأس جبل وعر ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل . ثم إنه يفوت بها من المقاصد الواجبة المحمودة مالا ينضبط هاهنا.

فإن هذه الطريقة كثيرة المقدمات ، ينقطع السالكون فيها كثيراً قبل الوصول . ومقدماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها . وإما خفية لا يدركها إلا الأذكياء[3] .

وأما الطرق الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت وصفين :

أحدهما : أن تكون يقينية .

---

(١) الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم (١/ ٣٧٣-٣٧٤) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٠٤) .

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٢) .

والثاني : أن تكون بسيطة غير مركبة ؛ أعني قليلة المقدمات فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأول[١] .

ثانياً : ثم إن هذا الدليل لم يستدل به أحد من الصحابة والتابعين ولا من يشار إليه من أئمة المسلمين المتمسكين بهدي سلف الأمة، فلو كانت معرفة الرب جل وعز والإيمان به موقوفة عليه للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله، ولا مؤمنين به، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين .

الثالث : أن الأنبياء والمرسلين لم يأمروا أحداً بسلوك هذه الطريقة، أو مثلها، فلو كانت المعرفة موقوفة عليه، وهي واجبة لكان واجباً ، وإن كانت مستحبة كان مستحباً، ولو كان واجباً أو مستحباً لشرعه رسول الله ﷺ، ولو كان مشروعاً لنقلته الصحابة .

إذ أمر التوحيد وإثبات الصانع : لا تبرح فيهما الحاجة داعية أبداً في كل وقت وزمان، ولو أخِّر فيها البيان لكان قد كلفهم مالا سبيل لهم إليه .

وقد علمنا أن النبي ﷺ لم يدعهم من هذه الأمور إلى الاستدلال بالإعراض وتعلقها بالجواهر وانقلابها ؛ إذ لا يمكن أحدٌ من الناس أن يروي في ذلك عنه ، ولا عن أحد من الصحابة من هذا النمط حرفاً واحداً فما فوقه لا من طريق تواتر ولا آحاد : عُلِم أنهم قد ذهبوا خلاف مذهب هؤلاء وسلكوا غير طريقهم[٢] .

يقول الغزالي : ((فليت شعري متى نقل عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قالوا لمن جاء مسلماً : الدليل على أن العالم حادث أنه لا يخلو عن الأعراض، ومالا يخلو عن الحوادث حادث))[٣] .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٦) ، وانظر منهاج السنة (١/ ٣٠٣) .

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٥) .

(٣) فيصل التفرقة (٨٩) عن الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم (٢/ ٢١٨) .

ويقول أبو الوفاء بن عقيل[(١)] : ((أنا أقطع أن الصحابة ماتوا ولم يعرفوا الجوهر ولا العرض . فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت))[(٢)] .

الرابع : أن ثمة طرقاً شرعية بينة واضحة، سهلة التناول، سليمة من التعقيد، لا غموض فيها ولا لبس، تكون بديلة عن دليل الأعراض، بل إن معرفة الله ليست موقوفة على أصولهم، بل إن من تمام المعرفة موقوف على العلم بفساد أصولهم ومذاهبهم إذ إن غاية أصولهم - إن أثمرت - لم تأت إلا بما هو مستقر في فطر بني آدم .

والمقصود بيان كثرة طرق معرفة الله والإقرار به وتنوعها :

- فمنها ما هو شرعي .
- ومنها ما هو عقلي .
- ومنها ما هو عقلي شرعي .
- ومنها ما هو فطري .
- ومنها ما هو حسي[(٣)] .

كلها يغني الواحد عن هذا الدليل = كثير الشبهات صعب المسالك طويل المفاوز خطير الزلل = .

---

(١) هو : علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي (٤٣١-٥١٣هـ) ، شيخ الحنابلة ، إمام متكلم ، صاحب تصانيف منها الفنون ، كان يتوقد ذكاء ، وكان بحر = معارف ، وكنز فضائل لولا انحرافه عن السنة .

انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣) .

(٢) تلبيس إبليس (٨٥) .

(٣) انظر مثلاً العقيدة في الله للأشقر (٦٣-١٨٥) وعقيدة التوحيد في القرآن (١٤١-٣٠٠) ، وقد سبق في الفصل الأول من هذا الباب ما يكفي في هذا .

الخامس : أنه يلزم من اعتمد على هذا الدليل لوازم فاسدة، إذ كل من أخذ به لا بد له من أحد أمرين :

أ – إما أن يطلع على ضعف هذا الدليل المستدل به على حدوث العالم فيقابل بين أدلته وأدلة القائلين بقدم العالم ؛ فتتكافأ عنده أدلة الفريقين ؛ فيرجح أدلة فريقه تارة وأدلة معارضيه تارة أخرى، فيبقى في الحيرة والشك .

ب – وإما أن يلتزم لأجل هذا الدليل بعض اللوازم المعلومة الفساد في الشرع والعقل فيلزمه نفي ما طمع في إثباته فيقع في ما فرّ منه مع المخالفة الصريحة للشرع والعقل معاً(١) .

*** ومن هذه اللوازم الفاسدة :**

١) الاحتكام إلى العقول وجعلها مقياساً لإثبات الله تعالى وإثبات صفاته. إذ إن المبتدعة لأجل هذا الدليل اثبتوا ما أثبتوه من صفات الله بالقياس العقلي، ونفوا ما نفوه بالقياس العقلي أيضاً . ولاشك في خطورة هذا وفساده .

٢) تعطيل الباري عز وجل عن صفاته العليا أو عن بعضها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((والتزم طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها [أي مقدمات دليل الأعراض] نفي صفات الرب مطلقاً أو نفي بعضها ، لأن الدال عندهم على حدوث هذه الأشياء هو قيام الصفات بها؛ والدليل يجب طرده ، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به ، وهو أيضاً في غاية الفساد والضلال ولهذا التزموا القول بخلق القرآن ، وإنكار رؤية الله في الآخرة ، وعلوه على عرشه إلى أمثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم))(٢) .

---

(١) انظر درء التعارض (١/ ٣٩) .

٣) ثم إنه انبنى على هذا التعطيل لأسمائه وصفاته - سبحانه - تعطيله عن أن يكون فاعلاً خالقاً أزلياً، بل تعطيله عن أن يكون موجوداً تبارك وتعالى. فأصحاب هذا الدليل: ((لما اعتقدوا أن كل موصوف أو كل ما قامت به صفة أو فعل بمشيئة فهو محدث وممكن. لزمهم القول بحدوث كل موجود إذ كان الخالق جل جلاله متصفاً بما يقوم به من الصفات والأمور الاختياريات مثل أنه متكلم بمشيئته وقدرته ويخلق ما يخلقه بمشيئته وقدرته. لكن هؤلاء اعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه؛ لاعتقادهم صحة القول بأن ما قامت به الصفات والحوادث فهو حادث؛ لأن ذلك لا يخلو من الحوادث وما لم يخل من الحوادث فهو حادث. وإذا كان حادثاً كان له محدث قديم، واعتقدوا أنهم أثبتوا الرب، وأنه ذات مجردة عن الصفات، ووجوده مطلق لا يشار إليه ولا يتعين، ويقولون: هو بلا إشارة ولا تعيين.

وهذا الذي أثبتوه لا حقيقة له في الخارج، وإنما هو في الذهن فكان ما أثبتوه واعتقدوا أنه الصانع للعالم إنما يتحقق في الأذهان لا في الأعيان، وكان حقيقة قولهم تعطيل الصانع))[٢].

قال شيخ الإسلام: ((وحقيقة قولهم: إن من لم يزل متكلماً بمشيئته فهو محدث فيلزم أن يكون الرب محدثاً لا قديماً. بل حقيقة أصلهم أن ما قامت به الصفات والأفعال فهو محدث، وكل موجود فلا بد له من ذلك فيلزم أن يكون كل موجود محدثاً، ولهذا صرح أئمة هذا الطريق - الجهمية والمعتزلة - بنفي صفات الرب، وبنفي قيام الأفعال، وسائر الأمور الاختيارية بذاته. إذ هذا

....

(١) درء التعارض (١/ ٤١).

(٢) الفرقان بين الحق والباطل (٩٨-٩٩).

موجب دليلهم . وهذه الصفات لازمة له، ونفي اللازم يقتضي نفي الملزوم فكان حقيقة قولهم نفي الرب وتعطيله))(١) .

٤) ومن المفاسد أيضاً : تسلط أعداء الإسلام على أصحاب هذا الدليل قال شيخ الإسلام : ((فطريقتهم التي أثبتوا بها أنه خالق للخلق مرسل للرسل: إذا حُقِقَت عليهم وُجِدَ لازمُها أنه ليس بخالق ولا مرسل . فيبقى المسلم العاقل – إذا تبين له حقيقة الأمر وكيف انقلب العقل والسمع على هؤلاء – متعجباً . ولهذا تسلط عليهم بها أعداء الإسلام – من الفلاسفة والملاحدة وغيرهم – لما بينوا أنه لا يثبت بها خلق ولا إرسال ؛ فادعى أولئك قدم العالم وأثبتوا موجباً بذاته . وقالوا : إن الرسالة فيض يفيض على النبي من جهة العقل الفعال، لا أن هناك كلاماً تكلم الله تعالى به ، قائماً به أو مخلوقاً في غيره))(٢) .

وقال أيضاً : ((وإنما أوقع هذه الطوائف في هذه الأقوال : ذلك الأصل الذي تلقوه عن الجهمية ؛ وهو أن ما لم يخل من الحوادث فهو حادث . وهو باطل عقلاً وشرعاً وهذا الأصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا الإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا بل قد خالفوا السلف والأئمة وخالفوا العقل والشرع . وسلطوا عليهم وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة بسبب غلطهم في هذا الأصل الذي جعلوه أصل دينهم . ولو اعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المنقول والمعقول وثبت لهم الأصل . ولكن ضيعوا الأصول فحرموا الوصول . والأصول أتباع ماجاء به الرسول))(٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٥٤) .

(٢) شرح الأصفهانية(٣٢٩-٣٣٠) تحقيق السعوي.

(٣) الفرقان بين الحق والباطل (١٠٢) ومجموع الفتاوى (١٣/ ١٥٧) وانظر منهاج السنة (١/ ٣٠٤) .

٥) ومن المفاسد أيضاً ما اشتمل عليه هذا الدليل من الألفاظ المجملة المشتبهة التي يلتبس فيها الحق بالباطل . والتي يحصل بها الاشتباه والاختلاف والفتنة .

قال شيخ الإسلام : ((والمقصود هنا : أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة لما فيها من لبس الحق بالباطل، مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة بخلاف الألفاظ المأثورة والألفاظ التي بينت معانيها فإن ما كان مأثوراً : حصلت به الألفة. وما كان معروفاً حصلت به المعرفة))[1] .

جـ- شبهة التركيب :

سبق لنا أن المعتزلة نفت صفات الله تعالى بحجة أنه يلزم من إثباتها القول بتعدد القدماء . كما أنهم نفوا الصفات لشبهة أخرى لم تعد سابقتها وهي شبهة التركيب. وهم في هذا تبع للفلاسفة إذ الفلاسفة؛ يرون نفي الصفات بحجة أن إثباتها يستلزم التركيب. وقد سبق بيان هذا عند الكلام على التوحيد عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام – وعليه فهذه الشبهة : فلسفية معتزلية كما قال شيخ الإسلام[2] .

ولعل السبب في نفي الصفات بهذه الشبهة اعتقادهم أن إثباتها يستلزم التركيب، والتركيب ينافي التوحيد الذي قرروه .

فإثبات صفة قديمة يجعل القديم مركباً فـ ((لو كان موصوفاً بصفات قائمة بذاته لكان حقيقة الإلهية مركبة من تلك الذات والصفات ، والتركيب يستلزم الافتقار ويدل على الحدوث))[3] ، بزعمهم .

---

(١) درء التعارض (١/ ٢٧١) .

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٦٠٥) ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٤٤) .

(٣) شرح المقاصد (٤/ ٨٣) وقد نقله عنهم .

قال شيخ الإسلام : ((فإن المعتزلة يجعلون أخص وصفه القديم، ويثبتون حدوث ما سواه . والفلاسفة يجعلون أخص وصفه وجوب وجوده بنفسه، وإمكان ما سواه. فإنهم لا يقرون بالحدوث عن العدم ، ويجعلون التركيب الذي ذكروه موجباً للافتقار المانع من كونه واجباً بنفسه))[1] .

وقد سبق لنا بطلان هذه الشبهة عند الكلام على التوحيد عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام بما أغنى عن إعادته ولكن يمكن أن نجمل ما ذكرناه في نقاط مختصرة :

- إن هذا الدليل بدعي المنبع، وليس دليلاً شرعياً يجب أن يتحاكم إليه .
- إن ألفاظه مجملة تقتضي حقاً وباطلاً .
- إن لازم هذا الدليل على تفسيرهم تعطيل الرب عن موجب صفاته الحسنى بل نفي وجوده سبحانه، وأن وجوده وجود ذهني لا حقيقة له في الخارج.
- إنه يلزمهم هذا في ما أثبتوه نظير ما نفوه من الصفات كالوجود والذات.
- أنه لو سلم لهم هذا في المخلوق فلا يلزم منه في الخالق سبحانه لأن لكل منهما شيئاً يخصه عن غيره .



(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٤٤) .

المطلب الثالث : موقفهم من توحيد الألوهية :

على الرغم من أن نصوص الكتاب والسنة قد بينت قضية التوحيد وقررت ما يجب لله، وما يستحيل في حقه، ووضحت الأمور التي تقدح في التوحيد فتنفيه أو تنفي كماله؛ غير أنا نجد المعتزلة قد أخطأت في معنى التوحيد وفهمه، فقد أدرجت في مسمى التوحيد نفي الصفات مطلقاً ونفي الرؤية في الآخرة، وأدخلت فيه القول بخلق القرآن فلا يكون العبد موحداً - على حد زعمهم - حتى يقر بأصولهم ويشاركهم في بدعتهم. وقد لقبوا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، حتى اعتبروا من أثبت الصفات أو الرؤية مشبهاً وممثلاً ومشركاً .

ونحن نعلم علم يقين أن التوحيد بهذا المفهوم الذي ذهب إليه هؤلاء ليس هو التوحيد الذي دعى إليه القرآن وبينه الرسول ﷺ للناس؛ لأن التوحيد الذي جاء به القرآن هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية والصفات .

وهذا التوحيد (توحيد الألوهية) والذي هو حقيقة دعوة الرسل لم يتضمنه التوحيد الذي قررته المعتزلة، بل ولا حتى كإشارة، بل لا تجد في كلام القوم عن التوحيد التطرق لتوحيد الألوهية مطلقاً بل إن المعتزلة لم تعرفه[١] . ويمكن إدراك هذا الخلل والإهمال في التوحيد عند هؤلاء من خلال عدة وجوه :

الأول : أن مفهوم التوحيد عندهم هو مجرد الاعتقاد بالربوبية. فحصروا التوحيد في هذا النوع عن المعنى الأعم والمقصد الأسنى الذي أرسلت الرسل لتحقيقه، وهو توحيد الألوهية، فأهملوه في مباحثهم الكلامية ولا تجد له ذكراً في كتبهم ولاشك أن هذا تفسير قاصر، ومعنىً باطل لمفهوم التوحيد الصحيح .

---

(١) انظر درء التعارض (١/ ٢٢٦-٢٢٨) فإنه مهم .

قال الزمخشري المعتزلي[(١)] ((و ح د)) : هو واحد ووحد الله توحيداً وله الوحدانية وأَحِّد ربك توحد الله تعالى بالربوبية وتوحد الله بالفضل .

وأوحد الله فلان جعله بلا نظير[(٢)] .

وقد زعمت المعتزلة أن إنكار رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم في الآخرة داخل في مسمى التوحيد[(٣)] .

فليتهم في إفرادهم الربوبية اقتصروا على ما جاء به الوحي - إذ المصيبة عند ذلك تهون نوعاً ما - ولكن نحو في التوحيد منحىً غريباً جداً مبني على نفي الصفات ، وإهمال توحيد الألوهية. فهو في حقيقته مع نقصه مخالف لصريح الكتاب والسنة[(٤)] .

الوجه الثاني : أنهم حصروا الشرك في من خالف التوحيد الذي قرروه يقول عبد الجبار : ((أما من خالف في التوحيد ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه عنه فإنه يكون كافراً))[(٥)] .

وذلك أنه لما كان التوحيد عندهم يتضمن وحدانية الذات والصفات على ما قرروه وأخرجوا التوحيد العملي : (توحيد الألوهية) من التوحيد ترتب على ذلك أن الشرك لا يكون إلا في الشرك الاعتقادي لا غير . وعلى هذا فلا يعتبر

---

(١) هو : محمود بن عمرو بن محمد الزمخشري أبو القاسم (٤٦٧-٥٣٨هـ) ، أديب مفسر من رؤوس المعتزلة ، من كتبه الكشاف ، والفائق في غريب الحديث . انظر سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥١) .

(٢) أساس البلاغة (٢/ ٤٩٥) وانظر أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (٤٩٨) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (٢٣٢-٢٧٧) .

(٤) انظر أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (٥٠١-٥٠٢) .

(٥) شرح الأصول الخمسة (١٢٥) .

هؤلاء الشرك العملي من الشرك إلا إذا تضمن اعتقاد استقلالية المعبود، أو مشاركة لله في الذات أو الصفات[١] .

يقول الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[٢] بعد أن فسر الند بالشبيه والشريك والمثيل : ((ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد: نفي ما يسد مسده، ونفي ما ينافيه . فإن قلت : كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يُعظَّم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه . قلت : لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته. فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم))[٣] .

الوجه الثالث : - وله تعلق بالذي قبله - وهو إهمال المعتزلة لتوحيد الألوهية ومفرداته فلا تجد له ذكراً في كتبهم الكلامية فدعاء الأموات والذبح لغير الله والتوسل إلى النبي والصالحين أو بهم وغيرها مما ينافي التوحيد أو كماله؛ ولكن المعتزلة أهملوا ذكره بل وقع بعضهم فيها لجهله بحقيقة التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب[٤] .

الوجه الرابع : تفسيرهم ((الإله)) :

فإن المعتزلة كما سبق تفسر الإله بالقديم أو الربوبية[٥] لأنه كما زعموا أخص وصف للإله. ولو فسر بغير ذلك للزم تكذيب جميع الرسل[١] . وفي هذا

---

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٥٤٤) .

(٢) سورة البقرة (٢٢) .

(٣) الكشاف (١/ ٢٣٦-٢٣٧) .

(٤) انظر أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (٥١٤) ، ومجموع الفتاوى (٤/ ١٥٠-١٥١)، ودرء التعارض (١/ ٢٢٦-٢٢٨) ، وانظر في كتبهم : شرح الأصول الخمسة (٥٣٤) ، والكشاف (٤/ ١٣٢، ١٦٢، ١٦٧، ٣٠٢-٣٠٤) .

(٥) انظر المغني (٤/ ٢٤٢) وشرح الأصول الخمسة (٢٨٣-٢٨٤) .

التفسير إلغاء لمعنى الألوهية الشرعية. وإذا كان معنى الألوهية هو بالمعنى الـذي فسروا فإن هذا يعد مصادرة لتوحيد الألوهية بأكمله مـن حيـث الحقيقـة ، وإن بقي اسمه الظاهر . ومن ثم فمن ترك توحيد الألوهية – بالمعنى الـسني الـسلفي – أو أشرك فيه لا يعد تاركاً لشيء من التوحيد عند المعتزلة .

وقد جاء هذا واضحاً عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٢] وذكرهم دليل التمانع . فهذا القاضي عبد الجبار عند تقريره دليل التمانع جعله تفسيراً لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) : إذ يقول : ((فأما دلالة السمع – أي على دليل التمانع – فأكثر من أن تذكر نحو قوله جل وعلا (لا إله إلا الله) وأشباهه))[٣] .

ولعل مـن خـلال هـذه الوجـوه يتـضح أن المعتزلـة غفلـوا عـن توحيـد الألوهية، وتوهموا أن التوحيد المطلوب هو توحيد الربوبية، فاجتهدوا في تقريـر الأدلة عليه ليثبتوا أن هذا الكون حادث، وأن له خالقاً خلقـه، ثـم اجتهـدوا في إيراد الأدلة لإثبات أن خالق العالم واحد، وأنه لم يصدر عن خالقين .

وهكذا نجد أن التوحيد الذي تعب في تقريره هؤلاء يـدور حـول توحيـد الربوبية، وإثبات الصانع، وأن خالق العالم واحد، فهو يقـوم علـى نفـي التعـدد والأثنينية متوهمين أن الذي أثبتوه هو التوحيـد المطلـوب، وأن هـذا هـو معنـى كلمة التوحيد لا إله إلا الله .

(١) شرح الأصول الخمسة (٢٨٤) .

(٢) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (٢٨٣-٢٨٤) .

ومن استقرأ أحوال الأمم يجد أنه لم تقل طائفة من الأمم أن العالم وجد عن خالقين متماثلين في الصفات والأفعال ؛ بل ولا زعم أحد من الخلق أن أحداً شارك الله في خلق هذا الكون وإيجاده .

وعامة المشركين بالله لا يعتقدون أن الشريك مساوياً للخالق في صفاته بل هم مقرون بأن الشريك ليس مثل الخالق سبحانه، ويقرون بأن الشريك إنما هو مملوك له سبحانه سواء كان ملكاً أو كوكباً أو صنماً كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك)[١].

وقد أخبر القرآن الكريم بأن المشركين كانوا مقرين بأن الله وحده الذي خلق المخلوقات كلها، ولكنهم أشركوا في توحيد العبادة، فاتخذوا الوسائط والشفعاء زاعمين أنها تقربهم إلى الله زلفى .

ولعلنا نستخلص من جميع ما سبق أن المعتزلة أخفقوا في تحقيق توحيد الأسماء والصفات، وغفلوا عن توحيد الألوهية، واهتموا بمجرد إثبات الصانع وأن خالق العالم واحد[٢] .



(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الحج (٢٨٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) انظر أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (٥٣٤-٥٣٦) .


المبحث الثالث :
التوحيد
عند الأشاعرة

المطلب الأول : التوحيد عند الأشاعرة حقيقته وأقسامه :

حاد المتكلمون من الأشاعرة ومن وافقهم عن منهج السلف في التوحيد ومفهومه فحيث إن حقيقة التوحيد عند السلف والذي جاءت به الرسل هو توحيد الألوهية[(١)] .

نرى بأن التوحيد عند الأشاعرة هو إثبات الوحدة في الذات الإلهية والصفات والأفعال من حيث ما يجب له وما يستحيل وما يجوز[(٢)] .

فحقيقته عندهم والذي حشدوا به مصنفاتهم لم يخرج – إن خرج – عما كان يعتقده مشركو العرب من الإيمان بالله وربوبيته[(٣)] .

يقول الغزالي في قواعده في تعريفه للتوحيد :

((هو أنه في ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثل له، صمد لا ضد له، منفرد لا ند له، واحد قديم، لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انهزام له، لم يزل ولا يزال، موصوفاً بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد؛ وانقراض الآجال : بل ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[(٤)] .

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٦٢) .

(٢) هداية المريد إلى جوهرة التوحيد (٩) .

(٣) قد سبق تقرير هذا كثيراً .

(٤) سورة الحديد (٣) .

وأنه تعالى متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب، ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم، له الفضل والإحسان والنعمة والامتنان ...)) الخ(١) .

فحقيقة التوحيد عند هذين الإمامين وجميع الأشاعرة مبني(٢) على إثبات وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفاته وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينفى عنه .

وبعبارة أخرى : ((إثبات الوحدة لله في الذات والفعل))(٣) .

فهذه هي حقيقة التوحيد عندهم : إثبات وجود الله تعالى وأفعاله. ولاشك أن هذا التوحيد الذي قرره هؤلاء لا ينازع فيه أحد حتى المشركون – وقد سبق توضيح ذلك – قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٤) وغيرها .

وإنما النزاع كان في توحيد الألوهية والذي هو مقتضى كلمة الشهادة التي دعا إليها الرسول ﷺ ومن قبله من الرسل .

أقسام التوحيد عند الأشاعرة :

يقسم الأشاعرة التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

- توحيد الذات .

---

(١) قواعد العقائد مختصراً (٩٥-٩٨) ضمن مجموعة رسائل الغزالي المجموعة الثانية .

(٢) سيأتي كثير من نصوص أئمتهم في ثنايا البحث تدل على ما ذكرنا .

(٣) رسالة التوحيد محمد عبده (٨) ، وانظر للاستزادة في كتبهم (قواعد العقائد تحقيق : موسى محمد على (١٧٢) الإنصاف (٤٩-٥٠) لمع الأدلة (٩٨) الإرشاد (٢٦-٢٧) وهداية المريد إلى جوهر التوحيد (٣١-٣٤) الاقتصاد (٤٩) .

(٤) سورة لقمان (٢٥) .

- توحيد الصفات .
- توحيد الأفعال .

يقول الشهرستاني[١] :

((الباري تعالى واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له))[٢] .

ويقول : ((وأما التوحيد فقد قال أهل السنة[٣] وجميع الصفاتية : إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له ، وواحد في أفعاله لا شريك له))[٤] .

وبمثله نقل القشيري[٥] عن أبي بكر بن فورك[٦] ولم يزد عليها[٧] .

---

(١) هو : أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني (٤٦٧-٥٤٨)هـ متكلم أشعري فيه نزعة فلسفة باطنية صوفية احتار في آخر عمره من كتبه الملل والنحل ومصارعة الفلاسفة ونهاية الإقدام في علم الكلام .
انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٨٦) ومنهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل.

(٢) نهاية الإقدام (٩٠) .

(٣) ويقصد بهم الأشاعرة .

(٤) الملل والنحل (١/ ٤٢) .

(٥) هو : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك الخرساني أبو القاسم القشيري (٣٧٥-٤٦٥) متكلم أشعري صوفي . من كتبه الرسالة القشيرية وشرح أسماء الله الحسنى .
انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢٧) .

(٦) هو : محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني توفي (٤٠٦) هـ متكلم أشعري من كتبه مجرد مقالات الأشعري ومشكل الحديث .
انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٤) تبيين كذب المفترى (٢٣٢) وما بعدها .

(٧) شرح أسماء الله الحسنى للقشيري (٢١٥) .

وقد قام البيجوري[1] بشرح هذه الأقسام الثلاثة ووضحها بقوله : ((الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية الأفعال تنفي كموماً[2] خمسة :

- الكم المتصل في الذات. وهو تركبها من أجزاء .
- والكم المنفصل فيها. وهو تعددها بحيث يكون هناك إله ثان فأكثر .

وهذان الكمان منفيان بوحدة الذات .

- والكم المتصل في الصفات وهو التعدد في صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين فأكثر ...
- والكم المنفصل في الصفات. وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى ...

وهذا الكمان منفيان بوحدانية الصفات .

- والكم المنفصل في الأفعال. وهو أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما ينسب الفعل على وجه الكسب والاختيار .

وهذا الكم منفي بوحدانية الأفعال ...

- وأما الكم المتصل في الأفعال فإن صورناه بتعدد الأفعال فهو ثابت لا يصح نفيه لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء و إماتة إلى غير ذلك .

وإن صورناه بمشاركة غير الله في فعل من الأفعال فهو منفي بوحدانية الأفعال))[1] .

---

(١) هو : إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري (١١٩٨-١٢٧٧) هـ من شيوخ الأزهر أشعري المذهب من أشهر كتبه تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد .
انظر الأعلام (١/ ٧١) .

(٢) الكم هو العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته .
التعريفات (٢٣٩) .

وبنحو هذا التقسيم أشار الغزالي في روضة الطالبين غير أنه جعل أصول التوحيد خمسة – وهي لم تخرج في حقيقتها عن هذه الثلاث التي ذكرها ابن فورك والشهرستاني – فقال : ((اعلم أن إثبات التوحيد خمسة أشياء في أصول التوحيد لابد لكل مكلف من اعتقادهن :

- أحدها : وجود الباري تعالى ليبرأ به من التعطيل .
- ثانيها : وحدانيته تعالى ليبرأ من الشرك .
- وثالثها : تنزيهه تعالى عن كونه جوهراً او عرضاً وعن لوازم كل منهما ليبرأ به من التشبيه .
- ورابعها : إبداعه تعالى بقدرته واختياره لكل ما سواه ليبرأ عن القول بالعلة والمعلول .
- و خامسها : تدبيره تعالى لجميع مبتدعاته ليبرأ عن تدبير الطبائع والكواكب والملائكة .

وقوله : لا إله إلا الله ، يدل على الخمسة))[٢] .

وما ذكره الغزالي من أصول لم تخرج في مضمونها عن تلك الأقسام الثلاثة السالفة الذكر والتي قررها أئمة الأشاعرة .

هذه هي حقيقة التوحيد وأقسامه عند الأشاعرة ومن وافقهم وهو بهذا الاعتبار كما يقول الشيخ محمد عبده[٣]:((كان الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ

---

(١) شرح الجوهرة (٥٩-٦٠) مختصراً عن كتاب حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (١٢١-١٢٣) .

(٢) المجموعة الثانية (٢٣) من مجموعة رسائل الغزالي .

(٣) هو : محمد بن عبده بن حسن بن خير الله التركماني (١٢٦٦-١٣٢٣) هـ مفتي الديار المصرية وهو من أكبر تلاميذ جمال الدين الأفغاني ومن كبار رواد المدرسة العقلية الحديثة . من كتبه رسالة التوحيد .

كما تشهد به آيات الكتاب العزيز))[١] .

ولاشك أن هذا التوحيد على هذا النحو الذي قرره هؤلاء ليس هو التوحيد الذي جاءت به الرسل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد مناقشة طويلة في هذا : ((والمقصود هنا أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو المذكور في الكتاب والسنة وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون ، وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول . فهم مع زعمهم أنهم الموحدون ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله .

بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة .

وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده ، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً فقد وحده ، ومن عبد من دونه شيئاً من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد مخلص له الدين، وإن كان مع ذلك قائلاً بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد ؛ حتى لو أقر بأن الله وحده خالق كل شيء وهو التوحيد في الأفعال الذي يزعم هؤلاء المتكلمون أنه يقر أن لا إله إلا هو ، ويثبتون بما توهموه من دليل التمانع وغيره لكان مشركاً . وهذه حال مشركي العرب الذين بعث الرسول إليهم ابتداءً وأنزل القرآن ببيان شركهم ، ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص الدين له ؛ فإنهم كانوا يقرون بأن الله وحده الذي خلق السموات والأرض ...

والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول :

....

انظر الأعلام (٦/ ٢٥٢) .

(١) رسالة التوحيد (٨) .

١) التوحيد في العلم والقول :

وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ولا يتفرق فيكون شيئين . وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه وكفؤ .

٢) والتوحيد في الإرادة والعمل :

وهو عبادته وحده لا شريك له))(١) . أ.هـ .

والمقصود أن هذا التوحيد بهذا التقسيم الذي ذكره المتكلمون من الأشاعرة مع مخالفته لما جاءت به الرسل قد اشتمل من القصور والتحريف والباطل واللبس لعباراته المجملة المحتملة ما اقتضى الوقوف مع كل قسم من تلك الأقسام لكشف ما فيها :

١) فقولهم : إن الله واحد في ذاته لا قسيم له :

ويفسرون ذلك بأن معناه أنه لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب .

وهذا الكلام مجمل ؛ فإن قصد به أن الله تعالى أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، وأنه يمتنع أن يتفرق أو يتجزأ أو يكون قد ركب من أجزاء . فهذا حق لا ريب فيه .

لكن إن قصد به نفي علوه، ومباينته لخلقه، وأنه لا يشار إليه، ولا ينزل كما يشاء فهذا باطل قطعاً .

فأي الأمرين يقصد هؤلاء بقولهم إن الله واحد في ذاته لا قسيم له. وقد وضح شيخ الإسلام مرادهم بهذا فقال : ((وإنما مرادهم بذلك أنه لا [يشهد](٢) ولا يرى منه شيء دون شيء، ولا يدرك منه شيء دون شيء، ولا يعلم منه شيء دون شيء، ولا يمكن أن يشار إلى شيء منه دون شيء، بحيث أنه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٨-٤٧٩) مختصراً وانظر التسعينية (٣/ ٧٩٧-٨٠٢) .

(٢) كذا في المطبوعة ولعل الصواب [يشاهد] .

ليس في نفسه حقيقة عندهم قائمة بنفسها يمكنه هو أن يشير منها إلى شيء دون شيء أو يرى عباده منها شيئاً دون شيء، بحيث إذا تجلى لعباده يريهم من نفسه المقدسة ما شاء. فإن ذلك غير ممكن عندهم ولا يتصور عندهم أن يكون العباد محجوبين عنه بحجاب منفصل عنهم يمنع أبصارهم رؤيته، فإن الحجاب لا يحجب إلا ما هو جسم منقسم ، ولا يتصور عندهم أن الله يكشف عن وجهه الحجاب ليراه المؤمنون، ولا أن يكون على وجهه حجاب أصلاً، ولا أن يكون بحيث يراه العبد أو يصل إليه أو يدنو منه أو يقرب إليه في الحقيقة، فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم، ويسمون ذلك نفي التجسيم إذ كل ما ثبت له ذلك كان جسماً منقسماً مركباً والباري [فإنه](١) منزه عندهم من هذه المعاني))(٢) .

وقد صرح الرازي بأن كل متحيز فهو منقسم وكل منقسم فهو ليس بأحد(٣) .

وهكذا صار حقيقة التوحيد والواحد والأحد عند هؤلاء نفي صفات الله الخبرية ونفى علوه على عرشه(٤) .

٢) وأما قولهم : وأنه واحد في صفاته لا شبيه له .

فإن هذه أقرب إلى الحق من تلك، ولكنها مع قربها للحق لم تخل من الإجمال . إذ أدخل الأشعرية إثبات بعض الصفات في مسمى التشبيه، كما أدخل المعتزلة إثبات الصفات في مسمى التشبيه .

---

(١) كذا في المطبوعة ولعل الصواب حذفها وقد أشار المحقق أنها ساقطة من المطبوعة القديمة .

(٢) التسعينية (٣/ ٧٨٠-٧٨١) .

(٣) أساس التقديس (١٧) ط ، الحلبي عام (١٣٥٤هـ) .

(٤) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٤٧-٩٤٨) .

ولاشك في بدعية ما ادعاه هؤلاء- مع اضطرابهم فيه- إذ كل من سمع ما جاءت به الرسل يعلم بالاضطرار أن هذه الأمور ليست مما بعث الله به رسوله ، ولم يكن الرسول يعلم أمته هذه الأمور، ولا كان أصحاب رسول الله ﷺ عليها . فكيف يكون هذا التوحيد الذي هو أصل الدين لم يدع إليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون ؟ بل يعلم بالاضطرار أن الذي جاء به الرسول من الكتاب والسنة يخالف هذا المعنى الذي سماه هؤلاء الجهمية توحيداً[(١)] .

٣) وأما قولهم : وأنه واحد في أفعاله لا شريك له وأن الله رب كل شيء وخالقه .

فهذا حق ولا مرية فيه ، يقول شيخ الإسلام : ((وهذا معنى صحيح وهو حق . وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم حيث اعترفوا فيها بأن الله خالق كل شيء و[مربيه][(٢)] ومدبره))[(٣)] .

لكن الخطأ الذي وقع فيه الأشاعرة هنا هو أنهم فهموا أن هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل . وأنه المقصود بشهادة أن لا إله إلا الله . ومن المعلوم أن هذا التوحيد قد أقر به المشركون ولم ينكره أحد من بني آدم ، ((ولكن غاية ما يقال : إن المعتزلة وغيرهم جعلوا بعض الموجودات خلقاً لغير الله كأفعال العباد . ولكنهم يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم وإن قالوا : أنهم خالقو أفعالهم .

---

(١) التسعينية (٣/ ٧٨٢) وانظر المصدر السابق (٣/ ٩٤٨-٩٤٩) .

(٢) في المطبوعة (ومر به) ولعل الصواب ما أثبت . وقد أشار المحقق أن في المطبوعة القديمة بنحو ما أثبت هنا .

(٣) التسعينية (٣/ ٧٩٦) .

فما قرره هؤلاء في التوحيد لم ينازعهم المشركون فيه بل يقرون به مع أنهم مشركون كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع، وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام ذلك [١] .

فهذه معاني التوحيد وأقسامه عند الأشاعرة ، والتي يقولون إنها معنى اسم الله الواحد وهي التوحيد .

وفيها من البدع التي خولف فيها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ما قد نبهنا على بعضه مع ما في ظاهر عباراته من الحق الممزوج بالباطل إضافة إلى الخلل والتقصير الواقع فيه[٢] .

---

(١) التدمرية (١٨١-١٨٢) بتصرف يسير. وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٤٩) .

(٢) انظر التسعينية (٣/ ٧٩٦-٧٩٧) .

المطلب الثاني : توحيد الربوبية :

اهتم الأشاعرة بتوحيد الربوبية في الجملة وعنوا بتحصيله وتقريره حتى ظنوا أنه الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب(١) . غير أن هذا الظن لم يكن في مكانه إذ لا تكاد تخالف فيه طائفة معروفة من بني آدم(٢) .

ولقد أطال الأشاعرة في بحث هذا التوحيد في كتبهم وأكثروا من تقريره والاعتناء به .

وقد غلطوا في هذا التقرير غلطاً بيناً، ومنشأ الغلط الذي أوقعهم في هذا هو أنهم فهموا من معنى الإله أنه بمعنى القادر على الاختراع(٣) .

وأن الإله بمعنى آله لا بمعنى مألوه(٤) .

فهم يرون أن أخص خصائص الألوهية وأخص وصف الرب هو القدرة على الاختراع(٥) .

وهذا الفهم الخاطئ قال به إمامهم الأشعري(٦) وتبعه على ذلك جميع الأشاعرة(٧) – وقد سبق لنا تقرير ذلك عند السلف وأن الإله بمعنى المألوه

---

(١) صرح بذلك محمد عبده في رسالة التوحيد (٨) .

(٢) انظر التدمرية (١٧٧-١٧٨، ١٨١) .

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ١٠١) .

(٤) درأ التعارض (٩/ ٣٧٧) .

(٥) انظر الملل والنحل (١/ ١٠٠) ، الصفدية (١/ ١٤٨) ، دعوة التوحيد للهراس (٢١٩).

(٦) نهاية الإقدام (٩١) ، أصول الدين للبغدادي (١٢٣) ، الملل والنحل (١/ ١٠٠) .

(٧) انظر مثلاً المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ٢٢٧) ، أصول الدين للبغدادي (١٢٣) ، الاعتقاد للبيهقي (٤٩) ، وانظر للاستزادة حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٤٧٢-٤٧٧) .

المعبود – لا بالمعنى الذي يقوله هؤلاء – وأن هذا هو الذي جاءت به النصوص الشرعية .

قال شيخ الإسلام : ((والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق .

فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية(١) .

= وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن الأشعري وأتباعه = لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين ...))(٢).

والمقصود أن غاية التوحيد الذي قرره هؤلاء هو توحيد الربوبية. وقد قرره علماء الأشاعرة جميعاً بدليل التمانع المشهور؛ فهو عمدتهم في إثبات الوحدانية. وخلاصته كما يقول الأشعري :

((فإن قال قائل : لم قلتم : إن صانع الأشياء واحد ؟

قيل له : لأن الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على أحكام، ولابد أن لا يلحقهما العجز أو واحداً منهما ؛ لأن أحدهما إذا أراد أن يحيي إنساناً وأراد الآخر أن يميته ، لم يخل أن يتم مرادهما جميعاً أو لا يتم مرادهما أو يتم مراد أحدهما دون الآخر .

ويستحيل أن يتم مرادهما جميعاً لأنه يستحيل أن يكون الجسم حياً ميتاً في حال واحدة .

---

(١) يقصد شيخ الإسلام بمتكلمة الصفاتية الأشاعرة ومن وافقهم .

(٢) درء التعارض (١/ ٢٢٦) .

وإن لم يتم مرادهما جميعاً وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً.

وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب العجز لمن لم يتم مراده منهما ، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً فدل ما قلناه على أن صانع الأشياء واحد . وقد قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1] .

فهذا معنى احتجاجنا آنفاً))[2] .

وجميع الأشاعرة يسوقون هذا الدليل مع تنوع الأمثلة التي يوردونها[3] .

وهذا الدليل لا مرية في صحته، وأنه موصل إلى المطلوب في إثبات وحدانية الله تعالى في ربوبيته وهو برهان تام على مقصودهم لكن لوحظ على دليلهم هذا عدة أمور توجب التأمل والبيان .

أولاً :

أن غاية ما في هذا الدليل إثبات وحدانية قد أقرت بها الفطر السليمة والجبلة المستقيمة بل ما أقرت به الفطرة أعظم وأقوم من هذا البرهان العقلي. فما يشعر به المرء في قرارة نفسه من إثبات وحدانية الخالق أعظم من هذا الدليل.

فغاية ما في الدليل تحصيل حاصل، وقد سبق لنا تقرير أن المطلب الأسنى تحقيق الألوهية، وإفراد الله جل وعلا بالعبودية .

---

(١) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٢) اللمع (٨) ، وانظر رسالته إلى أهل الثغر (١٥٦-١٥٧) .

(٣) انظر مثلاً التمهيد للباقلاني (٤٦) ، والإنصاف (٤٩-٥٠) ، والإرشاد (٢٦-٢٩) ، ولمع الأدلة (٩٨-٩٩) ، وهداية المريد (٣٢-٣٣) .

وأما توحيد الربوبية ((فلم ينقل أرباب المقالات الذين جمعوا مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات لم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك لله في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات، بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية الذين يقولون بالأصلين :

النور والظلمة وأن النور خلق الخير ، والظلمة خلقت الشر، ثم ذكروا لهم في الظلمة قولين :

أحدهما : أنها محدثة فتكون من جملة المخلوقات .

والثاني : أنها قديمة لكنها لم تفعل إلا الشر فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور))(١) .

فهذا الدليل الذي يستدل به هؤلاء وإن كان في نهاية مطافه الصدق والصحة فمحصله إثبات ما أقر به المشركون فَجَعْلُ مدار التوحيد عليه، وأنه غاية إثبات الوحدانية - كما فعل هؤلاء حيث لا يذكرون غيره في هذا الباب - مما لا يقر عليه .

ثانياً : وهو أن المتكلمين من هؤلاء وأمثالهم لما جعلوا الوحدانية أمراً استدلالياً يطلبه المكلف عن طريق النظر العقلي - كما حشدت به كتبهم - ترتب على هذا القول ما ذهبوا إليه من إيجاب النظر ومقدماته على كل مكلف حيث قالوا بأن أول واجب على المكلف النظر أو الشك أو القصد ...

وقد ترتب على هذا - مع مخالفته لصريح النصوص الشرعية - من المفاسد العظيمة التي أوجبت الشقاق والفراق ما الله به عليم(٢) .

ثالثاً : أن هذا الدليل وإن كان صحيحاً إلا أن الأشاعرة وقعوا في أمرين عند تقريرهم له :

---

(١) التدمرية (١٧٧-١٧٨) .

(٢) انظر منهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي (٨٠) .

* أحدهما : أن المتكلمين جعلوا دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(١) .

وقد أوضح شيخ الإسلام أن هذا الاحتجاج خاطئ لأن هذه الآية جاءت لتقرير توحيد الألوهية والعبادة، لا توحيد الربوبية، وسبب خطئهم في هذا هو خطؤهم في مفهوم الإله وأنه عندهم هو القادر على الاختراع .

فظن هؤلاء أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل .

وقد بين رحمه الله أيضاً الفرق بين دليل التمانع وهذه الآية حيث قال : ((هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التمانع الدال على وحدانية الرب تعالى، فإن التمانع يمنع وجود المفعول ، لا يوجب فساده بعد وجوده . وذلك يذكر في الأسباب والبدايات التي تجري مجرى العلل الفاعلات .

والثاني : يذكر في الحكم والنهايات التي تذكر في العلل التي هي الغايات كما في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(٢) فقدم الغاية المقصودة على الوسيلة الموصلة))(٣) .

وهذا واضح لأن التمانع يدل على أنه لو فرض أكثر من صانع لما وجدت المخلوقات فوجودها يدل على صانع واحد .

وأما الآية فهي دالة على أنه لو وجد أكثر من إله يعبد لحدث الفساد ففي هذه الآية ((بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشيء عن عبادة ما سوى

---

(١) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٢) سورة الفاتحة (٥) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٥٦) .

الله تعالى، لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم ، وما سوى الله لا يصلح))[(١)] .

والخلاصة أن الآية جاءت لتقرير توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية .

ومعنى الآية أنه لو كان فيهما – أي السموات والأرض – آلهة غير الله لفسدتا ولكن ما فسدتا .

فدل على أنه ليس فيهما آلهة إلا الله[(٢)] .

* الأمر الثاني :

ما وقع فيه المتأخرون من الأشاعرة من ظنهم أن القسمة في تقرير دليل التمانع لم تنته، وأنه بقي قسم رابع؛ وهو أن يقال يجوز أن يتفقا فلا يفضي ذلك إلى الاختلاف .

فإنهم قد انقسموا تجاه هذا القسم الرابع إلى قسمين :

- منهم من قرر دليل التمانع، وأورد هذا الاحتمال ورد عليه بردود عارضه فيها غيره، كما فعل الجويني[(٣)] والشهرستاني وغيرهما على ما بينه شيخ الإسلام .

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٣٣٤) .

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٢٢-١٠٢٣) ، وانظر درء التعارض (٣/ ٣٤٨-٣٧٨) ، ومنهاج السنة (٣/ ٣٠٤-٣٣٦) ، وشرح الطحاوية (١/ ٣٩-٤١) ، وابن تيمية السلفي (٨١-٨٥) .

(٣) هو : عبدالملك بن عبدالله الجويني أبو المعالي الشهير بإمام الحرمين (٤١٩-٤٧٨) ، متكلم أشعري تحير في آخر عمره من كتبه الشامل في أصول الدين والإرشاد ولمع الأدلة .

انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٨) ، ومنهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة.

- ومنهم من رأى زيف دليل التمانع للإشكال الذي فرضه هذا الاحتمال الرابع؛ وهو احتمال الاتفاق . حتى ظن أن التوحيد إنما يعرف بالسمع كما فعل الآمدي.(١)(٢)

وأما المتقدمون منهم كأبي الحسن الأشعري والباقلاني(٣) وغيرهما فلم يذكروا هذا القسم لأنهم ((علموا أن وجوب اتفاقهما في الإرادة يستلزم عجز كل منهما كما أن تمانعهما يستلزم عجز كل منهما))(٤) .

الأمر الذي حدا بهم إلى أن يضربوا عرضاً عن ذكره(٥) .

---

(١) هو : علي بن أبي محمد بن سالم الثعلبي سيف الدين الآمدي أبو الحسن (٥٥١-٦٣١) هـ متكلم أشعري .
من كتبه : غاية المرام وأبكار الأفكار والأحكام في أصول الأحكام .
انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٤) .

(٢) انظر غاية المرام (١٥١-١٥٥) .

(٣) هو : أبوبكر بن محمد الطيب الباقلاني البصري (٣٣٨-٤٠٣) هـ أشعري متكلم، مالكي المذهب، تتلمذ على تلامذة أبي الحسن الأشعري كالباهلي ، ويعد المؤسس الثاني لمذهب الأشعري، وهو الذي نشر مذهبه في الآفاق بإرسال تلامذته في بلاد الإسلام لنشر المذهب الأشعري، وكان قوياً على المعتزلة. من كتبه الإنصاف فيما يجب اعتقاد والتمهيد في الرد على الملحدة المعطلة . انظر تبيين كذب المفتري (٢١٧-٢٢٦) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠) .

(٤) منهاج السنة (٣/ ٣٠٦) .

(٥) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٢٣-١٠٢٥) مع المصدر السابق .

المطلب الثالث : توحيد الأسماء والصفات عند الأشاعرة :

أولاً : مذهبهم في أسماء الله تعالى :

ليس للأشاعرة أقوال متميزة فيما يتعلق بأسماء الله تعالى فهم في الجملة على مذهب السلف إلا في جزئيات لم يسلم لهم من الوقوع فيها على ما اقتضاه مذهبهم في الصفات – وسيأتي الكلام فيها – .

فلا داعي إذن من إطالة البحث هنا ولكن حسبنا أن نشير إلى أمرين هامين يتحقق منهما مقصودنا هاهنا .

أحدهما : بيان ما وافق فيه الأشاعرة مذهب السلف جملة في هذا الباب وهي خمس مسائل :

الأولى : أن أسماء الله توقيفية .

يقول صاحب الجوهرة :

واختير أن أسماه توقيفية # # كذا الصفات فاحفظ السمعية[١] .

الثانية : أنها أعلام وأوصاف فهي مشتقة وليست جامدة ومن هنا حرص كثير منهم على شرح أسماء الله تعالى وإفرادها بالتصنيف[٢] .

يقول الرازي : ((إن أسماء الله تعالى دالة على صفات الكمال ونعوت الجلال))[٣] .

الثالثة : أنها ليست محصورة بعدد معين[٤] .

---

(١) هداية المريد (٤٧) .

(٢) انظر مثلاً شرح أسماء الله الحسنى للرازي والأسماء والصفات للبيهقي والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي وشرح أسماء الله الحسنى للقشيري .

(٣) شرح أسماء الله الحسنى (٣٥٥) .

(٤) انظر المصدر السابق (٧٤) .

الرابعة : أنها غير مخلوقة :

وهذه والتي قبلها لم يختلف فيها الأشاعرة وفي الجوهرة :

((وعندنا أسماؤه العظيمة كذا صفات ذاته قديمة))[١] .

الخامسة : النهي عن الإلحاد فيها .

ومن الإلحاد وصفه بما لا يجوز وصفه، كقول النصارى بأنه الأب، و ((من الإلحاد في أسمائه تسمية الأصنام بالآلهة، واشتقاقهم اللات من الله، والعزى من العزيز))[٢] .

هذه المسائل الخمس التي وافق فيها جملة الأشاعرة مذهب السلف جملة، وليس هذا يعني أن جميع الأشاعرة وافقوا السلف في هذا، بل قد يخرج بعضهم عن هذا النطاق . كما أن هذه الموافقة لا تقتضي موافقتهم لهم في مقتضيات ولوازم كل جزئية من هذه الجزئيات .

***الثاني :**

ما خالف فيه الأشاعرة مذهب السلف في هذا الباب :

أولاً : أن بعض الأشاعرة أطلق بعض الأسماء لله عز وجل مما لم يرد فيه نص شرعي كاسم القديم والموجود والمريد والمتكلم .

وقد سبق لنا ذكر أن أسماء الله توقيفية؛ مبنية على الدليل الشرعي، لأنها عبادة، والعبادة مبناها على الدليل والإتباع، فلا يدعى سبحانه إلا بما تسمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ .

وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة فإذا احتيج إليه كتفهيم الغير فلا بأس به . يقول شيخ الإسلام : ((وعامة النظار يطلقون مالا نص في إطلاقه

---

(١) هداية المريد (٤٧) .

(٢) شرح أسماء الله الحسنى للرازي (٤٧-٤٨) .

ولا إجماع، كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، من الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها وبين ما يخبر عنه للحاجة فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[1] .

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال : ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك؛ فقيل في تحقيق الإثبات : بل هو قديم موجود، وهو ذات قائمة بنفسها .

وقيل : ليس بشيء؛ فقيل : بل هو شيء، فهذا سائغ .

وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح، كقول القائل : يا شيء . إذ كان هذا لفظاً يعم كل موجود، وكذلك لفظ ذات وموجود ونحو ذلك إلا إذا سمى بالموجود الذي يجده من طلبه كقوله ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾[2] فهذا أخص من الموجود الذي يعم الخالق والمخلوق))[3] .

ثانياً : يلاحظ على كتب الأشاعرة التي شرحت أسماء الله الحسنى أنها مع إثباتها لهذه الأسماء وما دلت عليه من صفات إلا أنها عند تفصيل القول في هذه الصفات تشرحها بما يوافق معتقدها، فإذا كان الاسم دالاً على صفة يؤولونها نفوا دلالة الاسم على المعنى الذي ينفونه، وإن كان موافقاً لمذهب السلف والأمثلة على ذلك كثيرة جداً .

فمثلاً اسمه العلي فإن كل من شرح هذا الاسم من الأشاعرة سيما المتأخرون منهم فإنه يفسره بعلو الشرف والمكانة والمنزلة وغيرها وينفي دلالته

(١) سورة الأعراف (١٨٠) .

(٢) سورة النور (٣٩) .

(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٠-٣٠١) .

على إثبات علو الله على خلقه بل ينصون على نفي هذا المعنى عند شرحهم له[(١)] .

ثانياً : مذهبهم في الصفات :

ويتضح مذهبهم هذا من خلال توضيح مسألتين :

الأولى : الصفات التي أثبتوها :

يثبت جميع الأشاعرة متقدمهم ومتأخرهم من الصفات سبع صفات؛ وهي ما أسموها بصفات المعاني، وهي : العلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر والحياة[(٢)] .

وهذه الصفات التي أثبتوها أوجبت دخولهم ضمن دائرة الصفاتية المثبتة في الجملة مقابلة بالمعطلة النفاة من الجهمية والمعتزلة. وهم وإن أثبتوا هذه الصفات في الجملة لكنهم افترقوا عن منهج السلف من حيث طرق إثباتها من ناحية كما أنهم يختلفون عنهم في حقيقة الصفة التي يثبتونها من ناحية أخرى .

يقول الأصفهاني[(٣)] في عقيدته الموسومة باسمه : ((للعالم خالق واجب الوجوب لذاته واحد عالم قادر حي مريد متكلم سميع بصير .

---

(١) انظر شرح أسماء الله الحسنى للرازي (٢٥٩) ، شرح أسماء الله الحسنى للقشيري (١٥٠) ، وانظر للاستزادة موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٤٥-١٠٤٨) .

(٢) انظر العقيدة الأصفهانية واللمع ورسالة التوحيد لمحمد عبده (٤١) وهداية المريد (٣٤-٤١) .

(٣) هو : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن محمد العجلي الشافعي الأصفهاني (٦١٦-٦٨٨) ، أشعري متكلم قيل أنه لم يدخل إلى الديار المصرية أحد من رؤوس علماء الكلام مثله .

من كتبه : العقيدة الأصفهانية وغاية المطالب في المنطق وشرح المحصول .

انظر ترجمته : طبقات السبكي (٨/ ١٠٠).

قال : والدليل على علمه إيجاده الأشياء، لاستحالة إيجاده الأشياء مع الجهل بها ، والدليل على قدرته إيجاده الأشياء ...

والدليل على أنه حي علمه وقدرته، لاستحالة قيام العلم والقدرة بغير الحي ، والدليل على إرادته تخصيصه الأشياء بخصوصيات واستحالة التخصيص من غير مخصص .

والدليل على كونه متكلماً أنه أمر وناه لأنه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ولا معنى لكونه متكلماً إلا ذلك .

والدليل على كونه سميعاً بصيراً السمعيات))[1] .

فطريقتهم في تقرير العقيدة كما ترى بهذه الصفة مخالف لطريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم المبنية على الكتاب والسنة .

و الأشاعرة لهم في إثبات هذه الصفات السبع أحكام أربعة تجملها فيما يلي :

الأول :

أن هذه الصفات ليست هي الذات بل زائدة عليها فصانع العالم عندهم عالم بعلم وحي بحياة وقادر بقدرة وهكذا .

الثاني :

أن هذه الصفات كلها قائمة بذاته تعالى لا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته، لأن الدليل دل على أنه متصف بها، ولا معنى لاتصافه بها إلا قيامها بذاته، حتى لو قلنا : إنه عالم. كان هو بعينه مفهوم قولنا : قام بذاته علم. ولو قلنا : إنه مريد كان هو مفهوم قولنا قامت به إرادة وهكذا .

فلا تكون الصفة صفة لشيء إلا إذا قامت به لا بغيره .

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (٢٢) .

الثالث :

أن هذه الصفات كلها قديمة، لأنها إن كانت حادثة كان القديم إما محلاً للحوادث وهو محال . أومتصفاً بهاوهي لا تقوم به وذلك أظهر في الاستحالة .

الرابع :

أن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلاً وأبداً. فهو في القدم كان حياً قادراً عالماً سميعاً بصيراً متكلماً[١] .

المناقشة والنقد :

لاشك أن قول الأشاعرة أن هذه الصفات قائمة بالذات صحيح لا مرية فيه . ولكن قولهم بقدمها ولزومها للذات أزلاً وأبداً ؛ فإن هذا وإن سلم في صفة الحياة مثلاً فلا يمكن تسليمه في مثل العلم والإرادة المتعلقين بالمتجددات ، ولا في الكلام الذي هو حروف وأصوات مسموعة ومنزلة على الأنبياء ، ولا في مثل السمع والبصر المتعلقين بالمسموعات والمبصرات .

أما العلم بالحوادث فلابد من القول بتجدده تبعاً لتجدد تلك الحوادث فإن الله سبحانه إذا كان قد علم في الأزل أن زيداً سيوجد في يوم كذا ثم وجد زيد ، فإن بقي هذا العلم على حاله كان جهلاً لا علماً، وأن علم بعد الوجود أنه وجد فقد تغير العلم الأول لا محالة .

وكذلك الإرادة لا يعقل إرادة واحدة قديمة قد تعلقت في الأزل بإيجاد العالم فيما لا يزال، فإن هذا قول بتأخر المراد عن الإرادة التامة من غير عائق .

فإنه مهما تمت القدرة والإرادة وارتفعت العوائق عنهما وجب حصول المراد لا محالة .

وإذاً فلا مناص من أحد أمرين :

---

(١) الاقتصاد للغزالي (٦٠-٧٢) ، وانظر ابن تيمية السلفي للهراس (٩٧) .

- أما القول بقدم المراد على فرض قدم الإرادة الموجبة له .

- وإما القول بإرادات حادثة في ذاته تعالى متعددة بتعدد المرادات .

والكلام أيضاً كيف يكون قديماً أو لازماً للذات مع أن فيه أخباراً عما مضى؟ . فكيف قال الله في الأزل : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾[١] ولم يكن خلق نوحاً بعد .

وكيف قال في الأزل لموسى : (اخلع نعليك ؟ ولم يخلق بعد موسى؟ .

وكيف أمر ونهى من غير مأمور ولا منهي؟[٢] .

فالصواب إذن أن : ((كل ما كان بعد عدمه، فإنما يكون بمشيئة الله وقدرته، وهو سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فما شاءه وجب كونه، وهو يجب بمشيئة الرب وقدرته وما لم يشأ امتنع كونه مع قدرته عليه كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾[٣] وقوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾[٤]، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[٥] .

فكون الشيء واجب الوقوع لكونه قد سبق به القضاء وعلم أنه لابد من كونه لا يمتنع أن يكون واقعاً بمشيئته وقدرته وإرادته، وإن كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه فإن إرادته للمستقبلات هي مسبوقة بإرادته للماضي ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٦] وهو إنما أراد هذا بعد

---

(١) سورة نوح (١) .

(٢) ابن تيمية السلفي (٩٧-٩٨) .

(٣) سورة سجدة (١٣) .

(٤) سورة البقرة (٢٥٣) .

(٥) سورة الأنعام (١١٢) .

(٦) سورة يس (٨٢) .

أن أراد قبله ما يقتضي إرادته فكان حصول الإرادة اللاحقة بالإرادة السابقة))[١] .

وإذا كان كذلك كان حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابعاً لما يفعل من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه، وهذه سبب الحدوث، والله تعالى حي قيوم لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء فعال لما يشاء . وهذا قد قاله أهل السنة والحديث ونقلوه عن السلف والأئمة، بل هو لازم لجميع الطوائف هكذا قال شيخ الإسلام[٢] .

بل إن الرازي وهو من أئمة الأشاعرة الكبار بل المنظر والمقعد لمذهب الأشاعرة قد اعترف هو الآخر بأن حلول الحوادث لازم لجميع الطوائف حيث قال في مطالبه :

((هل يعقل أن يكون محلاً للحوادث ؟

قالوا : إن هذا قول لم يقل به أحد إلا الكرامية[٣] .

وأنا أقول : إن هذا قول قال به أكثر أرباب أهل المذاهب ، أما الأشعرية فإنهم يدعون الفرار من هذا القول إلا أنه لازم عليهم ...))[٤] .

---

(١) جامع الرسائل (٢/ ٣٨-٣٩) .

(٢) انظر درء التعارض (٢/ ٥٠٣) .

(٣) الكرامية هم : أتباع محمد بن كرام إحدى فرق المرجئة يقولون: بالتشبيه، وأن الله جسم، وهم في الفروع على مذهب الحنفية . قال الذهبي : ((وكانت الكرامية كثيرين بخرسان ولهم تصانيف ثم قلوا وتلاشوا . وكان ابن كرام يقول : الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد القلب وعمل الجوارح، وكان ينتهي في إثبات الصفات إلى التشبيه والتجسيم)) . انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٣) ، والفرق بين الفرق (٢٢٩)، واعتقادات فرق المسلمين (٧٥) .

(٤) المطالب العالية (٢/ ١٠٦) ، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٢٨٨) .

والخلاصة أن الأشاعرة وإن أصابوا في إثبات تلك الصفات فإنهم قد غلطوا في قولهم : إنها قديمة أزلية لازمة للذات أزلاً وأبداً ليس شيء منها متعلقاً بمشيئته تعالى واختياره[١] .

يقول شيخ الإسلام :((وابن كلاب[٢] ومن تبعه كالأشعري وأبي العباس القلانسي[٣] ومن تبعهم أثبتوا الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته، ومثل كون فعله الاختياري يقوم بذاته، ومثل كونه يرى أفعال العباد بعد أن يعملوها كما قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٤] .

فأثبت رؤية مستقلة، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٥] ومثل كونه نادى موسى حين أتى، لم يناده قبل ذلك بنداء قام بذاته .

---

(١) ابن تيمية السلفي (٩٩) .

(٢) هو : أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه له تصانيف في الرد على المعتزلة وربما وافقهم وكان حياً قبل الأربعين ومائتين من كتبه : الصفات وخلق الأفعال والرد على المعتزلة .
انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤) .

(٣) هو : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خال القلانسي الرازي من معاصري أبي الحسن الأشعري من أتباع ابن كلاب وهو أقرب إلى السنة وأتبع للإمام أحمد من أهل خرسان المائلين إلى طريقة ابن كلاب .
انظر تبيين كذب المفترى (٣٩٨) ودرء التعارض (١/ ٢٧٠) .

(٤) سورة التوبة (١٠٥) .

(٥) سورة يونس (١٤) .

والقرآن والأحاديث وأقوال السلف والأئمة كلها تخالف هذا. وتبين أنه ناداه حين جاء ، وأنه يتكلم بمشيئته في وقت بكلام معين كما قال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾(١) .

وقال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) .

والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الأصل .

وأما الأحاديث فلا تحصى، وهذا قول أئمة السنة والسلف وجمهور العقلاء .

ولهذا قال عبدالله بن المبارك والإمام أحمد وغيرهما : لم يزل متكلماً إذا شاء . وهذا قول عامة أهل السنة(٣) .

المسألة الثانية : الصفات التي نفوها وأولوها :

الذي استقر عليه المذهب الأشعري في آخر مطافه تأويل ما عدا الصفات السبع السالفة الذكر . ولم يكن هذا الموقف الذي اتخذوه مبني على نص شرعي بنوا عليه مذهبهم ورأوا من خلاله أنه لابد من تأويل نصوص الصفات أو بالأصح نفي الصفات الزائدة عن السبع وإنما الذي حدا بهم إلى انتحال هذا المذهب المبتدع أدلة يزعمون أنها عقلية تبعوا فيها أسلافهم من المتفلسفة والجهمية المعتزلة حذو القذة بالقذة فتأصلوا ببعض أصولهم وتقعدوا ببعض قواعدهم وإن اختلفوا في الطريقة والمنهج غير أن المنبع واحد .

---

(١) سورة الأعراف (١١) .

(٢) سورة آل عمران (٥٩) .

(٣) الفرقان بين الحق والباطل (٨٦) مختصراً .

فالحجج التي بنوا عليها مذهبهم في النفي أو التأويل لم تخرج عن أسلافهم كما ستراه واضحاً سيما في المتأخرين منهم .

والمقصود أن المذهب الأشعري قد استقر على إثبات السبع الصفات، وأما ما عداها فإنها تؤول . هذا ما استقر عليه المذهب وإن خالف المتأخر فيه المتقدم في بعضها. فالصفات الاختيارية من غير ما سبق اتفق الأشاعرة المتقدمون منهم والمتأخرون على نفيها غير أن المتقدمين كأبي الحسن الأشعري والباقلاني وغيرهما يثبتون الصفات الخبرية بينما المتأخرون ينفونها. ونحن هنا نريد بيان ما انتهى إليه المذهب الأشعري في الصفات حيث استقر على نفي أو تأويل ما عدا الصفات السبع .

وقد اعتمدوا في ذلك على شبه ظنوها أصول وهي :

أ- شبهة الأعراض وحدوث الأجسام .

وهي مبنية على أن مالا يخلو من الحوادث فهو حادث وعلى امتناع حوادث لا أول لها .

وهم بهذه الشبهة نفوا الصفات الاختيارية .

ب- شبهة التركيب :

وهي مبنية على أن إثبات الصفات كالوجه واليدين وغيرهما يستلزم التركيب ، والتركيب لا بدل له مركب وهو ممتنع في القديم . وكذلك المركب مفتقر إلى جزئه .

وهاتان الشبهتان اللتان ارتكز المذهب الأشعري عليهما قد سبق عرضهما وتفنيدهما بما يغني عن إعادتهما هنا وقد سبق أيضاً بيان أن شبهة التركيب شبهة فلسفية اعتزالية المصدر .

ومن هنا يتضح أن الأشاعرة تبع للمعتزلة في هذا المسلك من حيث التقرير والمبدأ .

***جـ - شبهة الاختصاص :**

وهو أحد أدلتهم في نفي العلو والاستواء وغيرهما. وقد ذكره شيخ الإسلام وقال: أنه يمكن إرجاعه إلى دليل الأعراض[(١)] .

وحقيقة هذا الدليل هو : ((أن كل جسم فهو متناه، وكل متناهٍ فله شكل معين، ومقدار معين، وحيز معين .

قالوا : وكل ماله شكل ومقدار وحيز معين فلابد له من مخصص يخصصه به . وذلك أن كل جسم يعلم بالضرورة أنه يجوز أن يكون على مقدار أكبر أو أصغر مما هو عليه أو شكل غير شكله أو حيز غير حيزه ؛ إما متيامناً عنه أو متياسراً، وإذا كان كذلك فلابد له من مخصص يخصصه بما يخصص به .

وكل مفتقر إلى المخصص فهو محدث . وذلك أن المخصص لابد أن يكون فاعلاً مختاراً وأن يكون ما يخصصه حادثاً))[(٢)] .

وغرضهم من هذا الدليل بيان أن اختصاص الله بجهة العلو والاستواء يفتقر إلى مخصص وهو محال على الله[(٣)] .

وقد أراد أصحاب هذا الدليل إثبات حدوث الأجسام بطريقة غير طريقة دليل الأعراض وحدوث الأجسام، وذلك بإثبات كون الأجسام ذات قدر وشكل وكيفية وفي حيز وجهة ومكان أي: ذات اختصاص بهذه الأمور، وبالتالي لابد من مخصص يخصصها بهذه الأمور، وعليه فهي مفتقرة إلى مخصصها، وكل ما كان مفتقراً إلى مخصص فهو محدث ...

---

(١) درء التعارض (٧/ ١٤١) وما بعدها .

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١١١٦) ، وانظر درء التعارض (٣/ ٣٥١) وما بعدها .

(٣) انظر من كتبهم أصول الدين للبغدادي (٦٩) ، المواقف للإيجي (٢٦٦) ، العقيدة الأصفهانية ضمن شرحها لابن تيمية (٢٢) ، ونهاية الإقدام في علم الكلام (٢٤٥) .

ومن هنا يستنتج أن هذا الدليل يتضمن مقدمتين :

أولاهما :

الحادث لا يختص بوقت أو شكل أو مقدار دون وقت أو شكل أو مقدار إلا بمخصص .

ثانيهما :

كل مفتقر إلى مخصص محدث[(١)] .

*** بطلان شبهة دليل الاختصاص :**

تعرض شيخ الإسلام لهذه الشبهة في كتابه درء التعارض، ووقف معها وقفات، بيَّن فيها تهافت هذا الدليل، وكشف عواره، وما يترتب عليه من مفاسد تناقض ما جاء به سيد المرسلين ﷺ وقد كانت وقفاته رحمه الله كافية وشافية في بيان بطلان هذا الدليل وتهافته ويمكن تلخيصها فيما يلي :

الوقفة الأولى :

أن الآمدي نفسه – الذي أورد هذا الدليل – قد ضعفه ، وتضعيف الآمدي لهذا الدليل أوقع في نفوس أصحابه من الأشعرية وأشد إلزاماً لهم من نقد غيره له. لذا أورده شيخ الإسلام كحجة له في بطلان هذا الدليل .

يقول الآمدي : ((وهذا المسلك ضعيف أيضاً . إذ لقائل أن يقول : المقدمة الأولى وإن كانت مسلمة غير أن المقدمة الثانية وهي أن كل مفتقر إلى مخصص محدث ممنوعة، وما ذُكِر في تقريرها باطل))[(٢)] .

ويقول أيضاً : ((لكن هذا المسلك مما لا يقوى، وذلك أنه وإن سلم أن ما يفرض من المقادير والجهات وغيرها ممكنة في نفسها، وأن ما وقع منها لابد له

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١١١٦) ، والأصول التي بني عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٣/ ٣٠) .

(٢) درء التعارض (٣/ ٣٤٥) .

من مخصص لكن إنما يلزم أن الباري حادثاً أن لو كـان المخـصص خارجـاً عـن ذاته ونفسه .

ولعل صاحب هذا القول لا يقول به .

وعند ذلك فلا يلزم أن يكون البـاري تعـالى حادثـاً ولا محوجـاً إلى غـيره أصلاً))[١] أ.هـ.

الوقفة الثانية :

قول أصحاب هذا الدليل : المخصص لابد له من مخصص أو التخصيص يفتقر إلى مخصص كقول القائل : المحدث لابد له من محدث .

وهو – وإن كان أمراً بدهياً عند العامة والخاصة – فلا يعاب علـيهم فيـه وإنما يعاب التطويل والتبعيد الذي أدخلوه على هذه الجملة حيث : زادوا أولاً : أن المحدث لا يختص بوقت دون وقت إلا بمخصص، والأوقـات متماثلـة، يمتنـع اختصاص بعضها دون بعض إلا بمخصص منفصل .

ثم زادوا بعد هذا أن التخصيص ممكن، والممكن لا يترجح وجوده علـى عدمه إذ لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح[٢] .

((فهؤلاء سلكوا في هذا الدليل من التطويل والتبعيد مـالا يحتـاج إليـه ؛ بل ربما كان فيه مضرة))[٣] .

الوقفة الثالثة :

أنكر شيخ الإسلام تفريقهم بين القدْر والصفة من حيث النفي والإثبـات لأن : القَدْر صفة من صفات ذي القدر ؛ كألوانه وأكوانـه وسـائر مـا يمكـن أن

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٨٥-٣٨٦) .

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٨٧) .

(٣) المصدر السابق (٨/ ١٢٧) .

يتصف به الجسم من الحياة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وغير ذلك.

فإن صفاته نوعان :

- منها ما يختص به الأحياء مثل هذه الصفات .

- ومنها ما يشترك فيه الحي وغيره كالأكوان والقدر والطعم والريح .

فإذا قال القائل : كل ذي قدر يمكن أن يكون قدره على خلاف ما هو عليه كان بمنزلة أن يقول : كل موصوف يمكن أن يكون موصوفاً بخلاف صفته .

فإذا عرضنا على عقولنا ما نعلمه من الموجودات التي لها أقدار وصفات كان تجويزنا لكونها على خلاف أقدارها كتجويزنا لها أن تكون على خلاف صفاتها ، بل القدر من الصفات[1] .

وهذه مسألة واضحة لأن كل موجود لابد له من قدر وصفة، فما يقال في أحدهما يقال في الآخر .

والأشاعرة فرقوا بينهما لأجل أن القدر يلزم منه نوع تجسيم؛وذلك إنما هو تصور منهم ، وإلا فلا فرق بينه وبين الصفة ، فلو سلمت حجتهم في القدر لسلمت حجة الفلاسفة والمعتزلة في الصفات وأنه يلزم منها التجسيم[2] .

الوقفة الرابعة :

ركز فيها شيخ الإسلام على دعوى أصحاب هذا الدليل : وهي وجوب افتقار كل ذي قدر إلى مخصص يخصصه بما هو عليه من قدر إذ يمكن أن يوجد على خلاف ما هو عليه من وصف فقال رحمه الله : يقال لهذا القائل : أتريد بالإمكان الذهني أو الخارجي ؟

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٥٥-٣٥٦) .

(٢)انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١١١٧) و المصدر السابق (٣/ ٣٥٧-٣٥٨).

والفرق بينهما أن الإمكان الذهني معناه : عدم العلم بالامتناع فليس في ذهنه ما يمنع ذلك .

والإمكان الخارجي معناه العلم بالإمكان في الخارج ...

فإن قال : أريد به الإمكان الذهني : لم ينفعه ذلك لأن غايته عدم العلم بامتناع كون تلك الصفة واجبة له .

وإن قال : أريد بالإمكان الخارجي وهو أني أعلم أن كل موصوف بصفة أو كل ذي قدر يمكن أن يكون بخلاف ذلك ؛ كان مجازفاً في الكلام ؛ لأن هذه قضية كلية تتناول من الأفراد مالا يحصيه إلا الله تعالى ، وليس معه دليل يدل على إمكان ذلك في الخارج يتناول جميع هذه الأفراد . غايته أنه رأى بعض الموصوفات والمقدرات يقبل خلاف ما هو عليه . فإذا قاس الغائب على الشاهد كان هذا من أفسد القياس لاختلاف الحقائق . ولأن هذا ينعكس عليه ، فيقال له : لم نر إلا ماله صفة وقدر فيقاس الغائب على الشاهد .

ويقال : كل قائم بنفسه فله صفة وقدر . وهذا إلى المعقول أقرب من قياسهم فإن هذا لا يعلم انتقاضه .

والناس متفقون على أنهم لم يَرَوا موجوداً إلا له صفة وقدر ، وليسوا متفقين على أن كل ما رأوه يمكن وجوده على خلاف صفاته وقدره مع بقاء حقيقته التي هو بها ، ولكن مع استحالة حقيقته ، فاستحالة قدره وصفاته أولى[1] .

الوقفة الخامسة :

أن قولهم هذا لا يلزم في إثبات واجب الوجود لأن : كل موجود له صفات تخصه ، فاختصاصه بتلك الصفات دون غيرها يفتقر إلى مخصص .

---

(١) درء التعارض (٣/ ٣٥٨-٣٦٠) مختصراً .



ومن المعلوم بالضرورة أن الواجب له حقيقة تخصه لا يشركه فيها غيره . فإن كان كل مختص يفتقر إلى مخصص مباين له ، افتقرت حقيقة الواجب بنفسه إلى مخصص مباين له . فلا يكون في الموجودات قديم ولا واجب، فيلزم حدوث الحوادث بلا محدث، ووجود الممكنات بلا واجب، وهذا كما أنه معلوم الفساد بالضرورة ، فلم يذهب إليه أحد من العقلاء .

ففي الجملة كل عاقل مضطر إلى إثبات موجود واجب بنفسه، له حقيقة يختص بها عما سواه، من غير مخصص مباين له خصصه بتلك الحقيقة[1] .

الوقفة السادسة :

أن هذا الدليل لما كان ليس له حد ينتهي إليه صار من جنس الوساوس الشيطانية التي يفضي الاسترسال فيها إلى ذات الباري جل وعلا .

يقول شيخ الإسلام : ((فإذا كان قد علم أنه لابد له من موجود بنفسه مختص بخصائص لا يشركه فيها غيره، ولا يحتاج فيها إلى مباين له . كان توهم المتوهم أن كل مختص فلابد له من مخصص مباين له توهماً باطلاً شيطانياً وهو من جنس ما ذكره النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما قال : ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا ؟ فيقول : الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته))[2]. وفي حديث آخر : ((لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله ؟))[3] .

---

(١) درء التعارض مختصراً (٣/ ٣٦٠-٣٦٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده رقم (٣٢٧٦) ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (١٣٤) من حديث أبي هريرة .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (٣٦٠) من حديث أبي هريرة وبنحوه البخاري في صحيحه : كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف مالا يعنيه رقم (٧٢٩٦) من حديث أنس بن مالك .

وهذا لكون الوسواس الشيطاني الباطل لا يقف عند حد الموجود الواجب القديم الخالق))[١] .

الوقفة السابعة :

أن هؤلاء متناقضون إذ أنهم حين يرون حتمية افتقار المخصصات إلى مخصص نراهم سمحوا بوجود ممكنات بلا مخصص، ويتضح هذا في مسألة وجود المحدثات والكائنات بعد أن لم توجد إذا قيل لهم : لم لم توجد قبل وقت وجودها؟ أولم لم تكن أكبر أو أصغر مما هي عليه ؟

أجابوا : بأن القادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مخصص، وحينئذ فيقال لهم : هذا مع بطلانه يوجب تناقضكم . فإنكم قلتم لابد للتخصيص من مخصص ثم قلتم : كل الممكنات مخصصة ووجدت بدون مخصص ، بل رجح المرجح أحد المتماثلين على الآخر من غير مخصص .

وإذا جوزتم في الممكنات وجود المخصصات بدون مخصص مع أن نسبة القادر إليها نسبة واحدة ، فالموجود بنفسه أولى أن يستغني عن مخصص مما أختص به من ذاته وصفاته[٢] .

وهذا تناقض ومحل إلزام لا محيد لهم عنه ، فإن النصوص إذا وردت بإثبات صفاته، وأنه على العرش استوى، وأنه في جهة العلو بائن من خلقه ، وجب إثبات ذلك ، فإذا اعترضوا بأن هذا يلزم منه أن يكون له قدر ، واختصاصه بهذا القدر لابد له من مخصص . كان هذا متناقضاً مع قولهم في وجود المخلوقات، وإنها لم توجد أكبر أو أصغر مما هي عليه بدون مخصص[٣] .

الوقفة الثامنة :

---

(١) درء التعارض (٣/ ٣٦٩) .

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٧٠) .

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١١١٩) .

أن من أعظم تناقضهم الذي وقع فيه هؤلاء جمعهم بين نفي المقدار عن الذات وإثباته للصفات .

فهم قد نفوا علو الله على خلقه، واستواءه على عرشه، مستندين إلى دليلهم زاعمين أن إثبات هاتين الصفتين يلزم منه أن يكون لله تعالى قدر ، واختصاصه بهذا القدر لابد له من مخصص . وهذا محال بزعمهم لئلا يكون حادثاً إذ افتقار المخصصات إلى مخصص يدل على حدوثها .

ثم إن هؤلاء يثبتون لله سبع صفات وفي هذا تحديد مقدار للصفات ، فتناقضوا حين حددوا صفات الباري جل وعلا بسبع، فجعلوا لعدد الصفات مقداراً ، في حين نفوا المقدار عن الذات وقد حاول الشهرستاني الجواب عن هذا : ((بأن أصحاب دليل الاختصاص لا يطلقون على الصفات لفظ العدد بل هم قد منعوا إطلاق لفظ العدد عليها ، فضلاً عن الثمانية))[1] .

وهذا بزعمه يبطل التعارض ويمنع من وقوع التناقض .

وقد رد عليه شيخ الإسلام بقوله : ((إن ما ذكره ليس فيه جواب عن الإلزام والمعارضة .

فإنهم عارضوه بإثبات صفات متعددة سواء كانت ثمانياً أو أكثر أو أقل ؛ فإن اختصاص الصفات بعدد من الأعداد كاختصاص الذات بقدر من الأقدار ، وإذا كان المسمي لا يسمي ذلك عدداً فمنازعه لا يسمي الآخر قدراً ، وليس الكلام في الإطلاقات اللفظية بل في المعاني العقلية وما زاد على ذلك سواء نفي ثبوته أو نفي العلم به لا يضر ، فإن السؤال قائم : إلا أن يثبت المثبت صفات لا نهاية لعددها . وهذا ينقض قاعدة من يقول : إنه لا يوجد مالا نهاية له ، وإلا

(١) نهاية الأقدام (١٠٧) .

فإذا أثبت الصفات متناهية كانت المعارضة متوجهة . سواء عرف عددها أو لم يعرف))[1] .

(١) درء التعارض (٣/ ٣٧٨-٣٧٩) ، وانظر الأصول التي بني المبتدعة عليها مذهبهم في الصفات (٣/ ٥-٩٨) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١١١٥-١١٢١) .

المطلب الرابع : توحيد الألوهية :

أهملت الأشاعرة توحيد الألوهية إهمالاً بالغاً، فليس له ذكر في كتبهم المصنفة في التوحيد إلا ما ألمح إليه بعض متقدميهم بإشارات عابرة[١]. يدرك هذا من نظر في كتبهم، ووقف على أقوالهم .

ولقد ترتب على هذه الغفلة لهذا التوحيد الذي جاءت به الرسل من المفاسد ما هو معارض لحقيقة دعوة الرسل – كما سيأتي بيانه – .

ونحن هنا نذكر أهم الأسباب التي أدت إلى الغفلة عن هذا التوحيد الأساس، ثم نعرج بذكر آثار ترتبت على هذه الغفلة وهذا الإهمال .

أولاً : أسباب إهمال الأشاعرة لتوحيد الألوهية :

أ – تفسيرهم الإله بالقادر على الاختراع .

سبق لنا أن غاية التوحيد عند الأشاعرة هو توحيد الربوبية، وأن أخص خصائص الألوهية الإنفراد بالخلق والاختراع .

وقد نتج عن هذا اهتمامهم البالغ في تحصيله وتحقيقه، بل والاعتقاد (أن هذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ)[٢] .

فحقيقة كلمة التوحيد إفراد الله بالربوبية ومن هنا جاء اهتمامهم، فالمحصِّلُ له قد حصَّلَ التوحيد المطلوب منه .

وقد ترتب على هذا إهمالهم لتوحيد الألوهية الذي بعثت لأجله الرسل.

يقول شيخ الإسلام في تقرير هذا : ((لكن أهل الكلام الذين ظنوا أن التوحيد هو مجرد توحيد الربوبية وهو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء ؛ اعتقدوا أن الإله بمعنى الآلِه : اسم فاعل ، وأن الإلهية هي القدرة على

(١) كما ذكر ذلك الباقلاني في إنصافه وقد تقدم .

(٢) رسالة التوحيد لمحمد عبده (٨) .

الاختراع، كما يقوله الأشعري وغيره مما يجعلون أخص وصف الإله القدرة على الاختراع))[١] .

ويقول أيضاً : ((والإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية[٢] وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين ...

فليس كل من أقر أن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه، داعياً له دون ما سواه، راجياً له، خائفاً منه دون ما سواه ..

ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى ، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقد أنها هي المدبرة لي ، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً .

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك . فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه))[٣] .

ب- الإرجاء :

---

(١) درء التعارض (٩/ ٣٧٧) .

(٢) ويقصد بهم الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات . وهذا من اطلاقات شيخ الإسلام ابن تيمية التي كان يطلقها على الأشاعرة ومن وافقهم .

(٣) درء التعارض (١/ ٢٢٦-٢٢٨) .

يعتبر الأشاعرة من المرجئة الغلاة في الإيمان ، فالإيمان مجرد التصديق القلبي عندهم[١] .

وعلى هذا فالأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان عندهم سواء كانت أعمال الجوارح أو كانت أعمال القلوب .

يقول الجويني مفصحاً عن حقيقة مذهبهم في الإيمان ((والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى ، فالمؤمن بالله من صدقه، ثم التصديق على التحقيق كلام النفس ولكن لا يثبت إلا مع العلم))[٢] .

بل الباقلاني من قبله صرح بإخراج الأعمال عن حقيقة الإيمان فقال في الإنصاف : ((وقد اتفق أهل اللغة قبل نزول القرآن وبعث الرسول عليه السلام على أن الإيمان في اللغة هو التصديق دون سائر أفعال الجوارح والقلوب))[٣] .

وقال في موضع آخر : ((فإن المؤمن المصدق بقلبه مؤمن عند الله تعالى وإن نطق بالكفر))[٤] .

وما حكاه هذان الإمامان أمر اتفق عليه الأشاعرة قاطبة وعولت عليه كتبهم ((وإن اختلفوا في النطق بالشهادتين هل يكفي عنه تصديق القلب أم لا؟))[٥].

---

(١)انظر مثلاً الإنصاف للباقلاني (٨٤-٨٦) ، أصول الدين للبغدادي (٢٤٧-٢٥٢) ، الإرشاد للجويني (١٥٨) .

(٢) الإرشاد (١٥٨) .

(٣) (٣٤)

(٤) (٨٦) المصدر السابق .

(٥) منهج الأشاعرة في العقيدة (٨٠) .

ومن هنا يعلم أن مذهب الأشاعرة في الإيمان هو مذهب غلاة الجهمية يقول شيخ الإسلام : ((وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان واتبعه أكثر أصحابه وهو قول لم يقله أحد من أئمة السنة بل قد كفر أحمد بن حنبل و وكيع[1] وغيرهما من قال بقول جهم في الإيمان الذي نصره أبو الحسن، وهو عندهم شر من قول المرجئة))[2] .

ومن هنا نعلم أن النجاة عندهم متوقفة على ما قام بالقلب من التصديق الذي هو حقيقة الإيمان عندهم .

ونحن إذا ما رجعنا إلى ما ذكرناه في بيان حقيقة التوحيدين (الألوهية والربوبية) عند السلف نجد أن توحيد الربوبية مبني على التصديق والإقرار بما لله من عظيم الفعال المبنية على الجلال والجمال والكمال، وكذا توحيد الأسماء والصفات. وهذا هو حقيقة التوحيد وغايته عند الأشاعرة - كما سبق - وإن كان قد اختلفوا عن منهج السلف في جزئياته .

كما أنا نجد أن توحيد الألوهية مبني على إفراد الله بالعبادة عند السلف، سواء كانت العبادة أعمال الجوارح كالصلاة والصيام والصدقة ونحوها أو كانت أعمال القلوب كالخوف والرجاء والمحبة والإخلاص ونحو ذلك .

وهذه الأعمال (أعمال القلوب والجوارح) والتي هي حقيقة توحيد الألوهية لا تدخل في مسمى الإيمان الذي قرره الأشاعرة فاقتضى ذلك إهماله عندهم، والمقتضي لذلك ما أصلوه سواء من جهة الإيمان أو من جهة التوحيد.

---

(١) هو : ابن الجراح من مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي مات سنة (١٩٧هـ) إمام ثقة حافظ عابد من كبار طبقته من أهل السنة روى له الجماعة .
انظر تقريب التهذيب (٥٨١) .

(٢) الإيمان (٩٩-١٠٠) مختصراً ويقصد بالمرجئة مرجئة الفقهاء .

وعليه فالترابط بين مذهبهم في الإيمان ومذهبهم في التوحيد بين واضح عند أدنى تأمل وتدبر[١] .

ثانياً : الآثار المترتبة على إهمالهم لتوحيد الألوهية .

قد ترتب على إهمال الأشاعرة لتوحيد الألوهية من الأمور العظيمة والمفاسد الوخيمة ما كان له أعظم الأثر على الأمة. ونحن هنا نجمل بعضاً من تلك العواقب والآثار التي نتجت عن هذا الإغفال .

- فمنها : اعتقادهم أن توحيد الربوبية كاف لدخول المرء في الإسلام ونجاته يوم القيامة. إذ حقيقة التوحيد وغايته والذي بعثت به الرسل –عندهم– هو توحيد الربوبية وقد سبق لنا بيان هذا وما فيه من الفساد والبهتان والمخالفة لحقيقة دعوة الرسل .
- ومنها : إنكارهم دخول توحيد الألوهية في حقيقة التوحيد وقد سبق ذكر أنهم أغفلوا ذكر توحيد الألوهية ضمن التوحيد وهو وإن كان كافياً في الدلالة على إخراجه إلا أن المتأخرين منهم قد صرحوا بذلك:

فهذا أحمد زيني دحلان[٢] يقول : ((وأما جعلهم (يقصد أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) التوحيد نوعين : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فباطل أيضاً فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية))[٣] .

---

(١) انظر حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٤٤٩-٤٧١) .

(٢) هو : أحمد زيني دحلان توفي عام (١٣٠٤) هـ فقيه شافعي المذهب ومفتي مكة متكلم أشعري صوفي من خصوم الدعوة السلفية من كتبه الدرر السنية في الرد على الوهابية وأسنى المطالب في إثبات إسلام أبي طالب . انظر الأعلام (١/ ١٢٩) .

(٣) الدرر السنية في الرد على الوهابية (٤٠) عن كتاب حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (٤٧٩) .

- ومنها : وهو أعظمها وأشدها خطراً وهو حصرهم الشرك في توحيد الربوبية، وأن الشرك في الألوهية ليس بشرك أصلاً يقول ابن عفالق[١] : ((فاجتمعت الأمة على أن الذبح والنذر لغير الله حرام ومن فعلها فهو عاص لله ولرسوله والذي منع العلماء من تكفيرهم أنهم لم يفعلوا ذلك باعتقاد أنها أنداد لله))[٢] .
- ويقول المالكي[٣] وهو من المعاصرين : ((إنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله))[٤] .
- ويقول أيضاً : ((إن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده، فهو الخالق للعباد وأفعالهم، لا تأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت. فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف ما لو اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك))[٥] .

ومن هذه النقول عن أرباب هؤلاء يعلم أن حقيقة الشرك عندهم هو ما كان متعلقاً بتوحيد الربوبية، وأما توحيد الألوهية فليس من الشرك. فخالفوا

---

(١) هو : محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلي الإحسائي (١١٠٠-١١٦٤)هـ من علماء الإحساء ومن خصوم الدعوة السلفية له كتب ضد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر السحب الوابلة (٧١٩) .

(٢) جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر (٦٠) ق عن دعاوي المناوئين (١٩٧) .

(٣) هو : محمد بن علوي المالكي الحسني معاصر توفي عام (١٤٢٥) صوفي أشعري من كتبه مفاهيم يجب أن تصحح ورسالة في المولد وغيرها .

(٤) مفاهيم يجب أن تصحح (١٠٥) ((وقد قرظ لهذا الكتاب أكثر من عشرة من العلماء والمفتين في أنحاء العالم الإسلامي فانظر إلى غربة التوحيد إلى أين بلغت ؟ وإلى أي حد غدت ؟)) .

(٥) المصدر السابق (١٦، ١٠٣) .

بذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة. يقول شيخ الإسلام مبيناً نتيجة مذهب القوم في هذا : ((ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها، كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً .

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه))[(١)].



(١) درء التعارض (١/ ٢٢٧-٢٢٨) .



المبحث الرابع :

التوحيد عند المتصوفة

تمهيد

الصوفية من الفرق التي انحرفت عن منهج السلف، وضلت عن المعنى الصحيح للتوحيد بحسب قربها من الكتاب والسنة، إذ هم فرق وطوائف فمنهم الغالي ومنهم دون ذلك .

وقد استفحل أمرهم، وعظم في الدين خطبهم بعد تفشي الجهل واندراس معالم النبوة؛ إذ بدايات التصوف في أزمانه الأول مبني على الاهتمام بالسلوك والأحوال، والتزهد والحرمان ورياضة النفس، ومجاهدة الشهوات، ثم فقم أمره إلى منهج له رواده، ومعتقداته، كسائر الفرق المخالفة لمذهب السلف ، بل انخرط بهم الأمر إلى موقف يناوئ دين الإسلام أجمع، ويناهض مذهب الملحدين الزائغين وهو القول بالوحدة والاتحاد .

ولقد لعب بهم الشيطان كل ملعب، وجرّ بهم إلى ويلات ومخاز يستحي المرء من ذكرها فضلاً عن تبنيها واعتناقها، مما أضحك أعداء الإسلام من الإسلام وأهله؛ نظير ما فعلت الشيعة في معتقداتها .

وليس الغرض في هذه العجالة الكشف عن مخازي هذه الطائفة وفضائحها، إذ كفانا المؤونة في ذلك أئمة الإسلام وعلماؤه الكرام(١)، كما أن الموطن لا يحتمل ذلك .

---

(١) انظر مثلاً تلبيس إبليس لابن الجوزي والصوفية والفقراء والحجج العقلية وحقيقة مذهب الاتحاديين وغالب الاستقامة كلها لابن تيمية ومصرع التصوف للبقاعي وهذه هي الصوفية للوكيل ومؤلفات إحسان إلهي ظهير وغيرها من كتب أهل العلم .

بيد أنا لا نغفل عن المطلب الذي قُيِّدتْ لأجله هذه الأحرف وهو مذهب المتصوفة في التوحيد .

ولما كان للصوفية طرق ومذاهب = إذ فيهم الغالي في مذهبه النائي عن الإسلام وأهله، ومنهم دون ذلك = لزم بيان حقيقة التوحيد عند كل قوم، وبيان مدى قربه من التوحيد عند السلف الذي جاءت به الرسل .

ومن خلال التتبع والاستقراء تبين لنا أن المتصوفة سلكوا في التوحيد أربع مسالك، تمسك بكل منها قوم ظنوا الحق فيما تبنوه، والهدى فيما اعتنقوه .

وقد كان هذا المبحث مبنياً على هذه المسالك الأربعة وفيما يلي عرضها، ومدى قربها وبعدها من المذهب السلفي. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

المسلك الأول : مسلك المتقدمين الموافقين لمذهب السلف :

وهم أكابر المشايخ منهم لاسيما في القرون الثلاثة الأولى فإن الثابت عن هؤلاء موافقة مذهب السلف في التوحيد جملة إذ المنقول عن هؤلاء تعظيم الكتاب والسنة ووقوفهم عند مرادهما[(١)] .

وليس هذا يعني تصحيح كل ما نقل عنهم وتأييده، أو تنزيههم عن بعض البدع المحدثة خصوصاً فيما يتعلق بجانب السلوك والأحوال، وإنما المقصود بيان قربهم من الحق وبعدهم عن كثير مما تعلق به متأخروهم من البدع والشركيات التي لم ينزل الله بها من سلطان .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعليقه على كلام القشيري فيما نقله في رسالته عن اعتقاد مشايخ الصوفية : ((والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف وهذا هو الذي كان يجب أن يذكر .

فإن في الصحيح الصريح المحفوظ عن أكابر المشايخ مثل الفضيل بن عياض[(٢)] وأبي سليمان الداراني[(٣)] ويوسف بن أسباط[(٤)] وحذيفة

---

(١) الاستقامة (١/ ٨٩) وانظر النبوات (٢٢٠)ط بيروت و مجموع لفتاوى (١٠/ ٥٥١) ومنهج الأشاعرة في العقيدة(٦٨).

(٢) هو : الفضيل بن مسعود بن بشير أبو علي التميمي الخرساني (١٠٥-١٨٧) ثقة عابد إمام من أئمة السلف روى له أصحاب الكتب الستة غير ابن ماجة .
انظر تقريب التهذيب (٤٤٨) ، والكاشف (٢/ ١٢٤) .

(٣) هو : عبدالرحمن بن عطية ويقال عبدالرحمن بن أحمد بن عطية وهو من أهل داريا قرية من قرى دمشق توفى سنة ٢١٥هـ مشهور بالزهد والتقشف .
انظر طبقات الصوفية (٧٥) .

(٤) هو : يوسف بن أسباط الشيباني .
قال فيه الذهبي : الزاهد من سادات المشايخ ، له مواعظ وحكم .

المرعشي[(١)] ومعروف الكرخي[(٢)] إلى الجنيد بن محمد[(٣)] وسهل بن عبدالله التستري[(٤)] وأمثال هؤلاء ما يبين حقيقة مقالات المشايخ[(٥)] .

فهؤلاء بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا ما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل))[(٦)] .

وقد نُقِل عن هؤلاء المشايخ ذم ما كان عليه الكلابية والأشعرية وتبديعهم فضلاً عن أن ينصر أحد منهم مذهب هؤلاء القوم .

((وكذلك سائر شيوخ المسلمين المتقدمين والمتأخرين الذين لهم لسان

....

انظر الجرح والتعديل (٩/ ٢١٨) ، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٦٩) .

(١) هو : حذيفة بن قتادة المرعشي صحب سفيان الثوري وروى عنه .
قال فيه الذهبي : ((أحد الأولياء)) وهو من رفقاء يوسف بن أسباط .
انظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٨٣) .

(٢) هو : معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ توفي ببغداد ودفن بها من الزهاد العباد زكاه الأئمة منهم ابن عيينة وأحمد بن حنبل وقال فيه الذهبي علم الزهاد .
انظر : طبقات الصوفية (٨٣) ، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٩) .

(٣) هو : ابن محمد بن الجنيد أبو القاسم القوازيري الخزاز توفى (عام ٢٩٧هـ) الملقب بسيد الطائفة . ذم الكلام وأهله وقد وقع له بعض الشطح .
انظر : طبقات الصوفية (١٥٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦) .

(٤) هو : سهل بن عبدالله بن يوسف التستري من كبار أئمة الصوفية توفي (٢٨٣هـ) قال فيه الذهبي : له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقدم راسخ في الطريق .
انظر : طبقات الصوفية (٢٠٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠) .

(٥) الاستقامة (١/ ٨٢) .

(٦) المصدر السابق (١/ ٩١) .

صدق في الأمة مثل أبي العباس القصاب[1]،والجيلاني[2]وعدي بن مسافر[3] فإن ما نقل عن هؤلاء غالبه موافق لأصول السلف أهل السنة والجماعة))[4] .

وقد سئل الشيخ عبد القادر الجيلاني :((هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟

فقال : ما كان ولا يكون))[5] .

ونحن في هذا المسلك ننقل ما جاء عن بعض هؤلاء في التوحيد ما يبين المقصود :

قال الجنيد رحمه الله : ((التوحيد إفراد القدم من الحدث)) .

قال شيخ الإسلام :- وهو من أعلم الناس بعبارات هؤلاء وإشاراتهم-: ((وأما الجنيد فمقصوده التوحيد الذي يشير إليه المشايخ وهو التوحيد في القصد والإرادة[1] ، وما يدخل في ذلك من الإخلاص والتوكل والمحبة، وهو أن يفرد الحق سبحانه وهو القديم بهذا كله، فلا يشركه في ذلك محدث ، وتمييز الرب من

---

(١) القصاب لم أجد له ترجمة بعد طول البحث فيما لدي من مصادر .

(٢) هو : عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي الحسني الجيلاني أبو محمد (٤٧١-٥٦١هـ) شيخ الطريقة القادرية من كبار الزهاد والصوفية حنبلي المذهب من كتبه : الغنية وفتوح الغيب والفتح الرباني .

انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩) ، والشيخ عبدالقادر الجيلاني وأراؤه الاعتقادية والصوفية .

(٣) هو : عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري شرف الدين أبو الفضل (٤٦٧-٥٥٧) من شيوخ الصوفية تنسب إليه الطائفة العدوية .

انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٤٢) ، ولشيخ الإسلام رسالة تسمى الوصية الكبرى وجهها إلى أتباعه ناصحاً لهم وهي مطبوعة .

(٤) المصدر السابق (١/ ٨٠-٩٠) .

(٥) المصدر السابق (١/ ٨٦) .

المربوب في اعتقادك . وهذا حق صحيح وهو داخل في التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه)) .

قال : ((ومما يدخل في كلام الجنيد تمييز القديم عن المحدث وإثبات مباينته له، بحيث يعلمه ويشهد أن الخالق مباين للخلق خلافاً لما دخل فيه الاتحادية من المتصوفة وغيرهم الذين يقولون بالاتحاد معيناً أو مطلقاً))[٢] .

وقال الجنيد أيضاً : سئل بعض العلماء عن التوحيد؟ فقال: هو اليقين .

فقال السائل : بين لي ما هو ؟

فقال : هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له ، فإذا فعلت ذلك فقد وحدته .

قال شيخ الإسلام : ((وكلام الجنيد المذكور هنا هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، لكن مقصود الجنيد هو أن يكون هذا التوحيد للعبد خلقاً ومقاماً بحيث يعطيه ذلك كمال توكله على الله تعالى، وتفويضه إليه، والصبر لحكمه، والرضا بقضائه، مالم يخرجه ذلك إلى اسقاط الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد، كما يقع في بعض ذلك طائفة من المتصوفة))[٣] .

....

(١) أي : توحيد الألوهية والعبادة وقد سبق بيان أن من أسمائه توحيد القصد والإرادة .

(٢) الاستقامة (١/ ٩٣) .

(٣) المصدر السابق (١/ ١٧٩) .

وقال ذو النون المصري[١] : وقد سئل من رجل الدعاء ؟ فقال : ((إن كنت أيدت في علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك وإلا فإن النداء لا ينفع الغرقى)) .

قال شيخ الإسلام : ((وقول ذي النون لا يراد به مجرد الاقرار بالربوبية العامة، وإنما أراد تحقيق توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية؛ وهو أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً .

فهذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل ؛ هو يُسْعِد صاحبه، ويدخل الجنة، لا محالة له من دعوة مجابة، ومن فاته هذا التوحيد فإن الله لا يغفر أن يشرك به ، فلا ينفعه الدعاء)) .

قال شيخ الإسلام : ((وهذا هو التوحيد المذكور في قول المراغي[٢] : صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد))[٣] .

وقال ابن خفيف[٤] الصوفي في كتابه : اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات :

---

(١) هو : ثوبان بن إبراهيم المصري الشهير بذي النون المصري ، وقيل غير ذلك ولد في أواخر أيام المنصور وتوفي عام (٢٤٨)هـ من المتصوفة الزهاد له كلمات في الأحوال يحمد عليها وله أقوال لا تقبل .
انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢) ، وطبقات الصوفية (١٥) .

(٢) المراغي لم أجد له ترجمة .

(٣) المصدر السابق (١/ ١٧٨-١٨٠) .

(٤) هو : أبو عبدالله محمد بن خفيف بن اسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي شيخ الصوفية توفي عام (٣٧١هـ) قال الذهبي : قد كان جمع بين العلم والعمل وعلو السند والتمسك بالسنن ومتع بطول العمر في الطاعة .
انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٢) .

((فأول ما نبتدئ به مما أوردنا هذه المسألة من أجلها ؛ ذكر أسماء الله عز وجل وصفاته مما ذكر الله في كتابه، وما بين ﷺ من صفاته من سنته، وما وصف به عز وجل نفسه، مما سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك ومما قد أمرنا بالاستسلام له)) .

إلى أن قال : ((ثم إن الله تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانية وإقرار الألوهية : أن ذكر الله تعالى بعد التحقيق مما بدأ به من أسمائه وصفاته وأكده عليه السلام بقوله فقبلوا منه (أي : الصحابة) كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله)) .

ثم قال بعد أن ذكر نصوص الصفات وآثار السلف في إثباتها والإيمان بها : ((فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقاً لقول النبي ﷺ، متداولاً في الأقوال، ومحفوظاً في الصدور، لا ينكر خلف عن سلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلها الخاصة والعامة، مدونة في كتبهم. إلى أن حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا أن لا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه، وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس، وكفَّروا المتقدمين، وأنكروا على الصحابة : على الأئمة الراشدين فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل)) .

ثم ذكر اعتقاد السلف الصالح أهل السنة والجماعة إلى أن قال :

((واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملاً من غير استقصاء . إذ قد تقدم القول عن مشايخنا المعروفين من أهل الإمامة والديانة إلا أنني أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة فيما أحدثه طائفة انتسبوا إليهم مما قد تخرصوا من القول مما نزه الله المذهب وأهله من ذلك)) .

إلى أن قال : ((ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ماله وما عليه مميز على أحكام القوة والاستطاعة، إذ لم يسقط ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ومن زعم أنه قد خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية بعلائق الآخرية فهو كافر لا محالة، إلا من اعتراه علة أو رأفة فصار معتوهاً أو مجنوناً أو مبرسماً، وقد اختلط في عقله، أو لحقه غشية ارتفع عنه أحكام العقل وذهب عنه التمييز والمعرفة فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة))[١] . أ. هـ.

فهذه جملة مما نقله ابن خفيف عن عقد المتصوفة الأوائل . وأنت إن رأيت النصوص التي نقلها شيخ الإسلام عنه في الفتوى الحموية لَتَبَيَّن لك موافقة هؤلاء لمنهج السلف في الاعتقاد عموماً وبالتوحيد على وجه الخصوص .

ومنهم الشيخ عبدالقادر الجيلاني وهو وإن تأخر عن المتقدمين قليلاً إلا أنه كان سلفي العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة في جميع قضايا العقيدة كمسائل الإيمان والتوحيد والنبوات واليوم الآخر[٢] .

وقد كان من كلماته فيما نحن فيه : ((الذي يجب من يريد الدخول في دين الإسلام أولاً أن يتلفظ بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام، ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى))[٣] .

((وقد دعا الله خلقه إلى توحيده وطاعته بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب فحذر وأنذر وخوف وزجر إعذاراً لهم وتأكيداً للحجة عليهم))[٤] .

---

(١) نقله عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (٤٠٥-٤٧٥) .

(٢) الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية (٦٦٠) .

(٣) الغنية (١/ ٢) عن المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق (١/ ٤٦) .

((فاخلصوا ولا تشركوا : وحدوا الحق عز وجل وعن بابه لا تبرحوا، سلوه ولا تسألوا غيره ، استعينوا به ولا تستعينوا بغيره ، توكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره))[١] .

ويقول أيضاً : ((انفوا ثم اثبتوا ؛ انفوا عنه مالا يليق به واثبتوا له ما يليق به وهو ما رضيه لنفسه ورضيه له رسوله ﷺ .

إذا فعلتم هذا زال التشبيه والتعطيل من قلوبكم))[٢] .

وله أيضاً : ((ولا نخرج عن الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكل الكيفية إلى علم الله عز وجل))[٣] .

ولعل بهذه النصوص عن هذا الشيخ إشارة إلى ما تقدم من موافقته لمذهب السلف أهل السنة والجماعة في هذا الباب .

وبهذا يكون كسابقيه من الأئمة المتقدمين الذين كانوا على منهج السلف في هذا الباب وهو ما قصدنا بيانه في هذا المسلك .

---

(١) الفتح الرباني (١٥١) عن المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق (٦٢) .

(٣) الغنية (١/ ٥٧) .

المسلك الثاني : مسلك المنكرين للتوحيد :

طائفة من المتصوفة قد أهمتهم أنفسهم، فضلوا وأضلوا حيث ترى أنه لا يمكن التعبير عن التوحيد، بل يرون أنه شيء خيالي، ومن عبر عنه فهو ملحد مشرك .

يقول الشبلي[١] الصوفي وقد قال له قائل : أخبرنا عن التوحيد مجرد وبلسان حق مفرد ؟

فقال : ((ويحك من أجابك عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليك فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل فليس بحاصل))[٢] .

وقال أيضاً : ((ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد))[٣] .

وقال آخر : ((فمن وحد الله ونعت فقد عين قضية ثلاثية : من موحد محدث هو نفسه .

وموحد قديم هو معبوده .

وتوحيد حديث هو فعل نفسه))[٤] .

وقال ابن عطاء[١] وهو منهم : ((حقيقة التوحيد نسيان التوحيد))[٢] .

---

(١) هو : دلف بن جحدر الشبلي البغدادي أبوبكر توفى عام (٣٣٤) شيخ الصوفية قال الذهبي : له مجاهدات عجيبة انحرف منها مزاجه . أ.هـ.

انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٧) .

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٨٦) .

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٨٧) .

(٤) روضة التعريف بالحب الشريف (٤٩٩) ، والقائل هو لسان الدين الخطيب . وانظر الشرك في القديم والحديث (١/ ٢٥) .

ومن الصوفية الذين صرحوا بأنه لا يمكن الإشارة إلى التوحيد بل قال أنه لا يوجد من يوحد الله سبحانه وتعالى حقاً إلا الله سبحانه وتعالى إذ كل من وحده جاحد : أبو إسماعيل الهروي[٣] فقد قال في منازل السائرين : ((وقد أجبت في سالف الدهر سائلاً عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث :

ما وحد الواحد من واحد ... إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته ... تثنية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ... ونعت من ينعته لاحد))[٤].

وقد قصد بهذه الأبيات التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت لأجله الكتب .

ومقولة هؤلاء لا يشك عاقل في شناعتها وعظيم جرمها، وهي من تلبيساتهم العظيمة التي صدوا بها عوام المسلمين عن معرفة توحيد المرسلين ....

(١) هو : أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي قتل عام (٣٠٩) هـ من كبار مشايخ الصوفية قتل بسبب الحلاج .
انظر طبقات الصوفية للسلمي (٢٦٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٥) .

(٢) القشيرية (٢/ ٥٨٨) .

(٣) هو : أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الهروي الحنبلي الملقب بشيخ الإسلام (٣٩٦-٤٨١) أخذ التصوف عن الخرقاني تولى التدريس والتحديث والوعظ . له كلام حسن في إثبات الصفات والرد على أهل الكلام وله كلام خطير في التصوف يدل على إيمانه بوحدة الوجود . له مؤلفات منها منازل السائرين والفاروق في الصفات وطبقات الصوفية .
انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٣) ، والإعلام (٤/ ١٢٢) .

(٤) ص (١٣٩) .

الذي لا يقبل الله ممن جهله صرفاً ولا عدلاً، بل هي الحرب الحقيقية ضد الإسلام والمسلمين؛ والتي اجتاحت دينهم ومسخت فطرتهم الحنيفية السمحاء .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وقوله لا تصح العبارة عن التوحيد كفر بإجماع المسلمين فإن الله قد عبر عن توحيده، ورسوله عبر عن توحيد، والقرآن مملوء من ذكر التوحيد، بل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد.

وقد قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٢] .

ولو لم يكن يصح عنه عبارة لما نطق به أحد .

وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي ﷺ : ((أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله))[٣] .

وقال : ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))[٤].))[٥].أ.هـ.

وأما قول القائل منهم : بأن حقيقة التوحيد نسيان التوحيد[٦] : فلا ندري كيف يمكن الوصول إلى تحقيق التوحيد مع نسيانه ؟ إن هذا لشيء عجاب، بل هو استهزاء واستهتار وسخرية بعقول السذج من الناس، وما هذه العبارة إلا

---

(١) سورة الزخرف (٤٥) .

(٢) سورة الأنبياء (٢٥) .

(٣) تقدم تخريجه (١٠٠) .

(٤) تقدم تخريجه (١١٠) .

(٥) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥١) .

(٦) الرسالة القشيرية (٥٨٨) .

دعوة إلى نسيان التوحيد حتى يسهل لهم غراس الشرك في قلوب الناس بعد أن يفرغوها تماماً من التوحيد الصحيح الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى[١] .

وأما قول الهروي في أبياته فقد قال ابن القيم وهو يتساءل منكراً : ((فعلى من أحلتم بهذا الحق المجهول الذي لا سبيل إلى العلم به، ولا التعبير عنه، ولا الإشارة إليه ؟!

وأين قوله : ما وحد الواحد من واحد ، من قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[٢] .

فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم يوحدونه، وأن أولي العلم يوحدونه . وكذلك إخباره عن أنبيائه ورسله وأتباعهم وأنهم وحدوه ولم يشركوا به شيئاً كما أخبر عن نوح ومن آمن معه وعن جميع الرسل ومن تبعهم بل أخبر سبحانه عن السماوات والأرض وما فيهن : أنها تسبح بحمده توحيداً ومعرفة .

فهل يصح أن يقال : ما وحده أحد من الرسل والأنبياء والمرسلين ولا سبح بحمده سماء ولا أرض ولا شيء ؟

وأبطل الباطل أن يقال : كل من وحد الله من الأولين والآخرين جاحد له ولتوحيده ، ولا موحد له على الحقيقة ؟ وإن نعت جميع الرسل والأنبياء وأتباعهم له إلحاد ؟ وكل من نعته من الأولين والآخرين فهو لاحد . فلا معنى صحيح ولا لفظ مليح . بل المعنى أبطل من اللفظ واللفظ أقبح من المعنى .

ثم يقال : فهذا الذي ذكرته هل هو توحيد ووصف للتوحيد أم ليس بتوحيد ؟ فإن لم يكن توحيداً فهو باطل. وإن كان توحيداً فقد وحدت الواحد))[٣].

---

(١) انظر مظاهر الانحرافات عند الصوفية (١/ ٢١٩) .

(٢) سورة آل عمران (١٨) .

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٤٧٨) ، وانظر منهاج السنة (٥/ ٣٤٢-٣٨٥) .

المسلك الثالث : مسلك المنتمين إلى المذهب الأشعري :

الصلة بين المذهب الأشعري والتصوف قديمة جداً منذ بزوغ المذهب الأشعري إلى أن أرسى القواعد وقعدها أبو حامد الغزالي في الإحياء فجمع بين التصوف والمذهب الأشعري، ومن قبله أبو القاسم القشيري في رسالته القشيرية، ثم مع تقدم الزمن وفشو الجهل واندراس معالم النبوة اختلط التصوف بدم المذهب الأشعري، فتجد فحول الأشاعرة المتأخرين خصوصاً قد تشبث بطريقة من طرق الصوفية المبتدعة . والمقصود من هذا بيان أن علماء الأشاعرة قد ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالصوفية ودافعوا عن أفعالهم، ومن هؤلاء الأعلام السبكي(١) وابن حجر الهيثمي(٢) والباجوري وأحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة والنبهاني(٣) ومن المعاصرين محمد علوي المالكي الذي كتب كتاباً سماه

---

(١) هو : تاج الدين أبو النصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي (٧٢٧-٧٧١هـ) شافعي المذهب ، أشعري المعتقد ، انتهت إليه رئاسة القضاء بالشام، من أشهر كتبه : جمع الجوامع ، وطبقات الشافعية ، ومعيد النعم ومبيد النقم .
انظر ترجمته : الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٥) .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن محمد بن علي الأنصاري الهيثمي الشافعي المتوفى سنة (٩٧٣هـ) فيه نزعة أشعرية صوفية من كتبه الأعلام بقواطع الإسلام والزواجر والصواعق المحرقة .
انظر ترجمته : معجم المؤلفين (١/ ٢٩٣) ، وجلاء العينين للألوسي (٤٠) .

(٣) هو : يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني الشافعي أبو المحاسن (١٢٦٥-١٣٥٠) أديب شاعر صوفي أشعري من خصوم الدعوة السلفية من كتبه الأنوار المحمدية وجامع كرامات الأولياء ، وحجة الله على العالمين .
انظر معجم المؤلفين (١٣/ ٢٧٥) .

مفاهيم يجب أن تصحح قال فيه : ((التصوف ذلك المظلوم المتهم قليل من ينصفه))[(١)] .

والمقصود من ذكر هؤلاء بيان المسلك الثالث للمتصوفة وتقريرهم التوحيد على ما قد قرره الأشاعرة ، قال شيخ الإسلام بعد عرضه لمذهب المتكلمين في التوحيد على ما سبق من تقرير ((وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار أهل الإثبات للقدر المنتسبين للسنة إنما هو توحيد الربوبية، وأن الله رب كل شيء، ومع هذا فالمشركون كانوا مقربين بذلك مع أنهم مشركون، فكذلك طوائف من أهل التصوف المنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد وهو أن يشهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، لاسيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده و بمشهوده عن شهوده وبمعروفه عن معرفته ودخل في فناء[(٢)] توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها .

ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلماً فضلاً عن أن يكون ولياً لله أو من سادات الأولياء .

قال : وطائفة من أهل التصوف والمعرفة يقرون هذا التوحيد مع إثبات الصفات فيفنون في توحيد الربوبية مع إثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته .

وآخرون يضمون هذا إلى نفي الصفات فيدخلون في التعطيل مع هذا))[(٣)].

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (٣٥) .

(٢) سيأتي تعريف الفناء عند الكلام على المسلك الرابع إن شاء الله .

(٣) التدمرية (١٨٦-١٨٨) .

والحاصل من كلام شيخ الإسلام أن هـؤلاء المتـصوفة المثبـتين للـصفات منهم والنافين لها غاية ما عندهم من التوحيد : هو الإقـرار بـأن الله هـو خـالق الخلق لا خالق لهم غيره ولا رب لهم سواه .

أما أن يشرك معه غيره باتخاذ الوسائط ونحو ذلك من أنواع الشرك فذلك عندهم لا يضر مع الإقرار بالربوبية[١] .

---

(١) انظر التحفة المهدية (٣٧٠) .

المسلك الرابع : الغلاة من المتصوفة :

وهم على قسمين :

الأول :

أصحاب وحدة الوجود والاتحاد وهم أصحاب الفناء عن وجود السوي.

الثاني :

أرباب السلوك من المتأخرين وهم أصحاب الفناء عن شهود السوي .

وسنقف مع كل قسم بقدر ما يتضح به مذهبهم، وينجلي مسلكهم من خلال نقولهم وأقوالهم، وموقف أهل العلم منهم .

أ- أما وحدة الوجود فهي تعني أنه ليس هناك موجود إلا الله فليس غيره في الكون ، وما هذه الظواهر التي نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .

هذه الحقيقة التي تنوعت وجوداتها ومظاهرها في هذا الكون المشاهد، وليس هذا الكون في هذه العقيدة الباطلة إلا الله في زعمهم[(١)] .

هذه هي عقيدة وحدة الوجود وسننقل من نصوص كبرائهم ما يبين حقيقة هذا الأمر :

فمن كبرائهم وأئمتهم الذين سلكوا هذا المسلك محيي الدين[(٢)] بن عربي يقول في فصوص الحكم متحدثاً عن الإله في معتقده الصوفي : ((فالإله المطلق

---

(١) الفكر الصوفي (٦٩) .

(٢) هو : أبوبكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي المتوفى سنة (٦٣٨هـ) الملقب عند المتصوفة بالشيخ الأكبر أحد كبار أئمة أهل الإلحاد والاتحاد والزندقة كان يقول بإيمان فرعون من كتبه المحشوة بالزندقة والإلحاد نصوص الحكم .
انظر سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨) ، وجلاء العينين (٦٩) .

لا يسعه شيء، لأنه عين الأشياء، وعين نفسه، والشيء لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسعها فافهم))[(١)] .

ويقول : ((وإذا كان الحق وقاية للحق بوجه والعبد وقاية بوجه فقل في الكون ما شئت ، إن شئت قلت : لا حق من كل وجه ولا خلق من كل وجه وإن شئت قلت بالحيرة))[(٢)] .

ويقول في أبيات له تكشف حقيقة مذهبه :

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا ... فإنا أعبد حقاً وإن الله مولانا
وأنا عينه فاعلم إذا ما قلت إنساناً ... فلا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهاناً
فكن حقاً وكن خلقاً تكن بالله رحماناً ... وغذ خلقه منه تكن روحاً وريحاناً
فأعطيناه ما يبدو به فينا وأعطانا ... فصار الأمر مقسوماً بإياه وإيانا
فكنا فيه أكوانا وأعيانا وأزماناً[(٣)] .

ومنهم ابن سبعين[(٤)] وهو من رواد هذا المذهب يقول في رسائله : ((وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبال .

وأي شيء يخطر ببالك سمه به من اسمه الوجود. كيف بأسماء منحصرة هيهات ؟

الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض .

---

(١) فصوص الحكم (٤٤٠) .

(٢) المصدر السابق (١١٣) .

(٣) المصدر السابق (١٤٣) .

(٤) هو : أبو محمد عبدالحق بن إبراهيم الإشبيلي المتوفى عام (٦٦٩هـ) . من أئمة الاتحاد أهل الزيغ والفساد، كان يقول: إن النبوة مكتسبة. ويقول عن الطائفين بالبيت: كأنهم حمير حول مدار ولو طافوا بي كان طوافهم أفضل من طوافهم به .
انظر جلاء العينين (٨١) ولشيخ الإسلام مصنف في الرد عليه باسم بغية المرتاد مطبوع .

فإن قلت: نسميه بما سمى به أو نبيه .

يقال لك : من سمى نفسه الله ؛ قال لك : إن كل شيء وجميع من تنادي أنا))[١] .

ويقول أيضاً : ((والذي تحتاج إليه أن تعلمه أن الأولى أن يطلق العلم الإلهي على معرفة الوحدة، وأن المقصود منه هو التوحيد، وأن الموحد صاحب النتيجة الماحية لكل معلوم فيه غير الوحدة المحضة، والذي يبلغ هذه الدرجة أدرك المقصود))[٢] .

ومنهم ابن الفارض[٣] الذي تعدى وظلم وسار بمثل ما سار به أولئك يقول في تائيته المرسومة بنظم السلوك .

تجلت في تجليها الوجود لناظري ففي كل مرئي أراها برواية
وأشهدت غيبي إذ بدت فوجدتني هنالك إياها بجلوة خلوتي

إلى أن قال :

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذا تجلت تجلت

وقال :

ومازلت أياها وأياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
ولم أله باللاهوت عن حكم مظهري ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي
تحققت أنا في الحقيقة واحد وأثبت صحو الجمع محو التشتت

إلى أن قال :

---

(١) رسائل ابن السبعين (١٨٤) .

(٢) المصدر السابق (٣١٤) .

(٣) هو : عمر بن علي بن المرشد الحموي المصري المتوفى سنة (٦٣٢هـ) صاحب الاتحاد الذي ملأ به التائية وأحد الأئمة المجاهدين بزندقتهم وإلحادهم له ديوان باسمه .
انظر سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٨) ، وجلاء العينين (٧٨) .

لها صلواتي بالمقام أصلها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة[(١)]

ولعل بهذا يتضح حقيقة هذا المذهب الغالي من القول بالوحدة والاتحاد الذي تنكره الطباع، وتنفر منه النفوس، المشتمل على التناقض والبطلان والعدوان، والمناقض لصحيح المنقول وصريح المعقول .

القسم الثاني :

وهم أرباب السلوك من المتأخرين أصحاب الفناء عن شهود السوي، فإن من أصول المتصوفة الفناء، وحقيقته عندهم هو: أن المريد أو الصوفي إذا داوم على الإكثار من الذكر حصل له بذلك طمأنينة القلب ثم يعتريه الذهول ثم السكر بحب المذكور ثم الفناء عن الأكوان والذهول عنها بحيث يفقد أحاسيسه وشعوره .

يقول الكلاباذي[(٢)] في تعريفه للفناء : ((هو أن يفنى الشخص عن الحظوظ، فلا يكون له في شيء حظ، ويسقط عنه التمييز شعلاً بما فني فيه))[(٣)] .

ومقصوده في هذا أن المريد يقبل على جانب الله لمجرد الامتثال لأمره ونهيه، فهو يفعل لأن الله أمر، ويترك لأن الله نهى . أما ما وراء ذلك من نجاة من عذاب أو متعة في ثواب فهو وإن كان حاصلاً ولابد لكن لا يأخذ ذلك في اعتباره ابتداء فليس الثواب والعقاب هما الدافع له على الترك والفعل وإنما لأن

---

(١) انظر عقيدة الصوفية وحدة الوجود (١٤٦-١٥٣) .

(٢) هو : أبو بكر محمد بن إسحاق ويقال إبراهيم البخاري الكلاباذي المتوفى عام (٣٨٠هـ) من المتصوفة وهو صاحب كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف .
انظر الأعلام (٦/ ١٨٤) .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف (٩٢) .

شعوره بالمتعة واللذة في إقباله على جناب الله عز وجل وما يستتبع ذلك من نفحات إلهية تربو على شعوره باللذة بنعيم الثواب والضجر من أليم العقاب .

فانشغال المريد بجلال الله وجماله عن غيره والذي وصل إليه بمقام الفناء هو الغاية المطلوبة والضالة المنشودة .

وحقيقة الفناء لا تخرج عن أحد ثلاثة أمور :

- **أحدها :**

وهو الفناء الديني الشرعي وهو الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به، فيفنى عن عبادة غيره بعبادته وعن طاعة غيره بطاعته. وطاعة رسوله، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه، وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله، وعن خوف غيره بخوفه، بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله، وبحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(١) .

فهذا كله مما أمر الله به ورسوله .

- **وأما الفناء الثاني :**

وهو الذي يذكره بعض المتصوفة، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى ، فيفنى بمعبوده عن عبادته، و بمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته بحيث يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله .

---

(١) سورة التوبة (٢٤) .

وهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين، وليس هو من لوازم طريق الله، ولهذا لم يعرض مثل هذا للنبي ﷺ ولا لأصحابه السابقين الأولين .

ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالاً مبيناً .

- **وأما الثالث :** فهو الفناء عن وجود السوي بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق وأن الوجود واحد بالعين .

وهذا هو قول أهل الإلحاد والاتحاد الذين هم من أضل العباد(١) .

وهذا الفناء هو الذي عبر عنه بعضهم بأنه توحيد خاصة الخاصة(٢) .

الآثار المترتبة على هذا المسلك :

لاشك أن القول بالوحدة في الوجود والاتحاد قد ترتب عليه من الآثار العظيمة والمفاسد الجسمية التي لحقت الإسلام في دينه وأهله .

فمن تلك الآثار وهو أعظمها وأشدها خطراً وزيغاً وضلالاً القول بسقوط الشرائع عنهم، وارتفاع التكليف عن جنابهم، لأن من وصل إلى الوحدة رأى أن العابد هو المعبود، والشاكر هو المشكور، فمن الذي يثيب العباد الطائعين، ومن الذي يعاقب العاصين، بل من هم الطائعون ؟ ومن هم العاصون ؟ أليس على زعمهم الكل واحد وأنه ما ثم غير الله ؟

وقد صرح بهذه الحقيقة وارتفاع الشرائع جملة من أئمتهم :

فهذا إمامهم الأكبر ابن عربي يقول في قصيدة له :

الرب حق والعبد حق ... ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف(٣)

---

(١) التدمرية (٢٢١-٢٢٢) .

(٢) انظر منازل السائرين للهروي (٤٧) .

(٣) الفتوحات المكية (١/ ٤٢) .

ويقول أيضاً : ((الشيء لا يشارك نفسه ، فإنه ما ثم إلا واحد فهو المكبِّر والكبير وهو الكبرياء))[(١)] .

ويقول أيضاً : فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده[(٢)] .

ويقول الكلاباذي:(دوام الفناء يوجب تعطيل الجوارح عن أداء المفروضات)[(٣)].

ويقول النابلسي النقشبندي[(٤)] في قصيدة له :

هو الشكور والشاكر هو المذكور والذاكر
هو المكور فيه قد يبدو المكر والماكر
هو الأمر الذي قد أنـ كر والنكر والناكر
معان كلها فيه فقم لرياضها باكر
وأطلق ذاته فيها وحاذر عقلك الحاكر[(٥)]

※ ومنها القول بوحدة الأديان :

يعتقد أصحاب الوحدة أن العالم كله هو عين ذات الله عز وجل، وهذه العقيدة استلزمت إيمانهم بوحدة الأديان، إذ إن كل معبود هو من ذات الله بل

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٢٣٦) .

(٢) فصوص الحكم (٩٥) .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف (٩٦) .

(٤) هو : عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني الدمشقي المشهور بالنابلسي (١٠٥٠-١١٤٣هـ) من المتصوفة القائلين بالوحدة من كتبه الوجود الحق وشرح ديوان ابن الفارض وجواهر النصوص .

انظر عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية (١٧٢-١٧٧) .

(٥) ديوان الحقائق للنابلسي (١/ ٢٢٦) ، وانظر عقيدة الصوفية وحدة الوجود (٤١١-٤١٣) فالنقول المتقدمة عنه .

هو عين ذات الله، فالعبادة على كل حال متوجهة إلى الله تعالى .

وقد صرح أحد أئمتهم بأن المفهوم من كلمة التوحيد لا إله إلا الله هو وحدة الأديان فهذا عبد الكريم الجيلي[1] يقول مفسراً معنى لا إله إلا الله : ((ثم الجملة بقوله : ((لا إله إلا الله)) يعني الإلهية المعبودة ليست إلا أنا ، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا ، ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة وتسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه في الحقيقة = تسمية حقيقية لا مجازية، إنه أراد أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو فقال لا إله إلا أنا))[2] . ويقول ابن الفارض في تائيته الكبرى :

في مجلس الأذكار سمع مطالع ... ولي حانة الخمار عين طليعة
وما عقد الزنار حكماً سوى يدي ... وأن حل بالإقرار بي فهي حلت
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد ... فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه ... يناجي بها الأحبار في كل ليلة
وأن خر للأحجار في البد[3] عاكف ... فلا وجه للإنكار للعصبية
وما زاغت الأبصار من كل ملة ... وما زاغت الأفكار من كل نحلة
وما احتار من للشمس عن غرة الصبا[4] ... وإشراقها من نور إسفار غرتي
وإن عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار من ألف حجة

---

(١) هو : عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي أو الجيلاني (٧٦٧-٨٢٦)هـ من كبار صوفية القرن التاسع ومن دعاة مذهب وحدة الوجود ، من كتبه الإنسان الكامل والمناظر الإلهية .

انظر الأعلام (٤/ ٥٠) ، وعقيدة الصوفية وحدة الوجود (١٦٦) .

(٢) الإنسان الكامل (١/ ٩٩) عن كتاب عقيدة الصوفية وحدة الوجود (٤١٩) .

(٣) البد هو : الصنم أو بيت الصنم . هذه هي الصوفية (٩٨) .

(٤) أي مال قلبه وأراد .

فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم　　سواي وإن لم يظهروا عقدنيـة[١]

*** حكم القول بوحدة الوجود والاتحاد :**

لا يشك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر أن القول بوحدة الوجود كفر مخرج من دائرة الإسلام والمسلمين، وأن كفرهم أعظم من كفر اليهود والنصارى، والأدلة في هذا متوافرة جداً وفتاوى علماء المسلمين على ذلك قد سطرت في كتبهم ونطقت بها ألسنتهم وسننقل من أقوال هؤلاء الأئمة ما يبين المقصود :

فمنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال في فتوى له : ((مشايخ الإسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمد مثل : سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس والأوزاعي وإبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري والفضيل بن عياض ومعروف الكرخي والشافعي وأبي سليمان وأحمد بن حنبل وذكر خلقاً كثيراً من أئمة المسلمين .

إلى أن قال : كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم وأن الله ليس هو خلقه ولا جزءاً من خلقه ولا صفة لخلقة، بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وعليه فطر الله تعالى عباده وعلى ذلك دلت العقول))[٢] .

(١) انظر هذه هي الصوفية للوكيل (٩٨) .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ١٨٦) .

ومنهم تلميذه ابن القيم حيث قال : ((فناء القائلين بوحدة الوجود هو فناء باطل في نفسه ، مستلزم جحد الصانع وإنكار ربوبيته وخلقه وشرعه وهو غاية الإلحاد والزندقة))[١] .

ومنهم الذهبي حيث قال عن فصوص ابن عربي : ((فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر))[٢] .

ومنهم برهان الدين البقاعي إذ يقول عن ابن عربي وابن الفارض : ((وقد تواتر نسبة ابن عربي وابن الفارض إلى الكفر تواتراً معنوياً، وشاع ذلك على ألسنة المؤمنين الصادقين، وإذا كان الله سبحانه حكم بالكفر في كتابه الكريم على من قال إن الله هو المسيح فلِمَ لا يحكم المسلمون على قطبي الحلول والاتحاد وكل منهما يقول : إن الله عين كل شيء ؟))[٣]

ومنهم صديق حسن خان[٤] يقول – رحمه الله : ((من اعتقد أن ما دل عليه الكتاب والسنة من بيان التوحيد المجمع عليه بين الأنبياء والرسل هو توحيد العامة . وتوحيد الخاصة هو وحدة الوجود؛ فقد خلع ربقة الإسلام عن رقبته وعادى الله ورسوله))[٥] .

---

(١) طريق الهجرتين (٢٦٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨) .

(٣) مصرع التصوف .

(٤) هو : محمد بن حسن بن علي البخاري القنوجي (١٢٤٨-١٣٠٧هـ) من علماء الهند، تزوج بملكة بهو بال في الهند ، أكثر من التصنيف ، من كتبه فتح البيان ، وقطف الثمر، والروضة الندية ، وأبجد العلوم .
انظر الأعلام (٦/ ١٦٧) .

(٥) الدين الخالص (١٣٢١) ، وانظر عقيدة الصوفية وحدة الوجود (٦٣٥) .

ولعل في هذا النقل عن هؤلاء الأعلام مع من صرح بذكرهم ابن تيمية ما يكفي إلى ما رمناه ((فهل بقي بعد هذا أدنى شك أو ذرة أو حاجة إلى دليل لكي يعرف الناس جميعاً أن ابن عربي ومن على شاكلته أو على طريق منهجه وعقيدته في وحدة الوجود هم أكثر من كفار، وأكفر من الكفار، وأبعد ما يكونون عن نقاء الفطر السليمة، وضوابط العقول المستنيرة ؟))[1] .

(١) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/ ٢٩٥) .

الباب الثاني :

شروط لا إله إلا الله

وفيه تمهيد وثمانية فصول :

الأول : الشرط الأول : النطق بها .

الثاني : الشرط الثاني : العلم .

الثالث : الشرط الثالث : الإخلاص .

الرابع : الشرط الرابع : الصدق بها .

الخامس : الشرط الخامس : اليقين .

السادس : الشرط السادس : القبول .

السابع : الشرط السابع : الانقياد .

الثامن : الشرط الثامن : المحبة .

التمهيد وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مفهوم الشرط لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : التلازم بين الشروط وجوداً وعدماً


المبحث الأول :
مفهوم
الشرط
لغة واصطلاحاً

المبحث الأول: مفهوم الشرط لغة واصطلاحاً :

الشرط :

لغة :

قال الراغب : الشرط كل حكم معلوم يتعلق بأمر يقع بوقوعه وذلك الأمر كالعلامة له .

وشريط وشرائط وقد اشترطت كذا ومنه قيل للعلامة الشرط .

وأشراط الساعة علاماتها قال تعالى : ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[1] .

والشُرَط قيل سموا بذلك لكونهم ذوي علامة يعرفون بها .

وأشرط نفسه للهلكة إذا عمل عملاً يكون علامة للهلاك أو يكون فيه الهلاك[2] .

وقال ابن فارس : ((الشين والراء والطاء أصل يدل على عَلَم وعَلاَمة ، وما قارب ذلك من عَلَم)) .

من ذلك الشَّرْط : العلامة ، وأشراط الساعة علاماتها ... الخ[3] .

ومن هنا فالشرط يراد به أحد معانٍ لا تخرج عن دلالة العَلَم والعلامة[4] .

اصطلاحاً :

أما عند الأصوليين :

فقد قال ابن قدامة في الروضة :

---

(١) سورة محمد (١٨) .

(٢) المفردات (٢٦١) .

(٣) (١/ ٦٤٧-٦٤٨) .

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة (١/ ٦٤٧-٦٤٨) وتاج العروس (٥/ ١٦٦-١٦٨) ولسان اللسان (١/ ٦٦٥) والمفردات (٢٦١) والكليات (٥٢٩-٥٣٣) .

((الشرط مالا يوجد المشروط مع عدمه ، ولا يلزم أن يوجد عند وجوده وهو عقلي وشرعي ولغوي)).

((فهو مالا يوجد الشيء بدونه ولا يلزم أن يوجد عنده)) [١] أ.هـ

وفي شرح الكوكب المنير : ((الشرط في عرف أهل الشرع ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود ولا عدم لذاته .

فالأول : احتراز من المانع لأنه لا يلزم من عدمه وجود ولا عدم .

والثاني : احتراز من السبب ومن المانع أيضًا .

أما من السبب فلأنه يلزم من وجوده الوجود لذاته وأما المانع فلأنه يلزم من وجوده العدم .

والثالث : وهو قوله ((لذاته)) احتراز من مقارنة الشرط وجود السبب، فيلزم الوجود . أو مقارنة الشرط قيام المانع فيلزم العدم لكن لا لذاته وهو كونه شرطاً بل لأمر خارج وهو مقارنة السبب أو قيام المانع)) [٢] أ.هـ .

ومن هنا فشرط الشيء ما يتوقف عليه صحة ذلك الشيء لا وجوده [٣] .

---

(١) (٢٢٨) مختصراً .

(٢) (١/ ٤٥٢) وانظر أيضاً البحر المحيط (٣/ ٣٢٧) .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٢١) .

المبحث الثاني :

التلازم

بين الشروط

وجوداً وعدماً

المبحث الثاني : التلازم بين الشروط وجوداً وعدماً :

توطئة :

تورط بعض من الناس خلال محاولتهم فهم القرآن والحديث النبوي ؛ فهم ينظرون إلى القرآن والحديث النبوي بنفس النظرة التي ينظرون بها إلى عامة المؤلفات والكتب ، بظن أنهما : ((أي القرآن والحديث)) ينتهجان في تناول الموضوع بالبحث والتوضيح نفس النهج الذي تتبعه المؤلفات الأخرى حيث تتناول هي الأخرى كل موضوع بانفراد وتحلله تمام التحليل في موضع واحد ،مما نتج عن ذلك الوقوع في الخطأ.

نزل القرآن خلال الفترة التي بعث فيها النبي ﷺ في فترات مختلفة ، وفق ما احتاجته كل فترة وكذلك أحاديث الرسول ﷺ التي نقلها أهل السنة والحديث في دواوينهم هي الأخرى نزلت في نفس تلك الفترات على مقتضى الحاجات والضرورات الناشئة ، إلى أن تم الدين ، وختمت الشريعة المحمدية بآية عرفة ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[١] .

فعلى هذا إذا أردنا الاستنتاج الصحيح سواء كان من آية من آيات القرآن أو من حديث من أحاديث الرسول ﷺ يلزمنا فيهما نظرة شاملة تحيط بكل جوانبهما ، وأما إذا تناولنا آية واحدة أو حديثاً واحداً بغض النظر عن سائر الأجزاء المتعلقة به والمذكورة في الآيات والأحاديث الأخرى ، وحسبناها تستقل بما تحويه فلا شيء حينئذ ينقذنا من الارتطام في الخطأ، والوقوع فريسة الفهم السيء . عند ذلك يضرب كتاب الله بعضه ببعض فنضل كما ضلت بنو إسرائيل[٢] .

---

(١) سورة المائدة (٣) .

(٢) انظر رسالة المودودي ، هل يكفي للنجاة قول لا إله إلا الله .

ولنضرب لذلك مثلاً : وهو ما يتعلق بموضوعنا الذي نحن فيه فقد جاءت نصوص كثيرة عن النبي ﷺ يوهم ظاهرها أن مجرد التلفظ بكلمة التوحيد يكفي في نجاة العبد من عذاب الله وناره يوم القيامة ، من ذلك :

حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : ((ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)) قلت : وإن سرق وإن زنى؟ ، قال : ((وإن زنى وإن سرق)) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : ((وإن زنى وإن سرق وإن زنى على رغم أنف أبي ذر))(١).

وحديث عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة))(٢) .

وحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً وفيه : ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال له يوماً : ((من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة))(٤).

فهذه الأدلة ونحوها كثير استدل بها من استدل من أن التلفظ بكلمة التوحيد كافٍ في النجاة . وقد ترتب على هذا القول – مع بطلانه – من المفاسد ما الله به عليم، إذ أنه مصادر لحقيقة دعوة الرسل – صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين – بل ومن تأمل بداية مراحل دعوته - ﷺ - ابتداءً بالدعوة السرية في العهد المكي إلى أن صدع رسول الله ﷺ بالدعوة، وسفه أحلام

---

(١) تقدم تخريجه (١١٠) .

(٢) تقدم تخريجه (١١٦) .

(٣) تقدم تخريجه (١١٧) .

(٤) تقدم تخريجه (١١٦) .

المشركين، وعاب آلهتهم ، فثارت عليه قريش ثورة رجل واحد ، وأثارت معها العرب قاطبة ، ولقي ﷺ وأصحابه من الأذى والبلاء صنوفاً وألواناً . فمنذ اللحظة الأولى لنزول هذا الدين تأتي الشدة والاجتهاد في معاناة تلقي الوحي وتحمل الأذى لأجله والصبر على ما يصيبهم فيه .

إن شهادة أن لا إله إلا الله لم تكن مجرد كلمة تقال باللسان ، ولا يمكن أن تكون كذلك في أي مرحلة من مراحل الدعوة النبوية ، فضلاً عن مرحلة التأسيس التي هي أشق المراحل وأهمها ، وإلا فما معنى تلك المعاناة القاسية وما موجبها ؟

وإنما كانت هذه الشهادة نقلة بعيدة ، ومعلماً فاصلاً بين حياتين لا رابط بينهما : حياة الكفر وحياة الإيمان ؛ وما يستلزمه ذلك من فرائض وتعبدات ومشقات أعظم وأكبر من فريضة الصلاة والزكاة ونحوها .

فمن ذلك : فريضة التلقي الكامل عن الله ورسوله - ﷺ - ، ونبذ موازين الجاهلية وقيمها وأخلاقها وأعرافها وتشريعاتها .

ومن ذلك : الولاء المطلق لله ورسوله، والبراء التام الصارم من الكفار ولو كانوا آباءً وإخواناً وأزواجاً وعشيرة .

ومن ذلك فريضة الصبر على الأذى في الله الذي لا تطيقه إلا نفوس سمت إلى قمة تحمل الفرائض والواجبات ، حتى إن الواحد ليكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار .

وهذا ونحوه ما كان يعانيه بلال وهو يسحب في رمضاء مكة وتلقى عليه الإثقال[1] ، وما يكابده سعد وهو يرى أمه تتلوّى جوعاً ، فيقسم لها : لو أن لها مائة نفس فتظل تخرج نفساً نفساً حتى تهلك لما رجع عن دينه[2] ، وما كان

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٣١٧) .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (١/ ١٠٩) .

آل ياسر يلقونه وهم يتعرضون لأعظم بلاء تشهده أسرة مضطهدة[(١)] ، وما واجهه أبو ذر أيضاً حين صاح : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[(٢)]. وغير ذلك كثير وكثير مما كان في تلك الفترة مما فيه دلالة واضحة لكل من تأمل : أن كلمة التوحيد لم تكن مجرد لفظة تقال باللسان ، إنه حتى على المنطق الجاهلي لا يصح أن نتصور إيماناً بدون تكليف ، وشهادة بلا أثر في واقع الحياة ، وإلا أفكان الجاهليون يقتلون مواليهم ويعذبون أبناءهم وإخوانهم ، ويقطعون أرحامهم لمجرد كلمة تقال باللسان ، أو نظرية ذهنية في المعرفة ؟ لا تتعدى نطاق ذلك ؟ لقد كانت كل خطوة من خطوات الدعوة تسير على الشوك والأذى ، حتى كانت الخطوة الفاصلة : الهجرة إلى المدينة ، فاكتنفها من المصاعب والشدائد ما هو أشهر من أن يذكر وأعز من أن يحصر ، فقد كانت عيون قريش تلاحقه - ﷺ - ورصدها يطارده ، حتى قلبوا الجبال والمغارات بطناً لظهر إلى أن وقفوا على الغار نفسه الذي كمن فيه هو وصاحبه .

وبقدر ما كانت الهجرة إلى المدينة ووضع نواة الدولة الإسلامية خلاصاً للدعوة ، وخروجاً بها من مأزق الجمود والحصار الذي كان مضروباً عليها بمكة. كانت أيضاً بداية لمصارعة قوى جديدة ، والعمل في محيط لا يقل عداءً وصعوبة عن مكة وإن تغير الموقف في الظاهر ؛ فالمشركون من جانب، واليهود من جانب والمنافقون العدو الشرس من جانب آخر .

هذا كله إلى جانب العبء الأساسي وهو تزكية هذه الجماعة المؤمنة ، وإيجاد الترابط الإيماني المنشود بينها وإعدادها لحمل الأمانة العظمى .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٣١٩) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (٣٨٦١) .

ومنذ أن حمل النبي - ﷺ - بيده الشريفة اللَّبِنَ لبناء المسجد لم يزل بانياً لصرح ما شهد العالم الأرضي مثله حتى لقي ربه ؛ فقد بنى – بأمر ربه وإذنه – أمة فذة ودولة فريدة تتقاصر دونهما أحلام الحكماء وتخيلات الشعراء .

لقد كانت الجماعة الأولى فذة في تركيبها ومنهجها ونموها وحركتها ، كل ذلك لأن عين الله ترعاها ووحيه يربيها ويزكيها ويحييها .

لكن كيف كانت التزكية ؟! أهي الأوامر والنواهي وحدها ؟ أم التصورات الاعتقادية ؟! المبنية على قول هذه الكلمة فقط ؟ كلا، بل كانت حلقات قاسية من المعاناة والتربية بالأحداث والتجارب والفتنة والابتلاء . ابتداءً بالملحمة العظمى غزوة بدر الكبرى إلى يوم الأحزاب ذات المواقف الرهيبة والكُرَب الشديدة كل فترة من تلك الفترات وكل موقف من تلك المواقف يعطينا الدلالة العظمى على ما نريد إيضاحه هنا من حقيقة لهذه الكلمة وأثر الإيمان بها في واقع الحياة .

إذ لسائل أن يسأل : لماذا كل هذه الجهود والتضحيات والمشقات ؟

وما القضية الأساسية التي جاهد من أجلها الأنبياء والشهداء والصالحون؟ وهل هي جديرة بكل هذه الجهود الكبيرة الهائلة ؟ لاسيما وأن بعض الأنبياء - وهم خير من دعا إلى الله – لم يتبعه أحد ، ومنهم من لم يتبعه إلا الرجل والرجلان كما صح الحديث(١) . وأكثرهم ما أمن لهم إلا قليل بنص القرآن ؟

والرسول – ﷺ - وهو أكثر الأنبياء تابعاً – أكانت القضية التي دعا إليها تستدعي أن يهب هو وأصحابه مهج حياتهم كلها في سبيلها ؟ وعندما نخاطب

---

(١) جاء ذلك في صحيح البخاري : كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو (٥٧٠٥) ، و(٥٧٥٢) أيضاً باب من لم يرق . من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

المسلمين بأن طبيعة هذا الدين هي هكذا : هل يمكن أن تكون حقيقة النجاة بهذه الكلمة هو مجرد قولها باللسان فقط[١] ؟

هذا الذي لا أحسب أن أحداً يتبناه فضلاً عن أن ينسبه للسلف . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبغي دركها أن التوحيد حقيقته تقتضي رفض هذا القول بكل صوره يقول ابن القيم – رحمه الله – في هذا مقرراً أنه لابد من تحقق مقتضيات الكلمة وشروطها : ((ليس التوحيد مجرد إقرار بأنه : لا خالق إلا الله ، وأن الله رب كل شيء ومليكه ، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون ، بل التوحيد يتضمن من محبة الله والخضوع له ، والذل له ، وكمال الانقياد لطاعته ، وإخلاص العبادة له ، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال ، والمنع والعطاء ، والحب والبغض ، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها ، ومن عرف هذا عرف قول النبيﷺ : ((إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))[٢] وما جاء مثل هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس ، فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط ، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، بل لابد من قول القلب وقول اللسان .

وقول القلب يتضمن من معرفتها والتصديق بها ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره ، وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً: ما يوجب تحريم قائلها على النار .

---

(١)ظاهرة الإرجاء (١/ ٥٤-٩٦) بتصرف.

(٢) تقدم تخريجه (١١٧) .

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر ، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات[(١)] ، فلا يعذب صاحبها، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة ، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات . وتأمل أيضاً ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية فجعل ينوء بصدره ، ويعالج سكرات الموت[(٢)] ، لأن ذلك كان أمراً آخر ، وإيماناً آخر؛ ولذلك ألحق بأهل القرية الصالحة . وقريب من هذا ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش ، يأكل الثرى - فقام بقلبها ذلك الوقت - مع عدم الآلة ، وعدم المعين ، وعدم من ترائيه بعملها ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر، وملء الماء في خفها ، ولم تعبأ بتعرضها للتلف، وحملها خفها بفيها وهو ملآن حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه ، فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكوراً[(٣)] . فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فغفر لها))[(٤)] .

وقد ورد في صحيح مسلم قوله - ﷺ - : ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله))[(٥)] .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - : ((وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ،

---

(١) تقدم تخريجه (١٠٩) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن أكثر قتله (٦٩٣٩).

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (٣٤٦٧) .

(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٣٠-٣٣٢) بتصرف يسير .

(٥) تقدم تخريجه (١٩٠) .

بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل ولا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه))(١) .

بل من المعلوم ضرورة أن كفار مكة قد علموا مراد النبي - ﷺ - من كلمة التوحيد فأبوا واستكبروا - كما قد سبق - لأنهم أدركوا أن للكلمة مقتضيات تخالف ما هم عليه ، ولو كانت مجرد كلمة تقال لكان أمرها عليهم أسهل من هذا العناء الذي حصل لهم، فما حجزهم عن قولها إلا مدلولها المقتضي لتغيير أوضاعهم التي توارثوها عن آبائهم(٢) .

وهنا ثمة مسألة أخرى أيضاً متعلقة بهذا الجانب وهي أن الإيمان المقتضي لتحقق الوعد بالجنة والنجاة من النار أو الخروج منها - عند أهل السنة والجماعة - قائم على أربعة أركان : قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، فمتى زال ركن منها بلا عذر بطل الإيمان وانتفت جميع آثاره الأخروية .

فاشتراط القول والعمل في الظاهر والباطن في تحقق الوعد أصل قطعي تواترت به النصوص الشرعية(٣) فهذا الأصل القطعي يجب أن يكون قاضياً على اطلاقات نصوص الوعد ، وقيداً فيها ، فيكون كل واحد منها مشروطاً بأداء الواجبات القولية والعملية فعلاً وتركاً .

وأيضاً فإنه قد انعقد إجماع أهل السنة على حصول الكفر من الشخص مع وجود القول وهذا أصل قطعي ؛ فقد نفى - سبحانه وتعالى - اسم الإيمان

(١) فتح المجيد (١/ ٢٢١) .

(٢) انظر الولاء و البراء في الإسلام (٤٨ - ٥١) .

(٣) تتبعها الآجرى في الشريعة فبلغت بضعاً وخمسين نصاً فانظرها في كتابه الشريعة .

وحكمه عن من أتى بالقول دون العمل قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[١] وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٢] .

وقد كان كثير من أهل الكفر وأئمته ، كفرعون واليهود وكثير من المشركين على يقين بصدق ما جاءت به الرسل ، وإنما كان كفرهم لعدم الإذعان لموجب تصديقهم فدل ذلك يقيناً على عدم كفاية القول في تحقيق الإيمان . وقد أجمع أهل السنة على أن من فعل شيئاً من المكفرات اعتقاداً أو نطقاً أو شكاً أو عملاً خرج من الدين باطناً وظاهراً وإن كان مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه بل وعاملاً بجوارحه[٣] .

فيجب أن يكون هذا الأصل قيداً في اطلاقات الوعد ، واعتبار كل واحد منها مقيداً بالسلامة من المكفرات القولية والعملية .

فالواجب إذن في اطلاقات هذه النصوص مع ما جاء فيها من قيود :

أ) فعل الفرائض :

ب) اجتناب الكبائر . وهذا الأمر وإن كان قطعياً من حيث اعتباره أصلاً في اطلاقات الوعد بدخول الجنة إلا أنه ليس كذلك من حيث تأثيره ؛ لأن

---

(١) سورة البقرة (٨) .

(٢) سورة النساء (١٤٥) .

(٣) انظر في هذا الكتاب الماتع : ((التوسط والاعتقاد)) لعلوي السقاف فقد أجاد فيه وأفاد إذ نقل عن جمع كبير من أئمة الإسلام ما يقرر هذا .

موجب الوعد إذا كان أقوى من المانع منه أبطل تأثيره ، واستقل الموجب بالتأثير، كما في حديث البطاقة وغيره[١] .

موقف أهل السنة من أدلة الوعد الوارد في فضل كلمة التوحيد :

اتفق أهل السنة والجماعة على بطلان التعلق بالأحاديث الواردة بدخول الجنة بمجرد قول كلمة التوحيد وإن اختلفوا في توجيه الأحاديث على قولين :

* **القول الأول :** من يقول بأنها منسوخة وقد ذهب إلى هذا القول طائفة من أهل السنة منهم سعيد بن المسيب[٢] والزهري[٣] والثوري والآجري[٤] في آخرين وحاصل هذا القول أن هذه الأحاديث وما في معناها كانت في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي ثم نزلت نصوص الفرائض فنسختها : ((ومرادهم بالنسخ البيان والإيضاح ، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً ، ويكون مرادهم أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم ، فصارت

---

(١) انظر منهاج السنة (٦/ ٢١٨-٢٢٧) وتيسير العزيز الحميد (٦٠-٦٤) الوعد الأخروي (٢/ ٦١٥-٦١٩) .

(٢) هو : سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهيب القرشي من بني مخزوم ت (٩٣هـ) الإمام العلم أبو محمد رأى عمر وسمع من عثمان وعلي وكثير من الصحابة ، كان ممن برز في العلم والعمل ، أخباره أكبر من أن تحصر ، وقد أطال الذهبي في ترجمته وذكر أخباره .
انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧-٢٤٦) .

(٣) هو : الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي المدني ت (١٢٤هـ) أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام ، روى له الأئمة .
انظر ما ذكره الخزرجي في الخلاصة (٣٥٩) .

(٤) انظر أقوالهم الشريعة للآجري (٢/ ٥٥٥-٥٥٩) إكمال المعلم (١/ ٢٢٣) فتح الباري (١١/ ٢٦٩) .

تلك النصوص منسوخة ، أي مبينة مفسرة ، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أي مفسرة لمعنى تلك النصوص وموضحة لها))[١] .

ومن أدلة هذا القول قول ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾[٢] قال : ((إن الله تعالى بعث نبيه محمداً ﷺ بشهادة ألا إله إلا الله فلما صدق بها المؤمنون زادهم الله الصلاة فلما صدقوا بها زادهم الله الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكاة فلما صدقوا بها زادهم الحج فلما صدقوا به زادهم الجهاد ثم أكمل لهم دينهم ، فقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[٣] .

ويحتمل أنهم أرادوا بالنسخ هنا المعنى الذي استقر عليه الاصطلاح عند الأصوليين وهو رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ عنه[٤] فيكون قولهم على هذا مشكلاً ؛ لأن كثيراً من هذه الأحاديث كان متأخراً عن فرض الفرائض ووضع الحدود ، إذ قد روى بعضها معاذ رضي الله عنه في المدينة بعد نزول أكثر الفرائض وبعضها وقع لأبي موسى وأبي هريرة رضي الله عنهما وقد كان قدومهما إلى المدينة عام خيبر بعد استقرار أكثر الأحكام، وبعضها كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياته ﷺ، وبعض الأحاديث يدل بظاهره على تأخره عن وضع الحدود كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه وفيه: ((وإن سرق وإن زنى))[٥] .

---

(١) كلمة الإخلاص لابن رجب (١٤) .

(٢) سورة الفتح (٤) .

(٣) تقدم تخريجه (١٦) وسنده حسن .

(٤) روضة الناظر (٦٦) .

(٥) سبق تخريجه (١١٠) .

يقول ابن حجر – رحمه الله – على حديث أبي ذر هذا : ((فيه تعقب على من تأول في الأحاديث الواردة في أن من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة، وفي بعضها حرم على النار أن ذلك كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي ووجه التعقب ذكر الزنا والسرقة فيه ، فذكر على خلاف هذا التأويل))[١] .

*** القول الثاني :**

أن هذه الأحاديث محكمة وليست بمنسوخة وهو قول سائر أهل العلم ولكنهم افترقوا في مخرجها وتوجيهها على أقوال منها :

أ) ما ذهب إليه ابن الصلاح[٢] حيث قال : ((يجوز أن يكون ذلك اقتصاراً من بعض الرواة ، نشأ من تقصيره في الحفظ والضبط ، لا من رسول الله ﷺ بدلالة مجيئه تاماً في رواية غيره)) قال : ((ويجوز أن يكون اختصاراً من رسول الله ﷺ فيما خاطب به الكفار عبدة الأوثان الذين كان توحيدهم لله تعالى مصحوباً بسائر ما يتوقف عليه الإسلام ومستلزماً له))[٣] .

وهذا الجواب الذي ذكره ابن الصلاح –رحمه الله تعالى – خلاف ظاهر الأحاديث المروية ؛ لأن النبي ﷺ كان يخاطب المسلمين بهذه النصوص،

---

(١) كلمة الإخلاص (١٤) ، وشرح مسلم (١/ ١٦٦-١٦٨) فتح الباري (١١/ ٢٦٩) وانظر الوعد الأخروي (٢/ ٦١٩-٦٢١) ، وأحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض (٣٥١) .

(٢) هو : الإمام الحافظ العلامة أبو عمرو عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي (٥٧٧-٦٤٣هـ) قال فيه الذهبي : ((شيخ الإسلام : أفتى وجمع وألف ، تخرج به الأصحاب : وكان من كبار الأئمة من أشهر كتبه علوم الحديث)) .
انظر : سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٠) .

(٣) شرح مسلم للنووي (١/ ١٦٨) .

ويبشرهم بها كما في حديث معاذ وأبي هريرة وغيرهما ، ودعوى الاختصار غير مسلمة لأنها إنما تصح في الحديث الواحد ، فيعلم بجمع طرقه المختلفة موطن تقصير الراوي في الحفظ والضبط ، وأما الأحاديث المنفصلة المختلفة المخارج كالتي في بابنا فلا تصح فيها هذه الدعوى[1] .

ب) أن هذه الأحاديث محمولة على من قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك ، ذهب لهذا القول الإمام البخاري .

قال رحمه الله في صحيحه معلقاً على حديث أبي ذر : ((ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)) : ((هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال : لا إله إلا الله غفر له))[2].

وهو خلاف ظاهره من حيث اشتراط التوبة والندم وإلا لم يكن لذكر الزنا والسرقة معنى[3] .

وقد يراد به معنىً حسناً إن قصد به من كانت هذه الكلمة ((آخر نطقه وخاتمة لفظه وإن كان قبل مخلطاً ، فتكون الكلمة سبباً لرحمة الله تعالى إياه ونجاته رأساً من النار وتحريمه عليها ، بخلاف من لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخلطين))[4] .

وهذا توجيه القاضي عياض[5] وهو في نهاية الحسن كما قال النووي[1] كما أنه ظاهر كثير من الأحاديث والله أعلم .

---

(١) الوعد الأخروي (٢/ ٦٢٢) .

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٩٥).ط السلفية

(٣) انظر المصدر السابق .

(٤) انظر شرح مسلم للنووي (١/ ١٦٨) .

(٥) هو : الإمام العلامة القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي (٤٧٦-٥٤٤هـ) من أئمة الإسلام قال فيه الذهبي : ((استبحر من العلوم ، وجمع

جـ) أنها محمولة على مطلق الدخول لا على الدخول بلا عذاب ، فالموحد لابد له من دخول الجنة ، إما معجلاً معافىً وإما مؤخراً بعد العقاب .

قال ابن قتيبة[٢] – رحمه الله – : أما قوله ﷺ : ((من قال لا إله إلا الله فهو في الجنة وإن زنى وإن سرق)) فإنه لا يخلو من وجهين :

أحدهما : أن يكون قاله على العاقبة ؛ يريد : أن عاقبة أمره إلى الجنة وإن عذب بالزنا والسرقة .

والآخر : أن تلحقه رحمة الله تعالى ، وشفاعة النبي ﷺ فيصير إلى الجنة ، بشهادة أن لا إله إلا الله))[٣] أ.هـ

وأما الأحاديث التي تدل على أن من جاء بالتوحيد فقد حرمه الله على النار فقد اختلفوا في تأويلها :

....

وألف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، اشتهر اسمه في الآفاق)) من كتبه الإكمال في شرح صحيح مسلم ومشارق الأنوار والشفا بتعريف حقوق المصطفى .

انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢) .

(١) هو : الإمام شرف الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الدمشقي (٦٣١-٦٧٦هـ) الإمام الحافظ الحجة ، كان رأساً في الزهد ، قدوة في الورع . من أشهر كتبه المنهاج شرح صحيح مسلم ، ورياض الصالحين والمجموع شرح المهذب ، الأربعين النووية وشرحها .

انظر ترجمته : العبر (٥/ ٣١٣) .

(٢) هو : عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب أبو محمد (٢٧٦هـ) خطيب أهل السنة وأديبهم وكان ثقة فاضلاً ، أكثر من التصنيف منها : غريب القرآن ، وغريب الحديث وتأويل مشكل الحديث وأدب الكاتب وعيون الأخبار وغيرها .

انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٧) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (١٥٩) .

فقال بعضهم : إن التحريم في الحديث المراد به تحريم الخلود لا أصل الدخول.

وقال بعضهم : التحريم المراد به هو تحريم النار التي أعدت للكافرين لا النار التي أعدت لعصاة الموحدين .

وقال بعضهم : إن المراد بتحريمه على النار حرمة جملته ؛ لأن النار لا تأكل مواضع السجود على ما جاء في الأحاديث الصحيحة[١] .

ولاشك أن من تأمل هذه الأقوال وعرضها على النصوص الواردة في الباب يجد أن التأويل الذي انتحلوه فيه من التعسف والتكلف الذي ترفضه سياقات تلك الأحاديث ما هو ظاهر[٢] .

د) قول من يقول بأن أحاديث الوعد هذه تحمل على ظاهرها و إطلاقها كما جاءت لكن لابد لحصول الموعود به من توفر الشروط وانتفاء الموانع فكل ما ورد في أحاديث الشهادة من فضل ووعد بدخول جنة أو تحريم نار مقيد باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، إذ ليس في هذه الأحاديث إلا أن هذه الأعمال سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ، والسبب لا يلزم من تحققه تحقق المسبب بل لابد من توفر الشروط فيه وانتفاء الموانع . يقول ابن رجب – رحمه الله – : ((كلمة التوحيد سبب مقتض لدخول الجنة والنجاة من النار ، لكن له شروط وهي الإتيان بالفرائض ، وموانع وهي اجتناب الكبائر))[٣] .

---

(١) كلمة الإخلاص (٩-١٠) .

(٢) الوعد الأخروي (٢/ ٦٢٣) .

(٣) كلمة الإخلاص (١٠-١١) بتصرف .

وقد قال الحسن[(١)] للفرزدق[(٢)] وهو يدفن امرأته : ((ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة ، قال الحسن : نعم العدة لكن للا إله إلا الله شروطاً فإياك وقذف المحصنات .

وروي عنه أنه قال للفرزدق : هذا العمود فأين الطنب ؟ وقيل للحسن : إن ناساً يقولون : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة .

وقال وهب بن منبه[(٣)] لمن سأله : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك))[(٤)] .

وقال ابن القيم :((والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام . فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم: وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار. فلا بد من قول القلب وقول اللسان وقول القلب يتضمن من معرفتها والتصديق بها ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات ،

---

(١) هو : الإمام الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري تربى في كنف أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، أخذ العلم عن كبار الصحابة ، وكان سيد زمانه علماً وعملاً وقد أطال الذهبي في ترجمته .
انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣-٥٨٨) توفي سنة (١١٠هـ) .

(٢) هو : أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري ت(١١٠هـ) شاعر عصره وقد كان نظيره في الذروة .
انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠) .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) كلمة التوحيد (١١) .

ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره. وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً ما يوجب تحريم قائلها على النار وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب فإنما هو القول التام وليس هذا مرتبا على مجرد قول اللسان))([1])

و قال سليمان بن عبدالله[2]: ((إن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ، ومقتض لذلك ، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه))([3])

((وأما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع))[4].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٧٩)ط .الجليل.

(٢) هو : سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب التميمي (١٢٠٠-١٢٣٣هـ) الإمام الحافظ المفسر المحدث الفقيه من أحفاد المجدد محمد بن عبد الوهاب ، قتل على يد الجيش العثماني ، من أشهر كتبه تيسير العزيز الحميد ، والدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك وأوثق عرى الإيمان .

انظر علماء نجد (١/ ٢٩٦) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (٦٣)

(٤)تيسير العزيز الحميد (٥١)و انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٢٧٠) وكلمة الإخلاص (٤٩-٦١) والوعد الأخروي (٢/ ٦٢٥-٦٢٦) وأحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض (١/ ٣٤٧-٣٤٨) .

الفصل الأول :

الشرط الأول : النطق بكلمة التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وجوب النطق بها وكيفيته .

المبحث الثاني : حكم من لم يستطع النطق بها .

المبحث الثالث : هل يكفي مجرد النطق بها لعصمة الدم والمال أم لا ؟


المبحث الأول :
وجوب النطق
بكلمة التوحيد
وكيفيته

المبحث الأول : وجوب النطق بكلمة التوحيد وكيفيته :

إن أول دعوة الرسول ﷺ إلى قومه هو كلمة التوحيد لا إله إلا الله، هذا هو منهجه ومنهج الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم من قبله، وبمثل هذا كانت تربيته ﷺ لأصحابه، وإرساله رسله، وقد سبق تقرير هذا كما سبق أيضاً تقرير منهج أهل السنة من أن كلمة التوحيد هي أول واجب على العبيد المبني على الدليل الشرعي، وهذا الفصل له علاقة بما سبق من ناحية المطلب .

ولما كان قول اللسان جزءاً من مسمى الإيمان وهو ما يؤدى باللسان من الأعمال الصالحة ، وهذه الأعمال منها ما هو مستحب، ومنها ما هو واجب، ومنها ما هو شرط لصحة الإيمان لا يتحقق الإيمان بدونها إلا بعذر . وهذا الذي هو شرط لصحة الإيمان هو أعلى مراتبه وأفضلها لقوله ﷺ : ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان))[1] تحقق ما نحن فيه من مطلب.

فهذا الحديث أصل في دخول الأقوال في مسمى الإيمان كما أنه دليل على أن أفضل شعبة ما نحن فيه من تقرير .

وقد اتفق سلف الأمة على أن النطق بكلمة الشهادة شرط لصحة الإيمان، وأنه لا يتم الإيمان بدونه بل قد حكا جمع من أهل العلم الإجماع في هذا، وسنورد حكاية أقوالهم ونصوصهم في ذلك بعد ذكر النصوص الشرعية الدالة على هذا القول وهي كثيرة جداً :

منها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه

---

(١) سبق تخريجه (٩٨) .

إلا بحقها وحسابه على الله عز وجل)) وفي رواية لمسلم : ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به)) [١] .

وقد ثبت عن ابن عمر[٢] وأنس[٣] وجابر[٤] نحوه .

ومنها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث معاذ إلى اليمن وفيه: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم إن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة)) [٥] .

والدلالة فيه ظاهرة .

ومنها : حديث أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)) [٦] .

ومنها : حديث عتبان في الصحيحين وفيه قال ﷺ : ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) [٧] .

ومنها : حديث أسامة عندما قتل من قالها وتقريع رسول الله ﷺ له واستعظام فعله وقد تقدم .

---

(١) البخاري رقم (٢٩٤٦) ومسلم (١/ ٢١٠) وقد تقدم (١٧) .

(٢) البخاري رقم (٢٥) ومسلم (١/ ٢١١) وقد تقدم تخريجه .

(٣) البخاري رقم (٣٩٢) وقد تقدم تخريجه .

(٤) مسلم رقم (١٢٧) (١/ ١٥٦) وقد تقدم تخريجه .

(٥) تقدم تخريجه (١٦) .

(٦) مسلم (١/ ١٥٩) وقد تقدم تخريجه (١٩٠) .

(٧) تقدم تخريجه (١١٧) .

وأحاديث هذا الباب لا تكاد تحصى كثرة ، بل من تأمل كل أحاديث الوعد الواردة في فضل كلمة التوحيد فإنه يجدها غالباً لا تخلو من التصريح بلفظ القول أو لفظ الشهادة، ومعلوم أن الشهادة لا يمكن أن تكون إلا باللسان أو ما يقوم مقامه .

فكل هذه الأحاديث وما شابهها تدل دلالة واضحة على شرطية النطق بها في تحقيق وصف الإسلام لمن قالها ابتداء والنجاة لمن نطق بها وحققها في الآخرة .

غير أن ثمة مسألة لابد من التعريض بها ، إذ المقصود بهذه الكلمة : ((لا إله إلا الله)) كما لا يخفى ليس مجرد النطق بها لفظاً فقط ، بل لابد عند النطق من تحقيق أمور بها يتحقق النفع ؛ يصح تسميتها شروطاً لابد من وجودها حال النطق بها أشار إليها بعض أهل العلم . يقول المعلمي – رحمه الله – : ((وقد دل الكتاب والسنة الإجماع والمعقول على أنه لا يكفي النطق بها بدون معرفة معناها ؛ وإيضاح ذلك :

أن الاعتداد بالنطق بها له شروط منها :

١) أن يكون على سبيل الاعتراف .

للقطع بأن المشرك إذا نطق بها حكاية عن غيره لا يعتد بذلك ، كالمسلم إذا نطق بكلمة الكفر حكاية عن غيره ، وأنت خبير أن العبارة لا يحكم بكونها اعترافاً حتى يعلم أن المتكلم بها يعرف معناها .

٢) ومنها العلم بمضمونها .

٣) ومنها أن يكون النطق على سبيل الالتزام ، [أي التزام أن يعمل طول عمره بمضمونها ولا يخالفها] .

٤) ومنها استمرار حكمها [بـ] أن لا يحدث من صاحبها ما يخل بموجبها)) [(١)] أ.هـ

٥) ومنها أن تكون قبل معاينة الموت ، إذ لو كانت بعد المعاينة والحضور الحقيقي لما نفعه ذلك لقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾[(٢)] .

وقوله ﷺ : ((إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر))[(٣)] .

((ولا خلاف أن فرعون لم ينفعه ما قاله حينما أدركه الغرق))[(٤)] .

*** أقوال أهل العلم في كون النطق شرطاً من شروط لا إله إلا الله :**

اتفق أهل السنة على أن النطق بالشهادة شرط لصحة إيمان العبد، وقد حكا الإجماع جمع منهم، وسننقل نصوصاً من أقوالهم تدل على ما ذكرنا .

١) قال الآجري – رحمه الله – معلقاً على حديث : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله)) .

((فهذا الإيمان باللسان نطقاً فرضاً واجباً))[(٥)] . أ.هـ

---

(١) رفع الاشتباه (٣٢-٤٢) مختصراً .

(٢) سورة النساء (١٨) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٣) ق (١٠/ ٣٠٠) المحققة رقم (٦١٦٠) .
والترمذي في جامعه كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار رقم (٣٥٣٧) وابن ماجة في سننه كتاب الزهد باب ذكر التوبة رقم (٤٢٥٣) وقال الترمذي حسن غريب ، وحسنه الألباني في صحيح السنن ، وحسنه كذلك الأرناؤوط في تحقيقه للمسند .

(٤) انظر الإيمان من إكمال المعلم (١/ ٢١٢) .

(٥) الشريعة (٢/ ٦١٣) .

وقال أيضاً : ((فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقاً بقلبه وناطقاً بلسانه وعاملاً بجوارحه ، لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت)) [(١)] .

٢) وقال الإمام ابن حزم الظاهري – رحمة الله عليه – في الفصل : ((وقال سائر أهل الإسلام : كل من اعتقد بقلبه اعتقاداً لاشك فيه، وقال بلسانه: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن كل ما جاء به حق ، وبرئ من كل دين سوى دين محمد ﷺ فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك)) [(٢)] أ.هـ .

وقال أيضاً : ((أول ما يلزم كل أحد ولا يصح الإسلام إلا به أن يعلم المرء بقلبه على يقين وإخلاص لا يكون لشيء من الشك فيه أثر وينطق بلسانه ولابد : لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) .

قال : ((وهو قول جميع الصحابة وجميع أهل الإسلام إلى أن قال : وأما وجوب النطق باللسان فإن الشهادة بذلك المخرجة للدم والمال من التحليل إلى التحريم كما قال رسول الله ﷺ لا تكون إلا باللسان ضرورة)) [(٣)] .

وقال أيضاً : ((من اعتقد الإيمان بقلبه ولم ينطق بلسانه دون تقية فهو كافر عند الله تعالى وعند المسلمين)) [(٤)] .

٣) وقال القاضي عياض : – رحمه الله – عند حديث جبريل عليه السلام الطويل – : ((وفسر الإسلام الذي هو العمل الظاهر من شهادة اللسان وأعمال البدن والذي بمجموعهما يتم الإيمان والإسلام، إذ إقرار القلب وتصديقه دون نطق اللسان لا ينجي من النار، ولا يستحق صاحبه اسم الإيمان

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٦١٨) .

(٢) (٤/ ٦٧) .

(٣) المحلى (١/ ٩١) .

(٤) المصدر السابق (١/ ١١١) .

في الشرع ، وإذا نطق اللسان دون إقرار القلب وتصديقه لا يغني شيئاً ولا يسمى صاحبه مؤمناً وهو النفاق والزندقة))[١] .

وقال عند حديث معاذ في بعثه إلى اليمن : ((وفيه أن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله يعصم الدم، وأن أحدهما دون الأخر لا يعصم ؛ لأنه شرطهما جميعاً))[٢] .

وقال عند حديث : ((من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)): ((ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالنطق بالشهادتين لا تنفع إحداهما ولا تنجي من النار دون الأخرى إلا لمن لم يقدر عليها من آفة بلسانه أو لم تمهله المدة لقولها حتى أضرم))[٣] .

٤) وقال الإمام النووي – رحمه الله تعالى – : ((واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ونطق مع ذلك بالشهادتين، فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلاً، بل يخلد في النار إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه))[٤] .

وقال معلقاً على حديث أبي هريرة : ((اذهب بنعلي هاتين ...)): ((وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق ، ولا النطق دون الاعتقاد ، بل لابد من الجمع بينهما))[٥] أ.هـ

(١) الإيمان من إكمال المعلم (١/ ٩٦-٩٧) .

(٢) (١/ ٢١٨) من المصدر السابق .

(٣) شرح مسلم (١/ ١٠٦) ، وانظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٣٩) .

(٤) المصدر السابق (١/ ٢١٨) .

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٣٧) .

٥) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله عليه – :

((وقد اتفق أهل السنة على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر))[١] .

وقال أيضاً : ((وأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها))[٢] .

وقال أيضاً : ((وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فبذلك يصير الكافر مسلماً والعدو ولياً والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال . ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان ، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان)) وقال : ((وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء))[٣] .

٦) وقال ابن القيم : ((الإيمان أصل له شعب متعددة ، وكل شعبة تسمى إيماناً ، وهذه الشعب منها ما يزول بزوالها كشعبة الشهادة))[٤] .

٧) وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله تعالى – :

عند كلامه على حديث شعب الإيمان : ((وهذه الشعب ، منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كشعبة الشهادتين ، ومنها مالا يزول بزوالها إجماعاً كترك أماطة الأذى عن الطريق))[٥] .

---

(١) الإيمان (٢٣٧) .

(٢) الإيمان الأوسط (١٥١) .

(٣) نقله عنه في فتح المجيد (١/ ١٩١) .

(٤) الصلاة (٢٤) .

(٥) شرح الطحاوية (٣٨٢) .

٨) وقال الإمام الذهبي : ((ولا يعلم العبد أنه لا إله إلا الله حتى يتبرأ من كل دين غير الإسلام ، وحتى يتلفظ بلا إله إلا الله موقناً بها ، فلو علم وأبى أن يتلفظ مع القدرة يعد كافراً)) [١] .

٩) وقال الإمام ابن رجب – رحمه الله – :

((ومن ترك الشهادتين خرج من الإسلام)) [٢] .

١٠) وقال الإمام ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – :

عند قول البخاري – رحمه الله – : ((الإيمان قول وعمل)) قال : ((أما القول فالمراد به النطق بالشهادتين)) [٣] .

وقال عند حديث أنس مرفوعاً : ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة ...)) .

الحديث : ((قوله : ((من قال لا إله إلا الله وفي قلبه)) فيه دليل على اشتراط النطق بالتوحيد)) [٤] .

١١) وقال سليمان بن سحمان[٥] – رحمه الله تعالى – :

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٠٦) .

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٩٨) .

(٣) (١/ ٦٤) من فتح الباري .

(٤) المصدر السابق (١/ ١٤٠) .

(٥) هو : سليمان بن مصلح بن حمدان الخثعمي النجدي (١٢٦٦-١٣٤٩هـ) من أعلام نجد وصفه البسام بقوله : ((العالم المصنف اللسان المدافع عن الدعوة السلفية)) كان فصيح اللسان بارع الشعر ، شعره جله في الرد على خصوة الدعوة السلفية ، أكثر كتبه ردود منها : الألسنة الحداد ، والصواعق الشهابية ، وكشف غياهب الظلام .
انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٧٩) .

((فلابد في شهادة أن لا إله إلا الله من اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان فإن أختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً))(١) .

١٢) ومن فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء :

((الحد بين الكفر والإسلام النطق بالشهادتين مع الصدق والإخلاص والعمل بمقتضاها ، فمن تحقق فيه ذلك فهو مسلم مؤمن)) (٢) .

١٣) وقال الشيخ عبدالله الجبرين تحت مبحث (القتال على الشهادتين ووجوب الإتيان بهما) - بعد أن ذكر أدلة السنة النبوية وما جاء عن الصحابة في وجوب النطق - : ((فهذه القصص ونحوها تفيد أن النطق بالشهادتين شرط لقبول الإسلام ، فمن أتى بهما دخل في هذا الدين ، وعصم بذلك دمه وماله وحرم قتله)) (٣) أ.هـ.

* ولعل في هذا النقل عن هؤلاء الثلة من أهل العلم وحكاية بعضهم الإجماع في شرطية النطق ما يشفي ويكفي لكل عاقل لبيب؛ همه تحصيل الحق بأوضح سبيل وأظهر دليل لما رمنا بيانه، والله الهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) فتاوى الأئمة النجدية (١/ ١٩٠) .

(٢) فتاوى الأئمة النجدية (١/ ٩٠) .

(٣) الشهادتان (١٥) .

المبحث الثاني:

حكم

من لم يستطع

النطق بكلمة التوحيد

المبحث الثاني : حكم من لم يستطع النطق بكلمة التوحيد :

ظهر جلياً في المبحث المتقدم حكم التلفظ بكلمة التوحيد وأنه لا يتم إيمان عبد بدونها وهو قادر عليها ،فيجب على كل مسلم النطق بكلمة التوحيد ليتم له ما ترتب عليها من فلاح دنيوي وأخروي، و لا يعذر في تركها أحد إلا في نطاق مسائل ضيقة عذر الشارع من كان متلبساً بتلك الهيئة عن النطق بها وجعله من الناجين عند الله المفلحين بجنات النعيم .

وليس هذا يعني إطلاق هذا القول وعدم تقييده بتلك الحالة التي يرتفع الحكم بارتفاعها ، إذ أن ثمة فرقاً بين ابتداء وصف الإسلام وبين بقائه واستمراره ، ومن هنا ننبه على أن النطق بكلمة التوحيد وكونه شرطاً لثبوت وصف الإسلام لقائلها ونجاته يوم القيامة ليس هو الصورة الوحيدة لدخول العبد في الإسلام إذ قد تعددت الصور في دخول العبد في الإسلام بأحدها وهي وإن لم تفصح بحقيقة الكلمة لكنها تضمنت في حقيقتها كلمة التوحيد .

فقد ثبتت صور عدة قبلها الشارع ﷺ ممن جاء بها وأثبت لصاحبها الإسلام ، والأدلة على هذا الأصل كثيرة ، وسنة الرسول ﷺ وسيرته العملية ظاهرة الدلالة على ذلك . والعلم به عند أهل السنة أمر ضروري :

ومما يدل على ذلك الحديث المتفق عليه من رواية المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : ((أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة فقال : أسلمت لله ، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تقتله ، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال))[1].

---

(١) تقدم تخريجه (٢٤) .

ودلالة الحديث ظاهرة في هذا، يقول الإمام ابن حبان – رحمه الله – في معنى الحديث المتقدم : ((يريد به : أنك تقتل قوداً ، لأنه كان قبل أن يسلم حلال الدم . وإذا قتلته بعد إسلامه صرت بحالةٍ تقتل مثله قوداً به ، لا أن قتل المسلم يوجب كفراً يخرج من الملة)) (١) .

ومثله أيضاً : ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : قال : ((بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا . فجعل خالد يقتل فيهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره . حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره . فقلت : والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه . فرفع النبي ﷺ يديه فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)) (٢) .

ومثله ما ورد من قصة الجارية التي اختبر الرسول ﷺ إسلامها بمجرد الإقرار وقبله منها . فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : ((كانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون ، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك علي . قلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : ائتني بها . فأتيته بها . فقال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء. قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : اعتقها فإنها مؤمنة))(٣) .

---

(١) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٣٢٨-٣٢٩) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني خذيمة رقم (٤٣٣٩) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه : كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (١١٩٩) .

وجاء في رواية الإمام مالك في الموطأ : ((فلطمت وجهها وعليَّ رقبة ، أفأعتقها ؟)) وقد بوب له الإمام مالك – رحمه الله – ((باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة)) (١) .

وبالنظر إلى مجموع هذه الأحاديث ندرك أنها تدل على أمر واحد وهو أن وصف الإسلام يثبت للمعين بمجرد إقراره سواء كان ذلك بنطقه بالشهادتين أو كان بما يقوم مقامها كما ورد في حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن من قال أسلمت لله حكم بإسلامه . بل إنه يكفي في الإقرار أدنى دلالة عليه ولو كان المعين قد أخطأ في التعبير عن إقراره ، كما في قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقتله لمن قالوا : صبأنا ، يريدون بذلك الإسلام .

فالإقرار بالإسلام إذن ليس له صيغة وكيفية خاصة ، وإنما يتحقق بكل ما دل على قبول الإسلام وإرادة الدخول فيه .

فلزم من خلال ما سبق قاعدة عامة مطردة : أن الإقرار بالنطق بالشهادتين أو ما يقوم مقامه هو الأصل في ثبوت وصف الإسلام للمعين مطلقاً: وأن هذا حكم شرعي مطلق ، لا يختص بزمان ولا مكان معين ولا حال دون حال ؛ إلا إذا تعلق وصف بالمعين على الخصوص يوجب استثناءه من هذا العموم ، فإن له حكمه الخاص بحسبه هو ، دون أن يعارض الأصل والقاعدة العامة (٢) .

ومن هنا يتضح المقصود من أن الدخول في الإسلام يتم بكلمة التوحيد أو ما يقوم مقامها هذا في حال الابتداء وأما في حال الاستمرار فلابد من الإنسان أن يتلفظ بكلمة التوحيد مادام مستطيعاً قادراً قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:((وأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر

---

(١) الموطأ كتاب العتق والولاء باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة (٢/ ٢٩٢) .

(٢) انظر ضوابط التكفير (٨١-٨٩) .

باتفاق المسلمين وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها))[(١)] .

فلا يعذر من لم ينطق بكلمة التوحيد مع قدرته ولا ترتفع عنه الشنعة إلا أفراداً استثناهم الشارع لأعذارهم المعتبرة شرعاً كالبكم الذي لا يستطيع صاحبه أن يتلفظ بالكلمة لعجز لسانه لقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(٢) وقوله ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾[٣] وكالإكراه الذي تحققت فيه شروطه لقوله تعالى: ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾(٤) قوله ﷺ :(إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)(٥) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(وكذلك لو قيل أن رجلاً يشهد أن محمداً رسول الله باطناً وظاهراً وقد طلب منه ذلك وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لأجلها فامتنع منها حتى قتل فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين إلا الجهمية جهماً ومن وافقه فإنه إذا قدر أنه معذور لكونه أخرس أو لكونه خائفاً من قوم إن أظهر الإسلام آذوه ونحو ذلك فهذا يمكن أن لا يتكلم مع إيمان في قلبه كالمكره على كلمة الكفر قال الله تعالى: ﴿ إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾(٤) وهذه الآية مما يدل على فساد قول جهم ومن اتبعه فإنه

---

(١) الإيمان الأوسط (١٥١) .

(٢) سورة البقرة (٢٨٦).

(٣) سورة التغابن (١٦).

(٥) سورة الإسراء (١٠٦).

(٦) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الطلاق رقم ٢٠٤٥) وصححه الألباني في الإرواء من غير طريق ابن ماجة (٨٢).

[سبحانه]جعل كل من تكلم بالكفر من أهل وعيد الكفار إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)([١]).

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢١٩-٢٢٠) وانظر نواقض الإيمان الاعتقادية (٢/ ٥-٤٩) والعذر بالجهل في مسائل الاعتقاد (٥٨) والعذر بالجهل تحت المجهر الشرعي (٩٩).

المبحث الثالث :

هل يكفي مجرد النطق لعصمة الدم والمال أم لا ؟

المبحث الثالث : هل يكفي مجرد النطق لعصمة الدم والمال أم لا ؟ :

إن أصل الدين وهو القدر الشرعي الذي متى ما التزمه المكلف نجا به من الكفر المتضمن لحقن دمه وماله في الدنيا والنجاة من نار الخلود يوم البعث والنشور وكذلك ما تضمنه من استحقاق ما أوجبه الله من حقوق .

وقد بوب الإمام ابن مندة في كتابه الإيمان ((ذكر ما يدل على أن قول لا إله إلا الله يوجب اسم الإسلام ويحرم مال قائلها ودمه)) .

ثم ذكر – رحمه الله – فيه حديث المقداد رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أرأيت إن اختلفت أنا ورجل من المشركين ضربتين فقطع يدي ؛ فلما هويت إليه لأضربه قال : لا إله إلا الله ، أأقتله أم أدعه ؟ قال : بل دعه))(١) .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : ((وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فبذلك يصير الكافر مسلماً والعدو ولياً والمباح دمه وماله : معصوم الدم والمال))(٢) .

ويقول الإمام ابن الصلاح – رحمه الله – : ((وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين))(٣) .

ويقول ابن رجب – رحمه الله – : ((ومن المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط ، ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلماً))(٤) .

---

(١) (١/ ١٩٨) والحديث تقدم تخريجه (٢٤) .

(٢) نقله عنه في فتح المجيد (١/ ١٩١) .

(٣) مسلم بشرح النووي (١/ ١٤٨) .

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٨) .

ويقول ابن حجر في حديث بعث معاذ إلى اليمن وقد تقدم ((وفي حديث ابن عباس من الفوائد الاقتصار في الحكم بإسلام الكافر إذا أقر بالشهادتين))[١].

وقال أيضاً : ((أما بالنظر إلى ما عندنا – [أي في الدنيا] – فالإيمان هو الإقرار فقط ، فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم))[٢] .

فهذه النقول عن الأئمة واضحة في تقرير هذا الأصل لا يحتاج إلى بيان وإنما غرضنا في ذلك بيان غلط بعض الذين يخلطون بين الحكم الدنيوي والأخروي ويظنون أنه يلزم من الحكم بإسلام الشخص ؛ الحكم له بالنجاة في الآخرة ، أو يظنون أنه لا يحكم بإسلام الشخص إلا بعد فهم شروط كلمة التوحيد و تحقيقها ، بل الصواب أن مجرد النطق بكلمة التوحيد لا ينجي العبد عند الله إلا بعد الإتيان بشروطها هذا في الآخرة .

وأما بالنسبة للحكم الدنيوي فمجرد النطق كاف في الحكم بإسلام المرء حتى يتبين لنا ما يناقض ذلك[٣] قال ﷺ : ((لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة، ولها من الله مكاناً، وهي كلمة جمعت وتركت، فمن قالها صادقاً أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فحاسبه))[٤] .

وبهذا يتضح أن أصل الدين وهو الإقرار المجمل بكل ما صح به الخبر عن النبي ﷺ تصديقاً وانقياداً وهو المعنى الذي تعبر عنه الشهادة والذي جعله الله

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٦٧) .

(٢) المصدر السابق (١/ ٦١) .

(٣) نواقض الإيمان الاعتقادية (١/ ٢٣٦-٢٣٧) .

(٤) تقدم تخريجه (٢٣) .

الباب للدخول إلى الإسلام وجعل النطق بها هو مناط عصمة الدماء والأموال والأعراض .

هذا كان منهج رسول الله ﷺ في قبول من كان يأتيه من الكفار يريد الإسلام؛ كما قد مر معنا من كلام ابن رجب – رحمه الله – وغيره، وهكذا كان أمره لرسله إلى القبائل والملوك وأهل الكتاب وكذلك إذا بعث السرايا كما في حديث ابن عباس في بعث معاذ إلى اليمن وحديث أبي هريرة في فتح خيبر لما بعث علياً رضي الله عن الجميع .

ومن هنا يتحقق لنا أن وصف المسلم يثبت بالتلفظ بكلمة التوحيد والإقرار المجمل بها أما على الحقيقة التي يصير بها مسلماً عند الله ناجياً من الخلود يوم القيامة إن عذب فإن هذا لا يثبت للمكلف إلا بتحقق أمرين لابد منهما:

الأول : تحقق هذا الأصل في القلب وانعقاده .

الثاني : النطق باللسان بالبراءة من الشرك والالتزام بالتوحيد. وهذا في حالة الخلو من الموانع والأعذار المعتبرة كما سبق .

فهذا القدر – وهو أصل الدين – إذا ما تحقق ولم ينقض بقول أو عمل أو اعتقاد ، فقد نجا صاحبه من الكفر ومن الخلود في النار وهو ما أطلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية اسم الإيمان المجمل حيث قال : ((فعامة الناس إذا أسلموا بعد الكفر ، أو ولدوا على الإسلام ، والتزموا شرائعه ، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله ، فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل ، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئاً فشيئاً إن أعطاهم الله ذلك))[1] .

(١) الإيمان الكبير (٢٥٧) .

وعلى هذا فإن نفي الإيمان المجمل معناه نفي مطلق الإيمان وسقوط صاحبه في الكفر الأكبر الناقل عن الملة ويتحقق هذا بانتفاء أو نقض أحد عناصره من التصديق أو الانقياد أو الإقرار[1] .

ومن هنا يظهر جلياً ما قرره أهل السنة في مفهوم الإيمان من أنه قول وعمل ظاهر وباطن وأن عقد الإسلام لمن أظهره بالتصديق والانقياد مع الاعتقاد وهو ما يعبر عنه من مسألة تلازم الظاهر والباطن يقول شيخ الإسلام: ((إنه متى ثبت الإيمان في القلب والتصديق بما أخبر به الرسول وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة ؛ فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، فإذا ثبت التصديق في القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه البتة ، فلا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ولا يكون لها أثر في الظاهر .

ولهذا ينفي الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه ، فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[2] وقوله : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[3] الآية ونحوها .

فالظاهر والباطن متلازمان، لا يكون الظاهر مستقيماً إلا مع استقامة الباطن ، وإذا استقام الباطن فلابد أن يستقيم الظاهر، ولهذا قال النبي ﷺ :

---

(١) انظر: الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه (٥٣-٥٩) .

(٢) سورة المائدة (٨١) .

(٣) سورة المجادلة (٢٢) .

((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب))[1]))[2] .

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه رقم (٥٢) وكذا رقم (٢٠٥١) ومسلم في كتاب البيوع ، باب أخذ الحلال البين (٥/ ٥٠) ، (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٧٢) .

الفصل الثاني :

الشرط الثاني : العلم

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول: مفهوم العلم بكلمة التوحيد.

المبحث الثاني: أدلة العلم من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة .

المبحث الثالث:الجهل بكلمة التوحيد معناه وحكمه .

تمهيد

لاشك أن العلم مفتاح كل خير ، به يتحقق هذا الخير ولا يتم أي خير بدونه بل لا تتم البراءة من الشرك والانخلاع منه بدون العلم ، فالعلم سبيل كل شيء ومفتاحه وطريقه .

يقول ابن القيم في بيان أهمية العلم في معرض كلامه عن المحبة : ((وعلى هذا الأمر العظيم (محبة الله) أسست الملة ونصبت القبلة وهو قطب رحى الخلق والأمر الذي مدارها عليه . ولا سبيل إلى الدخول إلى ذلك إلا من باب العلم فإن محبة الشيء فرع عن الشعور به ...

ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا بالعلم ولا عُبِدَ اللهَ وحده وأثني عليه ومجد إلا بالعلم ، ولا عرف الحلال من الحرام إلا بالعلم ولا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم))[1] .

وقال أيضاً : ((ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)) .

وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه : وقع فيه وأقره ، ودعا إليه وصوبه وحسنه . وهو لا يعرف أنه هو ينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه . ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة ، والسنة بدعة . ويكفر الرجل بمحض الإيمان

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٧) .

وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع . ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً والله المستعان))[١] .

ومن هنا يظهر جلياً أهمية العلم بكلمة التوحيد وحقيقتها وأن العلم بها شرط لابد من تحقيقه ووجوده .

وانطلاقاً من ذلك جاء هذا الفصل مشتملاً على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : مفهوم العلم بكلمة التوحيد .
- المبحث الثاني : أدلته من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة .
- المبحث الثالث : الجهل بكلمة التوحيد معناه وحكمه .

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥١-٣٥٢) .

المبحث الأول :

مفهوم

العلم بكلمة التوحيد

المبحث الأول : مفهوم العلم بها :

العلم لغة :

هو نقيض الجهل؛ وهو إدراك الشيء بحقيقته .

تقول : عَلِمَه عَلْماً أي : عرفه حق المعرفة ، وفي التنزيل : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[1] .

وعلم الرجل : خبره ، وأحب أن يعلمه : أن يخبره . وعلم بالشيء : شعر به ودرى ، يقال ما علمت بخبر قدومك ، أي : ما شعرت . وفي التنزيل : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾[2] .

وعلم الأمر وتعلمه : أتقنه .

وعلمت العلم نافعاً : أيقنت وصدقت . وفي التنزيل : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾[3] ... الآية[4] .

واصطلاحاً : عرف بتعاريف كثيرة منها :

- الاعتقاد الجازم المطابق للواقع .
- وقيل : العلم : زوال الخفاء من المعلوم .
- وقيل : العلم : صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات .
- وقيل : هو معرفة المعلوم على ما هو به .

---

(١) سورة الأنفال (٦٠) .

(٢) سورة يس (٢٦-٢٧) .

(٣) سورة الممتحنة (١٠) .

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة (١٢/ ١٥٩) والمفردات (٣٤٧-٣٤٩) والمعجم الوسيط (٢/ ٦٢٤) ولسان العرب (٢/ ٨٧٠-٨٧١) .

وهو الذي أختاره القاضي أبو يعلى[1] في العدة بعد أن عرض بعض التعاريف وناقشها ناقداً وأن هذا التعريف هو الصحيح . وذلك أن حد هذا التعريف كما يقول أبو بكر الباقلاني : ((يحصره على معناه ولا يدخل فيه ما ليس منه ولا يخرج منه شيئاً هو منه .

والحد إذا أحاط بالمحدود على هذه السبيل وجب أن يكون حداً ثابتاً صحيحاً ؛ فكل ما حد به العلم وغيره ، وكانت حالة في حصر المحدود ، وتمييزه من غيره وإحاطته به حال ما حددنا به العلم ، وجب الاعتراف بصحته))[2] .

ومن هنا يعلم أن المقصود بالعلم بلا إله إلا الله : هو معرفتها بحقيقتها وتحقيق مقتضاها نفياً وإثباتاً علماً منافياً للجهل[3] .

وذلك بإثبات الألوهية والعبادة لله وحده والبراءة من كل ما يعبد من دونه قال شيخ الإسلام : ((وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله بالنفي مع الإثبات؛ نفي إلهية غيره مع إثبات إلهيته وحده ، فإنه ليس في الوجود إله إلا الله ، ليس فيه معبود يستحق العبادة إلا الله ؛ فيجب أن يكون هذا ثابتاً في القلب ؛ فلا يكون في القلب من يألهه القلب وحده ويعبده إلا الله وحده ، ويخرج من القلب كل تأله لغير الله ، ويثبت فيه تأله الله وحده إذ كان ليس ثم إلا الله وحده .

---

(١) هو : الإمام العلامة شيخ الحنابلة القاضي محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء البغدادي الحنبلي (٣٨٠-٤٥٨هـ) أفتى ودرس وتخرج به الأصحاب ، وانتهت إليه الإمامة في الفقه ، كان عالم العراق في زمانه ، مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره ، والنظر والأصول . هكذا وصفه الذهبي، من كتبه مسائل الإيمان ، والمعتمد ومختصره. انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩) .

(٢) التمهيد (٣٤) وانظر التعريفات (١١٠) .

(٣) انظر شروط لا إله إلا الله للمعتق (١٥-١٦) .

وهذه الولاية لله مقرونة بالبراءة والعداوة لكل معبود سواه ولمن عبدهم ، قال تعالى عن الخليل عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] .

وقال : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.[3]))[4].

(١) سورة الزخرف (٢٦-٢٨) .

(٢) سورة الشعراء (٧٥-٧٧) .

(٣) سورة الممتحنة (٤) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٠-٢٠١) .

المبحث الثاني :
أدلة العلم من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة

المبحث الثاني : أدلته من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة :

تعددت الأدلة من الكتاب والسنة وما نقل عن السلف من الأئمة في أهمية العلم بكلمة التوحيد ، ووجوبه ، وأنه شرط لابد من تحقيقه. ومن تأمل الأدلة في هذا يجد ذلك بجلاء، وقد نقل الإجماع على ذلك طائفة من الأئمة ؛ فمن الأدلة على ذلك :

* قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(١) .

يقول ابن جرير – رحمه الله – عند هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أن تصلح له الألوهية ويجوز لك وللخلق عبادته ، إلا الله هو خالق الخلق ومالك كل شيء ، يدين له بالربوبية ما دونه))(٢) .

ويقول السعدي في خلاصة تفسيره عند هذه الآية : ((العلم لابد فيه من إقرار القلب ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه ، ولا يتم ذلك إلا بالعمل بمقتضى ذلك العلم في كل مقام بحسبه .

وهذا العلم الذي أمر الله به فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائناً من كان .

والضرورة إلى هذا العلم والعمل بمقتضاه – من تمام التأله لله – فوق كل ضرورة ، والعلم بالشيء يتوقف على معرفة الطريق المفضي إلى معرفته وسلوكها .

قال : ((والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو على وجه الإجماع والعموم أمور :

---

(١) سورة محمد (١٩) .

(٢) (٢٦/ ٥٣) تفسير ابن جرير .

أحدها : - وهو أعظمها وأوضحها وأقواها - تدبر أسماء الله وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله ؛ فإن معرفتها توجب العلم بأنه لا يستحق الألوهية سواه ، وتوجب بذل الجهد في التأله والتعبد لله الكامل ، الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال .

الثاني : العلم بأنه الرب المنفرد بالخلق والرزق والتدبير ، فبذلك يعلم أنه المنفرد بالألوهية .

الثالث : العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به محبة وإنابة ، والتأله له وحده لا شريك له .

الرابع : ما يراه العباد يسمعونه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر لرسله وأتباعهم ، ومن النعم العاجلة المشاهدة ، ومن عقوبته المشركين به ، فإن هذا برهان على أنه وحده المستحق للإلوهية .

الخامس : معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله واتخذت آلهة ، وأنها فقيرة إلى الله من كل وجه ، ناقصة من كل وجه ، لا تملك لنفسها ولا لمن عبدها نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ؛ فالعلم بذلك يعلم به بطلان إلهيتها وإن ما يدعون من دون الله هو الباطل ، وأن الله هو الإله الحق المبين .

السادس : اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه .

السابع : اتفاق الأنبياء والرسل والعلماء الربانيين على ذلك وشهادتهم به ، وهم خواص الخلق وأكملهم أخلاقاً وعقولاً وعلماً ويقيناً .

الثامن : ما أقامه الله من الأدلة والآيات الأفقية والنفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة وأوضحها ، وتنادي عليه بلسان المقال ولسان الحال ، بما أودعها من لطائف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه .

التاسع : ما أودعه الله في شرعه من الآيات المحكمة والأحكام الحسنة والحقوق العادلة والخير الكثير ، وجلب المنافع كلها ودفع المضار ، ومن الإحسان المتنوع . وذلك يدل أكبر دلالة أنه الله الذي لا يستحق العبادة سواه . وأن شريعته التي نزلت على ألسنة رسله شاهده بذلك)) .

قال : ((فهذه الطرق التي لا تحصى أنواعها وأفرادها قد أبدأها الله في كتابه وأعادها . ونبه بها العباد على هذا المطلوب الذي هو أعظم المطالب وأجل الغايات .

فمن سلك طريقاً من هذه الطرق أفضت به إلى العلم واليقين بأنه لا إله إلا هو . وكلما ازداد العبد سلوكاً لهذه الطرق ورغبة فيها ومعرفة ازداد يقينه ورسخ إيمانه ، وكان الإيمان في قلبه أرسخ من الجبال ، وأحلى من كل لذيذ وأنفس من كل نفيس .

والطريق الأعظم الجامع لذلك كله تدبر القرآن العظيم والتأمل في آياته ، فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ، ويحصل به تفاصيله وجمله ما لا يحصل من غيره))[١] .أ.هـ

والخلاصة أن هذه الآية – كما نرى – صريحة الدلالة في اشتراط العلم بلا إله إلا الله .

قال أبو المظفر في الإفصاح : قوله : ((شهادة أن لا إله إلا الله)) يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأنه لا إله إلا الله . كما قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢] [٣] .

---

(١) تيسير اللطيف المنان (٢١-٢٣) .

(٢) سورة محمد (١٩) .

(٣) فتح المجيد (٣٥) ، (١/ ١٢٣) ط . الفريان .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

والمراد بشهادة الحق : قول لا إله إلا الله ، فيكون المعنى حينئذ : ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون معنى ما نطقوا به .

يقول ابن جرير – رحمه الله – : بعد ذكر أقوال المفسرين في الآية : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد ، إلا من شهد بالحق وشهادته بالحق: هو إقراره بتوحيد الله ، يعني بذلك : إلا من آمن الله[٢] وهم يعلمون حقيقة توحيده)) .

وقوله : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم الذين يشهدون شهادة الحق فيوحدون الله ، ويخلصون له الوحدانية على علم ويقين بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها كما قال جل ثناؤه ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[٣]))[٤] أ.هـ

وقال القرطبي[٥] في تفسيره لهذه الآية : ((فيه مسألتان :

---

(١) سورة الزخرف (٨٦) .

(٢) كذا في المطبوعة ولعل الصواب ((بالله)) .

(٣) سورة الأنبياء (٢٨) .

(٤) تفسير ابن جرير (٢٥/ ١٠٥) .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المالكي ت (٦٧١هـ) إمام مفسر فقيه صاحب تصانيف منها : الجامع لأحكام القرآن والنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .

الأولى : قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ من في موضع الخفض وأراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزيراً والملائكة ، والمعنى ولا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة ؛ قاله سعيد بن جبير وغيره. قال : وشهادة الحق : لا إله إلا الله .

وقيل : من في محل رفع ؛ أي ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ؛ يعني الألهة – في قول قتادة – أي لا يشفعون لعابديها إلا من شهد بالحق ؛ يعني عزيراً وعيسى والملائكة فإنهم يشهدون بالحق والوحدانية لله .

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ حقيقة ما شهدوا به .

وقوله : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ قال ابن عباس : أي شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

الثانية : قوله تعالى : ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ يدل على معنيين :

أحدهما : أن الشفاعة بالحق غير نافعة إلا مع العلم ، وأن التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة .

والثاني : أن شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالماً بها))[1]. أ.هـ

والمقصود:((أن كل من دعي من دون الله من الأنبياء والملائكة وغيرهم لا يملكون الشفاعة ولا يشفعون إلا بإذن الله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولهذا قال : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي نطق بلسانه مقراً بقلبه عالماً بما شهد به،

....

انظر معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٩) .

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٢٢-١٢٣) .

ويشترط أن تكون شهادته بالحق ؛ وهو الشهادة لله بالوحدانية ولرسله بالنبوة والرسالة ، وصحة ما جاؤوا به ، من أصول الدين وفروعه ، وحقائقه وشرائعه ، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين ، وهؤلاء الناجون من عذاب الله الحائزون لثوابه)) [١] .

((وأما الكفار فالشفاعة لهم مستحيلة شرعاً مطلقاً إلا ما استثنى منه وهو شفاعة النبي ﷺ لعمه في نقله من محل من النار إلى محل آخر منها)) [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((والشهادة : لابد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه ولا يحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور)) .

وقال عند هذه الآية : ((قال أبو الفرج في معنى الآية قولان :

أحدهما : أنه أراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيراً والملائكة . فقال : إلا من شهد بالحق وهو شهادة أن لا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم .

قال : وهذا مذهب الأكثرين منهم قتادة .

والثاني : أن المراد بالذين يدعون عيسى وعزيراً والملائكة الذين عبدهم المشركون . لا يملك هؤلاء الشفاعة لأحد إلا من شهد بالحق وهي : كلمة الإخلاص وهم يعلمون أن الله خلق عيسى و عزيراً والملائكة . وهذا مذهب قوم منهم مجاهد .

قال وكلا القولين صحيح ، فإن هذا يتناول الشافع والمشفوع له ، فلا يشفع إلا من شهد بالحق وهم يعلمون . فالملائكة والأنبياء والصالحون - وإن كانوا لا يملكون الشفاعة – لكن إذا أذن الرب لهم شفعوا وهم لا يؤذن لهم إلا في الشفاعة للمؤمنين ؛ الذين يشهدون أن لا إله إلا الله . فيشهدون بالحق وهم

---

(١) تفسير السعدي (٧٧١) .

(٢) أضواء البيان (١/ ٦٨) وانظر فتح القدير (٤/ ٧٠٧) وتفسير ابن كثير (٤/ ١٤٧) .

يعلمون . لا يشفعون لمن قال هذه الكلمة تقليداً للآباء والشيوخ كما جاء في الحديث الصحيح : ((إن الرجل يسأل في قبره ؟ ((ما تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول : هو عبدالله ورسوله . جاءنا بالبينات والهدى .

وأما المرتاب : فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته[١])) . فلهذا قال : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

وقد تقدم قول ابن عباس : يعني من قال لا إله إلا الله يعني خالصاً من قلبه .

قال : والأحاديث الصحيحة الواردة في الشفاعة كلها تبين : أن الشفاعة إنما تكون في أهل لا إله إلا الله .

فإذا شهدوا – وهم يعلمون – كانوا من أهل الشفاعة ، شافعين ومشفوعاً لهم))[٣] . أ.هـ.

* ومنها قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٤] .

قال شيخ الإسلام : ((قد تنوعت عبارات المفسرين في لفظ شهد فقالت طائفة منهم مجاهد والفراء[٥] ....

---

(١) الحديث متفق عليه وسيأتي تخريجه (٣٩٩) وانظر (٥٢١) .

(٢) سورة الزخرف (٨٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٠٠ – ٤١١) بتصرف يسير .

(٤) سورة آل عمران (١٨) .

(٥) هو يحيى بن زياد بن عبدالله ابن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي صاحب الكسائي ت(٢٠٧هـ) العلامة النحوي الكبير يعني بالفراء لأنه كان يفري الكلام صاحب التصانيف منها معاني القرآن والبهي . انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٨) .

وأبو عبيدة[(١)] : أي حكم وقضى .

وقالت طائفة منهم ثعلب[(٢)] والزجاج : أي بين .

وقالت طائفة : أي أعلم .

وكذلك قالت طائفة معنى شهادة الله الأخبار والأعلام ، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار ، وعن ابن عباس : أنه شهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر ، فقال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وكل هذه الأقوال وما في معناها صحيحة ؛ وذلك أن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وقوله وخبره عما شهد به ، وهذا قد يكون مع أن الشاهد نفسه يتكلم بذلك ويقوله ويذكره ، وإن لم يكن معلماً به لغيره ، ولا مخبراً به لسواه ، فهذه أول مراتب الشهادة .

ثم قد يخبره ويعلمه بذلك ، فتكون الشهادة إعلاماً لغيره وإخباراً له، ومن أخبر غيره بشيء فقد شهد به ، سواء كان بلفظ الشهادة أو لم يكن، والمقصود هنا أن الشهادة تضمنت مرتبتين :

إحداهما : تكلم الشاهد وقوله وذكره لما شهد في نفسه به .

---

(١) هو : معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري (١١٠-٢١٠هـ) الإمام العلامة البحر النحوي ، توسع في علم اللسان وبرع فيه ، صاحب تصانيف منها : مجاز القرآن ، وغريب الحديث .
انظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥) .

(٢) هو : العلامة المحدث إمام النحو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم (٢٠٠-٢٩١هـ) عمّر وأصم ، صدمته دابة فوقع في حفرة فمات منها ، من كتبه اختلاف النحويين ، والقراءات ومعاني القرآن .
انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧) .

والثاني : إخباره وإعلامه لغيره بما شهد به ؛ فمن قال : حكم وقضى فهذا من باب اللازم ، فإن الحكم والقضاء هو إلزام وأمر .

ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى به وحكم .

فقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[1] وقال : ﴿ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[2] وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[3] الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[4] وقال : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[5] .

وهذا كثير في القرآن يوجب على العباد عبادته وتوحيده ويحرم عليهم عبادة ما سواه ، فقد حكم وقضى : أنه لا إله إلا هو .

ولكن الكلام في دلالة لفظ الشهادة على ذلك ؛ وذلك أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر وبين وأعلم أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد ، وأنه وحده الإله الذي يستحق العبادة ، وهذا يتضمن الأمر بعبادته، والنهي عن عبادة ما سواه ، فإن النفي والإثبات في مثل هذا يتضمن الأمر والنهي)) .

---

(١) سورة الإسراء (٢٣) .

(٢) سورة النحل (٢) .

(٣) سورة النحل (٣٦) .

(٤) سورة النحل (٥١) .

(٥) سورة البينة (٥) .

((وإذا كانت شهادة الله تتضمن بيانه للعباد ، ودلالته لهم ، وتعريفهم بما شهد به لنفسه ، فلا بد أن يعرفهم أنه شهد ، فإن هذه الشهادة أعظم الشهادات)) .

((وإذا كان لابد من بيان شهادته للعباد ؛ ليعلموا أنه قد شهد فهو قد بينها بالطريقين : بالسمع والبصر . فالسميع يسمع آيات الله المتلوة المنزلة ، والبصير يعاين آياته المخلوقة الفعلية ؛ وذلك أن شهادته تتضمن بيانه ودلالته للعباد وتعريفهم ذلك وذلك حاصل بآياته)) .

((وإثبات شهادة أولي العلم يتضمن أن الشهادة له بالوحدانية يشهد بها له غيره من المخلوقين ؛ الملائكة والبشر . وهذا متفق عليه . يشهدون أن لا إله إلا الله ويشهدون بما شهد به لنفسه .

والشهادة لابد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه لا يحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور)) [١] .

((فمن لم يقم بهذه الشهادة علماً وعملاً ومعرفة وإقراراً ودعوة وتعليماً وإرشاداً فليس من شهداء الله والله المستعان)) [٢] .

* ومن الأدلة قوله تعالى : ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[٣] .

فقد بين سبحانه أنه أنزل الكتاب إبلاغاً للناس كي يوصلهم إلى أعلى المقامات وأفضل الكرامات وإنذاراً لهم وترهيباً من الشر وسبله وما يترتب عليه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٦٨-١٨٨) بتصرف . وانظر تفسير السعدي (١٢٤-١٢٦) والتفسير القيم (١٧٤-١٩٩) .

(٢) التفسير القيم (١٩٩) .

(٣) سورة إبراهيم (٥٢) .

من الشقاوة في الدنيا والأخر ، كما أنزله سبحانه ليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب .

فبينت الآية أن من أعظم حكم إنزال القرآن العظيم العلم بأنه تعالى إله واحد كما قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[1][2] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[3] .

ودلالة الآية على مرامنا ظاهر ، فقوله سبحانه : ﴿ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : واعلموا أنه لا إله إلا هو أي : هو وحده المستحق للإلوهية والعبادة .

يقول السعدي عند هذه الآية : ((وفيها : أن مما يطلب فيه العلم ، ولا يكفي غلبة الظن ؛ علم القرآن ، وعلم التوحيد لقوله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[4])) [5] .

وأما أدلة السنة على هذا الشرط فكثيرة جداً :

١) منها ما رواه مسلم في صحيحه عن عثمان قال ، قال رسول الله ﷺ : ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة))[6] .

---

(١) سورة هود (١-٢) .

(٢) انظر أضواء البيان (٢/ ٧، ٦٤) وتفسير السعدي (٤٢٨-٤٢٩) .

(٣) سورة هود (١٤) .

(٤) سورة هود (١٤) .

(٥) تفسير السعدي (٣٧٨) .

٢) وحديث عبادة بن الصامت مرفوعاً : ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان العمل)) (٢) .

والشاهد قوله : ((من شهد)) إذ كيف يشهد وهو لا يعلم .

٣) ومنها حديث أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : ((فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة)) (٣) .

٤) ومنها حديث معاذ مرفوعاً : ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)) (٤) .

٥) ومنها حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم قالا ، قال رسول الله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)) (٥) .

وبالجملة فهذه الأحاديث وغيرها علقت عصمة الدم والمال في الدنيا والنجاة من النار يوم القيامة على الشهادة بكلمة التوحيد ، ومعلوم أن الشهادة – كما سبق من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره – تتضمن العلم ولابد .

((قال ابن سيده : الشاهد : العالم الذي يبين ما علمه .

....

(١) تقدم تخريجه (١١٦) .

(٢) تقدم تخريجه (١١٤) .

(٣) تقدم تخريجه (١١٦) .

(٤) تقدم (٣٣٩) .

(٥) تقدم تخريجه (١٧) .

وقال أبو بكر بن الأنباري[١] : في قول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله : أعلم أن لا إله إلا الله وأبين أن لا إله إلا الله ، قال وقوله أشهد أن محمداً رسول الله أعلم وأبين أن محمداً رسول الله . وقوله – عز وجل – : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٢] قال أبو عبيدة : معنى شهد الله : قضى الله أنه لا إله إلا هو وحقيقته : علم الله وبين الله ، لأن الشاهد : هو العالم الذي يبين ما علمه... وشهد الشاهد عند الحاكم : أي بين ما علمه وأظهره .. وسئل أحمد بن يحيى عن قول الله – عز وجل – ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ؟ فقال : كل ما كان شهد الله فإنه بمعنى : علم الله ، قال : وقال ابن الأعرابي : معناه : قال الله ويكون معناه: علم الله ، ويكون معناه : كتب الله ، قال ابن الأنباري : معناه : بين الله أن لا إله إلا هو))[٣]أ.هـ .

٦) ومن الأدلة قوله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله))[٤].

---

(١) هو : الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري المقرئ النحوي (٢٧٢-٣٢٨هـ) الحافظ اللغوي ذو الفنون ، قال فيه الخطيب : كان صدوقاً ديناً من أهل السنة أ.هـ صنف في علوم القرآن الغريب والمشكل والوقف والابتداء ، من كتبه : المشكل ، وشرح المفضليات ، وغريب الحديث وغيرها .
انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤) .

(٢) سورة آل عمران (١٨) .

(٣) لسان العرب باب الشين .

(٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وعن أبي مالك الأشجعي نحوه رواه – أيضاً – مسلم في صحيحه : وقد تقدم هذا (١٧) و(٢٢) .

٧) ومنها حديث أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : ((أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)) (١) .

٨) ومنها حديث عتبان مرفوعاً : ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) (٢) .

ففي هذه الأحاديث ونحوها علقت النجاة على القول بكلمة التوحيد وهي بفضل الله تدل على أن العلم بها شرط لابد من تحقيقه يقول ابن منظور في بيان معنى كلمة ((قول)) : ((فأما تجوزهم في تسمية الاعتقادات والآراء قولاً فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لا تظهر إلا في القول سميت قولاً ، إذ كانت سبباً له ، وكان القول دليلاً عليها ، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابساً له وكان القول دليلاً عليه ..

قال شَمَّر : تقول قوَّلني فلان حتى قلت : أي علمني وأمرني أن أقول . قال : قولني وأقولتني أي : علمتني ما أقول وأنطقتني وحملتني علي القول . وفي حديث سعيد بن المسيب حين قيل له : ما تقول في عثمان وعلي ؟ فقال : أقول فيهما : ما قولني الله – تعالى – ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ (٣) (٤) أ.هـ.

ومنها حديث معاذ في بعثه إلى اليمن وفيه : ((فليكن أو ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا عرفوا ذلك ...)) الحديث وقد تقدم .

(١) تقدم تخريجه (١١٦) .
(٢) تقدم تخريجه (١١٧) .
(٣) سورة الحشر (١٠) .
(٤) لسان العرب باب القاف .

يقول صاحب قرة عيون الموحدين معلقاً على هـذا الحـديث : ((وكـانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخـلاص العبـادة لله وحـده وترك عبادة ما سواه . فكان قولهم : لا إله إلا الله لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هـذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة فإنهم كانوا يقولونهـا مـع مـا كـانوا يفعلونه من الشرك))[١] . أ.هـ

١٠) ومنها حديث : سؤال القبر وفيـه : ((وأمـا المنـافق والكـافر – وفي بعض الروايات – والمرتاب – فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول: لا أدري ، كنت أقـول كمـا يقـول النـاس ، فيقـال لـه : لا دريـت ولا تليـت ، ويضرب بمطارق مـن حديـد ضـربة ، فيـصيح صيحة يـسمعها مـن يليـه غـير الثقلين))[٢] .

وفي بعض رواياته : ((أن المؤمن يقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : هو عبدالله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) .

وفي حديث البراء : ((فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربـي الله . فيقـولان له : ما دينك ؟ فيقول : الإسلام . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فـيكم ؟ فيقول : هو رسول الله . فيقولان له : وما يدريك ؟ فيقـول : قـرأت كتـاب الله فآمنت به وصدقت)) .

ومعنى هذا أنه قرأ القرآن وتدبره وتأمل ما فيه مـن الحجـج فحـصل لـه اليقين ، ولم يقل : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، كما يقولـه المرتـاب . ولا يخفى أي الرجلين المقلد))[٣] .

---

(١) (٤٨) .

(٢) والحديث في الصحيحين وغيرهما من طرق عـن جماعـة مـن الـصحابة مـنهم أم المـؤمنين عائشة وأختها أسماء ، وأنس ، والبراء ، وأبو سعيد وجابر وأبو هريرة رضي الله عنهم .

(٣) رفع الاشتباه (٦٨-٧٠) .

يقول المعصومي الحنفي : ((وغالب من يقول لا إله إلا الله إنما يقولها تقليداً ولم تخالط بشاشة الإيمان قلبه ، فلا يعرف ما تنفيه وما تثبته ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء))[(١)] .

أقوال سلف الأمة في كون العلم شرطاً من شروط كلمة التوحيد :

١) وقال الإمام الشافعي : ((فأما ما فرض الله تعالى على القلب : فالإقرار والمعرفة ، والعقد والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له))[(٢)] .

٢) قال الإمام البخاري : ((باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فبدأ بالعلم)) .

قال ابن حجر ناقلاً عن ابن المنير[(٣)] ومؤيداً له : ((أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل))[(٤)] .

٣) وقال القاضي عياض تعليقاً على حديث بعث معاذ إلى اليمن : ((فيه دليل على أن الإيمان لا يصح إلا بالمعرفة وانشراح الصدر ولا يكفي فيه نطق اللسان كما تقوله الجهمية ولا التقليد المجرد كما تظنه الجهلة))[(٥)] .

---

(١) مفتاح الجنة (٧٤) عن كتاب جهود علماء الحنفية (١/ ١٦٨) .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٣٨٧) عن كتاب براءة الأئمة الأربعة (١٥١) .

(٣) هو : ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم المعروف بابن المنير الإسكندراني (٦٢٠-٦٨٣هـ) الإمام المحدث المفسر المقرئ ، برع في الفقه ورسخ فيه ، وكان مالكي المذهب ، وله تآليف حسنة منها : المتواري على تراجم أبواب البخاري والانتصاف في الكشاف ، ومختصر التهذيب للبغوي .
انظر مقدمة كتابه المتواري (٢٤) .

(٤) فتح الباري (١/ ٢١١-٢١٢) .

وقال أيضاً عند حديث عثمان : ((وهو يعلم أن لا إله إلا الله)) وقد يحتج به من يرى أن معرفة القلب مجردة ، نافعة دون النطق بالشهادتين لاقتصاره على العلم ، ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالنطق بالشهادتين ، لا تنفع إحداهما ولا تنجي من النار دون الأخرى ، إلا لمن لم يقدر عليها من آفة بلسان أو لم تمهله المدة لقولها حتى اخترم))(٢) .

٤) وقال صاحب بدائع الصنائع : ((فإن أبا يوسف روى عن أبي حنيفة – رحمه الله – هذه العبارة فقال : كان أبو حنيفة – رضي الله عنه – يقول : لا عذر لأحد من الخلق في جهله معرفة خالقه ؛ لأن الواجب على جميع الخلق معرفة الرب – سبحانه وتعالى – وتوحيده لما يرى من خلق السموات والأرض وخلق نفسه وسائر ما خلق الله – سبحانه وتعالى –))(٣) .

٥)وقال ابن تيمية : ((وقال أبو محمد عبدالله بن أحمد الخليدي في كتابه شرح اعتقاد أهل السنة لأبي علي الحسين بن أحمد الطيري وهذا لعله ممن أدرك أحمد وغيره ، قال الخليدي في معرفة الله : وهي أول الفرض الذي لا يسع المسلم جهله ولا تنفعه الطاعة – وإن أتى بجميع طاعة أهل الدنيا – ما لم تكن معه معرفة وتقوى ، فالمسلم إذا نظر في مخلوقات الله – تعالى – وما خلق من عجائبه مثل دوران الليل والنهار والشمس والقمر وتفكر في نفسه وفي مبدئه ومنتهاه فتزيد معرفته بذلك قال الله تعالى:﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(٤)))(٥)أ.هـ

---

(١) الإيمان من إكمال المعلم (١/ ١٨٦) .

(٢) المصدر السابق (١/ ٢١٨) .

(٣) (٧/ ١٣٢) عن كتاب العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي (٢٦) .

(٤) سورة الذاريات (٢١) .

٦) وقال ابن القيم : ((ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة وأنه صادق فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام علم أن الإسلام أمر وراء ذلك . وأنه ليس هو المعرفة فقط ولا المعرفة والإقرار فقط ، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً)) [٢].

وقال أيضاً: ((والقلب عليه واجبان لا يصيره مؤمناً إلا بهما جميعاً واجب المعرفة والعلم وواجب الحب والانقياد والاستسلام فكما لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب الحب و الانقياد والاستسلام بل إذا ترك هذا الواجب مع علمه ومعرفته به كان أعظم كفراً و أبعد عن الإيمان من الكافر جهلا)) [٣] .

٧) وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح قوله : ((شهادة أن لا إله إلا الله)) يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله . كما قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٤] .

فلا إله إلا الله : لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً واعتقد ذلك ومثله وعمل به .

وأما من قالها عن غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم كلام العلماء أن هذا جهل صرف ، فهو حجة عليه بلا ريب)) [١] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٢) . الهامش .

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٣٨) .

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٥) وانظر المصدر السابق (١٣٥) .

(٤) سورة محمد (١٩) .

٨) وقال الملا علي القاري : ((يتعين على كل موقن أن يعتني بشأنها [كلمة التوحيد] مبنىً ومعنىً ، لينقل من إفادة مبناها ، إلى إعادة معناها ، فإنها مفتاح الجنة ، وعن النار بمنزلة الجُنة ، للناس والجنة ، وقد نص الأئمة من سادات الأمة ؛ أنه لابد من فهم معناها المترتب على علم مبناها ليخرج عن ربقة التقليد، ويدخل في رفعة التحقيق والتأييد وقد قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٢])) [٣] .

٩) وقال محمد بن عبدا لوهاب : ((وليس المراد [من كلمة التوحيد] قولها باللسان مع الجهل بمعناها فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون . ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته)) [٤] .

وقال أيضاً : ((وأما المسائل الأخر وهي أني أقول : لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله ، ومنها أني أعرف من يأتيني بمعناها ومنها أني أقول أن الإله هو الذي فيه السر (لفظة مرادفة لكلمة الإله) ومنه تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك ، ومنها أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمى الله عليها إذا ذبحها للجن .

....

(١) فتح المجيد (١/ ١١٩-١٢٨) مختصراً وانظر تيسير العزيز الحميد (٥١)فقد حكى الإجماع في ذلك وانظر أيضاً مفتاح الجنة للخجندي (٣٨-٦٣)و رفع الأشباه للمعلمي(٣٢-٣٥) و جهود علماء الحنفية للأفغاني (١/ ١٦٤-١٦٥) .

(٢) سورة محمد (١٩) .

(٣) التجريد من إعراب كلمة التوحيد (١٤) .

(٤) الرسالة العشرون من الرسائل الشخصية (١٦٦-١٦٧) انظر العذر بالجهل (١٢٠) .

فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها))[1] .

ولعل في هذا النقل عن هؤلاء الأئمة ما يبين المقصود والله أعلم .

(١) المصدر السابق (٦٤) .


المبحث الثالث :
الجهل بكلمة التوحيد
معناه وحكمه

المبحث الثالث : الجهل بكلمة التوحيد معناه وحكمه :

أولاً : تعريف الجهل :

الجهل هو : ما قابل العلم فكل من لم يكن عالماً فهو جاهل .

قال ابن منظور : ((الجهل نقيض العلم ، وقد جهله فلان جهلاً وجهالة وجهل عليه . والتجهيل : أن تنسبه إلى الجهل ، والجهالة : أن تفعل فعلاً بغير علم ، والجهلة : ما يحملك على الجهل ، والجاهلية : هي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام ؛ من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك))(١) .

وهو : على ثلاثة أضرب :

الأول : وهو خلو النفس من العلم ، هذا هو الأصل ، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنىً مقتضياً للأفعال الجارية على غير النظام .

والثاني : اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه . [وهو ما يعبر عنه بالجهل المركب والأول يعبر عنه بالجهل البسيط] .

والثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً))(٢) .

((ومن هنا قال قتادة : أجمع أصحاب رسول الله ﷺ أن كل ما عصي الله به فهي جهالة .

وقال غيره : أجمع الصحابة أن كل من عصى الله فهو جاهل))(٣) .

(١) (١١/ ١٢٩) .

(٢) المفردات (١٠٩) .

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٦٦) .

وهذا القسم يدخل في القسمين الأوَّلَين لأن الباعث له على الفعل – إما عدم العلم وهو ما عبر عنه بخلو النفس من العلم، وأما عدم العمل بالعلم فنزل العلم الذي لم ينتفع به منزلة الجهل [1] .

قال شيخ الإسلام : ((لفظ الجهل يعبر به عن عدم العلم ، ويعبر به عن عدم العمل بموجب العلم ، كما قال ﷺ : ((إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم)) [2] والجهل هنا هو الكلام الباطل بمنزلة الجهل المركب .

ومن هذا سميت الجاهلية جاهلية وهي متضمنة لعدم العلم أو لعدم العمل به وقد قال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾[3] فإن الغضب والحمية تحمل المرء على فعل ما يضره وترك ما ينفعه ، وهذا من الجهل الذي هو عمل بخلاف العلم حتى يقدم المرء على فعل ما يعلم أنه يضره ، وترك ما يعلم أنه ينفعه)) [4] .

وعلى هذا فالجهل بلا إله إلا الله يراد به عدم العلم بها أو العمل بخلاف موجبها .

ثانياً : حكم الجهل بلا إله إلا الله :

لابد لمعرفة حقيقة أصل الدين وما تكون به النجاة في الآخرة من معرفة كلمة الشهادة ، وذلك ببيان حقيقة التوحيد الذي هو مقتضى هذه الكلمة – كما

---

(١)انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الصوم ، باب فضل الصوم (١٨٩٤) من حديث أبي هريرة .

(٣) سورة الفتح (٢٦) .

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٩-٥٤٠) .

سبق – وحقيقة الالتزام بالشريعة وهو مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ . فالالتزام بالباطن والظاهر الذي هو حقيقة أصل الدين لابد فيه من تحقيق مقتضى الشهادتين التي هي الدلالة المطابقة لأصل الدين ، فمن حققهما فقد حقق أصل الدين، ومن انتفى عنه تحقيق أحدهما لم يكن من دين الإسلام في شيء إذا تقرر هذا فلابد في تحقيق الشهادتين من أمور :

- العلم بمدلولهما إجمالاً .
- الالتزام بذلك المدلول .
- ترك ما يناقض ذلك .

وهذه الأمور الثلاثة مترابطة ضرورة في تحقيق أصل الدين لأنه لا يمكن تحقيق الشهادتين دون العلم بمدلولها والالتزام الإجمالي بمقتضى ذلك المدلول ، كما لا يمكن تحقيقها مع فعل ما يناقضها .

وليس المراد هنا بيان حقيقة أصل الدين ، ولا بيان حقيقة ما يناقضه ، – إذ ليس هذا مجاله – وإنما المراد بيان اشتراط العلم بمدلول كلمة الشهادة في تحقيقها وأن مجرد الإقرار بها كاف في قيام الحجة على المعين في أمرين اثنين :

- استحقاق الله وحده للعبادة، وتحقيق ذلك بالتوحيد وعدم مناقضته بالشرك .

- الثاني : قيام الحجة بالالتزام الإجمالي بالشريعة .

فهذان الأصلان هما أساس الدين . فأما حقيقة التوحيد فهي إخلاص التوجه والقصد والإرادة والتقرب لله وحده . وهو أصل جميع العبادات وروحها . فمن صرفه لغير الله تعالى فقد أشرك ، ولا حجة له بالجهل في ذلك ، بل قد قامت الحجة به على جميع بني آدم بمقتضى الفطرة عليه . وقامت الحجة الرسالية به على من بلغته الرسالة زيادة على الحجة الفطرية .

وأما حقيقة الالتزام الإجمالي بالشريعة فهي إتباع النبي ﷺ والانقياد لحكم الله وشرعه[1] ، ولا يكون مسلماً في أحكام الدنيا من لم يحقق هذا الالتزام . يقول ﷺ : ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار))[2] .

فمن قامت عليه الحجة بالرسالة ثم لم يلتزم بها فهو كافر في أحكام الدنيا والآخرة . وأما من لم تقم عليه الحجة ، أو بلغته على جهة مشوهة تنفر من قبولها ، كحال الذين لا يسمعون عن الإسلام والرسول ﷺ والقرآن الكريم إلا شبهاً تصرف عن الإسلام . فهؤلاء كفار في الدنيا وأحكامها . لكن لا يلزم أن تنطبق عليهم أحكام الكفار في الآخرة الذين بلغتهم الدعوة وقامت عليهم الحجة الرسالية.

ومن لم يعلن إسلامه ويؤمن بالنبي ﷺ فهو كافر في أحكام الدنيا وإن كان كفره عن جهل لا عن عناد . يقول ابن القيم – رحمه الله – في تعداد طبقات أهل النار : ((الطبقة السادسة عشر : طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم)) قال : ((وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم ..... والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله وبرسوله وإتباعه فيما جاء به ، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل))[3] .

---

(١) سيأتي تفصيل الانقياد وأنه من شروط من الكلمة في بقية مباحث الرسالة إن شاء الله.

(٢) مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل (٣٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) طريق الهجرتين (٤١١) .

ومن هنا فمن لم يقر بالإسلام فهو كافر وإن لم تبلغه الدعوة . وإن من أقر بكلمة التوحيد - والتي هي أصل الدين - لابد في إقراره أن يعلم حقيقة ما أقر به ، من اشتراط تحقيق التوحيد والالتزام الإجمالي بالشريعة ، كما أنه لابد وأن يعلم أن الشرك أو عدم الالتزام بالشريعة مناقض لأصل الدين . فإذا توجه وتقرب إلى غير الله فهو مشرك ولا يعذر بجهله . وإذا لم يلتزم بالشريعة فلم يرض بها ويذعن فهو كافر ولا يعذر بجهله . لقيام الحجة عليه بإقراره بذلك إذ الإقرار يقوم حجة بأصل الدين بحيث لا يعذر بالجهل ولا بالتأويل من أشرك فعبد غير الله . ولهذا جعل العلماء من شروط كلمة التوحيد العلم المنافي للجهل)) (١) .

يقول سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : ((وأما قول الإنسان لا إله إلا الله من غير معرفة لمعناها ولا عمل به أو دعواه أنه من أهل التوحيد وهو لا يعرف التوحيد ، بل ربما يخلص لغير الله من عبادته العبادات فلا يكفي في التوحيد ، بل لا يكون إلا مشركاً والحالة هذه)) (٢) .

ويقول عبد الله أبا بطين (٣) : ((أنت مكلف بمعرفة التوحيد الذي خلق الله الجن والإنس لأجله وأرسل جميع الرسل يدعون إليه ومعرفة ضده وهو الشرك الذي لا يغفر ، ولا عذر لمكلف في الجهل بذلك ولا يجوز فيه التقليد لأنه أصل الأصول)) ... ((ففرض على المكلف معرفة حد العبادة وحقيقتها

(١) ضوابط التكفير (٣١٠-٣١٤) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (٥٠-٥١) .

(٣) هو : عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبا بطين من بني عائذ من قبيلة قحطان (١١٩٤-١٢٨٢هـ) من كبار علماء نجد ومن علماء الدعوة السلفية من كتبه المطبوعة : الانتصار لحزب الله الموحدين ورسائل وفتاوى جمعها إبراهيم الحازمي .
انظر علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٥٦٧) .

التي خلقنا الله من أجلها ، ومعرفة حد الشرك وحقيقته الذي هو أكبر الكبائر))[١] .

ولهذا إذا ارتكب المسلم فعلاً شركياً مما ينقض أصل التوحيد أو أصل الدين أو الالتزام المجمل كأن يعتقد استحقاق غير الله للعبادة مع الله أو من دونه، أو أن غير الله يتصرف في هذا الكون فهذا كافر بالله أصلاً لأن اعتقاده هذا مناقض لأصل الدين وهو عبادة الله وحده لا شريك له، لكن هل كل من تلبس بعمل من أعمال الشرك الظاهرة أو حكم بالقوانين الوضعية لابد أن يكون كافراً بمجرد فعله ؟ خصوصاً إذا ثبت له عقد الإسلام .

إننا لابد أن نفرق هنا بين أحكام الكفر على الباطن وبين الحكم على المعين بالكفر في الظاهر . وذلك أنه ليس كل من عمل عملاً من أعمال الشرك في الظاهر لابد أن يقصد به ما تتحقق معه عبادة غير الله ، إذ قد يفعله على غير جهة التقرب إلى غير الله تعالى . فلابد قبل الحكم بكفره من تبين حاله ، لإزالة هذا الاحتمال ، إلا إذا كان فعله لا يحتمل مطلقاً إلا أن يكون عبادة وتقرباً إلى غير الله فإنه يحكم بكفره حينئذ لعدم الاحتمال في القصد .

وكذلك من حكم القوانين الوضعية ، قد لا يكون فعله لأجل جهله بأصل الالتزام بالشريعة ، ولا يكون بفعله معانداً بل قد يظن أن فعله لا يناقض حقيقة التزامه بالشريعة فيكون جهله من عدم العلم بمخالفة فعله لأصل الالتزام بالشريعة لا من جهة جهله بحقيقة الالتزام . فلابد إذن من التبين قبل الحكم بالتكفير ، وإقامة الحجة وإزالة الشبهة .

وعليه فلابد من تبين حال المعين وعدم الجزم بكفره قبل العلم بقصده من فعله بالضوابط الشرعية لذلك ، إذا لم يكن فعله قاطعاً في الدلالة على قصده .

---

(١) الانتصار لحزب الله الموحدين (٦-١٦) .

بحيث لا يحتمل الأمر غير ذلك أدنى احتمال . فالمانع من التكفير هنا ابتداء ليس هو اشتراط قيام الحجة فهي قائمة بمجرد الإقرار ، وإنما المانع تبين قصد المعين بفعله . وهذا هو الفرق بين التكفير بما يناقض مدلول الشهادتين ، وبين التكفير بما يناقض الالتزام التفصيلي الذي لابد من قيام الحجة الرسالية فيه على التفصيل . وهو فرق مهم ضل لعدم فهمه كثيرون ، إما بالتعميم بعدم الأعذار مطلقاً ، وإما بالتعميم بالأعذار مطلقاً . وشذ آخرون فاعتبروا مجرد التلبس بعمل من أعمال الشرك كافياً في تكفير المعين))[1] .

ومن هنا يعلم أن جمهور عوام المسلمين المتلبسين بأنواع الشرك من الطواف بالقبور وغيره يجهلون أن ذلك ينافي التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى فمظاهر شركهم منشؤها الجهل بتفاصيل ما يجب لله تعالى من إخلاص العبادة ، وليس منشأ ذلك إرادة عبادة غير الله أو اعتقاد أن ذلك الغير يستحق العبادة مع الله أو من دونه .

فليس هو كالوثني الذي يعبد الصنم إذ الوثني يقر بعبادتها وأنها تقربه إلى الله زلفى كما صرح بذلك القرآن الكريم .

بل هؤلاء الذين هم من عامة المسلمين والذين تلبسوا بشيء من مظاهر الشرك على القبور وغيرها إذا سئل لم تعبد أصحاب القبور ؟ أجاب على الفور معاذ الله أن أعبد غير الله ونطق على الفور بكلمة التوحيد .

فهؤلاء لديهم من الالتزام المجمل بالإسلام ، والإقرار المجمل بالتوحيد ، والبراءة المجملة من عبادة غير الله ما يفرقه عن الوثني قبل البعثة الذي انعقد قلبه على الرفض الكامل للتوحيد والالتزام الكامل بالشرك فهذا مفرق عظيم ينبغي إدراكه وفهمه ، وليس هذا يعني أن ليس من القبورية من وصل به الحال إلى حد

---

(١) ضوابط التكفير (٣١٤) .

نقض الالتزام المجمل والخروج الصريح من الملة ، وأن يكون بينهم منافقون وزنادقة .

وإنما المقصود أن الحكم على هؤلاء مطلقاً بالكفر لما تلبسوا به من أنواع الشرك مما لا يجوز الإقدام عليه إلا بضوابط تتوفر فيها الشروط وتنتفي فيها الموانع ، فلا يجوز إهدار الالتزام المجمل بالتوحيد الذي يعصم الدم والمال والذي ثبت عقده بالنطق بالشهادتين بخلل تلبس به صاحبه ذاهلاً عن معارضته لهذا الالتزام المجمل ، بل التبس في ذهنه ذلك التصرف المخالف بما هو مشروع .

وهذا الذي تم تقريره هنا عليه جميع علماء المسلمين ومن تأمل أقوالهم وجدها صريحة الدلالة في هذا موافقة للكتاب والسنة . فتأمل حديث الرجل من بني إسرائيل الذي أمره أهله بإحراقه بعد موته إذ قال لبنيه : ((إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فو الله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً ، فلما مات فعل به ذلك ، فأمر الله الأرض فقال : أجمعي ما فيك منه ، ففعلت فإذا هو قائم فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال يا رب خشيتك فغفر له))[1] .

يقول شيخ الإسلام : ((فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق ، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك ، وكل واحد ؛ من إنكار قدرة الله تعالى ، وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر . لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلاً بذلك ، ضالاً في هذا الظن مخطئاً ، فغفر الله له ذلك ، والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك ، وأدنى

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الأنبياء ، باب (٣٤٨١) وكتاب الرقاق ، باب الخوف من الله (٦٤٨٠، ٦٤٨١) ، ومسلم في صحيحه : كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٦٩٠٦) من حديث أبي هريرة .

هذا أن يكون شاكاً في المعاد ، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفر)) [١] .

ويقول الإمام الخطابي : ((قد يستشكل هذا فيقال : كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى ؟ والجواب : أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله)) [٢] .

ومنها حادثة ذات أنواط وذلك أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين ، كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ : ((سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم ....)) الحديث[٣] .

فهذا الحديث – مع ما في ظاهره من النهي عن إتباع سنن الأمم السابقة– فيه –أيضاً– الدلالة على أن الصحابة قد حصلت منهم المشابهة فيما هو شرك إذ قولهم مقتض لذلك، ومع ذلك فإن النبي ﷺ لم يكفرهم وإن كان قد حذرهم ونهاهم عن قولهم ذلك .

فليس كل من وقع في شيء من أمور الشرك الظاهرة يكفر بمجرد قوله أو فعله ، بل لابد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع في حقه .

---

(١) المجموع (١١/ ٤٠٩) .

(٢) فتح الباري (٦/ ٦٤٨) .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢١٨) ق والترمذي في جامعه : كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم . وقال : حسن صحيح . وصححه الألباني أيضاً في صحيح الترمذي .

يقول أبو بكر بن العربي – رحمه الله – : ((الجاهل و المخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً ، فإنه يعذر بالجهل والخطأ ، حتى تتبين له الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً ما يلتبس على مثله ، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام ، مما أجمعوا عليه إجماعاً جلياً قطعياً ، يعرفه كل المسلمين من غير نظر وتأمل))(١) .

ومن هذا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن بعض أحوال الناس الشركية في عصره ، لكنه لم يحكم بكفرهم بمجرد وقوع ذلك منهم.

وفي ذلك يقول : ((إنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعوا أحداً من الأموات ، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله ، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه))(٢) .

وشيخ الإسلام هنا لا يقصد أن من عبد غير الله فهو معذور مطلقاً وإنما يقصد أن من تلبس بشيء من مظاهر الشرك لم يلزم تكفيره حتى تقام عليه الحجة الرسالية لإمكان أن يكون جاهلاً لم تبلغه الحجة أو متأولاً له شبهة يعذر بها .

فكلامه هنا هو فيما يتعلق بالأحكام على الناس في الظاهر . وأما من تقرب إلى غير الله وعبد غير الله فهو كافر ظاهراً وباطناً ، قامت عليه الحجة أو لم تقم، وذلك لا يعلم بمجرد الفعل الظاهر ، ولهذا اشترط في التكفير إقامة

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٣٠٧) وانظر ضوابط التكفير (٣٠٦) .

(٢) الرد على البكري (٣٧٧) . ط. القديمة (٢/ ٦٢٩) ط. السهلي .

الحجة . حيث قيد إمكان الحكم بتكفير من ذكر حالهم بأن يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه ، وذلك لا يكون إلا بعلمهم بالنصوص الواردة في ذلك، وانتفاء ما قد يعرض لهم من الشبهة فيه[١] .

وعلى مثل ما سبق من كلام شيخ الإسلام ما بينه الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب من إعذاره لجهلة القبوريين وعدم تكفيرهم حيث قال في بعض رسائله : ((وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي ، وأمثالها لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ولم يقاتل ؟))[٢] .

((وليس مقصود الشيخ هنا أن من عبد غير الله فهو معذور لأجل جهله إذ الشرك بعبادة غير الله كفر بإجماع المسلمين لا يختلف اثنان من المسلمين في كونه كفراً ، وإنما كلامه – رحمه الله – هنا فيما يتعلق بأحكام الظاهر ، فلو علم قطعاً أنهم يقصدون العبادة والتقرب إلى أحمد البدوي أو غيره لم يعذرهم بالجهالة))[٣] .

---

(١) ضوابط التكفير (٣٠٥-٣٠٧) .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد (٩/ ١١) .

(٣) انظر ضوابط التكفير (٣١٩) والجهل بمسائل الاعتقاد (١٧٦) .

الفصل الثالث :

الشرط الثالث : الإخلاص

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الإخلاص لغة وشرعاً .

المبحث الثاني : أدلة الإخلاص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة .

المبحث الثالث : مظاهر الإخلاص وفوائده .

المبحث الرابع : الشرك حقيقته وأحكامه .



المبحث الأول:

مفهوم الإخلاص لغة وشرعاً

المبحث الأول : مفهوم الإخلاص لغة وشرعاً :

الإخلاص لغة :

يقول ابن فارس في مادة خلص : ((الخاء واللام والصاد ؛ أصل واحد مطرد وهو تنقية الشيء وتهذيبه)) . يقولون : ((خلصته من كذا وخلص هو . وخلاصة السمن ما ألقي فيه من تمر و سويق ليخلص به)) أ.هـ(١).

وخلص خلوصاً : صفا وزال عنه شوبه .

وخلص من ورطته : سلم منها ونجا .

وخلص القوم : اعتزلهم وانفصل منهم .

وفي القرآن الكريم : ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾(٢) .

أي : لا يخالطه دم ولا فرث .

وقال تعالى في أخوة يوسف : ﴿ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾(٣) أي: انفردوا وتميزوا عمن سواهم .

وقال تعالى حكاية عن المشركين : ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾(٤) .

أي : لا يشركهم الإناث فيها(٥)(٦) .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٧٣)

(٢) سورة النحل (٦٦) .

(٣) سورة يوسف (٨٠) .

(٤) سورة الأنعام (١٣٩) .

(٥) انظر في تفسير الآيات تفسير ابن كثير على الترتيب (٢/ ٥٧٤، ٤٨٧، ١٨٠) .

(٦) انظر الصحاح للجوهري (٣/ ١٠٢٧) والقاموس المحيط (٢/ ٣١٢) والكليات (٤١٤، ٤٣٤، ٦٤) والمعجم الوسيط (١/ ٢٤٩) .

شرعاً : تنوعت عبارات أهل العلم في تعريفهم للإخلاص ، ولكن مدارها على قصد الله تعالى بالعبادة دون سواه .

ومن عباراتهم :

- قول الراغب الأصفهاني : ((فحقيقة الإخلاص : التبري عن كل ما دون الله تعالى)) .
- وقيل : هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة .
- وقيل : تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين .
- وقيل : استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن .
- وقيل : الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله ، ولا مجازياً سواه[1] .

وقد ذكر ابن القيم ما يقارب ثلاثة عشر تعريفاً للإخلاص ، وكلها ترجع – عند التأمل – إلى معنى واحد : وهو أن يقصد العبد بأقواله وأعماله ونيته وجه الله تعالى دون سواه ، من غير أن ينظر إلى مغنم ، أو جاه ، أو لقب ، أو تقدم .... أو غير ذلك من أغراض الدنيا[2] .

((فلا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس : إما طلب التزين في قلوب الخلق ، وإما طلب مدحهم ، والهرب من ذمهم ، أو طلب تعظيمهم ، أو طلب أموالهم ، أو خدمتهم ومحبتهم ، وقضائهم حوائجه ، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عَقْدُ متفرقاتها : هو إرادة ما سوى الله بعمله ، كائناً ما كان))[3] .

---

(١) المفردات (١٦١) .

(٢) انظر مدارج السالكين (٢/ ٩١-٩٢) الإخلاص والشرك الأصغر (٨-٩) والشرك في القديم والحديث (٢/ ١٢٧٨-١٢٨٠) .

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٣) .

المبحث الثاني :

أدلة الإخلاص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة

المبحث الثاني : أدلة الإخلاص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة :

تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة ، وكثرت أقوال سلف الأمة من الأئمة في اشتراط الإخلاص لجميع الأعمال والأقوال الدينية فضلاً عن كلمة التوحيد، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً وابْتُغيَ به وجهه ومن الأدلة في ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(١) .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : ((يأمر تعالى [نبيه ﷺ] أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك؛ فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له ، وهذا كقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾(٢) أي : أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى))(٣) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾(٤) .

- قال ابن كثير عن هذه الآية : ((أي آمركم بالاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله وما

(١) سورة الأنعام (١٦٢-١٦٣) .
(٢) سورة الكوثر (٢) .
(٣) من تفسيره (٢/٢٠٦) .
(٤) سورة الأعراف (٢٩) .

جاءوا به من الشرائع وبالإخلاص له في عبادته فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين :

- أن يكون صواباً موافقاً للشريعة .

- وأن يكون خالصاً من الشرك)). [١] أ.هـ

- ومنها قوله تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[٢].

قال ابن كثير – رحمه الله – : ((أي فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ولهذا قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ أي : لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له .

وقال قتادة : في قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله))[٣] .

وقد سبق تقرير تسميتها بكلمة الإخلاص[٤] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[٥] وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾[٦] ففي هاتين الآيتين أمر الله

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢١٧) .

(٢) سورة الزمر (٢-٣) .

(٣) المصدر السابق (٤/ ٤٩) .

(٤) انظر (٣١) .

(٥) سورة الزمر (١١) .

(٦) سورة الزمر (١٤) .

سبحانه رسوله ﷺ أن يخبرهم بما أمر به من التوحيد والإخلاص فقال : ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أي : أعبده عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك والإخلاص أن يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه ، والدين والعبادة والطاعة ورأسها توحيد الله وأنه لا شريك له ، والدين الخالص من شوائب الشرك وغيره هو لله ، وما سواه من الأديان فليس بدين الله الخالص الذي أمر به قال قتادة – رحمه الله – : ((الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله)) [1] .

– ومنها قوله تعالى : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2] أي : فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم[3] وكونوا موحدين في توجهكم وعبوديتكم لربكم كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4] وكما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[5] يقول الشنقيطي عند آية البينة : ((لم يبين [هنا] موضع الأمر عليهم بعبادة الله مخلصين له الدين ، هل هو في كتبهم السابقة ، أم في هذا القرآن الذين يتلى عليهم في صحف مطهرة ؟

(١) انظر فتح القدير (٤/ ٥٦٠-٥٦٧) .

(٢) سورة غافر (١٤) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٠) .

(٤) سورة غافر (٦٥) .

(٥) سورة البينة (٥) .

وقد بين القرآن العظيم أن هذا الأمر موجود في كل من كتبهم والقرآن الكريم ، [فمما] في كتبهم قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾(٢) فإقامة الدين وعدم التفرقة فيه هو عين عبادة الله مخلصين له الدين))(٣) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾(٤) .

قال شيخ الإسلام : ((فإسلام وجهه كما قاله أئمة التفسير : هو إخلاص دينه وعمله لله(٥) ، وقيل : تفويض أمره إلى الله .

فإن إسلام وجهه يقتضي أنه أسلم نيته وعمله ودينه لله ، أي : جعله لله خالصاً سالماً ، والإحسان هو فعل الحسنات فاجتمع له أن عمله خالص ، وأنه صالح كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً))(٦) .

---

(١) سورة النحل (٣٦) .

(٢) سورة الشورى (١٣) .

(٣) أضواء البيان (٦/ ١١٠) .

(٤) سورة البقرة (١١٢) .

(٥) فسر الآية بمعنى أخلص دينه لله الربيع بن خثيم وأبو العالية وسعيد بن جبير . انظر تفسير ابن جرير (١/ ٤٩٣-٤٩٤) وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٨) .

(٦) الزهد للإمام أحمد (١٤٧) من طريق الحسن البصري .

وقال الفضيل : ((في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[١] قال: ((أخلصه وأصوبه ، قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة))[٢] .

قال : ((ولفظ : أسلم : يتضمن شيئين :

أحدهما : الإخلاص .

والثاني : الإتباع والإذلال .

كما أن أسلم إذا استعمل لازماً مثل : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾[٣] وقوله : ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٤] يتضمن الخضوع لله والإخلاص له .

وضد ذلك إما الكبر وإما الشرك وهما أعظم الذنوب، ولهذا كان الدين عند الله الإسلام ، فإن دين الله أن تعبده وحده لا شريك له ، وهذا حقيقة قول : لا إله إلا الله ، وبه بعثت الرسل جميعها))[٥] أ.هـ

وقال ابن القيم معلقاً على كلام الفضيل :

((والأعمال أربعة : واحد مقبول وثلاثة مردودة ، فالمقبول ما كان خالصاً لله وللسنة موافقاً ، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما ، وذلك أن

---

(١) سورة الملك (٢) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٥) .

(٣) سورة البقرة (٢٨) .

(٤) سورة البقرة (١٣١) .

(٥) المجموعة العلية (٢/ ٧٦) .

العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه ، وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به وما عمل لوجهه ، وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها ، بل يمقتها ويمقت أهلها)) (١) .

وأما دلالة السنة على الإخلاص فهي كثيرة جداً : -

١) منها ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ((إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله عز وجل)) (٢) .

ودلالة الحديث ظاهرة في المقصود فإن تحريم النار موقوف على من قال: لا إله إلا الله لا يريد بذلك إلا الله وحده .

٢) ومنها حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة)) (٣) .

ودلالة الحديث كسابقه .

٣) ومنها ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال ﷺ : ((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)) وفي رواية : ((خالصة من قلبه)) (٤) .

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٨١) .

(٢) وقد تقدم تخريجه (١١٧) .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٦) ق وابن حبان في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله بالوحدانية (١/ ٤٢٩) رقم (٢٠٠) والحديث صححه الألباني في صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (١/ ٩٤) والسلسلة الصحيحة رقم (٢٣٥٥) وشعيب في تحقيقه لصحيح ابن حبان .

(٤) وقد تقدم تخريجه (١١٦) .

قال شيخ الإسلام معلقاً على هذا الحديث : ((فتلك الشفاعة هي لأهل الإخلاص بإذن الله ليست لمن أشرك بالله ، ولا تكون إلا بإذن الله، وحقيقته أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص بالتوحيد فيغفر لهم ... فبين الرسول ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ، فهي من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد))(١) .

٤) ومنها ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ : ((إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه ، فيموت وهو على ذلك إلا حرمه الله على النار : لا إله إلا الله))(٢) .

وهذه النصوص صريحة في المقصود ، وأنه لا يصح توحيد الشخص وإقراره والتظاهر بأنه موحد حتى يتحقق فيه الإخلاص لله عز وجل بعيداً عن الشرك كبيره وصغيره .

٥) ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))(٣) .

فكل من عمل عملاً لم يكن فيه لله خالصاً لم يقبله الله إذ الإخلاص شرط في قبول أي عمل صالح فعلى الإنسان أن يجتهد في تحقيق الإخلاص إذ هو مأمور بأن يصفي وينقي عمله عن جميع شوائب الشرك فتكون طاعاته وعباداته على وجه الإخلاص قال شيخ الإسلام : ((فكل ما يفعله المسلم من القرب الواجبة والمستحبة كالإيمان بالله ورسوله والعبادات البدنية والمالية ومحبة الله ورسوله والإحسان إلى عباد الله بالنفع والمال هو مأمور

---

(١) الإيمان (٦٦-٦٧) .

(٢) صححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (١/ ٩٣) وقد تقدم تخريجه (٣١) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله (١٨/ ٣١٦) رقم (٧٤٠٠) .

بأن يفعله خالصاً لله رب العالمين ، لا يطلب من مخلوق عليه جزاء ولا دعاء ولا غير دعاء ، فهذا مما لا يسوغ أن يطلب عليه جزاء لا دعاء ولا غير دعاء))[1] .

فصلاح القلب أساس قبول العمل ولا يعتبر العمل مقبولاً إلا إذا كان عن نية خالصة لوجه الله تعالى كما قال ﷺ في الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه))[2] .

أقوال سلف الأمة في ذلك :

١) قال مطرف بن عبد الله[3] : ((صلاح القلب بصلاح العمل ، وصلاح العمل بصلاح النية))[4] .

٢) وعن بلال بن سعد[5] قال : ((عباد الرحمن إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله عز وجل وقد أضاع ما سواها ، فما زال يمنيه الشيطان فيها ويزين له ، حتى ما يرى شيئاً دون الجنة ، فقبل أن تعملوا فانظروا ماذا تريدون بها ، فإن كانت خالصة فأمضوها ، وإن كانت لغير الله فلا تشقوا على أنفسكم ، فلا شيء لكم فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً فإنه قال: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[6] .

---

(١) الفتاوى (١/ ١٩٠) .

(٢) البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم (١).

(٣) هو : مطرف بن عبد الله ابن الشخير ت(٩٥هـ) الإمام القدوة الحجة، من كبار أئمة التابعين . انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧) .

(٤) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (٢/ ٥٥٠) .

(٥) هو : بلال بن سعد بن تميم السكوني الإمام الرباني الواعظ شيخ دمشق ، من سادات التابعين ، كان بليغ الموعظة ، حسن القصص ، شديد العبادة توفي سنة نيف وعشرة ومائة . انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٠) .

(٦) المصدر السابق (٢/ ٥٥٦) .

٣) وعن الربيع بن أنس قال : ((الإيمان : الإخلاص لله وحده ، فبين أنه لا يقبل عملاً إلا بالإخلاص له)) وذلك عند قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[١] .

٤) وقال عند قوله تعالى : ((﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ هذا مثل الإيمان ، فالإيمان الشجرة الطيبة ، وأصله الثابت الذي لا يزول : الإخلاص لله ، وفرعه من السماء ؛ فرعه : خشية الله))[٢] .

٥) وعن الحسن البصري قال : ((لا يصح القول إلا بالعمل ولا يصح قول وعمل إلا بنية ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة))[٣] .

ونقل اللالكائي بسنده عن سعيد بن جبير مثله ، ولفظه : ((لا يقبل)) مكان ((لا يصح))[٤] .

٦) وقال أبو يوسف يعقوب بن سفيان – رحمه الله - : ((الإيمان عند أهل السنة: الإخلاص لله بالقلوب والألسنة والجوارح؛ وهو قول وعمل يزيد وينقص، على ذلك وجدنا كل من أدركنا من عصرنا بمكة والمدينة والشام والبصرة والكوفة))[٥] .

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٥٦) .

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٦٠) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٣) رقم (١٨) .

(٤) المصدر السابق (١/ ٦٤) رقم (٢٠) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٣٥) .

٧) ويقول محمد بن نصر المروزي بعد روايته حديث ((جددوا إيمانكم ، قالوا : كيف نجدد إيماننا ...)) الحديث[١] :

ففي هذا دلالة على أن المؤمن متى قال : ((لا إله إلا الله مخلصاً متقرباً بذلك إلى الله كان ذلك منه إيماناً))[٢] .

وقال عند حديث وفد عبد القيس[٣]:

((كما قال من قال: لا إله إلا الله يرجع بها إلى القلب مخلصاً ؛ يعني مخلصاً بالشهادة قلبه ، ليس كما شهدت المنافقون إذ قالوا ((نشهد إنك لرسول الله)) قال الله : والله يشهد إنهم لكاذبون ، فلم يكذب قلوبهم أنه حق في عينه ، ولكن كذبهم من قولهم ، فقال : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾[٤] أي: كما قالوا ، ثم قال : ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فكذبهم من قولهم ، لا أنهم قالوا بألسنتهم باطلاً ولا كذباً))[٥] .

٨) وقال ابن حبان : ((ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا بالوحدانية ، وكان ذلك عن يقين من قلبه ، لا أن الإقرار بالشهادة يوجب الجنة للمقر بها دون أن يقر بها بالإخلاص))[٦] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٥٩) ق (١٤/ ٣٢٨) رقم (٨٧١٠) والحاكم في المستدرك كتاب التوبة والإنابة جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله (٥/ ٣٦٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بقوله (صدقه) [وهو أحد رجال السند] ضعفوه . وكذلك ضعفه الأرناؤوط في تحقيقه للمسند .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٨٧) .

(٣) تقدم تخريجه (١٦٢) .

(٤) سورة المنافقون (١) .

(٥) المصدر السابق (٢/ ٧٠٧-٧٠٨) .

(٦) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ٤٢٩-٤٣٠) .

٩) وقال شيخ الإسلام : ((وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جداً : بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره . كما قال النبي ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله))[١] وقال : ((إني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجدت روحه لها روحاً))[٢] وقال : ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة))[٣] وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له ، وقول النبي ﷺ: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله : فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه))[٤] .

فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ، ومتابعة الرسول فيما جاء به ، هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله))[٥] .

وقال أيضاً: ((الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الألوهية له فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا إجلال ولا إكبار ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد أن يكون الدين كله لله كما قال تعالى : ﴿وقاتلوهم

---

(١) تقدم تخريجه (١٧) .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٦١) ق وابن ماجه في سننه : كتاب الأدب ، باب فضل لا إله إلا الله رقم (٣٧٩٥) وصححه الألباني .

(٣) تقدم تخريجه (١١٠) .

(٤) تقدم تخريجه قريباً .

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٧٠) .

حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾(١) فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغيره كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك)).(٢)

١٠) وقال الخجندي – رحمه الله – : ((ولا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص المنافية للشرك وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله ؛ ولكن لا تنفع قائلها عند الله ، وفي دار الآخرة إلا بشروط ... قال والثالث [من الشروط] : الإخلاص المنافي للشرك ؛ فمن يقول : لا إله إلا الله ولكن لا يفهم معناها ، ولا يعمل به فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً))(٣) .

---

(١) سورة الأنفال (٣٩)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٣٤).

(٣) مفتاح الجنة (٣٩) عن كتاب جهود علماء الحنفية (١/ ١٦٥) .



المبحث الثالث :

مظاهر الإخلاص وفوائده

المبحث الثالث : مكانة الإخلاص ومظاهره :

من أعظم الأصول المهمة في دين الإسلام تحقيق الإخلاص لله تعالى في كل العبادات ، والابتعاد والحذر عن كل ما يضاد الإخلاص ، وينافيه من الرياء والسمعة والعجب ونحو ذلك ، ومع أن هذا يعتبر من الأمور البدهية عند عامة المسلمين ، لكن كم نحتاج إلى مزيد من التفقه في هذا المقام ومعرفة ما يضاده ، وكم نفتقر إلى التذكير به وتعليمه ، ورحم الله من قال : ((وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلا ، فإنه ما أتي على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك))[١] .

وصدق – رحمه الله – فما أعظم الموارد التي تدخل على القلب تعكر صفاء الإخلاص بل وتذهبه ، فهي لا تحصى كثرة وقل من يفقهها .

((والواجب على العبد أن يخلص عبادة قلبه وجوارحه لله تعالى، وأن يحقق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الإلهية ، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا إجلال ولا إكرام ولا رغبة ولا رهبة بل لابد من أن يكون الدين كله لله كما قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[٢] فإذا بعض الدين لله وبعضه لغير الله كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك)) ، ((والإسلام هو أن يستسلم لله لا لغيره ، فيعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، ويتوكل عليه وحده ، ويرجوه ويخافه وحده ويحب الله المحبة التامة ، لا يحب مخلوقاً كحبه لله ، ويبغض لله ويوالي لله ، ويعادي لله ، فمن استكبر عن

---

(١) رسالة في الإخلاص وأهميته للعبد اللطيف (٥)

(٢) سورة الأنفال (٣٩) .

عبادة الله لم يكن مسلماً ومن عبد مع الله غيره لم يكن مسلماً وإنما تكون عبادته بطاعته وطاعة رسله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله))[١] .

*** مظاهر الإخلاص وفوائده :**

١ - فمن مظاهر الإخلاص ((أن الناس وإن كانوا يقولون بألسنتهم : ((لا إله إلا الله)) فقول العبد لها مخلصاً من قلبه له حقيقة أخرى ، وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله ، وكلما حقق العبد الإخلاص في قوله لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه وتصرف عنه المعاصي ، والذنوب كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[٢] فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه كان من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال فيهم : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾[٣] وقال الشيطان : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[٤] .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه حرمه الله على النار))[٥] فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار ، فمن دخل النار ، من القائلين : لا إله إلا الله ؛ لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار ، بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار ،

---

(١) النبوات لابن تيمية (٩٤) .

(٢) سورة يوسف (٢٤) .

(٣) سورة الحجر (٤٢) .

(٤) سورة ص (٨٢) .

(٥) تقدم تخريجه (١١٧) .

والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، ولهذا كان العبد مأموراً في كل صلاة أن يقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[(١)] .))[(٢)] .

((والله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو ، فتخلوا القلوب عن محبة ما سواه بمحبته ، وعن رجاء ما سواه برجائه ، وعن سؤال ما سواه بسؤاله وعن العمل لما سواه بالعمل له ، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به))[(٣)] .

((فهو الذي يتوكل عليه ، ويستعان به ، ويستغاث به ، ويخاف ويرجى ويعبد ، وتنيب القلوب إليه ، لا حول ولا قوة إلا به ولا ملجأ منه إلا إليه ، والقرآن كله يحقق هذا الأصل))[(٤)] .

((فالعبادة والاستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار كل هذا لله وحده لا شريك له ، فالعبادة متعلقة بألوهيته والاستعانة متعلقة بربوبيته والله رب العالمين لا إله إلا هو ولا رب لنا غيره لا ملك ولا نبي ولا غيره ، بل أكبر الكبائر الإشراك بالله وأن تجعل له نداً وهو خلقك. والشرك أن تجعل لغيره شركاً أي نصيباً في عبادتك وتوكلك واستعانتك))[(٥)] .

٢- **ومن مظاهر الإخلاص لله في القلب** ، الإخلاص في معاملة الخلق ومراقبة الله تعالى في ذلك ، يقول ابن تيمية : ((والسعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله فترجوه فيهم ولا ترجوهم في الله ، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله ، وتحسن

---

(١) سورة الفاتحة (٥) .

(٢) الفتاوى (١/ ٢٦٠) .

(٣) الفتاوى (١١/ ٥٢٤) .

(٤) الاقتضاء (٢/ ٦٢٨) .

(٥) الفتاوى (١/ ٧٤) .

إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم ، وتكف عن ظلمهم خوفاً من الله لا منهم . كما جاء في الأثر : ((أرج الله في الناس ولا ترج الناس في الله وخف الله في الناس ولا تخف الناس في الله)) [١] أي : لا تفعل شيئاً من أنواع العبادات والقرب لأجلهم ، لا رجاء مدحهم ولا خوفاً من ذمهم بل أرج الله ولا تخفهم في الله فيما تأتي وما تذر بل افعل ما أمرت به وإن كرهوه . فإنك إذا أرضيت الله : نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم فإرضاؤهم بسخطه إنما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين . ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً .

والتوحيد ضد الشرك ، فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله فعبده لا يشرك به شيئاً كان موحداً . ومن توحيد الله وعبادته : التوكل عليه والرجاء والخوف منه فهذا يخلص به العبد من الشرك .

وإعطاء الناس حقوقهم وترك العدوان عليهم : يخلص به العبد من ظلمهم ومن الشرك بهم ، وبطاعة ربه واجتناب معصيته : يخلص العبد من ظلم نفسه .

والله يحب أن يعبدوه فمن عبد الله لا يشرك به شيئاً : أحبه الله وأثابه فيحصل للعبد ما يحبه من النعم تبعاً لمحبوب الرب .

والرب يحب أن يحب ومن لوازم ذلك : أن يحب من لا تحصل العبادة إلا به، والعبد يحب ما يحتاج إليه وينتفع به ومن لوازم ذلك محبته لعبادة الله فمن عبد الله وأحسن إلى الناس فهذا قائم بحقوق الله وحق عباد الله في إخلاص الدين له .

---

(١) لم أجده بعد البحث .

ومن طلب من العباد العوض ثناء أو دعاء أو غير ذلك لم يكن محسناً إليهم لله .

ومن خاف الله فيهم ولم يخفهم في الله كان محسناً إلى الخلق وإلى نفسه؛ فإن خوف الله يحمله على أن يعطيهم حقهم ويكف عن ظلمهم، ومن خافهم ولم يخف الله فهذا ظالم لنفسه، ولهم حيث خاف غير الله ورجاه لأنه إذا خافهم دون الله احتاج أن يدفع شرهم عنه بكل وجه ، إما بمداهنتهم ومراءاتهم ، وإما بمقابلتهم بشيء أعظم من شرهم أو مثله، وإذا رجاهم لم يقم فيهم بحق الله ، وهو إذا لم يخف الله فهو مختار للعدوان عليهم ، فإن طبع النفس الظلم لمن لا يظلمها فكيف بمن يظلمها ؟ فتجد هذا الضرب كثير الخوف من الخلق كثير الظلم إذا قدر ، ومهين ذليل إذا قهر ، فهو يخاف الناس بحسب ما عنده من ذلك ، وهذا مما يوقع الفتن بين الناس .

وكذلك إذا رجاهم فهم لا يعطونه ما يرجوه منهم ، فلابد أن يبغضهم فيظلمهم إذا لم يكن خائفاً من الله عز وجل ؛ وهذا موجود كثير في الناس ، تجدهم يخاف بعضهم بعضاً ويرجوا بعضهم بعضاً ، وكل من هؤلاء يتظلم من الآخر ويطلب ظلمه ، فهم ظالمون بعضهم لبعض ، ظالمون في حق الله حيث خافوا غيره ورجوا غيره ، ظالمون لأنفسهم ، فإن هذا من الذنوب التي تعذب النفس بها وعليها ، وهو يجر إلى فعل المعاصي المختصة ، كالشرك والزنا ، فإن الإنسان إذا لم يخف من الله اتبع هواه ، ولاسيما إذا كان طالباً ما لم يحصل له ؛ فإن نفسه تبقى طالبة لما تستريح به وتدفع به الغم والحزن عنها ، وليس عندها من ذكر الله وعبادته ما تستريح إليه وبه ؛ فيستريح إلى المحرمات من فعل الفواحش وشرب المحرمات وقول الزور ، وذكر مجريات النفس والهزل واللعب ومخالطة قرناء السوء وغير ذلك ولا يستغني القلب إلا بعبادة الله تعالى؛ فإن الإنسان خلق محتاجاً إلى جلب ما ينفعه ، ودفع ما يضره ، ونفسه مريدة دائماً ،

ولا بدلها من مراد يكون غاية مطلوبها لتسكن إليه وتطمئن به ، وليس ذلك إلا لله وحده ؛ فلا تطمئن القلوب إلا به ، ولا تسكن النفوس إلا إليه ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[(1)] فكل مألوه سواه يحصل به الفساد ، ولا يحصل صلاح القلوب إلا بعبادة الله وحده لا شريك له .

فإذا لم تكن القلوب مخلصة له الدين : عبدت غيره ؛ من الآلهة التي يعبدها أكثر الناس مما رضوه لأنفسهم ؛ فأشركت بالله بعبادة غيره واستعانته ؛ فتعبد غيره وتستعين به لجهلها بسعادتها التي تنالها بعبادة خالقها والاستعانة به ؛ فبالعبادة له تستغني عن معبود آخر غيره ، وبالاستعانة به تستغني عن الاستعانة بالخلق وإذا لم يكن العبد كذلك : كان مذنباً محتاجاً ، وإنما غناه في طاعة ربه ، وهذا حال الإنسان ؛ فإنه فقير محتاج وهو مع ذلك مذنب خطاء فلا بد له من ربه : ((فإنه الذي يسد مغافره ولابد له من الاستغفار من ذنوبه ، قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[(2)] فبالتوحيد يقوى العبد ويستغني، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، وبالاستغفار يغفر له ويدفع عنه عذابه ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[(3)] فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد ، فإنه لابد له منه ، وإذا لم يحصل له لم يزل فقيراً محتاجاً معذباً في طلب ما لم يحصل له

(1) سورة الأنبياء (٢٢) .
(2) سورة محمد (١٩) .
(3) سورة الأنفال (٣٣) .

، والله تعالى : ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[1] وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار : حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه ، ولا حول ولا قول إلا بالله))[2].

٣- **ومن مظاهر الإخلاص** التخلص من حظوظ النفس ومتعلقاتها والتوجه إلى الله في جميع إراداته إذ القلب إذا لم يخلص لله فإنه يكون في طلب وإرادة وحب مطلق ؛ فيهوى كل ما يسنح له ، ويتشبث بما يهواه كالغصن أيٌّ نسيم مر به عطفه وأماله ، فتارة تجذبه الصور المحرمة وغير المحرمة ، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً . وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة . ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق ، وتارة يستعبده الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب ، والقلوب تهواها ، فيتخذ إلهه هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله))[3] .

((والله سبحانه وتعالى أمر ألا يعبد إلا إياه ، وأن لا يكون الدين إلا له ، وأن تكون الموالاة فيه ، والمعاداة فيه ، وأن لا يتوكل إلا عليه ، ولا يستعان إلا به .

فالمؤمن المتبع للرسل يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل ليكون الدين كله لله لا له ، وإذا أمر أحد غيره بمثل ذلك أحبه وأعانه وسرَّ بوجود مطلوبه .

وإذا أحسن إلى الناس فإنما يحسن إليهم ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ويعلم أن الله قد منَّ عليه بأن جعله محسناً ولم يجعله مسيئاً ، فيرى أن عمله لله وأنه بالله .

---

(١) سورة النساء (٤٨، ١١٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٥١-٥٦) مختصراً .

(٣) العبودية (١٠٢-١٠٣) .

فالمؤمن يرى أن عمله لله لأنه إياه يعبد ، وأنه بالله لأنه إياه يستعين، فلا يطلب ممن أحسن إليه جزاءً ولا شكوراً؛ لأنه إنما عمل لله كما قال الأبرار : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[١] ولا يمنّ عليه بذلك ولا يؤذيه؛ لأنه قد علم أن الله هو المان عليه إذ استعمله في الإحسان ، وأن المنة لله عليه وعلى ذلك الشخص ، فعليه هو أن يشكر الله ، إذ يسره لليسرى ، وعلى ذلك أن يشكر الله إذ يسر له من يقدم له ما ينفعه من رزق أو علم أو نصر أو غير ذلك ، ومن الناس من يحسن إلى غيره ليمن عليه أو يرد الإحسان له بطاعته إليه وتعظيمه ، أو نفع آخر ، وقد يمن عليه فيقول : أنا فعلت بك كذا ، فهذا لم يعبد الله ولم يستعنه ، ولا عمل لله ولا عمل بالله ، فهو المرائي))[٢] .

٤- **ومن مظاهر الإخلاص** تحقيق التوكل على الله والفوز بالمعية الربانية الإيمانية المتضمنة للنصر والتأييد في الدنيا والآخرة كما قال الله جل وعلا : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾[٣] قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فيه شانه الله))[٤] .

(١) سورة الإنسان (٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٢٨-٣٣٠) .

(٣) سورة غافر (٥١) .

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى : كتاب الشهادات ، باب لا يحيل حكم القاضي على المقضي عليه (١٠/ ١٥٠) .

يقول ابن القيم – رحمه الله – على كلام عمر : ((هذا شقيق كلام النبوة، وهو جدير بأن يخرج من مشكاة المحدث الملهم ، وهاتان الكلمتان من كنوز العلم ومن أحسن الإنفاق منهما نفع غيره وانتفع غاية الانتفاع .

فأما الكلمة الأولى فهي منبع الخير وأصله .

والثانية أصل الشر وفصله .

فإن العبد إذا خلصت نيته لله تعالى وكان قصده وهمه عمله لوجهه سبحانه كان الله معه ، فإنه سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، ورأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق ، والله سبحانه لا غالب له فمن كان معه فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء ؟ فإن كان الله مع العبد فمن يخاف ؟ وإن لم يكن معه فمن يرجو ؟ وبمن يثق ؟ ومن ينصره من بعده ؟

فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولاً، وكان قيامه بالله ولله لم يقم له شيء، ولو كادته السموات والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتها وجعل له فرجاً ومخرجاً .

وإنما يؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة أو في اثنين منها أو في واحد .

فمن كان قيامه في باطل لم ينصر ، وإن نصر [نصر] نصراً عارضاً فلا عاقبة له وهو مذموم مخذول .

وإن قام في حق لكن لم يقم فيه لله وإنما قام لطلب المحمدة والشكور والجزاء من الخلق أو التوصل إلى غرض دنيوي كان هو المقصود أولاً والقيام في الحق وسيلة إليه ، فهذا لم تضمن له النصرة ، فإن الله إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، لا لمن كان قيامه لنفسه وهواه، فإنه ليس من المتقين، ولا من المحسنين، وإن نصر فبحسب ما معه من الحق فإن الله لا ينصر إلا الحق ، وإن كانت الدولة لأهل الباطل فبحسب ما

معهم من الصبر ، والصبر منصور أبداً ، فإن كان صاحبه محقاً كان منصوراً له العاقبة ، وإن كان مبطلاً لم يكن له عاقبة .

وإذا قام العبد في الحق لله ولكن قام بنفسه وقوته ولم يقم بالله مستعيناً به متوكلاً عليه مفوضاً إليه بريأ من الحول والقوة إلا به فله من الخذلان وضعف النصرة بحسب ما قام به من ذلك . ونكتة المسألة أن تجريد التوحيد في أمر الله لا يقوم له شيء البتة وصاحبه منصور ولو توالت عليه زمر الأعداء . وفي الحديث: ((من أسخط الناس برضى الله عز وجل كفاه الله الناس ومن أرضى الناس بسخط الله وكله إلى الناس)) [1])) [2] .أهـ .

وقال شيخ الإسلام : ((وإذا أخلص العبد اجتباه ربه فأحيا قلبه وجذبه إليه ، بخلاف القلب الذي لم يخلص ، فإن فيه طلباً وإرادة : تارة إلى الرئاسة فترضيه الكلمة ولو كانت باطلاً ، وتغيظه ولو كانت حقاً ، وتارة إلى الدرهم والدينار وأمثال ذلك فيتخذ إلهه هواه .

ومن لم يكن مخلصاً لله بحيث يكون أحب إليه مما سواه وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين ، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه ، فالقلب إن لم يكن حنيفاً وإلا كان مشركاً ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [3])) [4] أ.هـ.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في جامعه كتاب الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان رقم (٢٤١٤) والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي .

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٨٦) .

(٣) سورة الروم (٣٠) .

(٤) انظر الإحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك (١٨١-١٨٤) وأعلام الموقعين (٣/ ١٨٠-١٨٢) .

* **فوائد الإخلاص :**

١- ولما كانت ((أعمال القلوب هي الأصل ، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وأن النية بمنزلة الروح ، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات)) (١) كان الإخلاص جوهرها وروحها وأساسها . فصلاحها متوقف عليه ، وميزان العبد مرسوم إليه ، فما تمكن من طاعة إلا وعظم أجرها ، وإن كانت في ظاهرها يسيرة ؛ يقول شيخ الإسلام : ((والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله ، فيغفر الله به كبائر كما في حديث البطاقة(٢) ، فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص ، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون : لا إله إلا الله ، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة . وكذلك البغي التي سقت الكلب فغفر الله لها)) (٣). فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها ، وإلا فليس كل بغي سقت كلباً يغفر لها .

وكذلك الذي نحى غصن الشوك عن الطريق ، فعله إذ ذاك بإيمان خالص، وإخلاص قائم بقلبه ، فغفر له بذلك(٤) .

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤) .

(٢) تقدم تخريجه (١٠٩) .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم رقم (٣٣٢١) ومسلم في صحيحه : باب السلام رقم (٥٩٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الآذان باب فضل التهجير إلى الظهر رقم (٦٥٢) من حديث أبي هريرة .

فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً ، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض . وليس كل من نحّى غصن شوك عن الطريق يغفر له))[١] .

ومن هنا فأسعد الناس أطوعهم لله وأعبدهم ، وبقدر إخلاص العبد تكون سعادته وأمنه وفلاحه وفوزه وقوته ونصره فأهل التوحيد هم الآمنون في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٢] .

((والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقاراً إليه وخضوعاً كان أقرب إليه وأعزل له وأعظم لقدره ، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله)) .

٢- **ومن فوائده** أن العبد متى ما حقق توحيده وإخلاصه لله وحده دون ما سواه ذاق قلبه طعم الإيمان ووجد حلاوته فلم يسخط صاحبه أبداً كما قال ﷺ : ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً))[٣] وكما في حديث هرقل مع أبي سفيان : ((كذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لم يسخط صاحبه أبداً))[٤] .

فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له ؛ لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أطيب .

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢١٨-٢٢٢) باختصار .

(٢) سورة الأنعام (٨٢) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الوحي رقم (٧) ومسلم كتاب الجهاد والسير باب كتاب رسول الله إلى هرقل رقم (٤٧٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) تقدم تخريجه (١٠) .

والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه ، أو خوفاً من مكروه .

فالحب الفاسد إنما ينصرف عنه بالحب الصالح ، أو بالخوف من الضرر قال الله في حق يوسف : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[١] .

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور والتعلق بها ، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله .

ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله والإخلاص له ؛ تغلبه نفسه على إتباع هواها ، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه ؛ انقهر له هواه بلا علاج))[٢] .

((ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ؛ ولا يستعين إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ، ولا يوالي إلا من والاه الله ، ولا يعادي إلا من عاداه الله ، ولا يحب إلا لله، ولا يبغض شيئاً إلا لله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله .

فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات ، وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الكبر والشرك))[٣] .

---

(١) سورة يوسف (٢٤) .

(٢) العبودية (١٢٠) .

(٣) المصدر السابق (١٤٠-١٤١) .

إن أهل الإيمان يجدون من حلاوة الإيمان بحسب ما قام بهم من الإيمان ومتعلقاته ((ومن ذلك ما يجدونه من ثمرة التوحيد والإخلاص والتوكل والدعاء لله وحده ، فإن الناس في هذا الباب على ثلاث درجات :

- منهم من علم ذلك سماعاً واستدلالاً .
- ومنهم من شاهد وعاين ما يحصل لهم .
- ومنهم من وجد حقيقة الإخلاص والتوكل على الله والالتجاء إليه والاستعانة به ؛ وقطع التعلق بما سواه ، وجرب من نفسه إنه إذا تعلق بالمخلوقين ورجاهم وطمع فيهم أن يجلبوا له منفعة أو يدفعوا عنه مضرة ، فإنه يخذل من جهتهم ولا يحصل مقصوده بل قد يبذل لهم من الخدمة والأموال وغير ذلك ما يرجو أن ينفعوه وقت حاجته إليهم فلا ينفعونه : إما لعجزهم ، وإما لانصراف قلوبهم عنه ، وإذا توجه إلى الله بصدق الافتقار إليه ، واستغاث به مخلصاً له الدين أجاب دعاءه ، وأزال ضرره ، وفتح له أبواب الرحمة فمثل هذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذق غيره ، وكذلك من ذاق طعم إخلاص الدين لله وإرادة وجهه دون ما سواه ، يجد من الأحوال والنتائج والفوائد مالا يجده من لم يكن كذلك ، بل من اتبع هواه في مثل طلب الرئاسة والعلو ، وتعلقه بالصور الجميلة أو جمعه للمال ، يجد في أثناء ذلك من الهموم و الغموم والأحزان والآلام وضيق الصدر مالا يعبر عنه ، وربما لا يطاوعه قلبه على ترك الهوى ، ولا يحصل له ما يسره . بل هو في خوف وحزن دائماً إن كان طالباً لما يهواه فهو قبل إدراكه حزين متألم حيث لم يحصل ، فإذا أدركه كان خائفاً من زواله وفراقه .

وأولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون فإذا ذاق هذا أو غيره حلاوة الإخلاص لله والعبادة له وحلاوة ذكره ومناجاته وفهم كتابه وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحاً ويكون لوجه الله خالصاً ، فإنه يجد من

السرور واللذة والفرح ما هو أعظم مما يجده الداعي المتوكل الذي نال بدعائه وتوكله ما ينفعه من الدنيا أو اندفع عنه ما يضره ، فإن حلاوة ذلك بحسب ما يحصل له من المنفعة أو اندفع عنه من المضرة ، ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله ، ولا أضر عليه من الإشراك .

فإذا وجد حقيقة الإخلاص التي هي حقيقة إياك نعبد مع حقيقة التوكل التي هي حقيقة إياك نستعين كان هذا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هذا))(١) .

٣- **ومن فوائد الإخلاص وآثاره** ذهاب الغل من قلب العبد قال ﷺ - فيما رواه الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه : ((ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم))(٢) .

قال ابن القيم : ((أي لا يبقى فيه غل ، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة بل تنفي غله وتنقيه منه ، وتخرجه عنه ، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك على الغش ، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة .

فهذه الثلاثة تملأه غلاً ودغلاً، ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه بتجريد الإخلاص والنصح ومتابعة الرسول [ﷺ]))(٣) .

وقال في موضع آخر : ((أي لا يحمل الغل ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة فإنها تنفي الغل والغش وفساد القلب وسخائمه ، فالمخلص لله إخلاصه يمنع

---

(١) الفتاوى (١٠/ ٦٥٠-٦٥٢) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٨٠) والترمذي في جامعه كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع رقم (٢٦٥٨) وابن ماجة في سننه كتاب المناسك رقم (٣١٧٢) وقال الترمذي حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح السنن وفي السلسلة الصحيحة (١/ ٧٧) رقم (٣) .

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٠) .

غل قلبه ، ويخرجه ويزيله جملة ؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه ، فلم يبق فيه موضع للغل والغش ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[١] فلما أخلص لنفسه صرف عنه دواعي السوء والفحشاء ، ولهذا لما علم إبليس أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص استثناهم من شروطه التي اشترطها للغواية والإهلاك فقال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[٣] .

فالإخلاص هو سبيل الخلاص ، والإسلام مركب السلامة والإيمان خاتم الأمان))[٤] .

هذه بعض من مظاهر الإخلاص وفوائده وإن كانت بعض مظاهر الإخلاص تدخل في الفوائد والعكس أيضاً ، ولم نرد في هذا المبحث سوى الإشارة لا الاستقصاء إذ ذلك له موضع ليس هذا مقامه.

---

(١) سورة يوسف (٢٤) .

(٢) سورة ص (٨٢-٨٣) .

(٣) سورة الحجر (٤٢) .

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٧) .



المبحث الرابع :

الشرك

حقيقته

وحكمه

المبحث الرابع : الشرك حقيقته وحكمه :

الشرك لغة : قال ابن فارس في معجمه في كلامه على مادة الشرك : ((الشين والراء والكاف أصلان : أحدهما : يدل على مقارنة وخلاف انفراد .

والآخر : يدل على امتداد واستقامة .

فالأول الشركة وهو : أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ، ويقال شاركت فلاناً في الشيء ، إذا صرت شريكه وأشركت فلاناً إذا جعلته شريكاً لك ...

وأما الأصل الآخر فالشَّرَك : لَقَم الطريق وهو شراكة أيضاً ومنه شرك الصائد سمي بذلك لامتداده))(١) .

- وعلى الأصل الأول يدخل من المعاني المخالطة والمشاركة .

يقول الراغب : ((الشركة والمشاركة خلط الملكين ، وقيل أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشيء ، أو معنىً كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية ومشاركة فرس وفرس في الكمتة والدهمة))(٢) أ.هـ

- ويدخل فيه أيضاً النصيب والحظ .

قال الأزهري : ((يقال شريك وإشراك والإشراك جمع لشرك وهو النصيب))(٣) .

ومنه حديث: ((من اعتق شركاً له في عبد))(٤) أي: حصته ونصيبه، ومن خلال ما مضى عند التأمل يعلم أن مادة الشرك مرجعها إلى الخلط والضم)) .

---

(١) (١/٦٤٩-٦٥٠) .

(٢) المفردات (٢٦٢) .

(٣) تهذيب اللغة (١٠/١٧) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الشركة ، باب الشركة في الرقيق (٢٥٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

ولا يقتضي هذا تساوي أنصابهم منه كما أنه لا يمنع زيادة قسط على آخر – فموسى عليه السلام يسأل ربه إشراك أخيه له في الرسالة وقد أجيب سؤاله لقوله تعالى : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾(١) وضروري أن حظ هارون من الرسالة دون حظ موسى ، ولهذا تقول فلان شريك لغيره في دار أو أرض أو بضاعة ولو لم يكن له منها إلا معشار العشر ، بل الأجير على جزء من الربح كالخماس وعامل القراض شريك لرب المال من غير أن يكون له حظ من الأصل . هذا في الحسبات .

ومثله في المعنويات تقول : الأبوان شريكان في طاعة ابنهما لهما وإن كان حق الأم في الطاعة أقوى . ونقول : أبنائي شركاء في محبتي وأنت تحب بعضهم أشد من بعض(٢) .

معنى الشرك في الشرع :

((حقيقة الشرك هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله))(٣).

((فهو تشبيه للمخلوق بالخالق – تعالى وتقدس – في خصائص الإلهية ، من ملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده))(٤) .

((إن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله ويساوي بينهما بلا فرق ، بل إن حقيقة الشرك : أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله – تعالى – بذاته العلية وجعلها شعاراً للعبودية – لأحد من الناس ؛ كالسجود

---

(١) سورة طه (٣٦) .

(٢) رسالة الشرك ومظاهره للميلي (٧٢-٧٣) .

(٣) التبيان شرح نواقض الإسلام (٧) .

(٤) تيسير العزيز الحميد (٨٣) .

لأحد، والذبح باسمه والنذر له ، والاستعانة به في الشدة والاعتقاد أنه نـاظر في كل مكان وإثبات التصرف له ، كل ذلك يثبت به الـشرك ويـصبح بـه الإنـسان مشركاً)) (١) .

قال الشوكاني – رحمه الله – : ((إن الشرك هو دعاء غير الله في الأشـياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغير الله فيما لا يقدر عليه سـواه أو التقـرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه)) (٢) .

فحقيقة الشرك اتخاذ الند مع الله سواء كان هذا الند في الربوبية أو الألوهية كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾(٣) .

قال ابن عباس : ((الأنـداد : الأشباه ، وقـال ابـن مـسعود : الأنـداد : الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله، وفي الصحيحين عـن ابـن مـسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك)) (٤) الحديث .

وقال عكرمة عند قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي : تقولوا : لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار ، لولا كلبنا صاح في الدار ، ونحو ذلك فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له نداً وعدلاً في الطاعة ، فقال : كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم ،

(١)تقوية الإيمان للدهلوي (٢٢) و انظر الشرك في القديم والحديث (١/ ٢٠) .

(٢) الدر النضيد (٧٠) .

(٣) سورة البقرة (٢٢) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنـداداً وأنتم تعلمون ﴾ (٤٤٧٧) ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمـان ، بـاب كـون الـشرك أقبح الذنوب (٢/ ٢٦٦) رقم (٢٥٣) .

وملكي إياكم ونعمتي عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي فإنكم تعلمون : أن كل نعمة عليكم مني)) (١) .

وقال عبد الرحمن بن زيد : الأنداد : الآلهة التي جعلوها معه ، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له . فمعنى الأنداد على هذا المعنى هي الآلهة. وقال مجاهد الأنداد: العدلاء .

والعدلاء بمعنى الشركاء لله في عبادته قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(٢) أي : يشركون ويقال : من مساواة الشيء بالشيء : عدلت هذا بهذا إذا ساويته به عدلاً .

وقال الطبري : الأنداد جمع ند، والند العدل والمثل ، يجعلون شريكاً في عبادتهم إياه ، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان وليس منها شيء شاركه في خلق شيء من ذلك ، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم عليهم بل هو المتفرد بذلك كله وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره(٣) .

والمقصود أن اتخاذ الشبيه والكفؤ لله يسمى شركاً بالله، ولهذا أخبر سبحانه وتعالى أنه لم يكن له كفؤ ولا شبيه ولا نظير لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير كما في قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(٤) ولما كان فيه التنقيص لله – جل وعلا – ومساواته بخلقه مما ينافي عظمته ؛ جعله الرسول ﷺ

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ١٢٧) .

(٢) سورة الأنعام (١) .

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٩٢-٩٣) .

(٤) سورة الصمد (٤) .

أعظم الذنب كما سبق من حديث ابن مسعود وجعله أكبر الكبائر[1] فلا يغفره الله كما تضافرت بذلك نصوص الكتاب والسنة .

يقول ابن القيم : ((حقيقة الشرك : هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به ، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية .

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعليق الدعاء والرجاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده ، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل مالا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً – فضلاً عن غيره – شبيهاً لمن له الأمر كله ، فأزمة الأمور كلها بيديه ، ومرجعها إليه فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد ، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد .

فما أقبح التشبيه= تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلهية : الكمال المطلق من جميع الوجوه ، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب ، كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون له وحده، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره ، فمن جعل شيئاً لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله ، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة .

---

(١) انظر مثلاً صحيح البخاري : كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور رقم (٢٦٥٣، ٢٦٥٤) من حديث أنس وأبي بكرة رضي الله عنهما .

ومن خصائص الإلهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب مع غاية الذل ، هذا تمام العبودية ، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين .

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغيره فقد شبهه به في خالص حقه، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل .

ومن خصائص الإلهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به .

ومنها : التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به .

ومنها : التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به .

ومنها : الحلف باسمه تعظيماً وإجلالاً له ، فمن حلف باسمه فقد شبهه به ، هذا في جانب التشبيه .

وأما في جانب التشبيه به : فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفاً ورجاء والتجاء واستعانة ، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته وهو حقيق بأن يهينه غاية الهوان ويذله غاية الذل ويجعله تحت أقدام خلقه .

وفي الصحيح عنه ﷺ قال : ((يقول الله عز وجل : العظمة إزاري والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحداً منهما عذبته)) [1] .

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة ، فما الظن بالتشبيه بالله في الربوبية والإلهية؛ كما قال النبي ﷺ : ((أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم : أحيوا ما خلقتم)) [2] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه : كتاب التوحيد ، باب عذاب المتكبر رقم (٦٨٤٦) .

(٢) البخاري في صحيحه : كتاب اللباس ، باب عذاب المصورين يوم القيامة رقم (٥٩٥٠) و(٥٩٥١) .



وفي الصحيح عنه ﷺ يقول تعالى : ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة)) [١] .

فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر .

والمقصود أن هذا حال من تشبه به في صنعة صورة ، فكيف حال من تشبه به في بعض خواص ربوبيته وإلهيته ؟ وكذلك من تشبه في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده ، كملك الأملاك وحاكم الحكام ونحوه .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((إن أخنع الأسماء عند الله رجل يسمى بشاهان شاه أي ملك الأملاك لا ملك إلا الله)) [٢] .

وفي لفظ : ((أغيظ رجل على الله ؛ رجل يسمى بملك الأملاك)) فهذا مقت الله وغضبه على من تشبه في الاسم الذي لا ينبغي إلا له فهو سبحانه ملك الملوك وهو حاكم الحكام وحده ، فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم لا غيره)) [٣] أ.هـ

((وبالجملة : فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ، ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطئ ، لكونه شبهه به ، وأخذ مالا ينبغي أن يكون إلا له ، فأشرك معه سبحانه فيه غيره ،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب اللباس ، باب نقض الصور (٥٩٥٣) من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الأدب باب أبغض الأسماء إلى الله رقم (٦٢٠٦) ومسلم في كتاب الأدب ، باب أخنع الأسماء اسم عند الله من تسمى بملك الأملاك رقم (٥٧٣٤) .

(٣) الجواب الكافي (٢٠٨-٢١١) .

فبخسه سبحانه حقه ، فهذا قبيح عقلاً وشرعاً . ولذلك لم يشرع ولم يغفر لفاعله)) [١] .

أنواع الشرك :

ينقسم الشرك إلى قسمين :

- **شرك أكبر مخرج من الملة .**
- **شرك أصغر غير مخرج من الملة .**

أولاً : الشرك الأكبر :

وحقيقته أن يتخذ شريكاً أو نداً مع الله تعالى في ذاته أو في أسمائه وصفاته أو أن يعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده[٢] .

وبعبارة أخرى : ((أن يجعل الإنسان لله نداً :

- إما في أسمائه وصفاته ، فيسميه بأسماء الله ويصفه بصفاته .

- وإما أن يجعل له نداً في العبادة بأن يضرع إلى غيره تعالى من الشمس أو قمر أو نبي أو ملك أو ولي مثلاً بقربة من القرب ...

- وإما أن يجعل لله نداً في التشريع ، بأن يتخذ مشرعاً له سوى الله أو شريكاً لله في التشريع يرتضي حكمه ويدين به في التحليل والتحريم ؛ عبادة وتقرباً وقضاءً وفصلاً في الخصومات أو يستحله وإن لم يره ديناً ...

فهذه الأنواع الثلاثة هي الشرك الأكبر الذي يرتد به فاعله أو معتقده عن ملة الإسلام ...)) [٣] .

---

(١) تجريد التوحيد للمقريزي (٧٦) .

(٢) الاستقامة (١/ ٣٤٤) .

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٦-٧٤٧) .

حكمه :

من المعلوم أن هذا الشرك أعظم ما نهى الله عنه قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾(١) فقرن النهي عنه بأعظم أمر أمر به وهو عبادته التي من أجلها خلق الخلق كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾(٢) .

- وهو أول المحرمات كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾(٣) .

فهذا الشرك الأكبر مخرج عن الملة وصاحبه حلال الدم والمال وفي الآخرة خالد مخلد في النار قال تعالى : ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ ﴾(٤) .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٥) .

وقال : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾(٦) .

---

(١) سورة النساء (٣٦) .
(٢) سورة الذاريات (٥٦) .
(٣) سورة الأنعام (١٥١) .
(٤) سورة التوبة (٥) .
(٥) سورة النساء (٤٨، ١١٦) .
(٦) سورة المائدة (٧٢) .

وهو محبط لجميع الأعمال : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾(٢) .

وصاحبه لا يرث ولا يورث ، بل ماله لبيت المال ، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين؛ وذلك أن المشرك ارتكب أعظم جريمة وأفظع ظلم قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(٣) . وقال أيضاً : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلاً بَعِيدًا ﴾(٤) .

وقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ((من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار))(٥) .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار))(٦) .

---

(١) سورة الأنعام (٨٨) .

(٢) سورة الزمر (٦٥) .

(٣) سورة النساء (٤٨) .

(٤) سورة النساء (١١٦) .

(٥) البخاري رقم (٤٤٩٧) في صحيحه : كتاب التفسير باب قوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ .

(٦) صحيح مسلم : كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله (١/ ٩٤) .

- وفي حديث أبي هريرة قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال : ((استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي)) (١) .

وعن ابن عمر قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم وكان .... فأين هو ؟ قال : ((في النار)) قال : فكأنه وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله فأين أبوك ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((حيث مررت بقبر مشرك فبشره بالنار)) قال فأسلم الأعرابي بعد - وقال : لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار)) (٢) .

- وفي حديث سلمة بن يزيد الجعفي - رضي الله عنه - قال : انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ قال : قلنا : يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل و تفعل ، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال : ((لا)) (٣) .

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ((الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئاً ، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله ، فأما الديوان الذي لا يغفره ، فالشرك بالله ، قال الله عز وجل : ﴿ من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ... ﴾(٤) ... الحديث.

---

(١) ابن ماجه في سننه : كتاب الجنائز ، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين رقم (١٥٧٢) وصححه الألباني في صحيح السنن .

(٢) المصدر السابق : الكتاب والباب نفسه (١٥٣٧) وصححه الألباني في صحيح السنن.

(٣) رواه أحمد في المسند بسند صحيح (٣/ ٤٧٨) ق (٢٥/ ٢٦٨) رقم (١٥٩٢٣) ورجاله ثقات كما قال الشيخ شعيب في تحقيقه للمسند .

(٤) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٤٠) ق (٤٣/ ١٥٥) رقم (٢٦٠٣١) والحاكم في المستدرك كتاب الأهوال (٤/ ٥٧٥) رقم (٨٧١٧) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

- وعنها أيضاً رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : ((يا عائشة ، إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين))[١] .

*** أقوال أئمة السلف في ذلك :**

- قال الإمام أحمد : ((ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم أو يرد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحداً بها ...))[٢] .

- وقال الإمام البخاري في صحيحه : ((باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا الشرك))[٣] .

- وقال ابن جرير – رحمه الله – عند قوله تعالى : ﴿ ولقد أوحي إليك والذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾[٤] : ((ويعني الكلام : ولقد أوحي إليك ((لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)) وإلى الذين من قبلك بمعنى وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك مثل الذي أوحي إليك منه ، فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك ، ومعنى قوله : ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئاً))[٥] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (٥٤٠) وأحمد في المسند (٦/ ٩٣، ١٢٠) .
(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٣) وانظر الشرك في القديم والحديث (١/ ١٦٤) .
(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب رقم (٢٢) .
(٤) سورة الزمر (٦٥) .
(٥) تفسير ابن جرير (٢٣/ ٢٤) .

- وقال القرطبي : ((إن من مات على الشرك : لا يدخل الجنة، ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد من غير انقطاع عذاب ولا تصرم آماد))[١].

- وقال النووي : ((أما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ، ولا فرق فيه بين الكتابي - اليهودي والنصراني - وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك))[٢] .

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ومن أعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان أن يدعى غير الله ، فإن ذلك من الشرك والله لا يغفر أن يشرك به ، وإن الشرك لظلم عظيم))[٣] .

- وقال ابن كثير : ((عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٤] أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به ، أي لا يغفر من لقيه وهو مشرك به ، ويغفر ما دون ذلك أي : من الذنوب لمن يشاء من عباده))[٥] .

- وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : ((إن من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس)).

---

(١) فتح المجيد (٦٨) ق (١/ ١٨١) ط. الفريان .

(٢) شرح مسلم للنووي (٢/ ٩٧) .

(٣) الرد على البكري (٩٥) .

(٤) سورة النساء (٤٨) .

(٥) تفسيره (١/ ٥٢٠) .

- وقال أحمد بن حجر آل بوطامي - رحمه الله - : ((الشرك نوعان : أكبر وأصغر ، فمن خلص منهما وجبت له الجنة ومن مات على الأكبر وجبت له النار)) (١) .

ثانياً : الشرك الأصغر :

وحقيقته هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركاً)) (٢) أو ((ما أتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر)) (٣) .

وقد تعددت نصوص السنة في تسمية ذلك شركاً أصغر منها ما رواه الإمام أحمد عن محمود بن لبيد : أن رسول الله ﷺ قال : ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)) (٤) .

وهو متعلق بالنيات والأقوال والأفعال(٥) .

---

(١) تطهير الجنان (٣٨) .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٧) .

(٣) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٥٠) .

(٤) أحمد (٥/ ٤٢٨) ق (٣٩/ ٣٩) رقم (٢٣٦٣٠) الحديث حسنه الأرناؤوط في تحقيقه للمسند .

(٥) انظر بتوسع فتح المجيد وتيسير العزيز الحميد وكتب أئمة الدعوة عموماً وشروح كتاب التوحيد خصوصاً .

وحكمه :

أنه محرم بل هو أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر لكنه ((لا يخرج من ارتكس فيه من ملة الإسلام لذا قال ابن مسعود رضي الله عنه : ((لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً))[١]))[٢].

وقد ورد التحذير منه من نصوص الوجهين :

- منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٣] والمراد به الشرك الأصغر ولا يمنع من دخول الشرك الأكبر فيه[٤].

- وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[٥] . وقد فسر إن الآية بالشرك الخفي[٦].

- وقال تعالى في الحديث القدسي : ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))[٧].

وقال ﷺ : ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) الحديث .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٥) (٨٩٠٢) قال في المجمع : (رجاله رجال الصحيح) (٤/ ١٧٧) .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٩) ، الشرك في القديم والحديث (١/ ١٧٥) .

(٣) سورة الكهف (١١٠) .

(٤) انظر فتح القدير (٣/ ٣٩٤) وتفسير السعدي (٤٨٩) .

(٥) سورة البقرة (٢٢) .

(٦) انظر كتاب التوحيد : باب لا تجعلوا لله أنداداً (٤٤١) من تيسير العزيز الحميد .

(٧) تقدم تخريجه قريباً .

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الدجال : ((فقال : ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قال : قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي)) (١) .

- وقد اتفق أهل العلم من أهل السنة على أن الشرك الأصغر غير مخرج من ملة الإسلام وأنه لا يخلد في النار غير أن هناك مسألة : هي محل خلاف - وهي هل الشرك الأصغر لا يغفر إلا بالتوبة كالأكبر أم هو مثل الكبائر قد يكفر بغير التوبة ؟(٢) .

- هناك من العلماء من قال : ((إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم الآية : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ لكن يدخل تحت الموازنة بخلاف الأكبر الذي يحبط كل الأعمال - كما سبق - فإن حصل معه حسنات راجحه على ذنوبه دخل الجنة وإلا عذب .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يميل إلى ذلك حيث يقول مثلاً : ((وأعظم الذنوب عند الله الشرك به ، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، والشرك منه جليل ودقيق ، وخفي وجلي)) (٣) .

ويقول بعبارة أصرح من هذا : ((وقد يقال : الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر على مقتضى القرآن ، وإن كان صاحب الشرك [الأصغر] يموت مسلماً لكن شركه لا يغفر له ؛ بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة)) (٤) .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٣٠) وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد باب الرياء والسمعة (٤٢٠٤) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه .

(٢) ذكر شيخ الإسلام نحواً من عشرة أمور تندفع بها العقوبة في الآخرة انظرها مبسوطة في منهاج السنة (٦/ ٢٠٥-٢٣٩) .

(٣) جامع الرسائل (٢/ ٢٥٤) .

(٤) الرد على البكري .

لكن يفهم من عبارات ابن القيم أن الشرك الأصغر تحت المشيئة حيث يقول رحمه الله : ((فأما نجاسة الشرك فهي نوعان : نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة فالمغلظة الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ، والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء)) .

وقال أيضاً : وهذا الشرك في العبادة – أي الرياء (الأصغر) – يبطل ثواب العمل ، وقد يعاقب عليه ...))[1] .

وقد ذكر العلامة السعدي كلاماً مهماً في هذه المسألة أنقل بعضه يقول رحمه الله : ((من لحظ إلى عموم الآية [يعني قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾[2]] وأنه لم يخص شركاً دون شرك ، أدخل فيها الشرك الأصغر ، وقال : إنه لا يغفر بل لابد أن يعذب صاحبه ، لأن من لم يغفر له لابد أن يعاقب ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره ، ولا بخلوده في النار ، وإنما يقولون : يعذب عذاباً بقدر شركه ، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة)) .

وأما من قال : ((إن الشرك الأصغر لا يدخل في الشرك المذكور في هذه الآية ، وإنما هو تحت المشيئة فإنهم يحتجون بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[3] فيقولون : كما أنه بإجماع الأئمة أن الشرك الأصغر لا يدخل في تلك الآية ، وكذلك لا يدخل في قوله تعالى : ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[4] لأن العمل هنا مفرد مضاف ، ويشمل

---

(١) الجواب الكافي (٢٠٢) .

(٢) سورة النساء (١١٦) .

(٣) سورة المائدة (٧٢) .

(٤) سورة الزمر (٦٥) .

الأعمال كلها ، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها إلا الشرك الأكبر ، قالوا وإذا فارق الشرك الأكبر في تلك الأحكام السابقة بأنه لا يحكم عليه بالكفر والخروج من الإسلام ولا بالخلود في النار ، فارقه في كونه مثل الذنوب التي دون الشرك وأنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ؛ ولأن مشاركته للكبائر في أحكامها الدنيوية والأخروية أكثر من مشاركته للشرك الأكبر .

ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات وبين السيئات التي هي دون الشرك الأكبر ؛ لأن الشرك الأكبر ؛ لا موازنة بينه وبين غيره فإنه لا يبقى معه عمل ينفع .

وأما السيئات التي دونه فيقع بينها الموازنة من رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة بلا عذاب ، ومن رجحت سيئاته على حسناته ، استحق دخول النار بقدر ذنوبه ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف الذين مآلهم إلى دخول الجنة ، ولكن الأولون قد يجيبون عن هذا بأنه قد يعذب صاحب الشرك الأصغر قبل الموازنة إما في البرزخ وإما قبل ذلك أو بعده في عرصات القيامة ، فيقول الآخرون : وكذلك الكبائر قد يعذب صاحبها قبل الموازنة فتسقط الموازنة بها فلا يختص بذلك الشرك الأصغر ، ومن تأمل الأدلة من الكتاب والسنة أمكنه أن يعرف الراجح من القولين))[1] .

*** الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :**

هناك فروق بين الشرك الأكبر والأصغر منها :

١) أن الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة . وأما الأصغر فقد اختلف فيه على ما مضى بيانه فقيل إنه تحت المشيئة وقيل لابد من الجزاء لكن لا يخلد إن دخل النار .

---

(١) الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة (١٨٨-١٨٩) .

٢) أن الأكبر محبط لجميع الأعمال وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

٣) أن الأكبر مخرج عن الملة الإسلامية ، وأما الأصغر فلا يخرج منها ولذا فمن أحكامه : أن يعامل معاملة المسلمين فيناكح وتؤكل ذبيحته ويرث ويورث ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين .

٤) أن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار ، وأما الأصغر فلا يخلد في النار وإن دخلها كسائر مرتكبي الكبائر .

٥) أن الشرك الأكبر يحل الأنفس والأموال بعكس الشرك الأصغر فإن صاحبه مسلم مؤمن ناقص الإيمان))[1] .

---

(١) انظر الشرك في القديم والحديث (١/ ١٧٦-١٧٧) وفتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٦-٧٥٠) الإخلاص والشرك الأصغر (٣٤-٣٨) .

الفصل الرابع :

الشرط الرابع: الصدق في كلمة التوحيد

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الصدق فيها لغة وشرعاً .

المبحث الثاني : أدلة الصدق من الكتاب والسنة وأقوال السلف .

المبحث الثالث :أهمية الصدق ومجالاته.

المبحث الرابع : الكذب في كلمة التوحيد حقيقته وحكمه .



المبحث الأول :
مفهوم الصدق فيها لغة وشرعاً

المبحث الأول : مفهوم الصدق فيها لغة وشرعاً :

الصدق لغة :

قال ابن فارس : في مادة صدق :

((الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، من ذلك الصدق : خلاف الكذب ، سمي لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له))[(١)].

وفي المفردات : ((الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً بل إما أن لا يوصف بالصدق وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد : محمد رسول الله ، فإن هذا يصح أن يقال : صدق؛ لكون المخبر عنه كذلك ، ويصح أن يقال : كذب؛ لمخالفة قوله ضميره ، وبالوجه الثاني : إكذاب الله المنافقين حيث قالوا : ﴿ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ ﴾[(٢)] الآية))[(٣)].

فلابد إذن لتحقق وصف الصدق من مطابقة القول للضمير والمخبر عنه معاً .

شرعاً :

والمقصود به أن يكون صادقاً في قول لا إله إلا الله واعتقاد مدلولها صدقاً ينافي الكذب ظاهراً ، ويمنع من النفاق باطناً ؛ فلا يخالف ظاهره باطنه ، بل يتواطأ ظاهره مع باطنه ، وما في داخل قلبه مع ما يقوله بلسانه ، وما يجري على جوارحه من الأعمال . وهذا هو الصدق الذي يمنع من النفاق باطناً .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٥-٣٦) .

(٢) سورة المنافقون (١).

(٣) المفردات(٢٨٠) وانظر المعجم الوسيط (١/ ٥١١).

كذلك لا يظهر على جوارحه ما يناقض ما في قلبه من الاعتقاد بمدلول ((لا إله إلا الله)) ومقتضاها ، واليقين به . وهذا هو الصدق الذي ينافي الكذب ظاهراً[(١)] .

والصدق محك أكثر دعاوي العابدين ، وبه يخرج كل من ادعى الإيمان أو شيئاً من أعماله وأظهره وهو يبطن خلافه، وهو قرين الإخلاص غير أن بالصدق فرقان بين الإيمان والنفاق، وبالإخلاص فرقان بين التوحيد والشرك في قول القلب واعتقاده أو في إرادته ونيته .

ومن هنا كانت شهادة أن لا إله إلا الله هي كلمة الصدق كما أنها كلمة الإخلاص[(٢)] .

فاشتراط الصدق في كلمة التوحيد هو أن يقولها وهو صادق في ذلك صدقاً من قلبه يطابق قلبه لسانه ولسانه قلبه[(٣)] .

هذا هو المؤمن حقاً الموعود بالجنة والنجاة من النار ، وأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها ؛ فإن هذه الكلمة إذا صدق قائلها طهر قلبه من كل ما سوى الله ، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها كما قال ابن رجب[(٤)] . فالمراد بالصدق : الصدق بمعناها ومقتضاها قولاً وعملاً وحالاً . يقول ابن القيم – رحمه الله – عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[(٥)] فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله فالصدق في هذه الثلاثة ،

---

(١) انظر القول المفيد في مهمات التوحيد (٧٢-٧٣) .

(٢) ظاهرة الإرجاء (٢/ ٦٠١) .

(٣) معارج القبول (١/ ٣٣٧) العروة الوثقى (٦١) .

(٤) انظر تحقيق كلمة الإخلاص (٢٩) .

(٥) سورة الزمر (٣٣) .

فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها ، والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد ، والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص و استفراغ الوسع وبذل الطاقة .

فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق وبحسب كمال هذه الأمـور فيه وقيامها به تكون صدقيته))(١) .

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٨) .



المبحث الثاني :

أدلة الصدق من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة

المبحث الثاني : أدلته من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة :

قد تعددت الأدلة في كون الصدق شرطاً في تحقيق العبادة والتوحيد، وأن بانتفائه ينتفي كون الإسلام متحققاً في مدعيه وإليك البيان في ذلك :

*** أدلة الكتاب الكريم في ذلك :**

- منها قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[(١)] .

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم يتفوهون بالإسلام إذا جاؤا النبي ﷺ فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ أي : فيما أخبروا به ، وإن كان حقيقة ما قالوه مطابقاً للخارج ، فلما أظهروا بألسنتهم خلاف ما كان في ضمائرهم سموا كاذبين ؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم .

﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر)).[(٢)]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[(٣)] .

---

(١) سورة المنافقون (١-٣) .

(٢) انظر تفسير أبي المظفر السمعاني (٥/ ٤٤٠) وابن كثير (٤/ ٣٩٣) .

(٣) سورة المنافقون (٣) .

قال قتادة : أقروا بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وقلوبهم منكرة تأبى ذلك))[١] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[٢] قال ابن عباس : ((صدق بلا إله إلا الله)) .

وروي نحوه عن أبي عبدالرحمن والضحاك[٣] .

وقال السعدي : ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي : صدق بلا إله إلا الله وما دلت عليه من جميع العقائد الدينية وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[٤] .

وفي طبقات الشافعية بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما : أن سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي قال : يا رسول الله أخبرنا عن ديننا كأننا خلقنا له الساعة ، في أي شيء نعمل أفي شيء ثبتت فيه المقادير وجرت فيه الأقلام أم في أمر مستأنف ؟ قال : بل فيما ثبتت فيه المقادير وجرت فيه الأقلام. قال سراقة : ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له . وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ قال : لا إله إلا الله ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى قال : بلا إله إلا الله ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[٥] .

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٨/ ١٠٧) والسعدي (٨٦٤) .

(٢) سورة الليل (٦-٧) .

(٣) انظر تفسير ابن جرير (٣٠/ ٢٢٠) .

(٤) تفسير السعدي (٩٢٧) .

(٥) (١/ ٢٩) وأصله في مسلم وقد تقدم تخريجه (٤٢) .

- وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[(١)] قال ابن عباس رضي الله عنهما : ((والذي جاء بالصدق قال: من جاء بلا إله إلا الله ، ((وصدق به)) يعني رسول الله ﷺ))[(٢)] .

وقال ابن جرير – رحمه الله – في تفسيره بعد ذكره لأقوال السلف في معنى الآية : ((والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسله والعمل بما ابتعث به رسول الله – ﷺ – من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به ، وأن يقال : الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله ، والمصدق به : المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه))[(٣)] .أ.هـ

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[(٤)] وذلك أنهم قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فأكذبهم

---

(١) سورة الزمر (٣٣) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير (٢٤/٣) وتفسير ابن كثير (٤/٥٨) .

(٣) تفسير ابن جرير (٢٤/ ٤) .

(٤) سورة البقرة (٨-١٠) .

الله بقوله ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ لأن الإيمان الحقيقي ما تواطأ عليه القلب واللسان[١] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج في قوله ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ قال : يظهرون لا إله إلا الله يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم وفي أنفسهم غير ذلك[٢] .

فكان جزاء هذا الصنيع من هذا الفعل الدنس أن زادهم الله في مرضهم وزادهم رجساً إلى رجسهم مع ما أعده الله لهم من العذاب الأليم بما كانوا يكذبون[٣] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[٥] الآية .

---

(١) تفسير السعدي (٤٢) .

(٢) فتح القدير (١/ ٥٠) وتفسير ابن كثير (١/ ٥١) .

(٣) انظر تفسير ابن جرير (١/ ١١٦-١٢٥) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠-٥٢) والسعدي (٤٢) والشوكاني (١/ ٤٨-٥١) .

(٤) سورة العنكبوت (١-٣) .

(٥) سورة الأحزاب (٢٤) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾(٢) الآية .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

*** وأما دلالة السنة في ذلك فكثيرة جداً منها ما يلي :**

١) ما رواه البخاري : ((أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه على الرحل قال : يا معاذ بن جبل . قال : لبيك يا رسول الله وسعديك قال : يا معاذ . قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : إذاً يتكلوا)) وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً))(٣) .

قال الحافظ : ((قوله ((صدقاً)) فيه احتراز عن شهادة المنافق . وقوله ((من قلبه)) يمكن أن يتعلق بصدقاً أي يشهد بلفظه ويصدق بقلبه ، ويمكن أن يتعلق بيشهد أي يشهد بقلبه والأول أولى .

---

(١) سورة المائدة (١١٩) .

(٢) سورة البقرة (١٧٧) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً رقم (١٢٨) وقد تقدم كثيراً .

وقال الطيبي[(١)] : قوله ((صدقاً)) أقيم هنا مقام الاستقامة لأن الصدق يعبر به قولاً عن مطابقة القول المخبر عنه ، ويعبر به فعلاً عن تحري الأخلاق المرضية كقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ أي حقق ما أورده قولاً بما تحراه فعلاً))[(٢)]أ.هـ

٢) ومنها ما جاء في الصحيحين من قوله ﷺ للأعرابي الذي جاء يسأل عن الإسلام وشرائعه وقال ((والله لا أزيد على هذا ولا أنقص)) ((أفلح إن صدق)) وفي رواية لمسلم ((لئن صدق ليدخلن الجنة))[(٣)] .

وهذا الحديث صريح في شرطية الصدق في الأقوال والأعمال وجميع شرائع الإسلام قال القاضي عياض : ((وفي قوله : ((أفلح إن صدق)) رد على المرجئة إذ فيه فلاحه بشرط صدقه في أن لا ينقص مما لزمه من الأعمال والفرائض .

ومعناه هنا دخول الجنة أبداً والخلاص من النار ولهذا قرن دخول الجنة هنا بالفلاح))[(٤)] .

وقال ابن بطال[(١)] : دل قوله ((أفلح إن صدق)) على أنه إن لم يصدق فيما التزم لا يفلح))[(٢)] .

---

(١) لم أجد ترجمته .

(٢) فتح الباري (١/ ٣٠١) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب الزكاة من الإسلام رقم (٤٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام وباب السؤال عن أركان الإسلام (١٠٠، ١٠١، ١٠٢) .

(٤) إكمال المعلم (١/ ١٤٢) .

٣) ومنها حديث أبي موسى الأشعري قال : أتيت النبي ﷺ ومعي نفر من قومي فقال ﷺ : ((أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة)) (٣) .

٤) ومنها ما رواه رفاعة الجهني رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ ((أشهد عندالله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقاً من قلبه ثم يسدد إلا سلك الجنة)) وفي رواية ((صادقاً من قلبه)) (٤) .

٥) ومنها ما رواه البزار في مسنده وغيره عن عياض الأنصاري – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ : ((لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة ولها من الله مكاناً ، وهي كلمة جمعت وتركت ، فمن قالها صادقاً أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فحاسبه)) (٥) .

٦) ومنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ : ((إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرم عليه النار)) فقال له عمر بن الخطاب : أنا أحدثك ما هي ؟ هي كلمة

....

(١) هو : العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي البلنسي ويعرف بابن اللجام ت (٤٤٩هـ) من أئمة المالكية قال فيه ابن بشكوال : كان من أهل العلم والمعرفة ، عُني بالحديث العناية التامة ؛ شرح الصحيح في عدة أسفار .
انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧) .

(٢) فتح الباري (١/ ١٤٥) .

(٣) المسند للإمام أحمد (٣٢/ ٣٧٠، ٤٦٥) المحققة رقم (١٩٥٩٧، ١٩٦٨٩) وصححه الأرناؤوط وكذا الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩) رقم (٣٥) .

(٤) رواهما أحمد في المسند (٢٦/ ١٥٢، ١٥٦) المحققة رقم (١٦٢١٥، ١٦٢١٨) والحديث صححه الأرناؤوط .

(٥) تقدم تخريجه (٢٣) .

الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمداً - ﷺ - وأصحابه ، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله - ﷺ - عمه أبا طالب عند الموت : شهادة ألا إله إلا الله)) (١) .

٧) ومنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال : سألت رسول الله ﷺ : ماذا رد إليك ربك عز وجل في الشفاعة ؟ قال لقد ظننت لتكونن أول من سألني عنها مما رأيت من حرصك على العلم ، شفاعتي لمن يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً ، يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه)) (٢) .

*** الفرق بين الصدق والإخلاص:**

واقتران الصدق بالإخلاص هاهنا لتقاربهما بل ترادفهما أحياناً فلا يكاد يعرف التمييز بينهما إلا بمعرفة ضد كل منهما ؛ فالصدق ضده انتفاء إرادة الله بالعمل أصلاً كمن صلى أو آمن كاذباً لم يرد الإيمان والصلاة وإنما فعل ذلك لسبب آخر كما فعله المنافقون حفظاً لأنفسهم وأموالهم من السيف فالصدق فرقان بين الإيمان والنفاق .

والإخلاص ضده انتفاء إفراد الله بالإرادة والتوجه كمن آمن أو صلى صارفاً ذلك لأحد من دون الله، وهذا هو الشرك الذي وقع فيه أكثر العالمين.

ومما يميز بينهما – أيضاً – أن الصدق لا يختص بالاعتقاد بل يكون في الأعمال أيضاً ، بخلاف الإخلاص فإنه عمل قلبي محض ، لكن قد تظهر آثاره على الجوارح . والله أعلم(٣) .

---

(١) تقدم تخريجه (٣١) .

(٢) المسند (١٣/ ٤٣٢-٤٣٣) و(١٦/ ٤١٧) المحققة رقم (٨٠٧٠، ١٠٧١٣) والحديث صححه الأرناؤوط في تحقيقه للمسند وأصله في الصحيح .

(٣) انظر ظاهرة الإرجاء (٢/ ٦٠٢-٦٠٣) .

* **أقوال أئمة السلف في ذلك :**

١) قال زيد بن أسلم – رحمه الله – : ((لابد لهذا الدين من أربع : دخول في دعوة المسلمين ولابد من الإيمان وتصديق بالله وبالمرسلين أولهم وآخرهم والجنة والنار والبعث بعد الموت .

ولابد من أن تعمل عملاً صالحاً تصدق به إيمانك))[١] أ.هـ .

٢) قال أبو إسحاق الفزاري[٢] : ((الدين هو التصديق وهو الإيمان والعمل)) .

٣) وقال الأوزاعي[٣] : ((لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة ، فكان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل من الإيمان والإيمان من العمل ، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها وتصديقه العمل ، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين))[٤] .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي (٤/ ٩٢٩) رقم (٢٥٨٢) وصححه الألباني في تحقيقه الإيمان لابن أبي شيبة (٤٩) .

(٢) هو : إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري الشامي ت (١٨٦هـ) الإمام الكبير الحافظ المجاهد كان من أئمة الحديث والسنة ، وثقه الأئمة ، وأخرج له الجماعة .
انظر : سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٩) .

(٣) هو : عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ، أبو عمرو (٨٨/ ١٥٧هـ) الإمام الحافظ الحجة ، واعظ أهل الشام ، من أئمة أهل السنة .
انظر : سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧) .

(٤) (٥/ ٩٥٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي .

٤) وقال أبو ثور[(١)] في جواب سؤال سئله عن الإيمان : ((سألت رحمك الله وعفا عنك عن الإيمان ما هو ؟ يزيد وينقص ؟ وقول هو ؟ أو قول وعمل وتصديق وعمل ؟ فأخبرك بقول الطوائف واختلافهم :

فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح . وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال : أشهد أن الله عز وجل واحد ، وأن ما جاءت به الرسل حق وأقر بجميع الشرائع ثم قال : ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم[(٢)] .

٥) وقال الإمام أحمد : ((الإيمان قول وعمل ونية صادقة)) [(٣)] .

٦) وقال محمد بن نصر المروزي ((والشاهد بلا إله إلا الله هو المصدق المقر بقلبه ، يشهد بها لله بقلبه ولسانه ، يبتدئ بشهادة قلبه والإقرار به ، ثم يثني بالشهادة بلسانه والإقرار به)) [(٤)] .

٧) وقال الإمام البغوي : ((حقيقة الإيمان التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان وإظهار شرائع [الإيمان] بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص)) [(٥)] .

٨) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((والصدق هو في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام ، فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق ، والفارق

---

(١) هو : إبراهيم بن خالد بن أبي اليماني الكلبي البغدادي ت (٢٤٠هـ) الإمام الحافظ الفقيه الثقة الثبت ، له مصنف في اختلاف مالك والشافعي .
انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٢) .

(٢) شرح أصول أهل السنة (٤/ ٩٣١-٩٣٢) .

(٣) السنة للخلال (٣/ ٥٨٠) رقم (١٠٠٢) .

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٠٧) .

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٢١٢) .

بين المؤمن والمنافق هو الصدق . فأساس النفاق الذي ينبني عليه هو الكذب ، ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعته بالصدق))[١] .

- وقال أيضاً عند آية آل عمران : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾[٢] ((والشهادة لابد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه ، لا يحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور))[٣] .

٩) الإمام ابن القيم عند قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ إلى قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٤] .

قال : ((وهذا صريح في أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان .

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق فقال : ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[٥] والإيمان أساسه الصدق . والنفاق أساسه الكذب فلا يجتمع كذب وإيمان إلا واحدهما محارب للأخر))[٦] .

١٠) وقال ابن أبي العز الحنفي : وهنا أصل آخر وهو أن القول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام .

---

(١) التحفة العراقية (٣٠٣) .

(٢) سورة آل عمران (١٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٨٧) .

(٤) سورة البقرة (١٧٧) .

(٥) سورة الأحزاب (٢٤) .

(٦) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٨) .

والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه ، وعمل الجوارح . فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة[١] .أ.هـ

(١) (٢/ ٤٧٨) شرح العقيدة الطحاوية .



المبحث الثالث :

أهمية الصدق ومجالاته

المبحث الثالث : أهمية الصدق ومجالاته :

الصدق أعظم منازل السالكين لرب العالمين، وهو الطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تتميز سكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته ، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته . فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، وهو الذي أمر الله أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾(١)(٢) .

فالصدق أساس الحسنات وجماعها، كما أن الكذب أساس السيئات ونظامها ، وتتجلى أهمية الصدق ومظاهره في ذلك أكثر بوجوه ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية يحسن بنا ذكرها في هذا المقام :

- أحدها : أن الإنسان هو حي ناطق . فالوصف المقوم له الفاصل له عن غيره من الدواب هو المنطق ، والمنطق قسمان : خبر وإنشاء ، والخبر صحته بالصدق ، وفساده بالكذب ، فالكاذب أسوأ حالاً من البهيمة العجماء ، والكلام الخبري هو المميز للإنسان وهو أصل الكلام الإنشائي فإنه مظهر العلم، والإنشاء مظهر العمل ، والعلم متقدم على العمل وموجب له ، فالكاذب لم يكفه أنه سلب حقيقة الإنسان حتى قلبها إلى ضدها ولهذا قيل : لا مروءة لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا إخاء لملوك، ولا سؤدد لبخيل ، فإن المروءة مصدر المرء كما أن الإنسانية مصدر الإنسان .

---

(١) سورة التوبة (١١٩) .

(٢) انظر مدارج السالكين (٢/ ٢٥٧) .

- الثاني : أن الصفة المميزة بين النبي و المتنبئ هو الصدق والكذب ؛ فإن محمداً [ﷺ] رسول الله الصادق الأمين . ومسيلمة الكذاب ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1] .

- الثالث : أن الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق هو الصدق، فإن أساس النفاق الذي بني عليه الكذب ، وعلى كل خلق يطبع المؤمن ليس الخيانة والكذب . وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : ((ثلاث من كن فيه كان منافقاً ؛ إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان))[2] .

- الرابع : أن الصدق هو أصل البر، والكذب أصل الفجور، كما قال ﷺ: ((عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً))[3] .

---

(١) سورة الزمر (٣٢-٣٣) .

(٢) البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق (٣٣) ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (٢٢٠) من حديث أبي هريرة لا من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة (٨/ ٢٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

((فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبناها . وهي غايته ، فلا ينال درجتها كاذب البتة ، لا في قوله ولا عمله ولا في حاله لاسيما كاذب على الله في توحيده وشرعه))(١) .

- الخامس : أن الصادق تنزل عليه الملائكة ، والكاذب تنزل عليه الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾(٢) .

- السادس : أنه مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين في الكتاب [والسنة] وكلام العلماء والمشايخ قال الله تعالى : ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾(٣) ؛ ولهذا قال ﷺ : ((عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ((ثلاث مرار)) وقرأ هذه الآية(٤) . وقال : ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين)) وكان متكئاً فجلس فقال : ((ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت))(٥) .

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٦١) .

(٢) سورة الشعراء (٢٢١-٢٢٣) .

(٣) سورة الحج (٣٠-٣١) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند من حديث أيمن بن خزيم وخزيم بن فاتك في عدة أماكن برقم(١٨٠٧٠)،(١٨٥٣١)،(١٩٤١١)،(١٩٤١٥) وأبو داود في سننه : كتاب الأقضية ، باب في شهادة الزور رقم (٣٥٩٩) والترمذي في جامعه : كتاب الشهادات ، باب ما جاء في شهادة الزور رقم (٢٣٠٠)و(٢٣٠١) وابن ماجه ف سننه كتاب الأحكام (٢٤٦٢) وقال الترمذي في حديث خزيم هو أصح عندي وهو مشهور

(٥) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر رقم (٥٩٧٦) و(٥٩٧٧).

- السابع : أنه ركن الشهادة الخاصة عند الحكام ، التي هي قوام الحكم والقضاء ، الشهادة العامة في جميع الأمور ، والشهادة خاصة هذه الأمة التي ميزت بها في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[1] وركن الإقرار الذي هو شهادة المرء على نفسه وركن الأحاديث والأخبار التي بها يقوم الإسلام ؛ بل هي ركن النبوة والرسالة ، التي هي واسطة بين الله وبين خلقه، وركن الفتيا التي هي إخبار المفتي بحكم الله ، وركن المعاملات التي تتضمن أخبار كل واحد من المتعاملين للآخر بما في سلعته ، وركن الرؤيا التي قيل فيها : ((أصدقهم رؤيا أصدقهم كلاماً ، والتي يؤتمن فيها الرجل على ما رأى))[2] .أ.هـ

- الثامن من المظاهر : طمأنينة القلب إلى الصدق ، وحصول الريبة من الكذب كما في الترمذي – مرفوعاً – من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ((الصدق طمأنينة والكذب ريبة))[3] .

- التاسع : أن الصادق مطلوبه رضى ربه ، وتنفيذ أوامره ، وتتبع محابه ، فهو متقلب فيها يسير معها أين توجهت ركائبها . ويستقبل معها أين استقبلت مضاربها ، فبينما هو في صلاة إذ رأيته في ذكر ثم في غزو ، ثم في حج . ثم في إحسان للخلق بالتعليم وغيره من أنواع النفع والقرب . فهو في تفرق دائم لله ، وجمعية على الله ، لا يملكه رسم ولا عادة ولا وضع . بخلاف الكاذب الذي يبدي للناس خلاف ما يعلمه الله من باطنه ، آفات الرياء والتصنع وعبادة

---

(١) سورة البقرة (١٤٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٧٤-٧٨) مختصراً .

(٣) رواه الترمذي في جامعه : كتاب صفة القيامة رقم (٢٥١٨) وقال حديث حسن صحيح . وحسنه الألباني .

النفس وإيثار مرادها هو مرامه ومقصده فلا مراد له سوى عمارة حاله عند الناس وسكناه في قلوبهم تعظيماً له[١] .

- العاشر : أن حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي لا يطيقه إلا أصحاب العزائم فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل . والكذب خفيف كالريشة لا يجد له صاحبه ثقلاً البتة . فهو حامل له في أي موضع اتفق بلا تعب ولا مشقة ولا كلفة فهو لا يتقلب تحت حمله ولا يجد ثقله .

قال بعض السلف : الصادق الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحي من سره لو كشف .

وقال الجنيد : حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب .

وقال بعضهم : الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله[٢] .

هذه أهم مظاهر الصدق والله المستعان .

مجالات الصدق :

لاشك أن الصدق يكون في الأقوال والأعمال ، يدل على ذلك قول النبي ﷺ - كما في الصحيح - : ((كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الإستماع ، واللسان زناه

---

(١) انظر مدارج السالكين (٢/ ٢٦٣-٢٦٦) .

(٢) انظر مدارج السالكين (٢/ ٢٦٤-٢٦٦) .

الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخُطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه))[(١)] .

وقد ذكر أهل العلم مجالات للصدق يقوى الصدق فيها تارة ويضعف فيها تارة أخرى والناس يتفاوتون في كل مجال منها تفاوتاً عظيماً لا يعلم قدره إلا الله جل وعلا. وهي كما يلي :

١) الصدق في القول : ويسمى الصدق باللسان فيكون في الكلام ، وهو أشهر أنواع الصدق وأظهرها . ويجوز الإخبار بخلاف الواقع عند الإصلاح بين الناس ، وليس هذا من الكذب في شيء لقول النبي ﷺ : ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيراً أو ينمي خيراً))[(٢)] .

٢) الصدق في القصد والإرادة : ويرجع هذا إلى الإخلاص فإذا خالطه شيء بطل صدقه ويكون كاذباً، يشهد لهذا حديث الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ((العالم والمجاهد والكريم السخي الذين راءوا في أعمالهم)) وفيه أن الله يقول وملائكته لكل واحد منهم ((كذبت)) الحديث[(٣)]. وإنما كذبه في إرادته ونيته ، لا في ظاهر فعلهم . وعلى هذا فلابد من أن يكون الصادق مخلصاً.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الاستئذان ، باب زنى الجوارح دون الفرج (٦٢٤٣) عن أبي هريرة ، وانظر التحفة العراقية (٣٠٦) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الصلح ، باب : ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس رقم (٢٦٩٢) .

(٣) رواه الترمذي في جامعه : كتاب الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة (٢٣٨٢) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي.

٣) الصدق في العزم : مثل أن يقول : إن أتاني الله مالاً تصدقت بجميعه، فهذه العزيمة قد تكون صادقة ، وقد يكون فيها تردد يشهد لهذا قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : ((كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول إليَّ نفسي عند الموت شيئاً))[١] .

٤) الصدق في الوفاء بالعهد، فإن الخلف فيه كذب، والوفاء به صدق والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾[٢] وقد ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدراً مع رسول الله ﷺ فشق ذلك على قلبه وقال : ((أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ فيما بعد ليرين الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها . فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد من العام القابل . فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا أبا عمرو أين ؟ قال : واهاً لريح الجنة أجدها دون أحد . فقاتل حتى قتل ، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية . فقالت : عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآية : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت (٦٨٣٠) .

(٢) سورة الأحزاب (٢٣) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الجهاد والسير ، باب قول الله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ... ﴾ رقم (٢٨٠٥) و(٢٨٠٦) .

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ الآيات[1] .

٥) الصدق في الأعمال : وهو أن تستوي سريرته وعلانيته حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه وهو لا يتصف به بل يتفق الظاهر مع الباطن وإلا كان من المنافقين الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾[2] .

٦) الصدق في أعمال القلوب:كالصدق في الخوف والرجاء والحب والتوكل وغير ذلك ولاشك أن الناس يتفاوتون في آحاد ذلك تفاوتاً عظيماً . فهناك مثلاً فرق واضح بين المحب حقيقة وبين المحب ادعاء . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3] .

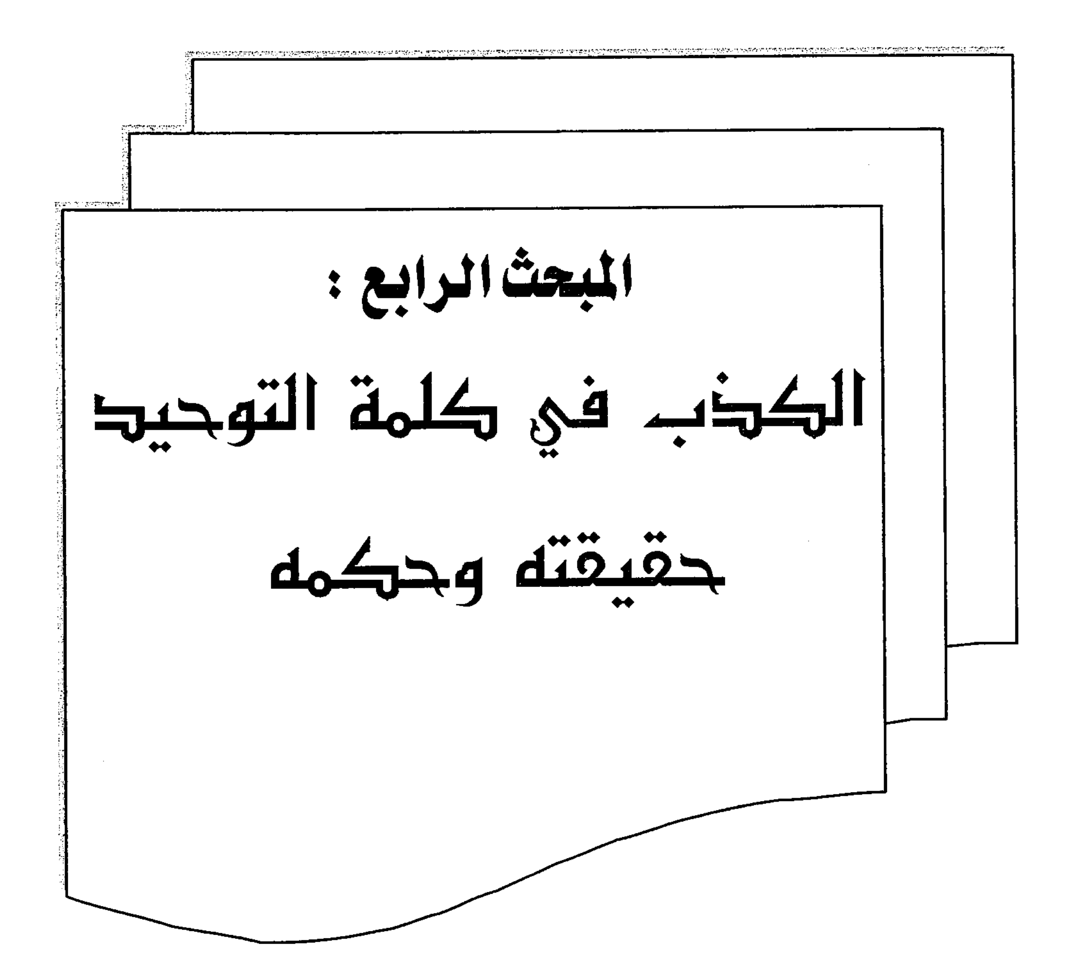
وهناك فرق واضح بين الخائف حقيقة وبين الخائف إدعاء . ذلك معلوم ضرورة بين جميع بني آدم .

---

(١) سورة التوبة (٧٥) .

(٢) سورة النساء (١٤٢-١٤٣) .

(٣) سورة آل عمران (٣١) .



المبحث الرابع :

الكذب في كلمة التوحيد

حقيقته وحكمه

المبحث الرابع : الكذب في كلمة التوحيد حقيقته وحكمه :

والكذب خلاف الصدق[١] .

وحقيقته أن يظهر المرء ما يوافق الحق ويبطن ما يخالفه وهو النفاق الاعتقادي . فالمنافق يدخل في الإسلام فينطق بالشهادتين ويصلي مع الناس ويظهر أنه على دينهم، ويكتم في نفس الوقت خلاف الإسلام، ويتربص بالمسلمين الدوائر، وينتظر ظهور الكفر حتى يتخلى عما أظهره، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((والنفاق يطلق على النفاق الأكبر الذي هو إضمار الكفر ، وعلى النفاق الأصغر الذي هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات))[٣] .

وهذا النوع من النفاق – نفاق الاعتقاد – هو الذي وقع على عهد النبي ﷺ من قبل المنافقين الذين كان على رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول ؛ فقد كانوا قبل مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ؛ يعبدون الأوثان ويتقربون إليها ويكفرون بالواحد الديان ، فلما أذن الله لنوره بالانتشار في المدينة ودخل عامة أهلها في دين الله خاف أولئك القوم ؛ فأظهروا الإيمان بأفواههم ، وبقي الكفر والحقد في قلوبهم ؛ وفي هؤلاء نزل قوله تعالى :

---

(١) ويدخل في الكذب : كفر الجحود والتكذيب وأرجأنا الكلام فيه في بقية مباحث الشروط لتناسب ذكره هناك .

(٢) سورة النساء (١٤١) .

(٣) الفتاوى (١١/ ١٤٠) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾(١) .

فأخبر سبحانه بكفر قلوبهم وعدم إيمانها مع نطقهم بما يقتضيه الإيمان والتصديق ؛ فصح عليهم بذلك وصف نفاق الاعتقاد المخرج من ملة الإسلام .

وقد فضحهم الله وأخزاهم وكشف أخبارهم وهتك أستارهم في سور وآيات من كتابه الكريم ؛ وصفت أحوالهم ، وكذبت أقوالهم، وأبانت ما في قلوبهم، وما يتحدثون به إذا خلا بعضهم إلى بعض ، ثم استمرت هذه الآيات في السخرية والتهكم بهم لتصل إلى بيان سوء مآلهم ، وفظاعة مصيرهم ، وأن النار مأواهم وبئس المصير؛ بسبب نفاقهم في الاعتقاد، وإبطانهم للكفر الصريح الذي يجعل صاحبه يكره الإسلام ، ونبي الإسلام وأهل الإسلام ، فيفرح بما يسوؤهم، ويسوؤه ما يفرحهم كما قال تعالى : ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾(٢) .

ومما جاء في وصف خصالهم مع ادعائهم الإيمان كذباً :

- مرض قلوبهم كما قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة (٤١) .

(٢) سورة التوبة (٥٠) ، وانظر النفاق وأثره في حياة الأمة (٤٥-٤٦) .

(٣) سورة البقرة (١٠) .

- إظهار الصلاح مع إفسادهم في الأرض كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾(١) .

- السخرية بالمؤمنين ودينهم كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾(٢) .

- موالاة الكفار وتقوية عزائمهم كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(٤) .

- معاداة المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾(٦) .

---

(١) سورة البقرة (١١-١٢) .
(٢) سورة البقرة (١٤) .
(٣) سورة البقرة (١٤) .
(٤) سورة الحشر (١١) .
(٥) سورة آل عمران (١١٨) .
(٦) سورة آل عمران (١١٩) .

- الحلف الكاذب : قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(١) وقال : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾(٢) .

- التحاكم إلى الطاغوت والتولي عن الشرع قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾(٣) .

- التكاسل عن الصلاة والمراءاة في الأعمال قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٤) .

- الخوف الدائم من أن يفضح الله أمرهم للناس قال تعالى : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾(٥) .

- سوء الظن بالله قال تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾(١) .

---

(١) سورة المنافقون (٢) .

(٢) سورة التوبة (٥٦) .

(٣) سورة النساء (٦٠) .

(٤) سورة النساء (١٤٢) .

(٥) سورة التوبة (٦٤) .

حكم التكذيب بها :

مما سبق من الأدلة يتضح لنا أن التكذيب بها - النفاق اعتقادي – كفر أكبر مخرج من الملة وصاحبه خالد مخلد في النار بل في الدرك الأسفل منها إن لم يتب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[٢] . يقول ابن القيم عند كلامه عن النفاق : ((وهو نوعان : أكبر وأصغر : فالأكبر : يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل ، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به ...))[٣]

*** أدلة الكتاب في ذلك :**

قد سبق ذكر كثير من الأدلة في هذا ونحن هنا نذكر زيادة على ما سبق :

- قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[٤] .

قال ابن جرير : قوله : ((﴿ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ يقول : وكذب بكتاب الله إذا أنزله على محمد وابتعثه به رسولاً وأنكر قول لا إله إلا الله))[٥].

---

(١) سورة الفتح (٦) .

(٢) سورة النساء (١٤٥) .

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٥٥) .

(٤) سورة الزمر (٣٢) .

(٥) (٢٤/ ٢) .

- وقال تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[(١)] .

قال ابن عباس والضحاك : ((أي بلا إله إلا الله))[(٢)] .

- وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[(٣)] .

- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[(٤)] والآيات في هذا كثيرة جداً كما يقول ابن القيم حين ذكر صفات القوم : ((فالمتروك أكثر من المذكور . كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور . فلا خلت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات . وتتعطل بهم أسباب المعايش ، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات . سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً يقول : ((اللهم أهلك المنافقين . فقال : ((يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك))[(٥)] .

*** النفاق الأصغر حقيقته وحكمه وعلاماته :**

يختلف النفاق الأصغر عن النفاق الاعتقادي الأكبر وإن كان النفاق الأصغر (العملي) يعتبر مقدمة وباباً للنفاق الاعتقادي .

---

(١) سورة الليل (٩-١٠) .

(٢) تفسير ابن جرير (٣٠/ ٢٢٢) .

(٣) سورة البقرة (٢٠٤) .

(٤) سورة البقرة (٧٦) .

(٥) مدارج السالكين (١/ ٣٦٤) .

تعريفه :

((يعرف شيخ الإسلام ابن تيمية هذا النوع من النفاق بأنه : ((اختلاف السر والعلانية في الواجبات)) [١] .

ويقول أيضاً : ((ولفظ النفاق من هذا الباب فإنه في الشرع إظهار الدين وإبطان خلافه ، وهذا المعنى الشرعي أخص من مسمى النفاق في اللغة فإنه في اللغة أعم من إظهار الدين ، ثم إبطان ما يخالف الدين : إما أن يكون كفراً أو فسقاً ، فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر الذي أوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار ، وإن أظهر أنه صادق أو موفٍ أو أمين وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقاً)) [٢] .

ويقول ابن رجب : ((النفاق الأصغر وهو نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ، ويبطن ما يخالف ذلك)) [٣] .

ومن هنا فالذي يمارس نفاق العمل لا يبطن قلبه كفراً وشكاً وتكذيباً يخفيه عن الناس ، ويظهر إيماناً لا حقيقة له ، وإسلاماً لا وجود له بل إنه يبطن الإسلام والإيمان والتصديق واليقين مثلما يظهره ، لكنه يظهر صلاحاً و تقى وعبادة ونسكاً أو صدقاً ووفاءً وأمانة مع إبطانه خلاف ذلك في داخل قلبه ؛ وبالتالي فإنه يكون قد اختلف في حقيقته عن صاحب النفاق الاعتقادي[٤] .

حكمه :

---

(١) (١١/ ١٤٠) مجموع الفتاوى .

(٢) ((١١/ ١٤٣) المصدر السابق .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١) .

(٤) انظر دراسة قرآنية في النفاق وأثره (٤٨-٤٩) .

النفاق الأصغر نفاق عملي ، وصاحبه من أهل الإيمان والطاعة لله ورسوله ﷺ ولكنه يعمل أعمالاً عدها رسول الله ﷺ من النفاق . فصاحب هذا النوع لا يخرج عن ملة الإسلام في الدنيا وهو مستحق للوعيد لكنه لا يخلد في النار إن دخلها(١) .

علاماته :

ذكر رسول الله ﷺ في أحاديث عديدة علامات ظاهرة ، من اتصف بها فقد شابه المنافقين في أعمالهم ، وإنما بينها النبي ﷺ وأخبر عنها كي نحذر من هذه الصفات الذميمة ؛ لأنها من علامات النفاق ويخشى أن يكون هذا النفاق العملي مؤدياً إلى النفاق الاعتقادي – والعياذ بالله – ومن هذه العلامات :

١) الكذب في الحديث .

٢) إخلاف الوعد .

٣) خيانة الأمانة .

٤) الغدر .

٥) الفجور في الخصومة .

وهذه العلامات الخمس جمعها رسول الله ﷺ في قوله : ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٠-١٤٣) جامع العلوم والحكم(٢/ ٤٨١) ونواقض الإيمان الاعتقادية (٢/ ١٥٤-١٥٧) وانظر أيضاً المصدر السابق.

فجر)) [١] وفي قوله ﷺ : ((آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)) [٢] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق رقم (٣٤) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) تقدم تخريجه قريباً .

الفصل الخامس :

الشرط الخامس : اليقين

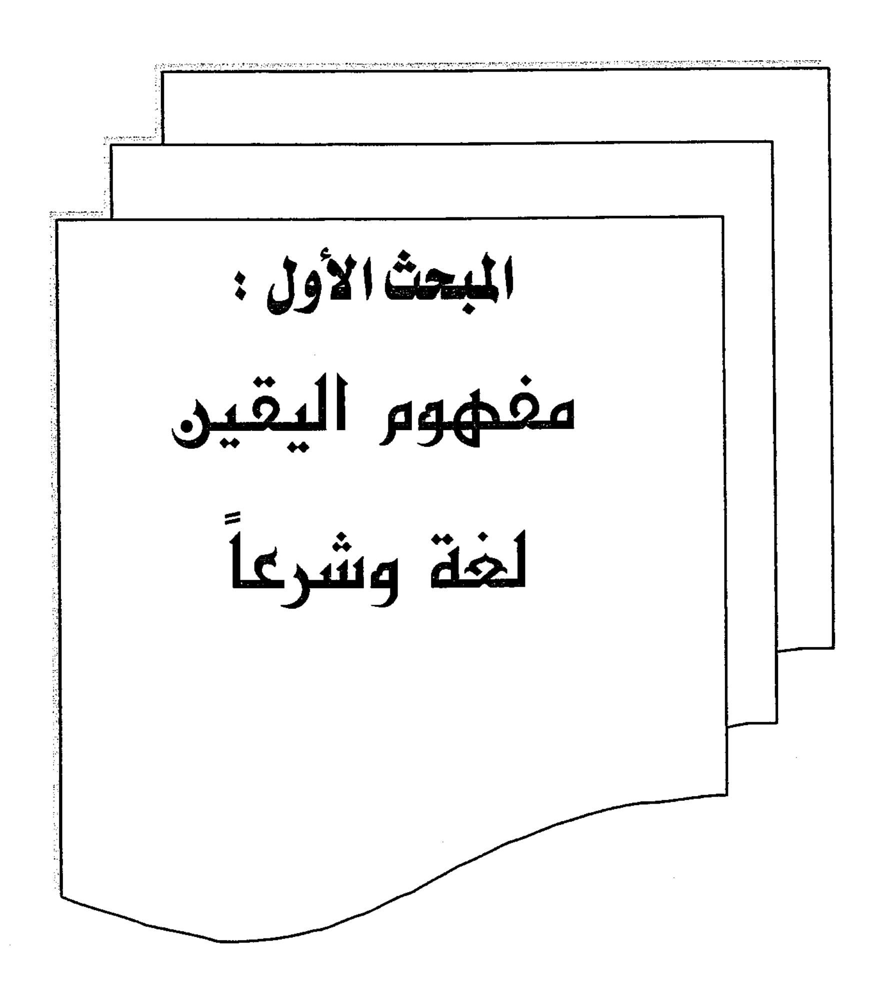
وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم اليقين لغة وشرعاً .

المبحث الثاني : أدلة اليقين من الكتاب والسنة .

المبحث الثالث: درجات اليقين وأحوال الناس فيه.

المبحث الرابع : الشك فيها مفهومه وحكمه .



المبحث الأول : مفهوم اليقين لغة وشرعاً :

اليقين لغة :

هو من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها ، يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم ؛ وهو العلم الذي لاشك فيه ولا تخمين وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[١] أي : ما قتلوه قتلاً تيقنوه بل إنما حكموا تخميناً ووهما[٢] .

فاليقين إذاً طمأنينة القلب على حقيقة الشيء يقال : يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه[٣] .

وربما عبروا بالظن عن اليقين ، وباليقين عن الظن قال أبو سدرة الأسدي ويقال الهجيمي :

تحسب هواس وأيقن أنني * بها مفتد من واحد لا أغامره

يقول : تشمم الأسد ناقتي يظن أنني أفتدي بها منه واستحمي نفسي فأتركها له ولا أقتحم المهالك بمقاتلته .

والموت يسمى يقيناً كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[٤] .

شرعاً :

قال شيخ الإسلام : اليقين هو طمأنينة القلب ؛ واستقرار العلم فيه وضد اليقين الريب وهو نوع من الحركة والاضطراب ، ومنه في الحديث : ((أن النبي ﷺ مر بظبي حاقف ، فقال : لا يريبه أحد))[١]))[٢] .

---

(١) سورة النساء (١٥٧) .

(٢) المفردات (٥٥٣) ، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٦٥٣) المعجم الوسيط (٢/ ١٠٦٦) .

(٣) سورة الحجر (٩٩) ، التعريفات (١٧٩) .

(٤) انظر: لسان العرب (٣/ ١٠١٥)، والصحاح (٦/ ٢٢١٩)، المعجم الوسيط (١٠٦٦).

وقال الجنيد : اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ، ولا يتغير في القلب[٣] .

وقال الشيخ السعدي في تفسيره : ((واليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك ، الموجب للعمل))[٤] .

وعند التأمل والتحقيق بكلام هؤلاء الأئمة نجد أن المعنى الشرعي لا يخرج عن معناه اللغوي غير أن معناه الشرعي أخص من حيث المتعلق حيث يتعلق بثلاثة أمور :

- توحيد الله .
- الإيمان بالغيب وما أخبر الله به من المعاد وغيره .
- الأوامر بالنواهي المتضمنة للفعل أو الترك[٥] .

ونصوص الكتاب والسنة تدور حول هذه الأمور، والناس يتفاوتون في هذا تفاوتاً عظيماً كتفاوتهم في الإيمان ودرجاته، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : ((اليقين الإيمان كله))[٦] .

....

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٩) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ : كتاب الحج ، باب ما يجوز للمحرم أكله من الصيد (٨٠٤)، والنسائي في الصغرى : كتاب مناسك الحج ، باب ما يجوز للمحرم أكله من الصيد (٢٨١٨) ، والحديث صححه الألباني في صحيح السنن .

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٥) .

(٤) (٤١) .

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٨) .

(٦) رواه البخاري تعليقاً (١/ ٦٣) .

وقد جاء من القرآن : ﴿ علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ﴾ قال ابن القيم : ((والفرق بين علم اليقين وعين اليقين : كالفرق بين خبر الصادق والعيان . وحق اليقين : فوق هذا .

وقد مُثِّلَت المراتب الثلاثة بمن أخبرك : أن عنده عسلاً وأنت لا تشك في صدقه ثم أراك إياه . فازددت يقيناً . ثم ذقت منه .

فالأول : علم اليقين . والثاني : عين اليقين . والثالث : حق اليقين . فعلمنا الآن بالجنة والنار : علم يقين . فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق وعاينها الخلائق فذلك : عين اليقين . فإذا أدخل أهل الجنة الجنة فذلك حينئذ حق اليقين))[1] .

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٩) .

المبحث الثاني :

أدلة اليقين الواردة في الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة

المبحث الثاني : أدلة اليقين الواردة في الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة :

أولاً : أدلة اليقين من الكتاب :

تعددت الأدلة من كتاب الله تعالى في ذكر ما نحن بصدده وهو اشتراط اليقين ونحن نذكر هنا بعضاً منها كما يلي :

- منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾[١] . فبينت الآية الكريمة أن من شروط صدق الإيمان بالله ورسوله الذي هو معنى الشهادة؛ كونهم متيقنين بها لم يرتابوا – أي لم يشكوا – يقول ابن جرير في تفسيره لهذه الآية : ((يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم : ((إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدقوا الله ورسوله ثم لم يرتابوا)) يقول : ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله ، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك عليه (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يقول : جاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم وبذل منهجهم على ما أمرهم الله به من جهادهم - وذلك سبيله = لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقوله : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ يقول هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم : إنا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله))[٢] .

---

(١) سورة الحجرات (١٥) .

(٢) (٢٦/ ١٤٤) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾(١) .

يقول ابن جرير : ((يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : إنما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك ، وترك الجهاد معك من غير عذر بين ؛ الذين لا يصدقون بالله، ولا يقرون بتوحيده ﴿ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ يقول : وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله وفي ثواب أهل طاعته وعقابه أهل معاصيه ﴿ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ يقول : في شكهم متحيرون وفي ظلمة الحيرة مترددون ، لا يعرفون حقاً من باطل فيعملون على بصيرة وهذه صفة المنافقين))(٢) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾(٣) .

قال قتادة : ((﴿ مُّرِيبٍ ﴾ يعني شاك في وحدانية الله وقدرته على ما يشاء))(٤) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾(٥) .

---

(١) سورة التوبة (٤٥) .
(٢) تفسير ابن جرير (١٠/ ١٤٣) .
(٣) سورة ق (٢٥-٢٦) .
(٤) تفسير ابن جرير (٢٦/ ١٦٧) .
(٥) سورة الدخان (٧-٩) .

يقول ابن جرير – رحمه الله – : ((يقول تعالى ذكره الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها .

وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ يقول : إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السموات والأرض ، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته ، وأن هذا القرآن تنزيله ، ومحمداً ﷺ رسوله حق يقين ، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره .

إلى أن قال : ((وقوله ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار ، يعني بذلك مشركي قريش، ولكنهم في شك منه فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك))[١]أ.هـ

– ومنها قوله تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾[٢] .

فبين سبحانه وتعالى ذكره : أنه حيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الإيمان؛ لأنهم كانوا قبل في الدنيا في شك مريب أي : محدث الريبة وقلق القلب ، فلذلك لم يؤمنوا ، ولم يعتبوا حين استعتبوا[٣] .

– ومنها قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[٤] .

---

(١) تفسير ابن جرير(٢٥/ ١١٠-١١١) مختصراً .

(٢) سورة سبأ (٥٤) .

(٣) انظر تفسير ابن جرير (٢٢/ ١١٣) والسعدي (٦٨٤) .

(٤) سورة يونس (٩٤) .

وفي هذه الآية نهي للنبي ﷺ عن الافتراء فيما أنزل الله عليه بل يستمر على ما هو عليه من اليقين وانتفاء الشك . ويمكن أن يكون هذا النهي له تعريضاً لغيره كما في مواطن من الكتاب العزيز ، وهكذا القول في نهيه ﷺ عن التكذيب بآيات الله ، فإن الظاهر فيه التعريض ولاسيما بعد تعقبه بقوله : ﴿فتكون من الخاسرين﴾ وفي هذا التعريض من الزجر للممترين والمكذبين ما هو أبلغ وأوقع من النهي لهم أنفسهم ، لأنه إذا كان بحيث ينهي عنه من لا يتصور صدوره عنه ، فكيف بمن يمكن منه ذلك(١) .

- إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما ذكرنا كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾(٢) .

- وقوله : ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾(٣) .

- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) .

*** أدلته من السنة النبوية :**

١) منها حديث جابر رضي الله عنه عن معاذ حين حضرته الوفاة يقول : اكشفوا عني سجف القبة ، أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ : لم يمنعني

---

(١) فتح القدير (٢/ ٦٠٣) .

(٢) سورة الشورى (١٤) .

(٣) سورة ص (٨) .

(٤) سورة يونس (١٠٤) .

أن أحدثكموه إلا أن تتكلموا سمعته يقول : ((من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو يقيناً من قلبه لم يدخل النار أو دخل الجنة وقال مرة دخل النار ولم تمسه النار)) [١] .

وفي رواية في المسند أيضاً : قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذاكم إلى قلب موقن إلا غفر الله لها)) [٢] .

ودلالة الحديث على المقصود ظاهرة لا التباس فيها .

٢) ومنها ما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)) وفي رواية : ((فيحجب عن الجنة)) [٣] .

٣) وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً – في حديث طويل – وفيه قال قال رسول الله ﷺ : ((وأعطاني نعليه – ((اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة)) [٤] .

٤) وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه

---

(١) المسند (٥/ ٢٣٦) ورجاله إلى جابر أئمة . انظر ظاهرة الإرجاء (٢/ ٥٩٣) .

(٢) (٥/ ٢٢٩) ورواه ابن حبان في صحيحه (١/ ٤٣٢) رقم (٢٠٣) وصححه الأرناؤوط وقد تقدم .

(٣) مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد (١/ ٢٢٤) .

(٤) (١/ ٢٣٧) وقد تقدم (١١٦) .

فيموت على ذلك إلا حرمه الله على النار ؛ لا إله إلا الله))[١] .

٥) ومنها حديث سؤال القبر وفيه : ((وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله ، لا أدري . فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي عليه : فتلتئم عليه ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)) .

وفي رواية : ((وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس فيقال له : لا دريت ولا تليت))[٢] .

٦) وفي مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : ((بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان . قال رجل ما هن يا رسول الله ؟ قال : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده . خمس من اتقى الله بهن مستيقناً دخل الجنة : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأيقن بالموت والبعث والحساب))[٣] .

فهذه الأحاديث – كما نرى – تدل صراحة على اشتراط اليقين بالشهادة، فلابد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله تعالى هو المعبود بحق ؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن أو التوقف والتردد فكيف إذا دخله الشك[٤] .

---

(١) تقدم تخريجه (٣١) .

(٢) متفق عليه وقد تقدم وانظر صحيح الجامع رقم (٧٢٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦) .

(٣) (٥/ ٣٦٧) وقد تقدم (١٠٩) .

(٤) العروة الوثقى (٥٦) .

وقد سبق لنا أن الشهادة لا تتحقق إلا باليقين وبهذا تدخل كل أحاديث الشهادة في هذا والله أعلم[١] .

*** أقوال أئمة السلف في هذا :**

١) بوب الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم باباً فقال : ((باب من لقي الله بالإيمان غير شاك فيه دخل الجنة)) .

٢) وقال الإمام القرطبي في المفهم على صحيح مسلم : ((باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين)) بل لابد من استيقان القلب .

وهذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان .

وأحاديث هذا الباب تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها . ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق ، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعاً[٢] .

٣) وقال الآجري في الشريعة تحت باب : ذكر الاستثناء من الإيمان من غير شك فيه ((بعد كلام طويل)) : ((وهذا مذهب كثير من العلماء وهو مذهب أحمد بن حنبل، واحتج أحمد بما ذكرنا واحتج بمسألة الملكين في القبر للمؤمن ومجابهتهما له ، فيقولان له : ((على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث يوم القيامة إن شاء الله)) ويقال للكافر والمنافق : ((على شك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله)) [٣] .

---

(١) انظر (٣٩٢) وانظر فتح المجيد (١/ ١٢٠) .

(٢) انظر فتح المجيد (١/ ١٢٠) .

(٣) الشريعة (٢/ ٦٥٨) والحديث رواه أحمد في المسند (٦/ ١٤٠) ، (٦/ ٣٥٥) وابن ماجة في السنن : كتاب الزهد ، باب ذكر القبر والبلى رقم (٤٢٦٨) وقال في الزوائد (إسناده صحيح) وصححه كذلك الألباني في صحيح السنن .

٤) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فلا يكون الرجل مؤمناً ظاهراً حتى يظهر أصل الإيمان وهو شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله ولا يكون مؤمناً باطناً حتى يقر بقلبه بذلك ؛ فينتفي عنه الشك ظاهراً وباطناً ؛ مع وجود العمل الصالح ، وإلا كان كمن قال الله فيه : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[1] وكمن قال تعالى فيه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2] وكمن قال فيه : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[3]))[4] وقال أيضاً : ((ومن كان متصوراً ما جاء به الرسول ﷺ إلا أنه في ريب منه ، لا مصدق ولا مكذب ، ولا محب ولا مبغض فهذا كافر كما أخبر الله عن حال كثير من الكفار ، منافقين وغيرهم فقال : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[5]))[6].

---

(١) سورة الحجرات (١٤) .

(٢) سورة البقرة (٨) .

(٣) سورة المنافقين (١) .

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٨٦) .

(٥) سورة التوبة (٤٥) .

(٦) منهج ابن تيمية في التكفير (١/ ٧٩) المجموع (٢/ ٧٨) .

٥) وقال الإمام ابن القيم في معرض كلامه عن أنواع الكفر : ((أما كفر الشك (نقيض اليقين) : فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها))[١] .

٦) وقال العلامة ملا علي القاري الحنفي في شرح حديث : ((من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة)) : ((مستيقناً بها)) أي : بمضمون هذه الكلمة ((قلبه)) أي : منشرحاً بها صدره غير شاك ومتردد في التوحيد ... ، وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق : أن اعتقاد التوحيد لا ينفع دون النطق عند الضرورة أو عند الطلب ولا النطق دون الاعتقاد بالإجماع؛ بل لابد منهما ...))[٢] .

٧) وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ عند حديث : ((من شهد أن لا إله إلا الله)) أي : من تكلم بها عارفاً لمعناها ، عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً كما قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣] وقوله : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[٤] أما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك وإخلاص القول والعمل – قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح – فغير نافع بالإجماع))[٥] أ.هـ

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤٧) .

(٢) المرقاة (١/ ١١٢) عن كتاب جهود علماء الحنفية (١/ ١٦٩) .

(٣) سورة محمد (١٩) .

(٤) سورة الزخرف (٨٦) .

(٥) فتح المجيد (١/ ١١٩-١٢٠) .

٨) وقال العلامة الخجندي المعصومي الحنفي : ((ولا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله، ولكن لا تنفع قائلها عند الله ، وفي دار الآخرة إلا بشروط :

قال : ((والثاني (أي من الشروط) : اليقين وهو كمال العلم بها ، المنافي للشك)) [(١)] .

٩) الشيخ حافظ الحكمي[(٢)] : عند ذكره شروط الكلمة : ((الثاني اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً ، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن ، فكيف إذا دخله الشك ...

وقال ﷺ : ((من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة)) الحديث[(٣)] .

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها ، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط)) [(٤)] .

---

(١) مفتاح الجنة (٦٢-٦٣) عن جهود علماء الحنفية (١/ ١٦٥) .

(٢) هو : الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (١٣٤٢-١٣٧٧هـ) العلامة البارع ذو النظم الفائق ، برع وألف ونظم ولما يخط شاربه بعد ، من كتبه معارج القبول ، وأعلام السنة المنشورة وغيرها .
انظر مقدمة كتاب العقود الذهبية (١/ ٤ – ١٢) .

(٣) تقدم تخريجه (١١٦) .

(٤) مفتاح القبول (١/ ٣٣٤) .

١٠) وقد بوب أبو عوانة[١] في مسنده باباً فقال : ((الدليل على أنه لا ينفعه الإقرار حتى يستيقن قلبه ثم شرع في ذكر الأدلة في ذلك))[٢] .

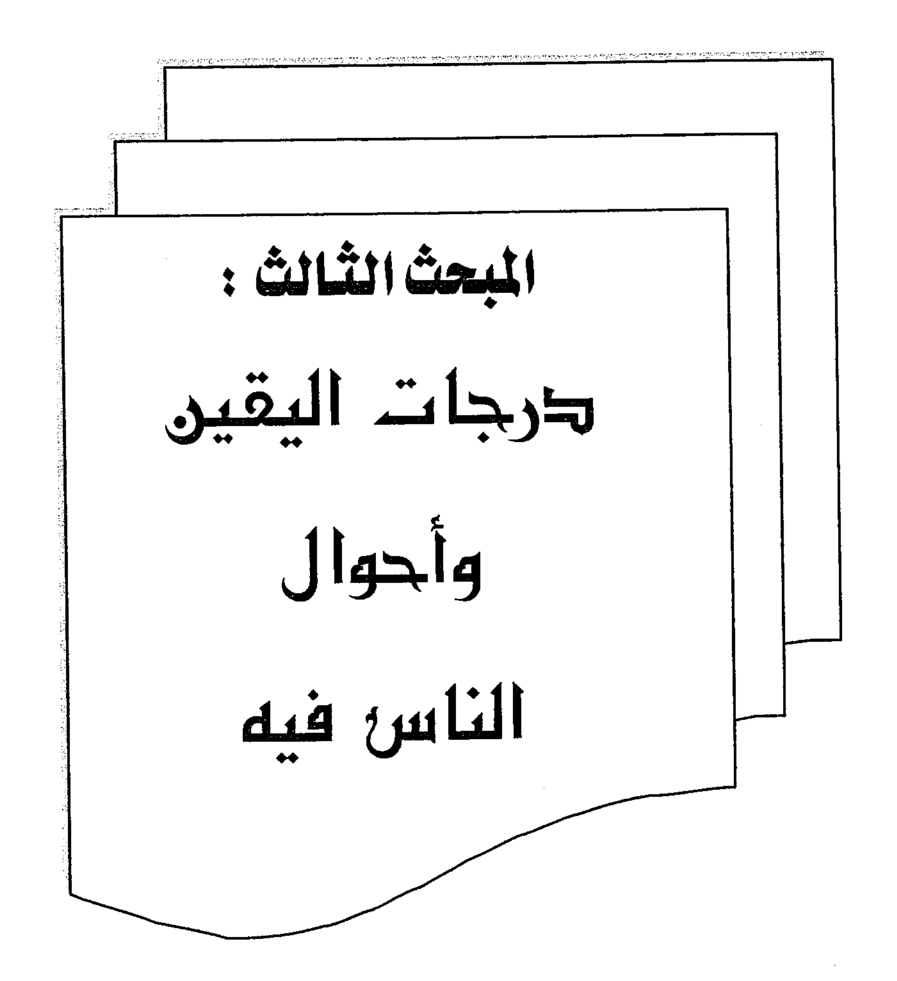
١١) وكذلك ابن حبان في صحيحه حيث قال : ((ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة وكان ذلك عن يقين منه))[٣] .

(١) هو : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الإسفراييني (٢٣٠-٣١٣هـ) الإمام الحافظ الكبير الجوّال صاحب المسند الصحيح قال فيه الحاكم : ((أبو عوانة من علماء الحديث وأثباتهم)) .

انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤١٧) .

(٢) المسند (١/ ٢-١٩) .

(٣) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٤٣٢-٤٣٣) .



المبحث الثالث :
درجات اليقين وأحوال الناس فيه



المبحث الثالث : درجات اليقين وأحوال الناس فيه :

اليقين بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وهو الذي يحمل السائر إلى الله؛ فإنه لولا اليقين ما سار ركب إلى الله، ولا ثبت لأحد قدم في السلوك إلا به(١) .

فبه حصول الإمامة في الدين متى ما اقترن بالصبر كما قال تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٢) فجعلهم مهتدين في أنفسهم ، يهدون غيرهم بذلك الهدي لما صبروا وأيقنوا ، فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين(٣) .

- وقد خص الله سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالبراهين فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾(٤) .

- كما خصهم بالهدي والفلاح من بين العالمين فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٥) .

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٤) .

(٢) سورة السجدة (٢٤) .

(٣) تفسير السعدي (٦٥٦) .

(٤) سورة الذاريات (٢٠) .

(٥) سورة البقرة (٤-٥) .

- وأخبر عن أهل النار : بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[١] .

- ومن ثماره ونتائجه حصول التوكل ، ولهذا حسن اقتران الهدي به . قال الله تعالى : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾[٢] فالحق : هو اليقين . وقالت رسل الله : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾[٣] .

ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً . وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم ، فامتلأ محبة لله وخوفاً منه ورضىً به ، وشكراً له وتوكلاً عليه وإنابة إليه . فهو مادة جميع المقامات والحامل لها[٤] .

قال ابن عطاء : ((إذا أشرق عليك نور اليقين رأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها))[٥] .

وقال بعضهم : اليقين يدعو إلى قصر الأمل ، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد ؛ ثلاثة من أعلام اليقين : قلة مخالفة الناس في العشرة ، وترك المدح لهم في العطية ، والتنزه عن ذمهم عند المنع .

---

(١) سورة الجاثية (٣٢) .
(٢) سورة النمل (٧٩) .
(٣) سورة إبراهيم (١٢) .
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٤-٣٧٥) مختصراً .
(٥) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد (١/ ٣٥) .

وثلاثة عن أعلامه أيضاً : النظر إلى الله في كل شيء ، والرجوع إليه في كل أمر ، والاستعانة به في كل حال[(١)] .

وقال شيخ الإسلام : ((واليقين ينتظم منه أمران : علم القلب وعمل القلب . فإن العبد قد يعلم علماً جازماً بأمر ؛ ومع هذا فيكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم ، كعلم العبد أن الله رب كل شيء ومليكه ؛ ولا خالق غيره ؛ وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ؛ فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه وقد لا يصحبه العمل بذلك ؛ إما لغفلة القلب عن هذا العلم ، والغفلة هي ضد العلم التام، وإن لم يكن ضداً لأصل العلم .

- وإما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب ، وإما لغير ذلك .

وفي الحديث المشهور الذي رواه أبو بكر الصديق عن النبي ﷺ أنه قال : ((سلوا الله اليقين والعافية ، فما أعطي أحد بعد اليقين شيئاً خيراً من العافية ، فسلوهما الله)) [(٢)] .

فأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا ؛ بخلاف غيرهم فإن الابتلاء قد يذهب إيمانه أو ينقصه . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[(٣)] ألا إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٥) .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤، ٦) ق (١/ ١٨٤، ١٨٥، ١٩٨، ٢١٠، ٢١٢) المحققة رقم (٥، ٦، ١٧، ٣٤، ٣٨) .

(٣) سورة النمل (٢٤) .

ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[١] فهذه حال هؤلاء.

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٢] .

قال : وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء :

أحدها : تدبر القرآن .

والثاني : تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق .

والثالث : العمل بموجب العلم . قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣] والضمير عائد إلى القرآن كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية[٤] .

فبين سبحانه أنه يُري الآيات المشهودة ليبين صدق الآيات المسموعة ، مع أن شهادته بالآيات المسموعة كافية ؛ لأنه سبحانه لم يدل عباده بالقرآن بمجرد

---

(١) سورة آل عمران (١٧٣) .

(٢) سورة الأحزاب (١٢) .

(٣) سورة فصلت (٥٣) .

(٤) سورة فصلت (٥٢-٥٣) .

الخبر ، فإن الله سبحانه بين في كتابه كلما يحتاج إليه في أصول الدين ، قرر فيه التوحيد والنبوة والمعاد بالبراهين التي لا ينتهي إلى تحقيقها نظر .

وأما الآيات المشهودة فإن ما يشهد ، وما يعلم بالتواتر من عقوبات مكذبي الرسل ومن عصاهم ، ومن نصر الرسل وأتباعهم على الوجه الذي وقع ، وما علم من إكرام الله تعالى لأهل طاعته وجعل العاقبة له ، وانتقامه من أهل معصيته وجعل الدائرة عليهم : فيه عبرة تبين أمره ونهيه ؛ ووعده ووعيده؛ وغير ذلك مما يوافق القرآن .

وأما العمل ؛ فإن العمل بموجب العلم يثبته ويقرره ومخالفته تضعفه ؛ بل قد تذهبه قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَـٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴾[3] الآيات .
وقال : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ الآية[4] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾ الآية[5] .

وأما العلم فيراد به في الأصل نوعان :

---

(١) سورة الصف (٥) .

(٢) سورة الأنعام (١١٠) .

(٣) سورة النساء (٦٦) .

(٤) سورة المائدة (١٥-١٦) .

(٥) سورة الحديد (٢٨) .

أحدهما : العلم به نفسه ؛ وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت عليه أسماؤه الحسنى . وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة ، فإنه لابد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته ؛ ويعاقب على معصيته؛ كما شهد به القرآن والعيان . وهذا معنى قول أبي حبان التيمي – أحد أتباع التابعين – العلماء ثلاثة :

– عالم بالله ليس عالماً بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله ، وعالم بالله وبأمر الله ؛ فالعالم بالله الذي يخشى الله ، والعالم بأمر الله الذي يعرف الحلال والحرام.

وقال رجل للشعبي : أيها العالم ! فقال : إنما العالم من يخشى الله . وقال عبد الله بن مسعود : كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله وجهلاً .

والنوع الثاني : يراد بالعلم بالله : العلم بالأحكام الشرعية ، كما في الصحيح عن النبي ﷺ : أنه ترخص في شيء فبلغه أن أقواماً تنزهوا عنه ، فقال : ((ما بال أقوام يتنزهون عن أشياء أترخص فيها ! والله إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له)) وفي رواية : ((والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده)) [١] فجعل العلم به هو العلم بحدوده)) [٢] .

واليقين ينقسم إلى قسمين وإن شئت فقل : قسم واحد منظور له من جهتين :

١) اليقين من حيث هو أصل الإيمان إذ لا إيمان مع الشك .

٢) اليقين من حيث هو درجة عليا من درجات الإيمان .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب (٦١٠١) وغيره . ولم أجد اللفظ الآخر .

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٩-٣٣٤) مختصراً .

فبالنظر للمعنى الأول يكون كل مؤمن موقناً وإلا لم يستحق اسم الإيمان وبالنظر للمعنى الآخر – ليس كل مؤمن موقناً ، بل الموقنون طائفة خاصة من المؤمنين .

فأما اليقين بالمعنى الأول فهو شرط من شروط كلمة التوحيد وقد سبق دلالة الكتاب والسنة في ذلك :

وأما اليقين بالمعنى الآخر – أي : اليقين الدرجة – فهو لب الإيمان وخلاصته وزبدته ، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ((اليقين الإيمان كله))[١] وفي المسند : ((أفضل الأعمال عند الله إيمان لاشك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور))[٢] .

وهو يقابل الإيمان الكامل المفصل – كما أن ذلك يقابل الإيمان المجمل ، ولهذا جاء في القرآن شرطاً للإمامة في الدين – كما تقدم – كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٣] ومن ارتباطه بالصبر قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[٤] وأخبر الله تعالى عن إمام الموحدين فقال :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب الإيمان وقول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس .

(٢) (١٢/ ٤٨٢) رقم (٧٥١١) وصححه الأرناؤوط في تحقيقه .

(٣) سورة السجدة (٢٤) .

(٤) سورة الروم (٦٠) .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[١] .

فقد كان الإيمان متحققاً عنده – كما أخبر الله عنه في الآية التي قبلها : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٢] فرقاه الله إلى درجة اليقين ، مثلما كان مؤمناً بأن الله يحيى الموتى لكن طلب الرؤية لتحصل الطمأنينة التي هي برد اليقين .

وهذا اليقين هو الذي عبر عنه بعض السلف بقوله : ((لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً))[٣] .

وقال الآخر : ((رأيت الجنة والنار حقيقة ، قيل له : كيف ؟ قال : رأيتهما بعيني رسول الله ورؤيتي لهما بعينيه آثر عندي من رؤيتي لهما بعيني ، فإن بصري قد يطغى ويزيغ بخلاف بصره ﷺ[٤])) .

واليقين بهذا المعنى نظير الإحسان الوارد في حديث جبريل ، لكن الإحسان في عمل الجوارح واليقين في عمل القلب والله أعلم .

فاليقين في الجملة متعلقه الاعتقاد ، وذلك أن مجمل الإيمان القلبي هو الإيمان بالغيب فإذا رسخ هذا الإيمان وارتقى عن الشكوك حتى يصبح كالمعاينة فهو اليقين .

---

(١) سورة الأنعام (٧٥) .
(٢) سورة الأنعام (٧٤) .
(٣) هو : عامر بن عبد القيس انظر مدارج السالكين (٢/ ٣٧٥) .
(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٧٧) .

ولهذا جاء أعظم الغيبيات - بعد الإيمان بالله - وهو الإيمان بالآخرة مقروناً باليقين أكثر مما سواه فقال تعالى : ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ في آيات كثر .

واليقين نوعان :

- يقين في خبر الله .
- ويقين في أمر الله الشرعي والكوني .

فاليقين بخبر الله هو الإيمان بصدقه وتحققه ووقوعه إيماناً لاشك فيه ، وهذا هو الإيمان بالغيب يقيناً ومن الأدلة عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾(١) الآية .

فطلب الخليل من ربه مثالاً للبعث يزيد إيمانه حتى يصبح يقيناً خالصاً ، وقريب منه طلب الحواريين المائدة ، فمع إيمانهم بقدرة الله طلبوا ما تطمئن به قلوبهم كذلك .

وهذا اليقين قد بلغ ذروته النبي ﷺ ليس فيما أخبر الله به من أمور الدين والإيمان فحسب ، بل في كل خبر ووعد ، حتى إنه ﷺ كان موقناً بأن الله سينصره ويظهره على العالمين، وهو ما يزال في أقسى مواقف الاضطهاد والتشريد والأذى ، ولم يستبطئ النصر كما استبطأه رسل من قبله فقالوا : ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ ﴾(٢) ولم يستيئس كما أستيأس بعضهم .

---

(١) سورة البقرة (٢٦٠) .

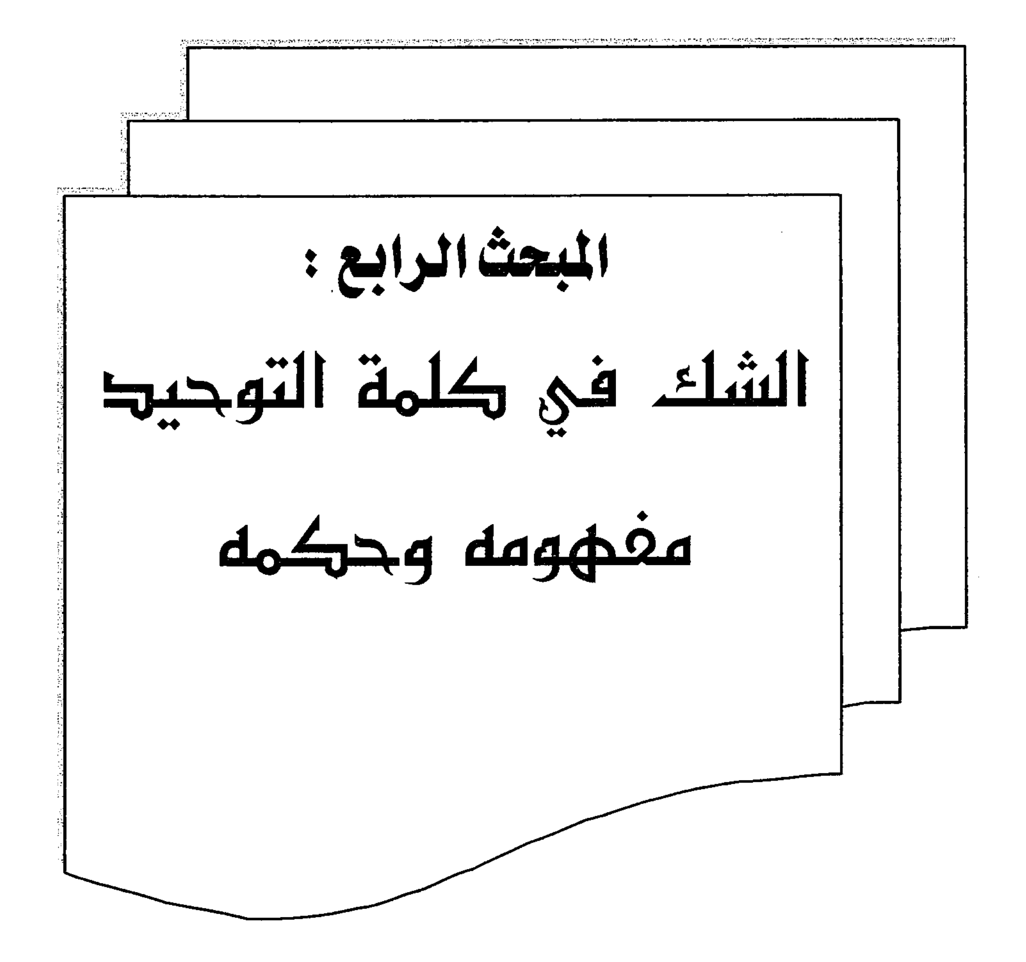
(٢) سورة البقرة (٢١٤) .

وأما اليقين بأمر الله ، فهو امتثاله برضاً وطمأنينة وتسليم إن كان شرعياً ، والرضا به والتسليم إن كان كونياً .

وذروته ما فعله إمام الموحدين من الامتثال لذبح ابنه الوحيد وما فعله النبي ﷺ في مواقف كثر من أعظمها يوم الحديبية حين قال : ((إني عبد الله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني)) [١] الحديث[٢] .

(١) ظاهرة الإرجاء (٢/ ٥٩٢-٥٩٧) مختصراً .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٢٤) ق (٣١/ ٢١٢) رقم (١٨٩١٠) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وحسن سنده الأرناؤوط .



المبحث الرابع :

الشك في كلمة التوحيد

مفهومه وحكمه

المبحث الرابع : الشك في كلمة التوحيد مفهومه وحكمه :

مفهوم الشك :

هو اعتدال النقيضين أو التردد فيهما بلا ترجيح لأحدهما على الآخر فيقف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما .

وهو ضرب من الجهل بل أخص منه لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأساً فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً[(١)] .

ومنه الريب والريبة غير أن هناك فرقاً دقيقاً بينهما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : ((والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب ، بخلاف الشك ، فإنه لا يكون إلا في العلم ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علماً وعملاً[(٢)])) .

والمقصود ههنا أن يشك في الكلمة وفي مدلولها، حائراً في صدقها وما جاءت به، وهو مرض اتصف به المنافقون يقول ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى في وصف المنافقين : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[(٣)] : والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله وتحيرهم فيه ، فلا هم به موقنون إيقان إيمان ولا هم له منكرون إنكار إشراك ، ولكنهم كما وصفهم الله – عز وجل – مذبذبون بين ذلك ؛ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما يقال : فلان تمرض في هذا الأمر ؛ أي : يضعف العزم ولا يصحح الرؤية فيه . وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك لظاهر القول في تفسيره من المفسرين ثم ذكر رحمه الله بسنده أقوال أولئك فذكر

---

(١) انظر المفردات (٢٦٩) والتعريفات (٩٢) المعجم الوسيط (١/ ٤٩١) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٠٨) .

(٣) سورة البقرة (١٠) .

تفسير ابن عباس وابن مسعود وناساً من أصحاب النبي ﷺ وقتادة والربيع بن أنس في آخرين[(١)] .

حكمه :

ومن هنا فمن شك في الله أو في رسوله ﷺ وما جاء به من دين عن الله فهو كافر لا شهادة له ولا إيمان ؛ لأن الشك نقيض اليقين الذي هو شرط من شروط كلمة التوحيد . يقول ابن سحمان – رحمه الله - : ((وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين ، كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا كذبه ، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ، ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أولا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا كفر بإجماع العلماء))[(٢)] .

وقال ابن القيم في معرض كلامه عن أنواع الكفر الأكبر : ((أما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه بل يشك في أمره))[(٣)] .

وقد تعدد نصوص الكتاب والسنة في ذلك ما هو ظاهر لكل متأمل كقوله تعالى في وصف المنافقين : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[(٤)] وقوله : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[(٥)] .

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (١/ ١٢٠-١٢٥) .

(٢) الضياء الشارق (٣٧٤) .

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٤٧) .

(٤) سورة التوبة (٤٥) .

(٥) سورة التوبة (١١٠) .

وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾[١] .

وكقوله ﷺ : ((أشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة))[٢] .

((ودلالة الحديث ظاهرة جداً في اشتراط كون القلب غير شاك فيها ، وإذا انتقى الشرط انتفى المشروط))[٣] .

وهنا فائدة مهمة اقتضى المقام ذكرها – متعلقة بموضوعنا – وهي التنبيه إلى الفرق بين الشك والوسوسة : ((فالوسوسة هي ما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهته صريح الإيمان كما جاء في الخبر عنه ﷺ حيث قال : لما سئل عن ذلك : ((ذاك صريح الإيمان))[٤] .

وأما الشاك فيما جاء به الرسول ﷺ ، فهو تارك للإيمان الذي لا نجاة ولا سعادة إلا به[٥] .

---

(١) سورة سبأ (٥٤) .

(٢) تقدم تخريجه (١١٤) .

(٣) معارج القبول (١/ ٣٣٥) .

(٤) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (٢/ ٢٣٢) رقم (٣٣٨) من حديث أبي هريرة .

(٥) انظر نواقض الإيمان الاعتقادية (٣/ ٧٣) .

الفصل السادس :

الشرط السادس : القبول

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم القبول لغة وشرعاً .

المبحث الثاني : أدلة القبول من الكتاب والسنة وأقوال السلف .

المبحث الثالث : درجات الناس في القبول .

المبحث الرابع : رد كلمة التوحيد مفهومه وحكمه .



المبحث الأول :

مفهوم القبول لغة وشرعاً

المبحث الأول : مفهوم القبول لغة وشرعاً :

لغة :

القبول يقال قبل الشيء وتقبله إذا أخذه عن طيب خاطر ، ومنه قبلت الهدية أقبلها قبولاً إذا أخذتها .

ويقال قبل العمل إذا رضيه وقبلته نفسه وفي الحديث : ((ثم يوضع له القبول في الأرض)) [(١)] .

وقبل الله دعاء فلان : أي : استجابه .

وقبل الخبر : إذا صدقه .

وهو بفتح القاف : المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه [(٢)] .

ومن هنا يتضح أن حقيقة القبول هو ما تحقق فيه أخذ الشيء ورضي به وأحبه وصدقه فاستجاب له)) .

شرعاً :

والمراد به : قبول لا إله إلا الله وما تضمنته شرعاً ولما اقتضته حكماً ومعنى؛ بالقلب واللسان وسائر الجوارح قبولاً منافياً للرد ، فلا يرد هذه الكلمة أو شيئاً من مقتضياتها التي جاء بها الحق سبحانه بواسطة رسوله ﷺ؛ فإن الشهادة قد يقولها من يعرف معناها لكنه لا يقبل ممن دعاه إليها بعض مقتضياتها إما كبراً أو حسداً أو غير ذلك، فهذا لم يحقق معنى القبول ولم يرض بها ولهذا كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله ولكنهم لم يقبلوها فذمهم الله في كتابه ، وكذلك المنافقون لم يرضوا بها ديناً وشرعاً وإن قالوها بألسنتهم فانتفى عنهم الإيمان كما سيأتي بيانه .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الوحي ، باب ذكر الملائكة رقم (٣٢٠٩) .

(٢) انظر المفردات (٣٩٣) لسان العرب (٣/ ١١-١٤)، المعجم الوسيط (٢/ ٧١٢) .

والمقصود أن القبول للا إله إلا الله ولما تتضمنه يتحقق بالقلب وذلك بانشراحه لهذه الكلمة ولما اقتضته من أوامر ونواهي . وكذلك باللسان وسائر الجوارح فلا يتكلم أو يعمل عملاً فيه رد لهذه الكلمة أو شيئاً من مقتضياتها بل يرضى بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً وشرعاً إذ حقيقة الرضى قبول ما جاء عن الله خبراً وإنشاءً[1] .

(١) انظر الشهادتان للجبرين (١٠٨) ، العروة الوثقى (٥٨) ، ظاهرة الإرجاء (٢/ ٥٦٣)، شروط لا إله إلا الله للمعتق (٤٥-٤٨) .

المبحث الثاني :

أدلة القبول من الكتاب والسنة وأقوال السلف

المبحث الثاني: أدلة القبول من الكتاب والسنة وأقوال السلف:

تعددت دلائل الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة في كون القبول شرطاً من شروط كلمة التوحيد وفيما يلي تقرير ذلك:

*** أدلة الكتاب الكريم في ذلك:**

- منها قوله تعالى في بيان حال المشركين من دعوة الرسول ﷺ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾(١)

ففي هذه الآيات البيان الواضح بالعذاب الأليم في الآخرة لمن لم يقبل معنى لا إله إلا الله وما تضمنه من الإيمان برسالة محمد ﷺ كما أن فيها وعداً بالنعيم في جنات النعيم لمن قبل ذلك.

((فهؤلاء المشركون لما دعوا إلى هذه الكلمة، وأمروا بترك إلهية ما سواه استكبروا عنها وعلى من جاء بها فلم يقبلوها بل قالوا معارضة لها أإنا لتاركوا آلهتنا التي لم نزل نعبدها نحن وآباؤنا لقول شاعر مجنون فتوعدهم الله جزاء فعلهم المشين وتكذيبهم للحق الذي جاء به الرسول ﷺ بالعذاب الأليم الموجع.

---

(١) سورة الصافات (٣٥-٤٣).

ثم استثنى الله تعالى عباده المؤمنين المخلصين =الذين قبلوا هذه الكلمة= فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم؛ لأنهم قبلوا ما جاء عن الله وأخلصوا فيه أعمالهم فلهم النعيم الذي لا ينقطع))(١) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾(٢) .

((وفي هذه الآيات بيان عاقبة الذين لم يقبلوا ما جاء به النذير من الهدى بحجة تقليد الآباء ، ولهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة التي يرد بها الحق: ﴿ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ﴾ أي : فهل تتبعوني لأجل الهدى ؟ : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ فعلم بهذا أنهم ما أرادوا إتباع الحق والهدى وإنما قصدهم إتباع الباطل والهوى فانتقم الله منهم))(٣).

وفي تفسير البغوي : ((﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ﴾ أي : بدين أصوب ؛ أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه ؟ فأبوا أن يقبلوا وقالوا إنا بما أرسلتم به كافرون))(٤) .

---

(١) انظر تفسير السعدي (٧٠٢-٧٠٣) .

(٢) سورة الزخرف (٢٣-٢٥) .

(٣) تفسير السعدي (٧٦٤) .

(٤) معالم التنزيل (٤/ ٩٥) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

ووجه الدلالة : أن الله تعالى وعد في هاتين الآيتين بالنجاة والنصر للمؤمنين الذين قبلوا ما تضمنته الشهادة، والانتقام من الذين لم يقبلوا فأجرموا وكانوا معتدين[2] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

أي : إنما كان قول المؤمنين حقيقة الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سواء وافق أهواءهم أو خالفها أن يقولوا سمعنا وأطعنا أي : سمعنا حكم الله ورسوله وأجبنا من دعانا إليه وأطعنا طاعة تامة سالمة من الحرج .

وأولئك هم المفلحون ؛ حصر الفلاح فيهم ؛ لأن الفلاح : الفوز بالمطلوب والنجاة من المكروه ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله وأطاع الله ورسوله[4] .

---

(١) سورة الروم (٤٧) .

(٢) شروط لا إله إلا الله للمعتق (٤٦) وانظر تفسير ابن جرير (٢١/ ٥٣) وتفسير السعدي (٦٤٤) .

(٣) سورة النور (٥١) .

(٤) تفسير السعدي (٥٧٢) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾(١) .

فلم يكن لمؤمن بالله ورسوله ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، بل يجب عليهم قبولـه، وإلا ضلوا ضلالاً مبيناً، فهذا إذا كان القضاء في أنفسهم وما يخصهم فكيف إذا كـان في شرع الله وحكمه، بل كيف إذا كان في أصله وأساسه الذي لا يـتم الإسـلام إلا به؛ فإن الضرورة تقتضيه وتفرضه ، فلا ينبغي ولا يليق ممن اتصف بالإيمـان إلا الإسراع في مرضات الله ورسوله وقبول الحق الذي جاء منهما(٢) .

- ومنها قوله تعالى في بيان حال أعدائه من اليهود وعدم قبولهم ما جاء به النبي ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(٣) .

فأخبر الله جل ثناؤه عنهم بردتهم وتكذيبهم وجحودهم ما جاءهم مـن الحق – وهو كتاب الله – وما فيه من البينات والهدى . فأعرضوا عنه ولم يقبلـوه وهم بحقيقته وحجته عالمون(٤) .

- ومنها قوله تعالى في بيان حال مشركي قريش لما صعد النبي ﷺ وقال لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا : ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ

(١) سورة الأحزاب (٣٦) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير (٢٢/ ١١) والسعدي (٦٦٥) .

(٣) سورة آل عمران (٢٣) .

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٣/ ٢١٩) والسعدي (١٢٦) .

ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾(١) .

فلم يقبل هؤلاء المشركون ما دعاهم إليه الرسول ﷺ من التوحيد والإيمان، معتمدين في ذلك على شبه واهية، وحجج تافهة، ليس لها بنيات، ولا تقوم على أركان ؛ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ فردوا الحق بما ليس بحجة؛ إذ لا ينسج الجهل إلا بيت العنكبوت، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون(٢) .

*** الأدلة من السنة النبوية :**

وأما دلالة السنة في ذلك :

١) فمنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال توفي الله عز وجل نبيه ﷺ قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : قد سألته عن ذلك قلت : يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردها عليّ فهي له نجاة))(٣) .

---

(١) سورة ص (٤-٨) .

(٢) انظر تفسير السعدي (٧١٠) وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٠-٣٢) .

(٣) (١/ ٢٠١) رقم (٢٠) وصححه الأرناؤوط وقد تقدم تخريجه (٤٠) .

والشاهد من الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : ((من قبل الكلمة)) حين اشترط القبول للشهادة في النجاة حيث أن أبا طالب أبى قبولها وآثر ملة عبد المطلب فهلك مع من هلك على ملة الكفر . والله المستعان .

٢) ومنها ما رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.

فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به))[١] .

والشاهد قوله : ((من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)) .

((والحديث ظاهر في عدم انتفاع من لم يقبل ذلك الهدي وعليه فلا ينتفع قائل الشهادة إذا لم يقبل معناها ومقتضاها))[٢] .

قال ابن حجر – رحمه الله – : ((قوله ﷺ : ((من لم يرفع بذلك رأساً)) أي : أعرض عنه فلم ينتفع به، ولا نفع، كمن لم يدخل في الدين أصلاً، بل بلغه فكفر به، فهو كالأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا تنتفع به، وقد أشار إليه الرسول ﷺ بقوله : ((ولم يقبل هدى الله الذي جئت به))[٣] .

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب فضل من عمل وعلم رقم (٧٩) .

(٢) شروط لا إله إلا الله للمعتق (٤٨) .

(٣) فتح الباري (١/ ٢٣٤) .

٣) ومنها ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله))(١).

٤) ومنها حديث ضمام وفيه : ((آمنت بالذي جئت به)) الحديث(٢) .

((فأخبر أنه آمن بالذي جاء به وقبله ، بدليل أنه لم يسأله عن التوحيد، بل عن عموم الرسالة وعن شرائع الإسلام)) (٣) .

*** أقوال سلف الأمة في ذلك :**

١) قال إسحاق بن راهويه : ((وقد أجمع العلماء أن من دفع شيئاً أنزله الله وهو مقر بما أنزل الله أنه كافر)) (٤) .

٢) وقال محمد بن نصر المروزي في بيان معنى الإيمان بالله وذلك بـ : ((أن توحده وتصدق به بالقلب واللسان وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر مجانباً للاستنكاب والاستكبار والمعاندة)) (٥) .

٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ولا فرق بين من يعتقد أن الله ربه ، وأن الله أمره بهذا الأمر ثم يقول : إنه لا يطيعه لأن أمره ليس بصواب ولا سداد ، وبين من يعتقد أن محمداً رسول الله ﷺ وأنه صادق واجب الإتباع في خبره وأمره ، ثم يسبه أو يعيب أمره أو شيئاً من أحواله ، أو ينتقصه انتقاصاً لا يجوز أن يستحقه الرسول ، وذلك أن الإيمان قول وعمل فمن اعتقد الوحدانية

---

(١) تقدم تخريجه (٢٢) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب العلم ، باب ما جاء في العلم رقم (٦٣) .

(٣) فتح الباري (١/ ٢٠٢) .

(٤) الصارم المسلول (٤٥١) ط. المدني .

(٥) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٢) .

في الألوهية لله – سبحانه وتعالى – والرسالة لعبده ورسوله ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام – والذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح ، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل – كان وجود ذلك كعدمه ، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح .

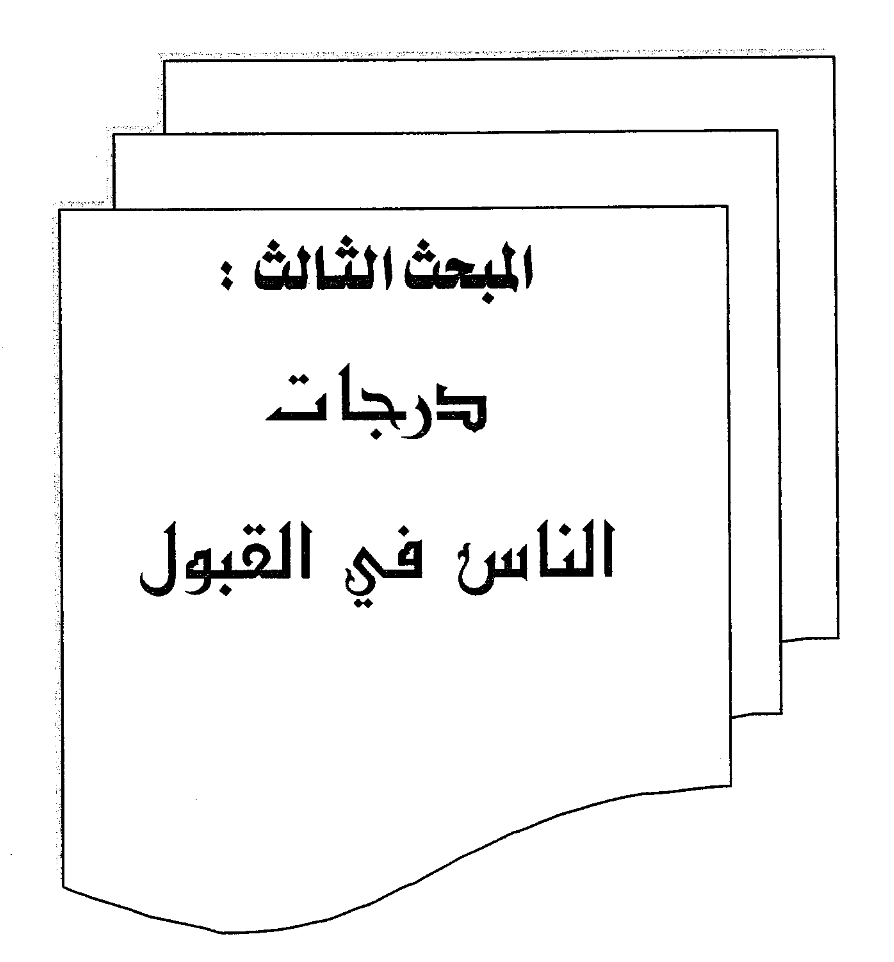
هذا فيما بينه وبين الله ، وأما في الظاهر فتجري الأحكام على ما يظهره من القول والفعل)) [١] .

٤) وقد بوب ابن حبان في صحيحه باباً فقال : ((ذكر البيان بأن المرء إنما يحقن دمه وماله إذا آمن بكل ما جاء به المصطفى ﷺ من الله جل وعلا وفعلها[٢] دون الاعتماد على الشهادتين اللتين وصفاهما من قبل)) وكان قد قال قبله بأبواب ((ذكر البيان بأن الإيمان بكل ما جاء به المصطفى ﷺ من الإيمان)) [٣].

(١) الصارم المسلول مختصر (٢/ ٧٠٠-٧٠١) المحققة .

(٢) قوله : ((وفعلها)) كذا في المطبوعة ، هي على إطلاقها فيها مجازفة ، لكن يحتمل أنه أراد أن اعتقاد فعلها من الإيمان والله أعلم .

(٣) الإحسان (١/ ٣٩٩، ٤٥٣) .



المبحث الثالث :

درجات الناس في القبول

المبحث الثالث: درجات الناس في القبول :

لاشك أنه لابد لتحقيق الإيمان بلا إله إلا الله وما تتضمنه من التصديق بها وقبولها قلباً وقالباً رضىً وتسليماً .

فكما أنه لا يكفى لتحقيق الإيمان بها مجرد القبول دون التصديق فكذلك لا يكفي مجرد التصديق دون القبول لها؛ وذلك أن الإقرار بلا إله إلا الله يستلزم قبولها والرضا بما جاءت به .

ومن هنا فأساس الإسلام وقاعدة الإيمان التي يجب على العبد تحقيقها الرضا والقبول بلا إله إلا الله، وما تضمنته من مقتضيات وكيف لا يكون ذلك وأول كفر وقع في هذا العالم إنما نشأ من عدم الرضا والقبول؛ فإبليس لم يرض بأمر الله ولم يقبل حكمه الذي حكم به كوناً – من تفضيل آدم وتكريمه ، ولا بحكمه الديني – من أمره بالسجود لآدم .

مع تصديقه بالله واليوم الآخر وأن الله هو الإله دون ما سواه، فكان من الكافرين الملعونين إلى يوم الدين بحقيقة القبول للا إله إلا الله، والذي هو قطب رحى الإسلام، والمطهر من الشرك الأكبر، وهو الرضى بالله رباً وتسخط عبادة ما دونه[1] .

ولاشك أن هذا الرضا الذي يشمل التوحيد كله ؛ ربوبيةً وألوهيةً، طاعةً وتقرباً ليس على درجة واحدة بل يتفاوت الناس فيه على قدر تحقيقهم لهذا التوحيد ورضاهم به ومن هنا قال النبي ﷺ : ((ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً))[2] .

---

(١) انظر مدارج السالكين (٢/ ١٧٨) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من رضى الله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر (٢/ ١٩٣) رقم (١٥٠) من حديث العباس رضي الله عنه .

وقال : ((من قال حين يسمع النداء : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد رسولاً غفرت له ذنوبه)) [(١)] .

((وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي ، وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته والرضا برسوله والانقياد له والرضا بدينه والتسليم له)) .

((فالرضا بإلهيته يتضمن الرضا بمحبته وحده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه ، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه ، وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له .

والرضا بربوبيته : يتضمن الرضا بتدبيره لعبده ، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به والثقة به والاعتماد عليه وأن يكون راضياً بكل ما يفعل به .

فالأول : ((أي رضا الألوهية)) يتضمن رضاه بما أمر به .

والثاني : يتضمن رضاه بما قدر عليه .

وأما الرضا بنبيه رسولاً : فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه – بحيث يكون أولى به من نفسه فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره البتة ، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه .

لا يرضى في ذلك بحكم غيره ، ولا يرضى إلا بحكمه ؛ فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم ، وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي يتيمم به عند العجز عن استعمال الطهور .

---

(١) تقدم تخريجه (١١٣) وهو في الصحيح .

وأما الرضا بدينه : فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى رضي كل الرضا ، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها أو قول مقلده أو شيخه وطائفته)) .

قال ابن القيم بعد هذا الكلام : ((وهاهنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم . فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد . فإنه والله عين العزة والصحبة مع الله ورسوله، وروح الأنس به والرضا به رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام ديناً))[(١)] .

وقد جاء الرضا بالله بأنواعه مبيناً في سورة الأنعام التي هي سورة التوحيد العظمى ؛ فقد اشتملت على ثلاثة أنواع من الرضا هي جماع التوحيد كله :

أ - الرضا بالله حكماً لا شريك له في التقرب والتأله والتعبد :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[(٢)] .

ب- الرضا بالله حكماً لا شريك له في التشريع والطاعة :

قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ﴾[(٣)] .

جـ- الرضا بالله ولياً لا شريك له في محبته وموالاته :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[(٤)] .

يقول ابن القيم شارحاً ذلك :

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧١-١٧٢) .

(٢) سورة الأنعام (١٦٤) .

(٣) سورة الأنعام (١١٤) .

(٤) سورة الأنعام (١٤) .

((الرضا بالله رباً : ألا يتخذ رباً – غير الله تعالى – يسكن إلى تدبيره وينزل به حوائجه ، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾)).

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ((سيداً وإلهاً)) يعني فكيف أطلب رباً غيره وهو رب كل شيء ؟ وقال في أول السورة : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

يعني معبوداً وناصراً وملجأ وهو من الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة .

وقال في وسطها : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ .

أي : أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه ؟ وهذا كتابه سيد الحكام ، فكيف نتحاكم إلى غير كتابه ؟ وقد أنزله مفصلاً مبيناً كافياً شافياً ؟

وأنت إذا تأملت هذه الآيات حق التأمل ، رأيتها هي نفس الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ، ورأيت الحديث يترجم عنها ، ومشتقاً منها ، فكثير من الناس يرضى بالله رباً ولا يبغي رباً سواه ، لكنه لا يرضى به وحده ولياً وناصراً بل يوالي من دونه أولياء ظناً منه أنهم يقربونه إلى الله ، وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك ، وهذا عين الشرك ، بل التوحيد ألا يتخذ من دونه أولياء ، والقرآن مملوء من وصف المشركين بأنهم اتخذوا من دونه أولياء .

وهذا غير موالاة أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين فيه ، فإن هذا من تمام الإيمان، ومن تمام موالاته ؛ فموالاة أوليائه لون واتخاذ الولي من دونه لون ، ومن لم يفهم الفرقان بينهما فليطلب التوحيد من أساسه ، فإن هذه المسألة أصل التوحيد وأساسه .

وكثير من الناس يبتغي غيره حكماً يتحاكم إليه ، ويخاصم إليه ويرضى بحكمه ، وهذه المقامات الثلاثة هي أركان التوحيد :

- ألا يتخذ سواه رباً .
- ولا إلهاً .
- ولا غيره حكماً .

وتفسير الرضا بالله رباً : أن يسخط عبادة ما دونه ، هذا هو الرضا بالله إلهاً ، وهو من تمام الرضا بالله رباً ، فمن أعطي الرضا به رباً حقه سخط عبادة ما دونه قطعاً : لأن الرضا بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته ، كما أن العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية .

فالحاصل : أن يكون الله وحده المحبوب المعظم المطاع ، فمن لم يحبه ولم يطعه ولم يعظمه : فهو متكبر عليه ، ومتى أحب معه سواه ، وأطاع معه سواه : فهو مشرك ، ومتى أفرده وحده بالحب والتعظيم والطاعة فهو عبد موحد. والله سبحانه وتعالى أعلم)) (١) .

ومنافي الرضا وكماله ومقابله الرد والاعتراض والكراهة لما أنزل الله بعضه أو كله ، وكل ذلك مما وقعت فيه الأمة كلياً أو جزئياً ، فوقع فيها الاعتراض على توحيد المعرفة والإثبات ، والاعتراض على الأمر الشرعي بالتحليل والتحريم ، والاعتراض على الأمر الكوني ، فاعترض كثير منهم على صفاته وشريعته وقضائه وقدره .

وأصل هذه الاعتراضات التلقي عن غير الله ورسوله ، والاستمداد من غير الوحي وتحكيم غيره ، فمنهم من حكم العقل – بزعمه – فنقل الفلسفات الوثنية وحثالة فكر التائهين ، وهؤلاء هم أصحاب الكلام .

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٨-١٨٠) .

ومنهم من حكم الذوق والوجد والكشف ، وانتكس بالعقل المسلم إلى حضيض الخرافة والوهم وهؤلاء هم الصوفية .

ومنهم من حكم الأقيسة العقلية والأعراف السياسية بحجة تحقيق المصلحة الشرعية ومراعاة الأصول العقلية – بزعمهم – فأحلوا من الدماء والأموال والفروج – ما ورد النص بتحريمه صريحاً[١] .

وكل هذه الاعتراضات وما سبقها من قبول يتباين الناس فيها تبايناً عظيماً جداً والواقع يشهد بل من تأمل الواقع الذي نعيشه والاعتراض الذي وصلت إليه الأمة على وجه الخصوص وجد عجباً تذهل منه العقول المستنيرة والمعصوم من عصمه الله .

(١) انظر ظاهرة الإرجاء (٢/ ٥٦٩) .

المبحث الرابع :

الرد لكلمة التوحيد حقيقته وأنواعه وحكمه

المبحث الرابع : الرد لها حقيقته وأنواعه وحكمه :

والمقصود بهذا المبحث بيان حكم من لم يقبل كلمة التوحيد أو لم يحقق مقتضى القبول وذلك بعد تبين الحجة الرسالية وظهورها .

فمن قامت عليه الحجة بالرسالة فجحد وكذب أو عاند واستكبر فأبى ولم يرض بمقتضيات كلمة التوحيد فهذا رد كلمة التوحيد ولم يقبلها و لا يشك في كفر من كان هذا حاله .

والراد لكلمة التوحيد لا يخرج عن أن يكون عن معرفة قلب من غير اعتراف باللسان فهذا كفر الجحود أو أن يكون عن معرفة قلب واعتراف باللسان فهذا كفر الاستكبار . ومن هنا فرد كلمة التوحيد يتفرع منه نوعان من أنواع الكفر نوليها بالبيان ههنا :

- كفر الجحود والتكذيب .
- كفر الاستكبار والإباء .

وكل من هذين الصنفين أضرم صاحبه نفسه في ظلمات العناد بعد وضوح المحجة فأضله الله عن سواء السبيل وأمده في الضلالة جزاء وفاقاً ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾[1] فأصبح كفره الذي كان عن بينة وعناد إلى كفر ضلالة وغواية بحيث يعلم آيات الله وتقوم بها الحجة عليه لكنه لا يوفق لقبولها ، بل يقوم بقلبه ما يحسب معه أنه على حق ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[2] .

---

(١) سورة مريم (٧٥) .

(٢) سورة فاطر (٨) .

يقول ابن القيم عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[١] : ((هداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا ، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً ، بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا عنه ، فأعماهم عنه بعد أن أراهموه))[٢] .

*** كفر الجحود والتكذيب :**

وهو : أن يعرف الإنسان الحق بقلبه ، لكنه لا يقر به ولا يعترف به بلسانه وبالتالي لا ينقاد بجوارحه ، فهو جاحد له ظاهراً معترف به باطناً . وذلك أن التكذيب لا يتأتى إلا ممن عرف الحق فرده ، وأما من لم يتبين له الحق ، وكان له شبهة فلا يكون مكذباً ولا راداً للحق .

ولهذا نفى الله أن يكون تكذيب الكفار للرسول ﷺ على الحقيقة والباطن، وإنما باللسان فقط قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[٣] .

ومن الأمثلة على ذلك :

- كفر فرعون وقومه ؛ حيث جحدوا الله عز وجل بألسنتهم مع معرفتهم له بقلوبهم فلم يقبلوا الهدى الذي جاءهم .

---

(١) سورة التوبة (١١٥) .

(٢) شفاء العليل (١/ ٢٦٤) .

(٣) سورة الأنعام (٣٣) .

قال تعالى في وصفهم : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١) وقد عللوا جحودهم بقولهم – كما حكى الله عنهم – : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾(٢) .

– ومنها كفر اليهود : حيث جحدوا نبوة رسولنا ﷺ وكتموا أمره وما جاء به من كلمة التوحيد حسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق كما قال تعالى عنهم : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(٣)(٤) .

وكفر التكذيب يشمل من كان كافراً كفراً أصلياً ، قامت عليه الحجة الرسالية فعاند وكذب الرسول ولم يقبل ما جاء به ، فهذا كافر ظاهراً وباطناً في أحكام الدنيا وأحكام الآخرة كما قال ﷺ : ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني – ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار))(٥) .

كما يشمل كفر التكذيب من كان مسلماً ثم طرأ عليه التكذيب للرسول ﷺ جملة وهذا ظاهر ، أو بأي شيء مما جاء به بحيث لا يكون ذلك عن شبهة يعذره الله بها ويدخل كفر الاستحلال في عموم كفر التكذيب ؛ لأن كل طلب

---

(١) سورة النمل (١٤) .

(٢) سورة المؤمنون (٤٧) .

(٣) سورة البقرة (٨٩) .

(٤) انظر المفيد في مهمات التوحيد (١٧٧) وضوابط التكفير (١٨٣-١٨٤) نواقض الإيمان الاعتقادية (٢/ ٥٧-٦٨) .

(٥) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان .

– واجب أو مستحب – يستلزم ابتداء التصديق به وقبوله فإن ارتكب معصية مع اعتقاد أنه مخالف فإنه لا يكون قد نقض إيمانه بذلك وإن كان الإيمان ينقص بارتكابه ذلك(١) .

*** كفر الاستكبار والإباء :**

وهو أن يعرف الإنسان الحق بقلبه ، ويعترف به بلسانه ولكنه يأبى أن يقبله أو يدين به ؛ إما أشراً وبطراً، وإما احتقاراً له ولأهله أو لسبب آخر .

ومن أمثلة ذلك :

– كفر إبليس ؛ فإنه لم يجحد أمر الله عز وجل ، ولا قابله بالإنكار ، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢) .

– وكفر أبي طالب عم الرسول ﷺ حيث أنه عرف صدق الرسول ﷺ ، وأنه جاء بالحق من عند الله وأن دينه لا يأتيه الباطل عرف ذلك وأقره ولم يشك في صدقه لكنه لم يقبله إباء واستكباراً فأخذته الحمية وتعظيم الآباء أن يرغب عن ملتهم أو يشهد عليهم بالضلال .

وقد مثل دين محمد ﷺ بأبيات له أفصحت عن مكنون صدره فقال :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

(١) انظر المصادر السابقة .

(٢) سورة البقرة (٣٤) .

فلم يقبل كلمة التوحيد التي عرضت عليه حتى عند آخر رمق من حياتـه واختار دين آبائه حذار الملامة والمسبة التي تلحقه لو تبع ما جاء به الرسـول ﷺ وهو مع ذلك معترف بصدق ذلك ومقرّبه[1] .

(١) انظر شرح الطحاوية (٢/ ٤٦١) والمفيد في مهمات التوحيد (١٧٨) .

الفصل السابع :

الشرط السابع : الانقياد

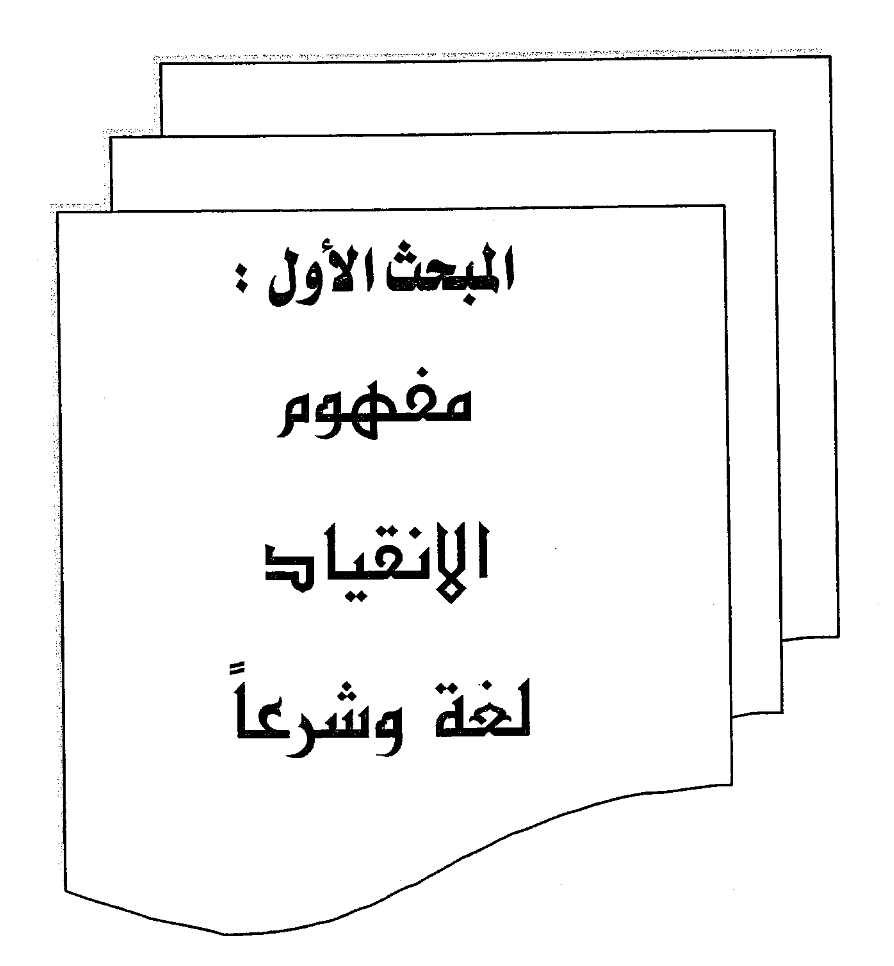
وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الانقياد لغة وشرعاً .

المبحث الثاني : أدلة الانقياد من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة .

المبحث الثالث : درجات الناس في الانقياد .

المبحث الرابع : الترك لكلمة التوحيد حقيقته وحكمه .



المبحث الأول :

مفهوم الانقياد لغة وشرعاً

المبحث الأول : مفهوم الانقياد لغة وشرعاً :

لغة :

هو الخضوع والذل . تقول قدته فانقاد واستقاد لي إذا أعطاك مقادته .

وانقاد له أي خضع وذل ، ويقال : انقاد للأمر : أي سهل واستقام .

واستقادت الدابة : مشت خلف قائدها . وفي الحديث : ((قريش قادة ذادة)) : أي يقودون الجيوش .

والأقود من الناس : الذي إذا أقبل على الشيء بوجهه لم يكد ينصرف .

وبهذا يعرف أن الانقياد ما تضمن الإتباع والذل والخضوع فأسلم أمره لمتبعه بكليته ولم ينصرف عنه[1] .

*** شرعاً :**

والمراد به الانقياد للا إله إلا الله ولما اقتضته ظاهراً وباطناً انقياداً منافياً للترك ، وذلك بالعمل بما فرضه الله وترك ما حرمه والتزم ذلك فيسلم بقلبه وجوارحه لله وينقاد له بالتوحيد والطاعة وهو الإسلام الذي حقيقته الاستسلام والخضوع والذل لله بالتوحيد والإتباع لما جاء به الرسول ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى من الطاعة إذ لا يقبل الله إلا ما شرعه ﷺ وما عداه فهو رد كما جاء في الصحيح : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[2] .

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٧٧) والمعجم الوسيط (٢/ ٧٦٥) .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم (٢٦٩٧) ، ومسلم في صحيحه : كتاب الأقضية (١٧١٨) .

ولا يكون تاماً كاملاً إلا بإتباع جميع ما بلغه رسول الله ﷺ حتى يكون هواه وهو ما تميل إليه النفس : تبعاً لما جاء به المصطفى كما قال ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)) .

وفي رواية : ((لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))[١] .

والانقياد من مستلزمات القبول ولعل الفرق بينه وبين القبول :

- أن الانقياد هو الإتباع بالأفعال ، والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول .

- أنه يلزم منهما جميعاً الإتباع ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان وعدم التعقب لشيء من أحكام الله فكأن الانقياد نتيجة وثمرة للقبول والله أعلم[٢] .

- أن ضد القبول الرد وأما الانقياد فضده الترك .

---

(١) رواه البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٣) والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٩) وصححه النووي في الأربعين .

(٢) كلمة لا إله إلا الله (٤١-٤٣) المفيد في مهمات التوحيد (٧٢) ، والعروة الوثقى (٥٩-٦٠) والشهادات (١٠٨) .

المبحث الثاني :
أدلة الانقياد من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة

المبحث الثاني : أدلة الانقياد من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة :

تضافرت نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف في كون الانقياد شرط من شروط كلمة التوحيد لا تقبل بدونه، حاله حال ما مضى من الشروط ولعلنا هنا نذكر ما يفي بالغرض المطلوب .

أولاً : نصوص الكتاب الكريم :

- قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾[1] .

فمن خضع لله وانقاد له بفعل الشرائع مخلصاً له دينه وهو محسن في ذلك الإسلام والاستسلام بأن كان عمله مشروعاً قد اتبع فيه الرسول ﷺ فقام بشرائع الدين وأدى حقوق الله عليه فقد استمسك بالعروة الوثقى التي من تمسك بها نجى وسلم من الهلاك وفاز بكل خير .

ومن لم يسلم وجهه لله أو لم يحسن لم يستمسك بالعروة الوثقى وإذا لم يستمسك بالعروة الوثقى لم يكن ثم إلا الهلاك والبوار .

فحقيقة الاستمساك بالعروة الوثقى ((وهي لا إله إلا الله)) – كما جاء ذلك عن بعض السلف[2] – هو الانقياد لله بالطاعة .

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية : ((يقول تعالى مخبراً عمن وجهه أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ولهذا قال : ((وهو

---

(١) سورة لقمان (٢٢-٢٣) .

(٢) جاء ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وسفيان . انظر المبحث الثاني من الفصل الأول من الباب الأول من هذه الرسالة .

محسن)) أي : في عمله : بإتباع ما به أمر وترك ما عنه زجر فقد استمسك بالعروة الوثقى أي فقد أخذ موثقاً من الله متيناً أنه لا يعذبه))[١].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ صريح أن من لم يسلم وجهه لله وانقاد لأمره أنه كافر .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[٢] .

أي : لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود وهو إسلام الوجه لله ، الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله .

وهو مع هذا الإخلاص والاستسلام محسن أي متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله وأنزل كتبه ، وجعلها طريقاً لخواص خلقه وأتباعهم . فكان على دين إبراهيم وشرعه حنيفاً ولم يكن من المشركين الذي اتخذه الله خليلاً لأنه وفي بما أمر به وقام بما ابتلي به ، فجعله الله إماماً للناس واتخذه خليلاً ونوه بذكره في العالمين وقد قال نبينا ﷺ : ((بعثت بالحنيفية السمحة))[٣] .

يقول ابن جرير رحمه الله عند آية النساء هذه : ((وهذا قضاء من الله جل ثناؤه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها يقول الله : ومن أحسن ديناً أيها الناس ، وأصوب طريقاً وأهدى سبيلاً ممن أسلم وجهه لله ، يقول : ممن استسلم وجهه لله ، فانقاد له بالطاعة ، مصدقاً نبيه محمداً ﷺ فيما

(١) (٣/ ٤٥٩) من تفسير .

(٢) سورة النساء (٢٥) .

(٣) انظر تفسير السعدي (٢٠٦) والحديث رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٧) وقد قواه الألباني في الصحيحة رقم (٢٩٢٤) .

جاء به من عند ربه وهو محسن يعني وهو عامل بما أمر به ربه محرم حرامه ومحلل حلاله ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ ﴾ مستقيماً على منهاجه وسبيله))[١] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾[٢] .

أي : فلما كان الله هو وحده المتفرد بالألوهية والعبودية وترك الشرك به فله إذاً أسلموا أي انقادوا واستسلموا له لا لغيره فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام[٣] .

قال البغوي رحمه الله في تفسيره ((فإن إلهكم إله واحد فله أسلموا [أي] انقادوا وأطيعوا))[٤] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٥] .

فأمر الله نبيه ﷺ أن يقول إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام وكل ما عبد من دون الله .

ولست على شك من أمري بل على يقين وبصيرة ، ولهذا قال : ﴿ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ بقلبي ولساني وجوارحي بحيث تكون كلها منقادة لطاعته ، مستسلمة لأمره ، وهذا أعظم

(١) (٥/ ٢٩٧) .

(٢) سورة الحج (٣٤)

(٣) انظر تفسير السعدي (٥٣٨) .

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٢١٩) .

(٥) سورة غافر (٦٦) .

مأمور به على الإطلاق ، كما أن النهي عن عبادة ما سواه أعظم منهي على الإطلاق[١] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٢] .

يعني بذلك سبحانه من حاج النبي ﷺ من نصارى أهل نجران في أمر عيسى صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا فخاصموه في الباطل ليدحضوا به الحق .

فأمر الله نبيه أن يقول لهم : إني انقدت لله وحده بلساني وقلبي وجميع جوارحي وكذلك من اتبعني من المؤمنين .

يقول ابن جرير ((وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ﴿ أأسلمتم ﴾ ؟ يقول : قل لهم : هل أقررتم بالتوحيد ، وأخلصتم العبادة والألوهية لرب العالمين ، دون سائر الأنداد والإشراك التي تشركونها معه في عبادتكم إياهم ، وإقراركم بربوبيتهم ، وأنتم تعلمون أنه لا رب غيره ولا إله سواه ، فإن ﴿ أسلموا ﴾ يقول : فإن انقادوا لإفراد الوحدانية لله ، وإخلاص العبادة والألوهة له فقد اهتدوا ، يعني : فقد أصابوا سبيل الحق ، وسلكوا محجة الرشد))[٣] .

---

(١) انظر تفسير السعدي (٧٤٢) .

(٢) سورة آل عمران (٢٠) .

(٣) تفسير ابن جرير (٣/ ٢١٤).

- ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾(١) الآية .

ففي هذه الآيات بيان حال أولياء الله وهم المؤمنون الأتقياء الذين اعترفوا ونطقوا بربوبية الله وألوهيته وقرنوا هذا الاعتراف بالاستسلام والانقياد لأوامر الله التي فرضها فاستقاموا على الصراط علماً وعملاً قبولاً وانقياداً فأخلصوا لله وحده وبرئوا من الآلهة والأنداد وانتهوا إلى طاعة الله فيما أمر ونهى فاستقاموا على لا إله إلا الله كما قال أبو بكر ومجاهد وعكرمة - أن لهم البشرى في الحياة الدنيا حين تتنزل الملائكة وفي الآخرة بما أعده الله لهم من الجنان نسأل الله أن يجعلنا منهم(٢) .

*** دلالة السنة على ذلك :**

وأما دلالة السنة النبوية على شرطية الانقياد فكثيرة منها :

١) ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: ((قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى النبي ﷺ حتى نسأله عن هذه الآية ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات ﴾ فقال : لا تقل له نبي ، إن سمعك لصارت له أربعة أعين ، فسألاه ، فقال النبي ﷺ : ((لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ، أو قال : تفروا من الزحف ، وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعتدوا [أي : في السبت] . فقبلا يده ورجله وقالا : نشهد أنك نبي . قال : فما يمنعكما أن تتبعاني ؟ قالا : إن

---

(١) سورة فصلت (٣٠) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير (٢٤/ ١١٤-١١٦) والسعدي (٧٤٨) .

داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود))[(١)] .

يقول شيخ الإسلام معلقاً على هذا الحديث : ((ولم يكونوا مسلمين بذلك لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم ، أي نعلم ونجزم أنك رسول الله ، قال : فلم لا تتبعوني ؟ قالوا : نخاف من يهود . فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على جهة الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم))[(٢)] .

وقال ابن القيم – رحمه الله – : ((ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة وأنه صادق ، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام ؛ علم أن الإسلام أمر وراء ذلك ، وأنه ليس هو المعرفة فقط ولا المعرفة والإقرار فقط ، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً))[(٣)] .

٢) ومنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله : إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة))[(٤)] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ١٢) والترمذي في جامعه : كتاب التفسير باب ومن سورة بني إسرائيل رقم (٣١٤٤) والحاكم في مستدركه : كتاب الإيمان ، باب بيان تسع آيات بينات (١/ ١٥٦) رقم (٢٠) قال الترمذي حسن صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) المجموع (٧/ ٥٦١) .

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٣٨-٦٣٩) .

(٤) البخاري في صحيحه : كتاب الديات باب قول الله تعالى النفس بالنفس رقم (٦٨٧٨) ومسلم كتاب القسامة باب ما يباح به الدم المسلم (١١/ ١٦٤) .

فأباح الله دم من ترك دينه وفارق الجماعة وذلك لعدم انقياده لدين الله[1].

٣) ومنها قوله ﷺ - كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه - : ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى))[2] .

فنفى دخول الجنة عن من أبى وامتنع ولم ينقد .

٤) ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))[3] .

والشاهد منه قوله ﷺ فإذا فعلوا ذلك أي انقادوا لما جئت به من شرع .

٥) ومنها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم : ((أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس))[4].

*** أقوال أئمة السلف رحمهم الله :**

وأقوالهم رحمهم الله في هذا أكثر من أن تحصر ونحن نذكر هنا ما يفي بالمقصود والله المستعان :

---

(١) شروط لا إله إلا الله (٤٣) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الاعتصام : كتاب السنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ رقم (٧٢٨٠) .

(٣) تقدم تخريجه (١٧) .

(٤) تقدم تخريجه (١٦٢) .

١) يقول الإمام الحسن البصري – رحمه الله – : ((الإيمان كلام ، وحقيقته العمل ؛ فإن لم يحقق القول بالعمل لم ينفعه القول)) [١] .

٢) وقال الإمام محمد بن نصر المروزي : ((الإيمان أن تؤمن بالله : أن توحده وتصدق به بالقلب واللسان وتخضع له ولأمره ، بإعطاء العزم للأداء لما أمر مجانباً للاستنكاب والاستكبار والمعاندة فإذا فعلت ذلك لزمت محابه واجتنبت مساخطه)) [٢] .

٣) وقال الإمام الخطابي : ((المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال وقد لا يكون مؤمناً في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال ، لأن أصل الإسلام : الاستسلام والانقياد ، وأصل الإيمان : التصديق ، وقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الباطن ، فإن كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا)) [٣] .

٤) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف: تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق ثم يرون مثل إبليس وفرعون ممن لم يصدر عنهم تكذيب ، أو صدر عنهم تكذيب باللسان لا بالقلب، وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون ولو أنهم هدوا لما هدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولاً في القلب وعملاً في القلب ، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته . وكلام الله ورسالته يتضمن إخباره وأوامره فيصدق القلب أخباره تصديقاً يوجب حالاً في القلب بحسب المصدق به .

---

(١) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (٣/ ١٩٣) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٢) .

(٣) شرح السنة (١/ ١١) عن كتاب حقيقة الخلاف بين السلفية الشرعية وأدعيائها (٥٢).

والتصديق هو نوع من العلم والقول ، وينقاد لأمره ويستسلم وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل ، ولا يكون مؤمناً إلا بمجموع الأمرين . فمتى ترك الانقياد كان مستكبراً فصار من الكافرين وإن كان مصدقاً.

ألا ترى أن نفراً من اليهود جاءوا إلى النبي وسألوه عن أشياء فأخبرهم . فقالوا : نشهد إنك نبي، ولم يتبعوه. وكذلك هرقل وغيره فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق . ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله وقد تضمنت خبراً وأمراً فإنه يحتاج إلى مقام ثان وهو تصديق خبر الله وانقياد لأمر الله فإذا قال : ((أشهد أن لا إله إلا الله)) فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره ((وأشهد أن محمداً رسول الله)) تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار. فلما كان التصديق لابد منه في كلا الشهادتين وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لابد منه وهو الانقياد ، وإلا فقد يصدق الرسول ظاهراً وباطناً ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه وتعالى كإبليس))[1] .

وقال في موضع آخر : ((والإسلام يجمع معنيين : أحدهما : الاستسلام والانقياد فلا يكون متكبراً .

والثاني : الإخلاص فلا يكون مشركاً))[2] .

وقال أيضاً : ((لابد أن يقترن بالعلم في الباطن مقتضاه من العمل الذي هو المحبة والتعظيم والانقياد ونحو ذلك ، كما أنه لابد أن يقترن بالخبر الظاهر مقتضاه من الاستسلام والانقياد لأهل الطاعة ، فهؤلاء الذين يعلمون الحق

---

(١) الصارم المسلول (٣/ ٩٦٣-٩٦٩) .

(٢) شرح حديث لا يزني وهو مؤمن (٤٩) .

الذي بعث الله به رسوله ، ولا يؤمنون به ويقرون به يوصفون بأنهم كفار، وبأنهم جاحدون، ويوصفون بأنهم مكذبون بألسنتهم، وأنهم يقولون بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم))(١) .

٥) وقال الإمام ابن القيم : ((والقلب عليه واجبان لا يصير مؤمناً إلا بهما جميعاً :

- واجب المعرفة والعلم .
- وواجب الحب والانقياد والاستسلام .

فكما لا يكون مؤمناً إذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد؛ لا يكون مؤمناً إذا لم يأت بواجب الحب والانقياد والاستسلام، بل إذا ترك هذا الواجب مع علمه ومعرفته به كان أعظم كفراً وأبعد عن الإيمان من الكافر جهلاً))(٢) .

وقال أيضاً : ((الإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان وكماله في الحب لله والمنع لله))(٣) .

وقال في معرض كلامه عن الإيمان عند قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ ﴾(٤) : ((وهذا الأساس [أي:الإيمان] أمران : صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته .

والثاني : تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه .

---

(١) التسعينية .

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٩٥) .

(٣) الفوائد (١٩٦) .

(٤) سورة التوبة (١٠٩) .

فهذا أوثق أساس أسس العبد عليه بنيانه وبحسبه يعتلي البناء ما شاء))[(١)].

وقال أيضاً : ((والمتفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السلف أن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده، ولا معرفة القلب مع ذلك، بل لابد فيه من عمل القلب وهو حب الله ورسوله وانقياده لدينه والتزام طاعته ومتابعة رسوله، وهذا خلاف من زعم أن الإيمان هو مجرد القلب وإقراره))[(٢)] .

٦) وقال الإمام ابن رجب الحنبلي : ((والإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له؛ وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله في كتابه الإسلام ديناً ... .

ثم إن الشهادتين من خصال الإسلام بغير نزاع ، وليس المراد الإتيان بلفظهما دون التصديق بهما فعلم أن التصديق بهما داخل في الإسلام وقد فسر الإسلام المذكور في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[(٣)] بالتوحيد والتصديق طائفة من السلف ، منهم محمد بن جعفر بن الزبير .

وأما إذا نفي الإيمان عن أحد ، وأثبت له الإسلام ، كالأعراب الذين أخبر الله عنهم ، فإنه ينتفي رسوخ الإيمان في القلب ، وتثبت لهم المشاركة في أعمال الإسلام الظاهرة مع نوع إيمان يصحح لهم العمل ، إذ لولا هذا القدر من الإيمان لم يكونوا مسلمين))[(٤)] .

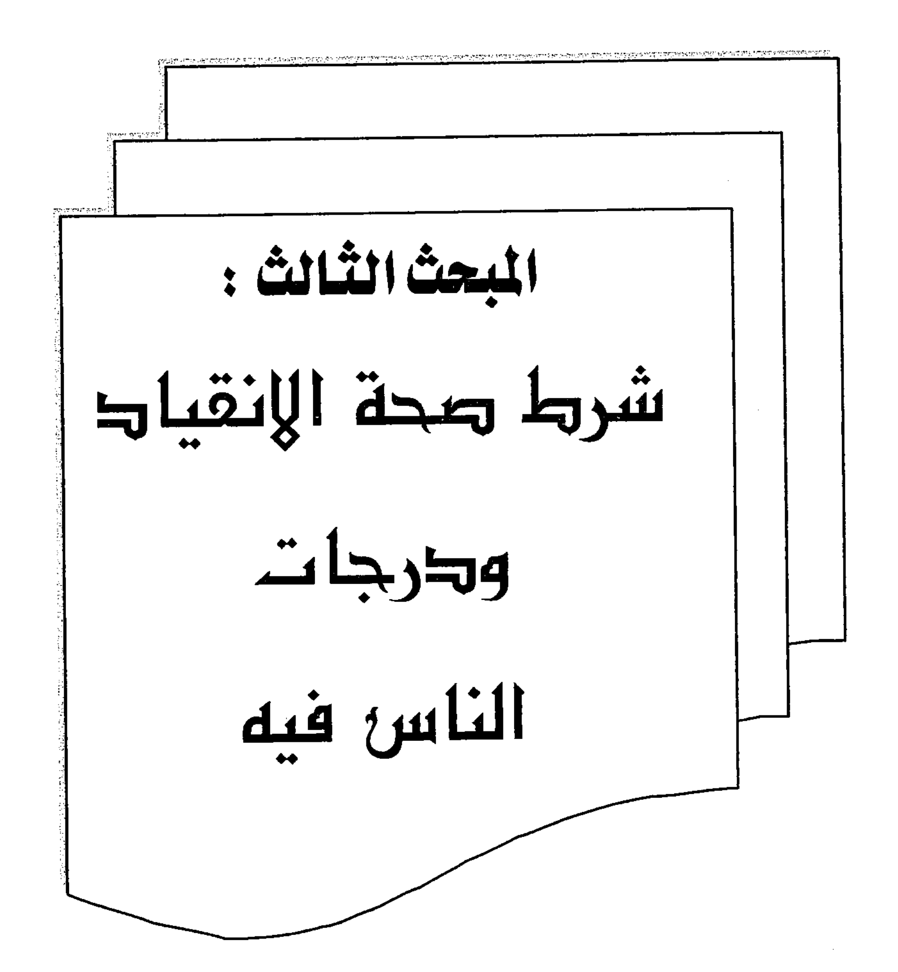
---

(١) المصدر السابق (١٩٤) .

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٩٤) .

(٣) سورة آل عمران (١٩) .

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٨-١١٣) .



المبحث الثالث :

شرط صحة الانقياد ودرجات الناس فيه

المبحث الثالث : شرط صحة الانقياد ودرجات الناس فيه :

***أولاً : شرط صحته :**

حقيقة الانقياد للا إله إلا الله الالتزام بشريعة الله باطناً وظاهراً. وثمرة التصديق بما أخبر الله عنه ورسوله ﷺ العمل بكل ما يرد في شريعة الله من طلب الفعل أو الترك .

ومجرد التصديق بالكلمة لا يكفي بل لابد مع التصديق والإقرار من الانقياد والتسليم ، إذ قد يكون الكافر مصدقاً بالرسالة ومع ذلك لا يحكم بإيمانه حتى يضيف إلى ذلك الانقياد والإذعان .

وقد صدق كثيرون رسول الله ﷺ وشهدوا له بذلك وأقروا ومع ذلك لم يحكم بإسلامهم لعدم انقيادهم لشرع الله الذي جاء به . وكما قال ابن القيم : ((ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة وأنه صادق ، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام؛ لأن الإسلام أمر وراء ذلك فليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ظاهراً وباطناً))(١) .

ويقول شيخ الإسلام مؤيداً ذلك في سياق بيان حقيقة الإيمان وأنه لا يكفي مجرد التصديق بل لابد من الالتزام بشرع الله تعالى : ((ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام . ثم إنه يكون على وجهين :

أحدهما : الإخبار. وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوهما وهذا معنى الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار .

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٢٩-٦٣٠) .

والثاني : إنشاء الالتزام كما في قوله تعالى : ﴿ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[(١)] وليس هو هنا بمعنى الخبر المجرد فإنه سبحانه قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾[(٢)] .

فهذا الالتزام للإيمان والنصر للرسول .

وكذلك لفظ الإيمان فيه إخبار وإنشاء والتزام ؛ بخلاف لفظ التصديق المجرد، فمن أخبر الرجل بخبر لا يتضمن طمأنينة إلى المخبر لا يقال فيه : آمن له. بخلاف الخبر الذي يتضمن طمأنينة إلى المخبر، والمخبر قد يتضمن خبره طاعة المستمع له ، وقد لا يتضمن إلا مجرد الطمأنينة إلى صدقه، فإذا تضمن طاعة المستمع لم يكن مؤمناً للمخبر ؛ إلا بالتزام طاعته مع تصديقه ؛ بل قد استعمل لفظ الكفر المقابل للإيمان في نفس الامتناع عن الطاعة والانقياد ؛ فليس ذلك أن يستعمل لفظ الإيمان كما استعمل لفظ الإقرار في نفس التزام الطاعة والانقياد ؛ فإن الله أمر إبليس بالسجود لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين))[(٣)] .

والمقصود أن الانقياد لابد في تحقيقه تحقيق الالتزام الظاهر والباطن .

أما الباطن وهو الفارق بين المؤمن والمنافق فإن المؤمن مع التزامه الظاهر بالشرع ملتزم به باطناً أيضاً . وأما المنافق فإنه ولو التزم في الظاهر بالشريعة لكنه في الباطن والحقيقة غير ملتزم .

---

(١) سورة آل عمران (٨١) .

(٢) سورة آل عمران (٨١) .

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٠-٥٣١) .

ويتحقق الالتزام الباطن بقبول الشريعة والرضى بها والتسليم بأحكامها مع تحقيق الالتزام بالعمل الظاهر الذي هو أيضاً شرط في أصل الدين من حيث الجملة[١] .

- وأما الالتزام الظاهر المشروط في أصل الدين فإنه في تحقيقه متضمن لأمرين :

الأول : ترك النواقض، ولا خلاف في اشتراطه لتحقيق الالتزام الظاهر وبقاء وصف الإسلام ، وأن من تلبس بناقض وتوفرت فيه شروط التكفير المعتبرة عند أهل العلم وانتفت الموانع أيضاً فإنه كافر .

الثاني : الالتزام بجنس العمل ، وهو محل إجماع بين أهل السنة والجماعة[٢] وهو معنى قولهم : ((الإيمان قول وعمل)) أي : أن مجرد الإقرار لا يكفي لثبوت وصف الإسلام وبقائه للمعين دون الالتزام بالعمل[٣] .

*** ثانياً : درجات الناس فيه :**

وبما أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص على ما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة فإن درجات الناس في الانقياد الذي هو الالتزام باطناً وظاهراً مبنية على قولهم في مسمى الإيمان وتفاضل الناس فيه فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله .

---

(١) ضوابط التكفير (٦٠) .

(٢) نقل الإجماع جمع من علماء السلف منهم الشافعي وابن عبد البر والبغوي والبخاري واللالكائي وابن تيمية وغيرهم انظر صحيح البخاري كتاب الإيمان (٥٣) شرح السنة للبغوي (١/ ٣٨) التمهيد لابن عبد البر(٩/ ٢٣٨) الإيمان لابن تيمية(٢٨٠, ٢٤٠, ١٩٢) .

(٣) انظر ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة (٦٠-٧٠) .

وقد تقرر عند أهل السنة والجماعة تفاضل الناس في الإيمان بدخول الزيادة والنقص فيه من وجوه متعددة : منها الأعمال الظاهرة ؛ فإن الناس يتفاضلون فيها تفاضلاً بيناً وهي تزيد وتنقص وهذا مما أتفق الناس على دخول الزيادة فيه والنقصان .

- ومنها : الزيادة في أعمال القلوب ونقصها ، فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن ، أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه والتوكل عليه والإخلاص له ، وفي سلامة القلوب من الرياء والكبر والعجب ، ونحو ذلك ، والرحمة للخلق ، والنصح لهم ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[(١)] وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه ، فإنه قد يكون الشيء الواحد يحبه تارة أكثر مما يحبه تارة ، ويخافه تارة أكثر مما يخافه تارة ، ولهذا كان أهل المعرفة من أعظم الناس قولاً بدخول الزيادة والنقصان فيه لما يجدون من ذلك في أنفسهم .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[(٢)] .

وإنما زادهم طمأنينة وسكوناً .

وقال ﷺ : ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً))[(٣)] .

---

(١) سورة البقرة (١٦٥) .

(٢) سورة آل عمران (١٧٣) .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٥١) ق (١٢/ ٣٦٤) رقم (٧٤٠٢) وأبو داود في سننه : كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨٢) والترمذي في

- ومنها : أن نفس التصديق والعلم الذي في القلب يتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل ، فليس تصديق من صدق الرسول مجملاً من غير معرفة منه بتفاصيل أخباره ، كمن عرف ما أخبر به عن الله وأسمائه وصفاته والجنة والنار والأمم وصدقه في ذلك كله ، وليس من التزم طاعته مجملاً ومات قبل أن يعرف تفصيل ما أمره به كمن عاش حتى عرف ذلك مفصلاً وأطاعه فيه .

- ومنها : نفس العلم والتصديق يتفاضل ويتفاوت كما تتفاضل سائر صفات الحي ، والإنسان يجد في نفسه أن علمه بمعلومه يتفاضل حاله فيه ، كما يتفاضل حاله في سمعه لمسموعه ورؤيته لمرئيه وغير ذلك ومن أنكر التفاضل في هذه الحقائق كان مسفسطاً .

- ومنها : أن التفاضل يحصل من هذه الأمور من جهة الأسباب المقتضية لها ، فمن كان مستند تصديقه ومحبته أدلة توجب اليقين ، لم يكن بمنزلة من كان تصديقه لأسباب دون ذلك .

- ومنها : أن التفاضل يحصل في هذه الأمور من جهة دوام ذلك وثباته وذكره واستحضاره كما يحصل البغض من جهة الغفلة عنه والإعراض والعلم والتصديق والحب والتعظيم وغير ذلك مما في القلب من أحوال .

- ومنها أن يقال : ليس فيما يقوم بالإنسان من جميع الأمور أعظم تفاضلاً وتفاوتاً من الإيمان ، فكلما تقرر إثباته من الصفات والأفعال مع تفاضله فالإيمان أعظم تفاضلاً من ذلك .

جامعه : كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢) وقال الترمذي : حسن صحيح .

ومثله قال الألباني في : صحيحي أبي داود والترمذي وصححه الأرناؤوط في تحقيقه للمسند .

فمن قال مثلاً : الحب لا يزيد ولا ينقص ، كان قوله من أظهر الأقوال فساداً ، ومعلوم أن الناس يتفاضلون في حب الله أعظم من تفاضلهم في حب كل محبوب ، إذ تفاضلهم في هذا محصور ما بين أفضل الخلق محمد وإبراهيم ﷺ وبين أدنى الناس درجة ، مثل من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وما بين هذين الحدين من الدرجات لا يحصيه إلا الله رب الأرض والسموات فإنه ليس في أجناس المخلوقات ما يتفاضل بعضه على بعض كبني آدم .

وهكذا تفاضلهم في خوف ما يخافونه ، وتفاضلهم في الخضوع والذل لما يذلون له ويخضعون ، وكذلك تفاضلهم فيما يعرفونه من المعروفات ، ويصدقون به ، ويقرون به ، وإن كانوا يتفاضلون في معرفة الملائكة وصفاتهم ، والتصديق بهم ، فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته والتصديق به أعظم)) [١] .

ومن خلال هذه الوجوه في تفاضل الناس في درجات الإيمان الذي هو قول وعمل يعلم تفاضل الناس ودرجاتهم في الانقياد وأن درجاتهم متباينة متفاوتة تفاوتاً عظيماً أعلاهم درجة رسولنا ﷺ وأدناهم درجة آخر من يخرج من نار جهنم وآخر من يدخل الجنة وما بين ذلك درجات وكلاً وعد الله الحسنى .

---

(١) الإيمان الأوسط (٤٥٨-٤٦٩) مختصراً .


٥٨٧


المبحث الرابع :
التبرك له
حقيقته
وحكمه

المبحث الرابع : الترك له حقيقته وحكمه :

***حقيقة الترك له :**

قد تقرر بأن الإيمان يتضمن طاعة وانقياداً وتسليماً وأن من مقتضيات لا إله إلا الله الانقياد لشرع الله قولاً وعملاً واعتقاداً كما قال محمد بن نصر المروزي رحمه الله : ((والإيمان بالله : أن توحده وتصدق به بالقلب واللسان ، وتخضع له، ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر مجانباً للاستنكاب والاستكبار ، والمعاندة ، فإذا فعلت ذلك لزمت محابه ، واجتنبت مساخطه))[1] .

((ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه ، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم من رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج إلى بيته ، فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة لامع إيمان صحيح ؛ ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ ﴾[2]))[3].

فصحة الإيمان معلقة بالذل والخضوع لذي الجلال والإكرام والعمل بذلك .

وقد عد علماء الإسلام أن من نواقض الإسلام الإعراض عن دين الله وتركه فلا يتعلمه ولا يعمل به ، وعدوا الإعراض من النواقض العملية وذلك

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٣) .

(٢) سورة القلم (٤٢-٤٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٦١١) .

بالتولي عن الطاعة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(١) .

***حكم الترك للانقياد:**

وإذا كان جنس العمل الظاهر يعتبر من أصول الإيمان فإن تركه وعدم الالتزام به إعراض كلي عن هذا العمل ومن ثم فهو مخرج عن الملة .

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجباً ظاهراً ولا صلاة ولا زكاة ولا صياماً ولا غير ذلك من الواجبات))(٢) .

ومن الأدلة على ما ذكرنا :

- قوله تعالى : في بيان صفات المنافقين : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) .

يقول ابن حزم عند هذه الآية: ((هذه الآيات محكمات لم تدع لأحد علقة يشغب بها، قد بين الله فيها صفة أهل زماننا فإنهم يقولون: نحن المؤمنون بالله وبالرسول ونحن طائعون لهما ، ثم يتولى طائفة منهم بعد الإقرار فيخالفون ما وردهم عن الله عز وجل ورسوله ﷺ أولئك بنص حكم الله تعالى ليسوا مؤمنين))(٤) .

(١) سورة آل عمران (٣٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٢١) .

(٣) سورة النور (٤٧) .

(٤) الإحكام (١/ ٩٢) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[١] وقوله في وصف الكافر : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٢] فتوعد سبحانه المتولي الصلي في نار جهنم، وذلك لتوليه عن الطاعة وتركه لها . قال قتادة : كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله.

وقال الفراء : لم يكن كذب برد ظاهر، ولكنه قصر عما أمر به من الطاعة فجعل تكذيباً))[٣] أ.هـ .

والآيات من كتاب الله في هذا كثيرة جداً .

ومن هنا فترك الانقياد الذي هو مقتضى العمل بلا إله إلا الله فتركه بالكلية يعتبر كفراً مخرجاً من الإسلام وقد قرر هذا غير واحد من أئمة أهل السنة .

يقول الإمام الشافعي – رحمه الله – : ((وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر))[٤] .

فكما لا يجزي العمل بدون وجود نية فكذلك لا يجزي النية بدون عمل ولا تنفع صاحبها عند الله[٥] .

((وقال حنبل : حدثنا الحميدي قال : وأخبرت أن ناساً يقولون : من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت ، ويصلي

---

(١) سورة الليل (١٤-١٦) .

(٢) سورة القيامة (٣١-٣٢) .

(٣) تفسير ابن جرير (٣٠/ ٢٢٧) ، (٢٩/ ١٩٩) وتفسير القرطبي (٢٠/ ٨٦) .

(٤) الإيمان لابن تيمية(٢٤١) .

(٥) نواقض الإيمان الاعتقادية (٢/ ١٣٢) .

مستدبر القبلة حتى يموت ، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة ، فقلت : هذا الكفر الصراح ، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1] .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : من قال هذا فقد كفر بالله ، ورد عليه أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله))[2] .

---

(١) سورة البينة (٥) .

(٢) السنة للخلال (٣/ ٥٨٦) ، وانظر الإيمان لابن تيمية (٢٤٠-٢٤٥) ونواقض الإيمان الإعتقادية (٢/ ١٣٢-١٣٩) .

الفصل الثامن :

الشرط الثامن : المحبة

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم المحبة لغة وشرعاً .

المبحث الثاني : أدلة المحبة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة .

المبحث الثالث : دواعي المحبة ومظاهرها .

المبحث الرابع : درجات الناس في المحبة .

المبحث الخامس : ما يضاد المحبة (شرك المحبة - البغض لها) .



المبحث الأول :

مفهوم

المحبة

لغة وشرعاً

المبحث الأول : مفهوم المحبة لغة وشرعاً :

لغة :

هي اسم للحب والوداد ، والحب نقيض البغض .

وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ؛ لذلك فسرت بأنها : الميل إلى الشيء السار أو النافع ؛ لتخيل كمال فيه يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه ، بغض النظر عن هذا الكمال المتخيل هل هو صحيح أو موهوم ؟(١)

((والمحبة في اللغة تدور على خمسة أشياء :

أحدها : الصفاء والبياض . وفيه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها : حبب الأسنان .

الثاني : العلو والظهور . ومنه حبب الماء وحُبابه ، وهو ما يعلو عند المطر الشديد ، وحبب الكأس فيه .

الثالث : اللزوم والثبات . ومنه حَبَّ البعير وأحب ، إذا برك ولم يقم .

الرابع : اللب . ومنه حبة القلب ، لِلُبِّه وداخله ، ومنه الحبَّة لواحدة الحبوب ؛ إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه .

الخامس : الحفظ والإمساك . ومنه حِبُّ الماء ؛ للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه ، وفيه معنى الثبوت أيضاً .

ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة ؛ فإنها صفاء المودة ، و هيجان إرادات القلب للمحبوب ، وعلوها وظهورها منه ، لتعلقها بالمحبوب المراد ، وثبوت إرادة القلب للمحبوب ، ولزومها لزوماً لا تفارقه ، ولإعطاء المحب

(١)انظر لسان العرب (١/ ٢٨٩) ، المفردات (١١٢-١١٣) ، معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٧٥-٢٧٧) ، المعجم الوسيط (١/ ١٥٠-١٥١)

محبوبه لبَّه وأشرف ما عنده وهو قلبه ، ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه)) (١) .

شرعاً :

والمراد بها هنا المودة والرغبة للا إله إلا الله ، ولما اقتضته ودلت عليه من الأقوال والأفعال محبة منافية لضدها . ومن ذلك أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وكذلك المحبة لأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها قولاً وعملاً واعتقاداً ((فالمحبة تقتضي تقديم المحبوب سبحانه وتعالى على النفس والمال والولد ، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً ، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ، ولو كان المخلوق من كان))(٢).

ولما كان دين الإسلام مبنياً على كلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فإن الإله – كما سبق – هو المحبوب الذي تألهه القلوب وتحبه وتعظمه وتجله وتقصده بالإنابة والخضوع والذل والافتقار إليه(٣) .

ومن هنا فالمحبة هي أصل الدين الذي عليها قطب رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص، وبانتقاضها ينتقض ؛ إذ أنها ((أصل التوحيد العملي الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له ، فإن العبادة أصلها : أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع ؛ وهذا هو الإسلام)) (٤) .

قال شيخ الإسلام في معرض كلام له : ((ولهذا اتفقت الأمتان [اليهود والنصارى] قبلنا على ما عندهم من مأثور وحكم عن موسى وعيسى –

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١١-١٢).

(٢) قرة عيون الموحدين (١٦٦) .

(٣) قاعدة في المحبة (٦٨-٧٤) .

(٤) المصدر السابق (٦٨) .

صلوات الله عليهما وسلامه - أن أعظم الوصايا : أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وقصدك ، وهذا هو حقيقة الحنيفية = ملة إبراهيم = التي هي أصل شريعة التوراة والإنجيل والقرآن)) [١] .

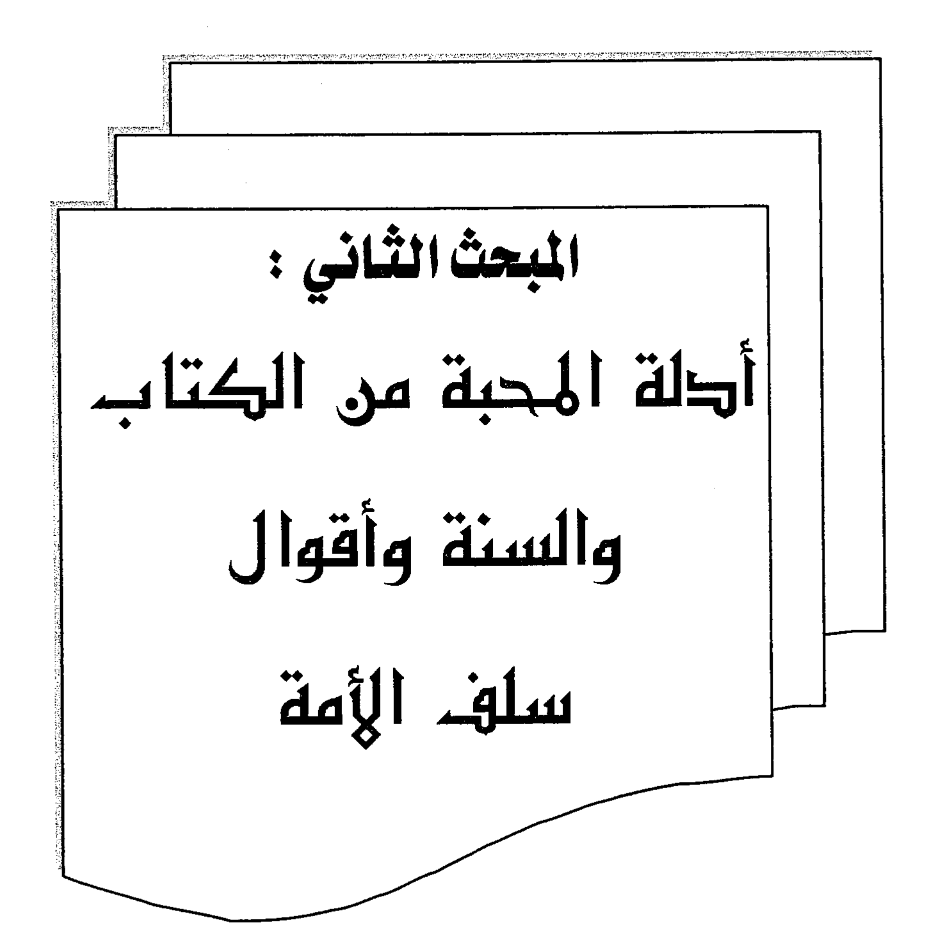
((فمحبة الله من أعظم واجبات الإيمان ، وأكبر أصوله ، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين ؛ فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة ؛ إما عن محبة محمودة ، أو عن محبة مذمومة .

فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة . وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى)) [٢] .

فيجب على العبد محبة كل ما يحبه الله - كما اقتضته كلمة التوحيد - ومحبة رسوله ﷺ ، ومحبة كل ما يحبه الله من الأعمال والأقوال ، ومحبة أوليائه من أهل طاعته ؛ فهذه المحبة متى كانت صحيحة ظهرت آثارها على البدن ولابد كما قال ابن القيم رحمه الله .

شرط المحبة أن توافق من ... تحب على محبته بلا عصيان
فإذا ادعيت له مع خلا ... فك ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حباً له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان [٣]

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٣) .
(٢) المصدر السابق (١٠/ ٤٨-٤٩) .
(٣) شرح النونية للهراس (٢/ ١٣٦) .



المبحث الثاني :

أدلة المحبة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة

المبحث الثاني : أدلة المحبة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة :

المحبة أساس كل عمل من أعمال الدين والإيمان ؛ لأن كل عمل لابد أن يكون عن إرادة قلبية ، التي هي محبة للشيء ورغبة فيه ، ومن هنا كانت المحبة أصل أعمال القلوب ، وشرطاً من شروط لا إله إلا الله ، ودلائل هذا من الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر ومن تلك الأدلة :

أولاً : الأدلة من الكتاب العزيز :

- منها قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾(١) .

((فأخبر سبحانه أن من أحب من دونه شيئاً كما يحبه فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً ، فهذا ندّ في المحبة لا في الخلق والربوبية ؛ فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية بخلاف ند المحبة ؛ فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم .

فالمشركون إنما ذموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة فلم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له .

وهذه التسوية المذكورة في الآية نظير التسوية الواردة في مقولة المشركين لأندادهم وآلهتهم وهي محضرة معهم في العذاب يوم القيامة ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢) ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم في المحبة والتعظيم . وهو أيضاً [نظير]

---

(١) سورة البقرة (١٦٥) .

(٢) سورة الشعراء (٩٧-٩٨) .

العدل المذكور في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[(١)] أي : يعدلون به غيره في العبادة ؛ التي هي المحبة والتعظيم)) [(٢)] .

يقول ابن كثير عند هذه الآية : ((يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة ، حيث جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه . هو الله لا إله إلا هو ، ولا ضد له ، ولا ندله ، ولا شريك معه .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك)) [(٣)] .

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ لحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له : لا يشركون به شيئاً ، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ، ويلجأون في جميع أمورهم إليه)) [(٤)] . أ.هـ

ومن هنا فمن ساوى بين محبة الله وبين محبة غيره فليس بمؤمن . فكيف بمن انتفت عنه محبة الله ؟ أو أحب ما سوى الله أكثر من محبته ؟

– ومنها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[(٥)] .

---

(١) سورة الأنعام (١) .

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢١-٢٢) مختصراً .

(٣) تقدم تخريجه (٤٥٦) .

(٤) (١/ ٢٠٨) من تفسيره . وانظر تفسير البغوي (١/ ١٣٣-١٣٤) وتفسير أبي المظفر السمعاني (١/ ١٦٤) وفتح القدير (١/ ٢٠٦-٢٠٧) .

(٥) سورة المائدة (٥٤) .

فنبه سبحانه المؤمنين أن من يرتد منهم عن دينه فإنه لن يضر الله شيئاً ؛ فإن لله عباداً مخلصين ورجالاً صادقين يحبهم ويحبونه ، فبين سبحانه أجل صفاتهم وهي أنهم يحبون الله ، ومن لم تتحقق فيه هذه الصفة فليس من القوم الذين وعد الله بأن يأتي بهم ، ثم بين سبحانه صفات هؤلاء القوم الذين تحققت فيهم محبتهم لله ، ((فقد ذكر لهم أربع علامات :

أحدها : أذلة على المؤمنين . أي أرقاء رحماء مشفقين عليهم .

الثانية : أعزة على الكافرين أشداء عليهم كالأسد على فريسته .

الثالثة : الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال .

الرابع : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم))[1] .

وكل هذه العلامات هي من لوازم المحبة وتمامها .

– ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2] .

يقول السعدي – رحمه الله – : ((وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله ، وعلى تقديمها على محبة كل شيء ، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله .

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٢-٢٣) ، انظر تفسير البغوي (١/ ٦٨٧-٦٩٠) ، تفسير السعدي (٢٣٥) ، ظاهرة الإرجاء (٢/ ٥٩٠) .

(٢) سورة التوبة (٢٤) .

وعلامات ذلك أنه إذا عرض عليه أمران : أحدهما ؛ يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيه هوى .

والآخر ؛ تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يفوِّت عليه محبوباً لله ورسوله أو ينقصه ، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله دلَّ ذلك على أنه ظالم تارك لما يجب عليه)) [1] .

ومن هنا فإذا كان الوعيد قد انصب إلى من قدم محبة هؤلاء على الله ورسوله وجهاد في سبيله فكيف بمن انتفت عنه محبة الله ورسوله فإنه قد ثبت أنه لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وبالتالي فإيمان لا يكون معه شيء من المحبة ليس إيماناً البتة [2] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ [3] .

فالمؤمن يعمل الطاعة محباً لها راضياً بها فكان جزاؤه القبول والرضا . والمنافق يعملها كارهاً كسلان فكان جزاؤه الرد والإحباط .

ومن هنا كانت المحبة أصل أعمال القلوب وشرطاً من شروط كلمة التوحيد يقول ابن القيم : ((فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، ولتعطلت منازل السير إلى الله ، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل، فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه . ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها . بل هي حقيقة الإخلاص . بل هي نفس الإسلام ؛ فإنه الاستسلام بالذل

---

(١) تفسير السعدي (٣٣٢) .

(٢) انظر الإيمان لابن تيمية (٢٤٠-٢٤١) .

(٣) سورة التوبة (٥٤) .

والحب والطاعة لله ؛ فمن لا محبة له لا إسلام له البتة . بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فإن الإله هو الذي يألهه العباد ذلاً وخوفاً ورجاءً وتعظيماً وطاعة له ؛ بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له))[١] . أ.هـ .

ومن هنا فتحقيق المحبة شرط في قبول العمل لأن الله أخبر أنه لم يقبل نفقات المنافقين لأنهم كانوا حين نفقاتهم كارهين والله طيب لا يقبل إلا طيباً.

- ومنها قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾[٣].

وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[٤] .

فذكر سبحانه في الآية الأولى المقامات الثلاثة :

- الحب وهو ابتغاء القرب إليه ، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة .

والرجاء والخوف : يدل على أن ابتغاء الوسيلة أمر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب .

ومن المعلوم قطعاً أنك لا تتنافس إلا في قرب من تحب قربه ، وحب قربه تبع لمحبة ذاته ، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه .

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٧) .

(٢) سورة الإسراء (٥٧) .

(٣) سورة الأنعام (٥٢) .

(٤) سورة الإنسان (٩) .

وفي الآيتين الأخريين جعل غاية أعمال الأبرار والمقربين والمحبين إرادة وجهه[(١)] .

ومن المعلوم أن ((أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب الذي هو الإرادة ؛ فهو أصل كل فعل ومبدؤه ، كما أن البغض والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه ومادته ، فهو أصل كل ترك .

فالمحبة والإرادة أصل في وجود البغض والكراهة ، والأصل في زوال البغيض والمكروه ؛ فلا يوجد البغض إلا لمحبة ، ولا يزول البغيض إلا لمحبة وإذا كانت المحبة والإرادة أصل كل عمل وحركة ، وأعظمها في الحق محبة الله وإرادته بعبادته وحده لا شريك له ، وأعظمها في الباطل أن يتخذ الناس من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، ويجعلون له عدلاً وشريكاً – علم أن المحبة والإرادة أصل كل عمل ديني فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع إليها ، فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه ، والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب .

ومن هنا كانت المحبة حقيقة لا إله إلا الله ، وشرطاً من شروطها))[(٢)] .

– ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[(٣)] .

يقول شيخ الإسلام معلقاً على هذه الآية : ((فبين سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد المحاد لله ورسوله ﷺ ، وأن المؤمن لا يمكن أن يتولى الكافر ، والمودة

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٣-٢٤) .

(٢) قاعدة في المحبة (٧-٣١) وانظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٨-٤٩) ، وظاهرة الإرجاء (٢/ ٥٧٥) .

(٣) سورة المائدة (٨١) .

والموالاة تتضمن المحبة ، فدل ذلك على أنه لابد في الإيمان من محبة الله ورسوله ﷺ))[١] . أ.هـ

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية على ذلك :

١) منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده))[٢] .

فهذا الحديث صريح في أن إيمان العبد منتف حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من كل شيء . ومحبة الرسول ﷺ هي من محبة الله .

ومن هنا يجب على العبد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ولا يكون مؤمناً إلا بذلك[٣] .

يقول ابن القيم عند هذا الحديث : ((فإذا كان هذا شأن محبة عبده ورسوله ﷺ ووجوب تقديمها على محبة نفس الإنسان وولده والناس أجمعين ؛ فما الظن بمحبة مُرْسِله سبحانه وتعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه))[٤].أ.هـ

٢) ومنها قوله ﷺ - كما في حديث أنس بن مالك - : ((ثلاث من كن وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب

---

(١) شرح حديث لا يزني الزاني وهو مؤمن (٢٨) .

(٢) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٤، ١٥) ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (٢/ ١٥) .

(٣) قاعدة في المحبة (٦٩-٧٠، ٩٠) .

(٤) الجواب الكافي (٣٠٧) .

المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))[١] .

٣) وكذا ما جاء عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : ((الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والبغض ؟ قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٢]))[٣] .

فجعل الدين مبنياً على الحب والبغض ، فلا دين لمن لا حب له ؛ لأن المحبة أصل كل أمر موجود ، وجماع القرآن هو الأمر بمحبة الله ولوازمها ، والنهي عن المحبة الشركية ولوازمها[٤] .

٤) ومنها ما رواه البخاري من حديث عتبان بن مالك – في حديث طويل وله قصة – وفيه : ((فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله..))[٥] .

فكأن المقرر عندهم – رضي الله عنهم – أن من لم يحب الله ورسوله يعد من المنافقين . وقد قال هذا بمشهد من رسول الله ﷺ ومسمع ، ومع هذا لم ينكره .

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب حلاة الإيمان (١٦) ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (٢/ ١٣) .

(٢) سورة آل عمران (٣١) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك تفسير سورة آل عمران (٣/ ٧) رقم (٣٢٠٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٣) رقم (٣٧٣٠) .

(٤) انظر قاعدة في المحبة (٩-١١) .

(٥) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت (٤٢٥) .

٥) ومنها ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))(١).

فنفى الرسول ﷺ الإيمان عمن لم يكن هواه تبعاً لما جاء به ﷺ : ((والهوى قد يطلق ويراد به المحبة والميل مطلقاً ؛ فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه ، وهذا الحديث مما جاء استعمال الهوى فيه بمعنى المحبة المحمودة ؛ وهي محبة الحق)) (٢) .

ثالثاً : أقوال سلف الأمة في ذلك :

تعددت أقوال سلف الأمة في وجوب محبة الله وما تقتضيه من لوازم وأنها فرض لازم لا يسع عبداً تركه . حالها كحال سابقتها من شروط وإليك بعضاً من أقوالهم رحمهم الله :

١) سأل القاضي ابن سريج(٣) - وهو من كبار أئمة الشافعية - أحد أصحابه قائلاً : ((أين تعرف في نص الكتاب أن محبة الله فرض ؟ فقال : لا أدري ، ولكن يقول القاضي . فقال له : قوله عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٢) رقم (١٥) والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٩) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٣) رقم (١٠٤) والحديث صححه النووي في الأربعين النووية .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٩) .

(٣) هو : الإمام أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضي الشافعي ، تفقه على يد أبي القاسم الأنماطي صاحب المزني ، وبه انتشر مذهب الشافعي ببغداد ، وقد عده بعض أهل العلم المجدد لأمر الدين على رأس المائة الثالثة .
انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠١) .

﴿ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾[1] .

والوعيد لا يكون إلا على ترك فرض))[2] .

وفي أخرى : ((أنه سأل أصحابه : محبة الله فرض أو غير فرض ؟ فقالوا: فرض ، فقال : ما الدلالة على فرضها ؟ فما فيهم من أجاب بشيء فقبل ، فسألوه ؛ فذكر آية التوبة هذه ثم قال : فتواعدهم الله عز وجل على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله ، والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم وحتم واجب))[3] .

٢) وقال محمد بن نصر المروزي في سياق رده على المرجئة : ((ويقال لهم: أخبرونا عن الحب لله إيمان هو ؟ فإن قالوا : لا . قيل لهم : فما ضد الحب؟ فإن قالوا : البغض ؛ ولابد لهم من ذلك . قيل لهم : فالبغض لله إذاً ليس بكفر؛ لأن الكفر ضد الإيمان ، وما ليس بكفر ليس ضده إيماناً ؛ لأن اسم الطاعة عندكم يجمع الأعمال كلها ؛ المفترضة وغيرها وضدها معصية لا كفر ، فإذا كان الحب طاعة لا إيمان ، فالبغض لله معصية لا كفر .

فإن قالوا : ليس بغض الله كفراً ؛ فقد خرجوا من قول أهل الإسلام وزعموا أن من أبغض الله كان مؤمناً .

---

(١) سورة التوبة (٢٤) .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٣٥٦) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٥-٣٤٦) .

وإن قالوا : من أبغض الله فهو كافر ، قيل لهم : فقد أثبتم البغض كفراً، فكذلك الحب إيمان ؛ لأن الإيمان ضد الكفر ، فما نفى الكفر فهو إيمان ، وما نفى الإيمان فهو كفر))(١) .

٣) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ومحبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان ، وأكبر أصوله ، وأجل قواعده ، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين ، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة ؛ إما محبة محمودة أو مذمومة ، وجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة ، وأصل المحبة المحمودة هو محبة الله سبحانه وتعالى ؛ إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً ، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله تعالى ، ولم يكن بين أحد من سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان نزاع في ذلك))(٢) .

وقال أيضاً : ((وقد ثبت أنه لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما))(٣) .

٤) وقال ابن القيم – رحمه الله – : ((فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، ولتعطلت منازل السير إلى الله ؛ فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل . فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه . ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها . بل هي حقيقة الإخلاص بل هي نفس الإسلام . فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله . فمن لا محبة له لا إسلام له ألبتة . بل هي روح شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فإن الإله هو الذي يألهه العباد ذلاً وخوفاً ورجاء وتعظيماً وطاعة له ، بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٢٨-٧٢٩) مختصراً .

(٢) التحفة العراقية (٣٧٣-٤٣٠) مختصراً .

(٣) الإيمان (٢٤٠) وانظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٣) و(٦٠٠) من هذه الرسالة.

له . وأصل التأله : التعبد ، والتعبد آخر مراتب الحب ؛ يقال : عبده الحب وتيمه إذا ملكه وذلله لمحبوبه)) [١] .

٥) وقال المقريزي : ((فأصل العبادة محبة الله بل إفراده تعالى بالمحبة فلا تحب معه سواه ..

والمحبة هي حقيقة العبودية وسرها)) [٢] .

٦) وقال السعدي : ((أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده ، وهي أصل التأله والتعبد ، بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه)) [٣] .

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٧-٢٨) .

(٢) تجريد التوحيد المفيد (١١٣-١١٤) وانظر (٧٢) .

(٣) القول السديد (١١٠) .


المبحث الثالث :
دواعي
المحبة
ومظاهرها

المبحث الثالث : دواعي المحبة ومظاهرها :

***أولاً : دواعي المحبة :**

كما أن النفوس مفطورة على معرفة ربها وخالقها سبحانه وتعالى ومعرفة أن له عز وجل الكمال المطلق فهي مفطورة على محبته كذلك ؛ فما من عبد على وجه البسيطة يعرف ربه إلا وهو يحبه .

((وهذه المحبة حق كما نطق بها الكتاب والسنة ، والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ الدين المتبعون وأئمة التصوف أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية ، بل هي أكمل محبة ، فإنها كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾(١) وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية))(٢) .

((فليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم ، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى ، وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه ، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله ، ويطاع لأجل الله ، ويتبع لأجل الله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٣)))(٤) .

ولما كانت المحبة التامة ميل القلب بكليته إلى المحبوب كان ذلك الميل حاملاً على طاعته وتعظيمه ، وكلما كان الميل أقوى كانت الطاعة أتم والتعظيم أعظم .

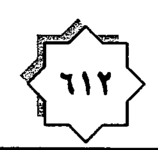
---

(١) سورة البقرة (١٦٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٦٦/١٠) .

(٣) سورة آل عمران (٣١) .

(٤) المصدر السابق (٦٤٩/١٠) .



وهذا الميل يلازم الإيمان بل هو روح الإيمان ولبه ، فأي شيء يكون أعلى من أمر يتضمن أن يكون الله سبحانه أحب الأشياء إلى العبد ؟ وأولى الأشياء بالتعظيم وأحق الأشياء بالطاعة ؟ كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(١) .

فالمؤمنون أشد حباً لربهم ومعبودهم من كل محب لكل محبوب ، هذا مقتضى عقد الإيمان الذي لا يتم إلا به . وليست هذه المسألة التي ليس للعبد عنها غنى أو منها بد كدقائق العلم ومسائل العلم التي يختص بها بعض الناس دون بعض ، بل هذه أفرض مسألة على العبد ، وهي أصل عقد الإيمان الذي لا يدخل فيه الداخل إلا بها ، ولا فلاح للعبد ، ولا نجاة له من عذاب الله إلا بها . فليشتغل بها العبد أو ليعرض عنها ، ومن لم يتحقق بها علماً وحالاً وعملاً لم يتحقق بشهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها سرها وحقيقتها ومعناها ، وإن أبى ذلك الجاحدون ، وقصر عن علمه الجاهلون .

فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها وتخضع له ، وتذل له ، وتخافه وترجوه ، وتنيب إليه في شدائدها وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها ، وتلجأ إليه ، وتطمئن بذكره ، وتسكن إلى حبه ، وليس ذلك إلا الله وحده .

ولهذا كانت أصدق الكلام ، وكان أهلها أهل الله وحزبه ، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته .

فهذه المسألة قطب رحى الدين الذي عليه مداره ، وإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق(٢) .

---

(١) سورة البقرة (١٦٥) .

(٢) طريق الهجرتين (٣١٩-٣٢٠) .

ومن هنا شمر لتحقيقها المجدون الحريصون المبتغون علماً وعملاً . ولما كانت المحبة لا تتصور إلا بعد معرفة ؛ فالطريق إلى محبة الله لا يتم إلا بمعرفته والوقوف على أسرار أسمائه وصفاته كما قال ابن القيم – رحمه الله – : ((باب الأسماء والصفات هو باب المحبين حقاً – ، كلما بدا لهم منه علم ازدادوا شوقاً ومحبة))(١) .

ومن هنا فدواعي المحبة لا تخرج عن دلالة أسماء الله وصفاته وهي تتلخص فيما يلي :

أولاً : داعي الكمال والجلال :

فالله جل جلاله له الكمال المطلق بل ((كل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق له على الكمال ، وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى ، فهو المستحق لأن يحب على الحقيقة والكمال))(٢) .

لأن كماله عز وجل من لوازم ذاته ، وكل من هو غيره فكماله نسبي مستمد منه ، مفتقر إليه ، وهو من منح الله له .

يقول محمد بن نصر المروزي في بيان الخلال التي أوجبت محبته المؤمنين لربهم : ((إنه الكريم ذو الإحسان والجود ، وإنه ليس كمثله شيء وإنه العادل الذي لا يجور ولا يظلم ؛ لأن ذلك ليس من صفاته ، وإنه المتفضل على من أراد ، وعادل على من يستحق العدل ، لا ينصرف من عدل إلى جور أبداً ، فهذه الخلال الموجبة للحب لله))(٣) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٣) .

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٣٥) .

ويقول ابن القيم : ((ولو شهد [المرء] بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التامة عليها .

وهل مع المحبين محبة إلا من آثار صفات كماله ؟ فإنهم لم يروه في هذه الدار وإنما وصل إليهم العلم بآثار صفاته وآثار صنعه ؛ فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم .

فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه وتعالى لكان لهم في حبه شأن آخر ، وإنما تفاوت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به ، فأعرفهم بالله أشدهم حباً له ، ولهذا كانت رسله أعظم الناس حباً له ، والخليلان من أعظمهم حباً ، وأعرف الأمة أشدهم له حباً))(١) .

ثانياً : داعي الجمال :

((والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك ، فإنه جميل يحب الجمال بل الجمال كله ، والجمال كله منه ، فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواه))(٢) .

يقول ابن القيم : ((ومن أسمائه الحسنى : الجميل ، ومن أحق بالجمال ممن كل جمال في الوجود فهو من آثار صنعته ، فله جمال الذات وجمال الأوصاف، وجمال الأفعال ، وجمال الأسماء ؛ فأسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها كمال ، وأفعاله كلها جميلة ، فلا يستطيع بشر النظر إلى جلاله وجماله في هذه الدار ، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدم أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذ إلى شيء غيره .

قال الحسن : ((إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى نسوا نعيم الجنة))(١) .

---

(١) إحسان سلوك العبد المملوك (١٣٩) وانظر للاستزادة في هذه المسألة الأكملية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٦٨-١٤٠) ، والمعرفة في الإسلام (٥٥٢-٥٥٧) .

(٢) الجواب الكافي (٣٥١) .

ومن جماله سبحانه أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة من آثار صنعته ؛ قال ﷺ واصفاً جماله تبارك وتعالى : ((حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)) [٢] .

قال ابن عباس : ((حجب الذات بالصفات ، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال ، وستر بنعوت العظمة والجلال)) [٣] .

والعبد يعرف جمال أفعال ربه ((من التأمل في بديع وجمال صنعه وخلقه، قال تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[٤] .

وقال : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٥] .

كما يعرف جمال صفاته وأسمائه بما يعرفه من جمال أفعاله فله سبحانه الأسماء الحسنى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٦] ، ومن جمال صفاته وأسمائه يستدل على جمال ذاته الذي لا يدركه سواه ، وليس عند العباد منه إلا تعريفات عنه تعرف بها إليهم من خلال أسمائه وصفاته فيما أنزله عليهم في كتابه الكريم وفيما أخبرهم به رسوله ﷺ)) [٧] .

....

(١) عوائق في طريق العبودية (٨-١٥) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان من حديث أبي موسى الأشعري (٨١) .

(٣) الفوائد (٢٢٢) .

(٤) سورة الملك (٣) .

(٥) سورة النمل (٨٨) .

(٦) سورة طه (٨) .

(٧) المصدر السابق (٢٢١-٢٢٤) بتصرف .

ثالثاً : داعي الإحسان والإنعام :

فالقلوب جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ، ولا أحد أعظم إحساناً من الله سبحانه ؛ فإن إحسانه على عبده في كل نفس ولحظة، وهو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة ؛ فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة إذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب وفي الحديث : ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة))[1] .

((وكل ما منه إلى عبده المؤمن يدعوه إلى محبته ، مما يحب العبد ويكره ؛ فعطاؤه ومنعه ، ومعافاته وابتلاؤه ، وقبضه وبسطه ، وعدله وفضله ، وإماتته وإحياؤه ، ولطفه وبره ، ورحمته وإحسانه ، وستره وعفوه ، وحلمه وصبره على عبده ، وإجابته لدعائه ، وكشف كربه ، وإغاثة لهفته ، وتفريج كربته من غير حاجة منه إليه ، بل مع غناه التام من جميع الوجوه ، كل ذلك داع للقلوب إلى تألهه ومحبته . بل تمكينه عبده من معصيته وإعانته عليها ، وستره حتى يقضي وطره منها ، وكلاءته وحراسته له ، وهو يقضي وطره من معصيته وهو يعينه ويستعين عليها بنعمه = من أقوى الدواعي إلى محبته ، فلو أن مخلوقاً فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك لم يملك قلبه عن محبته ، فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس – مع إساءته -؟ فخيره إليه نازل وشره إليه صاعد يتحبب إليه بنعمه وهو غني عنه ، والعبد يتبغض إليه بالمعاصي وهو فقير إليه ، فلا إحسانه وبره وإنعامه عليه يصده عن معصيته ، ولا معصية العبد ولؤمه يقطع إحسان ربه عنه .

فألأم اللؤم تخلف القلوب عن محبة من هذا شأنه ، وتعلقها بمحبة سواه .

---

(١) رواه الترمذي في جامعه : كتاب المناقب ، باب مناقب أهل البيت (٣٧٨٩) والحاكم في مستدركه : كتاب معرفة الصحابة ، باب مناقب أهل البيت رقم (٤٧٧٠). وقال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وأيضاً : فكل من تحبه من الخلق ويحبك إنما يريدك لنفسه وغرضه منك ، والله تعالى يريدك لك ، كما في الأثر الإلهي : ((عبدي كل يريدك لنفسه وأنا أريدك لك)) فكيف لا يستحي العبد أن يكون ربه له بهذه المنزلة ، وهو معرض عنه مشغول بحب غيره ، قد استغرق قلبه بمحبة سواه ؟

وأيضاً : فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك ، ولابد له من نوع من أنواع الربح ، والرب تعالى إنما يعاملك لتربح أنت عليه أعظم الربح وأعلاه ، والدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، والسيئة بواحدة ، وهي أسرع شيء محواً .

وأيضاً : فهو سبحانه خلقك لنفسه ، وخلق كل شيء لك في الدنيا والآخرة . فمن أولى منه باستفراغ الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته ؟

وأيضاً : فمطالبك – بل مطالب الخلق كلهم جميعاً – لديه ، وهو أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، أعطى عبده قبل أن يسأله فوق ما يؤمله ، يشكر القليل من العمل وينميه ، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه ، يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ، بل يحب الملحين في الدعاء ، ويحب أن يسأل ، ويغضب إن لم يسأل ، يستحي من عبده حيث لا يستحي العبد منه ، ويستره حيث لا يستر نفسه ، ويرحمه حيث لا يرحم نفسه ، دعاه بنعمه وإحسانه وأياديه إلى كرامته ورضوانه فأبى ، فأرسل رسله في طلبه ، وبعث إليهم معهم عهده ، ثم نزل سبحانه بنفسه وقال : ((من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟))[1] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب أبواب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١١٤٥) من حديث أبي هريرة .

كما قيل : أدعوك للوصل تأبي ، أبعث رسولي في الطلب ، أنزل إليك بنفسي ، ألقاك في النوام .

وكيف لا تحب القلوب من لا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يذهب بالسيئات إلا هو ، ولا يجيب الدعوات ويقبل العثرات ويغفر الخطيئات ، ويستر العورات ، ويكشف الكربات ، ويغيث اللهفان وينيل الطلبات سواه ؟

فهو أحق من ذكر ، وأحق من شكر ، وأحق من عبد ، وأحق من حمد وأبصر من ابتغي ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأوسع من أعطى ، وأرحم من استرحم ، وأكرم من قصد ، وأعز من التجئ إليه ، وأكفى من توكل العبد عليه ، أرحم بعبده من الوالدة بولدها ، وأشد فرحاً بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة ثم وجدها))[١] .

***ثانياً : مظاهر المحبة :**

الرب سبحانه يعلم ما في نفوس عباده من الدعاوى والخيالات والأماني ؛ ولذلك أنزل على نبيه ﷺ من العلم ما يبين بطلان كل دعوى زائفة . ومدعو المحبة كثير ، والصادقون في ذلك قليل ، وكل محبة لابد لها من دلائل ومظاهر تدل عليها وإلا كانت إلى المين أقرب ، ومحبة الله لها مظاهر وعلامات دلت النصوص الشرعية عليها . يتبين من خلالها الصادق في دعواه من الكاذب ويمكن إيجاز هذه المظاهر فيما يلي :

١) متابعة الرسول ﷺ :

قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٢] .

---

(١) الجواب الكافي (٣٥٢-٣٥٥) .

(٢) سورة آل عمران (٣١) .

قال الحسن : ((قال قوم على عهد النبي ﷺ : إنا نحب ربنا حباً شديداً فأحب الله أن يجعل لحبه علماً فأنزل الله هذه الآية))(١) .

وتسمى هذه الآية آية المحنة ، قال أبو سليمان الداراني(٢) : ((لما ادعت القلوب محبة الله أنزل الله لها محنة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾))(٣) .

وقال الجنيد : ((ادعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحنة وقرأ هذه الآية))(٤) .

وهذا يعني أن متابعة الرسول ﷺ هي موافقة حبيبكم فإنه المبلغ عنه ما يحبه وما يكرهه ، وإنما كانت موافقته دليلاً على محبته لأن من أحب حبيباً فلابد أن يحب ما يحبه ، ويبغض ما يبغضه وإلا لم يكن محباً له محبة صادقة .

قال ابن كثير – رحمه الله – : ((هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله))(٥) .

((فإتباع سنة رسول الله ﷺ وشريعته باطناً وظاهراً هي موجب محبة الله، وكثير ممن يدعي المحبة هو أبعد من غيره عن إتباع السنة وعن الأمر بالمعروف

---

(١) تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب (٢٢) .

(٢) هو : عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الداراني حياته ما بين (١٤٠-٢١٥هـ) الإمام الكبير ، زاهد عصره ، له كلمات تنبئ عن غزارة علمه وعظيم تقواه نقل بعضاً منها الذهبي في سيره .
انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢) .

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٢) .

(٤) احسان سلوك العبد المملوك (١٣٧) .

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٦) .

والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، ويدعي – مع هذا – أن ذلك أكمل لطريق المحبة من غيره ؛ لزعمه أن طريق المحبة ليس فيه غيره ولا غضب لله ، وهذا خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة)) [(١)] .

٢) إيثار المحبوب على نفسك ومالك :

إذ أن من تمام المحبة إيثار محاب الله على محابك عند غلبات الهوى ، و التسنم إلى محابه ، وإن صعب المرتقى مع مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين ذلك .

ولقد ذم الله وتوعد من قدم محاب النفس من مال وأهل وعشيرة على محابه كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [(٢)] .

فذم الله من لم يؤثر محاب الله على محاب نفسه .

ومن هنا فمن أسنى مراسيم المحبة تقديم محاب الله على محابه ، وإن خالفت هواه ، وبغض ما يبغضه ربه وإن مال إليه هواه .

قال بعض السلف : كل من ادعى محبة الله – عز وجل – ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة ، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨٢-٨٣) .

(٢) سورة التوبة (٢٤) .

وقال بعضهم : ليس بصادق من ادعى محبة الله – عز وجل – ولم يحفظ حدوده[١] .

وفي الحديث : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))[٢] .

٣) محبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه :

((وقد نطق الكتاب والسنة بذكر محبة العباد المؤمنين لربهم ، ومحبة الرب لعباده المؤمنين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٣])) .

وقوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾[٥] وفي الصحيحين قوله ﷺ : ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))[٦] .

بل محبة رسول الله ﷺ والأعمال الصالحة الواجبة وجبت بمحبة الله كما في قوله تعالى : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[٧] وكما في الصحيحين

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٣٩٦-٣٩٧) .

(٢) تقدم تخريجه (٦٠٨) .

(٣) سورة البقرة (١٦٥) .

(٤) سورة المائدة (٥٤) .

(٥) سورة التوبة (٢٤) .

(٦) تقدم تخريجه (٦٠٨) .

(٧) سورة التوبة (٢٤) .

عن النبي ﷺ : ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))(١) .

وكذلك محبة صحابته وقرابته كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((آية الإيمان محبة الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار))(٢) .

وقال : ((لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر))(٣) .

وقوله ﷺ لعمه العباس : ((والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله))(٤)))(٥) .

وكذلك بغض ما يبغضه الله ورسوله هو من أرقى مظاهر المحبة كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(٦) ... الآية .

وقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾(٧) ... الآية .

---

(١) تقدم تخريجه (٦٠٨) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب علامة حب الأنصار (١٧) .

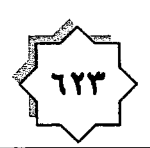
(٣) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلامته وبغضهم من علامات النفاق (٢٣٥، ٢٣٦) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٠٧) ق (٣/ ٢٩٤) المحققة وفيه ضعف .

(٥) التحفة العراقية (٤٠٥-٤٠٩) بتصرف يسير .

(٦) سورة المجادلة (٢٢) .

(٧) سورة الممتحنة (١) .



وفي سنن أبي داود مرفوعاً : ((من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ؛ فقد استكمل الإيمان)) [1] .

٤) اقتران محبته بالخوف والرجاء :

وهو من أهم ما ينبغي التنويه إليه لأن ((المحبة ما لم تقترن بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها بل تضره لأنها توجب التواني والانبساط وربما آلت بكثير من الجهال والمغرورين إلى أن استغنوا بها عن الواجبات ، وقالوا : المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على الله ومحبته له ، فإذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل)) [2] وهذا باطل ولاشك فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[3] .

فذكر المقامات الثلاثة : الحب ، والخوف ، والرجاء .

وبمثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾[4] .

٥) الإكثار من ذكره والشوق إلى لقائه :

فكثرة ذكره وتمني رؤيته والشوق إلى لقائه من مظاهر محبته سبحانه ، ذلك أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، ولا يكون ذلك إلا إذا شغلت المحبة قلب

---

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨١) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣٨٠) .

(٢) العبودية لابن تيمية (٦٨) .

(٣) سورة الإسراء (٥٧) .

(٤) سورة المؤمنون (٦٠) .

المحب وفكره ، حتى تشتاق النفس إلى لقائه وفي الحديث : ((من أحب لقاء الله أحب الله لقائه)) [١] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقائه (٦٥٠٧) من حديث عبادة بن الصامت .



المبحث الرابع: درجات الناس في المحبة

المبحث الرابع : درجات الناس في المحبة :

((كل مؤمن لا يتحقق فيه مسمى الإيمان حتى يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين ، وإن كان ذلك من محبة الله وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره ، ولهذا جاءت محبة الله سبحانه وتعالى مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له ؛ ونحو ذلك . فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى .

وكما بين الشارع أن محبته أصل الدين ؛ فقد بين أن كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها ؛ فإن النبي ﷺ قال : ((رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله))(١) .

فأخبر أن الجهاد ذروة سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه ، وقد قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٢) .

والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة جداً ، بل قد ثبت أنه من أفضل ما تطوع به العبد ، والجهاد دليل المحبة الكاملة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٣١) والترمذي في جامعه : كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٦) وابن ماجه في سننه : كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٣) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في صحيحي الترمذي وابن ماجه .

(٢) سورة التوبة (١٩) .

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾(١) الآية .

وقال تعالى في صفة المحبين المحبوبين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾(٢) .

فوصف المحبوبين المحبين بأنهم أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .

فإن المحبة مستلزمة للجهاد لأن المحب يحب ما يحبه محبوبه ، ويبغض ما يبغضه محبوبه ، ويوالي من يواليه ، ويعادي من يعاديه ، ويرضى لرضاه ، ويغضب لغضبه ، ويأمر بما يأمر به ، وينهي عما ينهي عنه ، فهو موافق له في ذلك ، وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ، ويغضب لغضبهم ؛ إذ هم إنما يرضون لرضاه ، ويغضبون لما يغضب له ، كما قال النبي ﷺ لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال : ((لعلك أغضبتهم لأن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فقال لهم : ((يا أخوتي هل أغضبتكم ؟ قالوا : لا ؛ يغفر الله لك يا أبا بكر))(٣) .

وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا : ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها ، فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لسيد قريش ؟ وذكر أبو بكر

---

(١) سورة التوبة (٢٤) .

(٢) سورة المائدة (٥٤) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة (٢٥٠٤) وأحمد في المسند (٥/ ٦٥)، (٣٤/ ٢٤٣) المحققة (٢٠٦٤٠) واللفظ له .

ذلك للنبي ﷺ فقال له ما تقدم ؛ لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضباً لله لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لأعداء الله ورسوله .

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح فيما يرويه عن ربه : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن : يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه))[(١)] .

فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين ، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ، ويكره ما يكرهه ، وهو يكره الموت فهو يكرهه ، كما قال : ((أنا أكره مساءته)) وهو سبحانه قد قضى بالموت ؛ فهو يريد أن يموت فسمى ذلك تردداً ، ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك))[(٢)] .

فعبد الله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، فيوالي أولياءه ويعادي أعداءه سبحانه ، وهذا هو الذي استكمل الإيمان كما في الحديث : ((من أحب الله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ؛ فقد استكمل الإيمان))[(٣)] .

وقال ﷺ أيضاً : ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله))[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق ، باب التواضع (٦٥٠٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦-٥٩) .

(٣) تقدم تخريجه (٦٢٧) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٦) ، (٣٠/ ٤٨٨) رقم (١٨٥٢٤) وابن أبي شيبة في الإيمان (٤٥) رقم (١١٠) وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٢٨) والأرناؤوط في تحقيق المسند .

وفي الصحيح : ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))(١) .

فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه ؛ فكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأحب المخلوق لله لا لغرض آخر ؛ فكان هذا من تمام حبه لله ، فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب . فإذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق لا لشيء آخر فقد أحبهم لله لا لغيره . وقد قال تعالى في وصف أوليائه : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾(٢) .

ولهذا قال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٣) فإن الرسول يأمر بما يحب الله ، وينهي عما يبغضه الله ، ويفعل ما يحبه الله ، ويخبر بما يحب الله التصديق به ، فمن كان محباً لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله فيحبه الله . فجعل الله لأهل محبته علامتين :

- إتباع الرسول ﷺ .
- والجهاد في سبيله .

وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان .

---

(١) تقدم تخريجه (٦٠٨) .

(٢) سورة المائدة (٥٤) .

(٣) سورة آل عمران (٣١) .

وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾(١) .

فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله ، بهذا الوعيد . بل قد ثبت في الصحيح أنه قال : ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))(٢) وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب قال له : يا رسول الله ، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال : لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال : فو الله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال : الآن يا عمر))(٣) .

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب ، وهو موافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض ، والله يحب الإيمان والتقوى ، ويبغض الكفر والفسوق والعصيان ، ومعلوم أن الحب يحرك إرادة القلب فكلما قويت المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبات ، فإذا كانت المحبة تامة استلزمت إرادة جازمة في حصول المحبوبات ، فإذا كان العبد قادراً عليها حصلها . وإن كان عاجزاً عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك كان له كأجر الفاعل كما قال النبي ﷺ : ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً))(٤) .

(١) سورة التوبة (٢٤) .

(٢) تقدم تخريجه (٦٠٨) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان والنذور ، باب : كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٦٣٢) .

(٤) رواه مسلم في صحيحه : كتاب العلم (٦٩٨٠) من حديث أبي هريرة .

وقال : ((إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم . قالوا : وهم بالمدينة ؟! . قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر))[1] .

ولما كان الجهاد هو بذل الوسع ؛ وهو القدرة في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق ، فإذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد كان دليلاً على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه ، ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالباً إلا باحتمال المكروهات – سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة – . فالمحب لله ورسوله إذا لم يحتمل ما يرى في سبيل حصول محبوبه دل ذلك على ضعف محبته لله ؛ والمؤمن أشد حباً لله ، ومحبته بقدر إيمانه .

إذا تبين هذا فكلما ازداد القلب حباً لله ازداد له عبودية ، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حباً وحرية عما سواه .

والقلب إذا لم يحقق تألهه لله بحيث يكون هو غاية مراده ونهاية مقصوده وهو المحبوب بالقصد الأول ، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله ، لا يحب شيئاً لذاته إلا الله ، فمتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة لا إله إلا الله ، ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة ، وكان فيه من النقص والعيب بل ومن الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك .

والناس في هذا على درجات متفاوتة لا يحصي طرفيها إلا الله . فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهداهم أتمهم عبودية ومحبة لله من هذا الوجه[2] .

وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية درجات الناس في هذا فكان مما قال : ((والناس في هذا الباب أربعة أنواع :

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي ولم يسم الباب (٤٤٢٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٩٠-١٩٥) .

النوع الأول : أكملهم الذين يحبون ما أحبه الله ورسوله ، ويبغضون ما أبغضه الله ورسوله ؛ فيريدون ما أمرهم الله ورسوله بإرادته ، ويكرهون ما أمرهم الله ورسوله بكراهته ، وليس عندهم حب ولا بغض لغير ذلك .

فيأمرون بما أمر الله به ورسوله ، ولا يأمرون بغير ذلك ، وينهون عما نهى الله عنه ورسوله ، ولا ينهون عن غير ذلك .

وهذه حال الخليلين أفضل البرية : محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم . وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً))[١] .

وقال أيضاً : ((إني والله لا أعطي أحداً ، ولا أمنع أحداً ، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت))[٢] .

والنوع الثاني : عكس هذا . وهو أنهم يتبعون هواهم ، لا أمر الله ؛ فهؤلاء لا يفعلون ولا يأمرون إلا بما يحبونه بهواهم ، ولا يتركون وينهون إلا عن ما يكرهونه بهواهم .

وهؤلاء شر الخلق . قال تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلاً ﴾[٣] قال الحسن : هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه . وقال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[٤] وقال عمر بن عبد العزيز : ((لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه ، ويخالفه إذا خالف هواه ؛ فإذا أنت لا تثاب

(١) رواه مسلم في صحيحه : كتاب المساجد (١٢١٦) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب : فرض الخمس ، باب : قول الله تعالى : ﴿ فأن لله خمسه وللرسول ﴾ (٣١١٧) .

(٣) سورة الفرقان (٤٣) .

(٤) سورة القصص (٥٠) .

على ما اتبعته من الحق ، وتعاقب على ما خالفته)) . وهو كما قال - رضي الله عنه – لأنه في الموضعين إنما قصد إتباع هواه لم يعمل لله .

القسم الثالث : الذي يريد تارة إرادة يحبها الله ، وتارة إرادة يبغضها الله . وهؤلاء أكثر المسلمين ، فإنهم يطيعون الله تارة ويريدون ما أحبه ، ويعصونه تارة ، ويريدون ما يهوونه وإن كان يكرهه .

القسم الرابع : أن يخلو عن الإرادتين ، فلا يريد لله ولا هواه .

وهذا يقع لكثير من الناس في بعض الأشياء ، ويقع لكثير من الزهاد والنساك في كثير من الأمور))[1] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٦٧-٤٨٢) مختصراً .

المبحث الخامس:

ما يضاد المحبة

(شرك المحبة - البغض لها)

المبحث الخامس : ما يضاد المحبة (شرك المحبة – البغض لها) :

قد سبق لنا في المباحث المتقدمة أن محبة الله عز وجل أصل كل عمل من أعمال الدين ، وأنها شرط من شروط لا إله إلا الله ، فلابد في تحقيق كلمة التوحيد تحقيق إخلاص المحبة لله عز وجل فلا يكون له شريك في الحب . كما أنه أيضاً لابد من انتفاء الضد وهو البغض .

ومن هنا فلابد من توضيح مسألتين في هذا المبحث يتضح من خلالها ما يضاد المحبة :

- حقيقة شرك المحبة .
- بغض كلمة التوحيد وما تضمنته .

*** أولاً : شرك المحبة :**

لما كانت المحبة أصل كل عمل من أعمال القلوب والجوارح ؛ كان الإشراك في المحبة أصل كل شرك عملي . فأصل الشرك في المشركين هو اتخاذهم أنداداً يحبونهم كحب الله[1] .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[2] : ((فذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ؛ حيث جعلوا له أنداداً له أي : أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ، ويحبونهم كحبه ، وهو الله لا إله إلا هو ، فلا ضد ، ولا ند ، ولا شريك معه .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قلت : يا رسول الله ؛ أي

---

(١) قاعدة في المحبة (٦٩) .

(٢) سورة البقرة (١٦٥) .

الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك))[(١)]))[(٢)] .

يقول ابن القيم في بيان حقيقة شرك المحبة : ((الشرك بالله في المحبة والتعظيم بأن يحب مخلوقاً كما يحب الله ؛ فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله ؛ وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية .

وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٣)] .

ومعلوم أنهم ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة ، وإنما سووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل))[(٤)] .

ويقول محمد بن عبد الوهاب : ((ومن الأمور المبينة لتفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله : آية البقرة في الكفار الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[(٥)] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ؛ فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ، فلم يدخلوا في الإسلام ، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله ؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده؟))[(٦)] .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ (٤٤٧٧) ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (٢٦٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٨) .

(٣) سورة الشعراء (٩٧-٩٨) .

(٤) الجواب الكافي (٢٠٣) .

(٥) سورة البقرة (١٦٧) .

(٦) فتح المجيد (٩٧) وانظر مجموع الفتاوى (١/ ٩٣-٩٥) ، (١٣/ ٦٣) ، قاعدة في المحبة (٣١-٣٢) .

ثانياً : بغض كلمة التوحيد وما تضمنته :

البغض والكراهة ضد المحبة التي هي شرط من شروط كلمة التوحيد بل كل محبة فكما أن ((أصل كل فعل وحركة من الحب والإرادة ؛ فالحب أصل كل فعل ومبدؤه ، كما أن البغض والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه ومادته ، فهو أصل كل ترك)) [(١)] .

وكراهة كلمة التوحيد وما تضمنته من صفات الكافرين ، وقد تقرر هذا في كثير من آيات الكتاب .

- قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[(٢)] .

فأخبر سبحانه بحبوط أعمالهم بسبب بغضهم وكراهيتهم ما تضمنته كلمة التوحيد من الكتاب المنزل[(٣)] .

- وقال تعالى في وصفهم أيضاً : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[(٤)] .

فبين أن سبب حبوط أعمالهم كراهة رضوان الله ومحابه .

- وقال سبحانه في بيان موقفهم مما جاء به الرسول ﷺ : ﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾[(٥)] .

---

(١) قاعدة في المحبة (٧) .

(٢) سورة محمد (٩) .

(٣) انظر تفسير ابن جرير (٢٦/٤٦) وتفسير ابن كثير (٤/١٨٨) .

(٤) سورة محمد (٢٨) .

(٥) سورة المؤمنون (٧٠) .

- وقال أيضاً في خطاب أهل النار : ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾(١) .

وهو أيضاً من أظهر صفات المنافقين وقد بين الله تبارك وتعالى هذا في غير ما آية من كتابه منها :

- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾(٢) الآية .

- وقوله : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾(٣) .

- وقوله : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٤) إلى غير ذلك من الآيات وكل هذا بسبب ما في قلوبهم من نفاق اعتقادي منع من قبول أعمالهم كلها . وقد ذكر أئمة الإسلام أن بغض دين الله وكراهته أو بغض رسول الله ﷺ وكراهته من

---

(١) سورة الزخرف (٧٨) .

(٢) سورة آل عمران (١١٨-١٢٠) .

(٣) سورة التوبة (٥٤) .

(٤) سورة التوبة (٨١) .

نواقض الإسلام بل((هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ،والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع))(١)، و قد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا النوع من نواقض الإسلام العشرة المجمع عليها بين أهل الإسلام كما حكى ابن حزم والحجاوي(٢) صاحب الإقناع و غيرهم اتفاق أهل الإسلام على ذلك(٣) .

ومن هنا فالبغض والكراهة لكلمة التوحيد أو ما تضمنته يعتبر ناقضاً من النواقض المخرجة عن دائرة الإسلام . وذلك من وجهين :

الأول : أن فيه إخلالاً بشرط المحبة والتعظيم لله عز وجل ومحبة أوامره وأوامر رسوله ﷺ .

الثاني : أن فيه تركاً للقبول والانقياد والتسليم لأن ذلك مقتضى المحبة ولذلك كفر العلماء من اتصف بهذه الصفة . غير أن ههنا ما ينبغي التنبيه إليه وهو التفريق بين الكره والنفور الطبعي وبين الكره الاعتقادي .

قال الراغب : ((الكره المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه ، والكره ما يناله من ذاته وهو يعافه ، وذلك على ضربين :

---

(١) الصارم المسلول (٥٢٢) ط المدني.

(٢) هو : شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبو النجا الحجاوي المقدسي ثم الصالحي (٨٩٥-٩٦٨هـ) ، الإمام العالم العلامة مفتي الحنابلة بدمشق ، والمعوَّل عليه في الفقه بالديار الشامية ، صاحب المؤلفات النافعة ، منها : الإقناع لطالب الانتفاع ، زاد المستقنع في اختصار المقنع ، حاشية التنقيح .
انظر ترجمة له في مقدمة الإقناع بقلم الدكتور عبد الله التركي .

(٣) انظر المحلى لابن حزم (١١/ ٢٠٥-٢٠٦) ، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ١٠٨) ، قاعدة في المحبة له أيضاً (١٩٣) ، الإقناع لطالب الانتفاع (٤/ ٢٨٥) ، نواقض الإسلام العشرة الناقض الخامس ، مجموعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الثالث (٦٢) .

- أحدهما : ما يعاف من حيث الطبع .

- والثاني : ما يعاف من حيث العقل و الشرع .

ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد : إني أريده وأكرهه ؛ بمعنى إني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث الشرع أو العكس . وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[1] .

أي تكرهونه من حيث الطبع))[2] .

وقال البغوي عند هذه الآية : ((وهو كره لكم أي شاق عليكم قال بعض أهل المعاني : هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله))[3] .

(١) سورة البقرة (٢١٦) .

(٢) المفردات (٤٣١) .

(٣) تفسير البغوي (١/ ٢٠٣) وانظر نواقض الإيمان الاعتقادية (٢/ ١٧٧-١٧٩، ٢٠٥-٢١١) .

الخاتمة

الحمد لله أولاً و آخراً ، ظاهراً وباطناً ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ... وبعد :

فإنه من المناسب بعد أن منّ الله علينا بإتمام هذا البحث أن نشير إلى أهم نتائجه المستخلصة من مجموع مباحثه فنقول وبالله التوفيق :

أولاً : أهمية كلمة التوحيد وعظيم قدرها البالغ ، فهي أعلى شعب الإيمان ، ومفتاح دار السلام ، وأساس دعوة الرسل ، و بها يحكم للكافر بدخول الإسلام ، وتتجلى هذه الأهمية من خلال :

- أنها الغاية من خلق الجن والإنس .

- أنها أول واجب ، وذلك أن الرسل جاءوا بالدعوة إليها ، إذ لا يبدؤن أقوامهم بشيء أول منها ، وقد حصل إجماع السلف على هذا . وبهذا يتبين خطأ القول بأن أول واجب هو النظر أو القصد إليه .

- تعدد أسمائها .

- سلوك القرآن أساليبه المتعددة في الدلالة عليها بأحسن تقرير وأعجز بيان وأقوم حجة .

- تعدد فضائلها الواردة في السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ثانياً : أن معنى الإله في كلمة التوحيد هو المعبود أو المستحق للعبادة ؛ جاء ذلك في الاستعمال اللغوي والاستعمال الشرعي ، وقد تضمنت ركنين :

الأول : نفي جميع المعبودات دون الله .

والثاني : حصر استحقاق العبادة في الله وحده .

ثالثاً : تضمنت كلمة التوحيد جميع أنواع التوحيد ، فقد اشتملت على توحيد الإرادة والطلب المتضمن لتوحيد الألوهية ، كما اشتملت على توحيد المعرفة والإثبات المتضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

رابعاً : أن من أكبر أسباب الخلاف في التوحيد وأهمها ، وانحراف الفرق فيه يكمن في مفهوم معنى الإله عند كل قوم مما يعزز تحقيق القول في معنى الإله .

خامساً : أن المتصوفة طرق ومذاهب ؛ إذ فيهم الغالي في نحلته النائي عن الإسلام وأهله ومنهم دون ذلك ، وبالتالي لا يصح وضعهم تحت إطار واحد وفي ظل حكم واحد ، بل ينبغي التفصيل عند ذكر قولهم في التوحيد .

سادساً : أن قائل كلمة التوحيد لا ينتفع بها إلا إذا حقق أركانها وشروطها ومات على ذلك ولم يرتكب ناقضاً من نواقضها ، وأن قول من قال بأن مجرد التلفظ يكفي وهم باطل ؛ إذ لم تكن مجرد قول يقال باللسان أو اعتقاد بالقلب منذ اللحظة الأولى للرسالة المحمدية إلى أن تمَّ الدين وكمل بل هي قول واعتقاد وعمل .

سابعاً : أن كلاً من : النطق ، والعلم المنافي للجهل ، واليقين المنافي للشك، والإخلاص المنافي للشرك ، والصدق المنافي للكذب ، والقبول المنافي للرد ، والانقياد المنافي للترك والمحبة المنافية للبغض ؛ كل هذه شروط لكلمة التوحيد يجب تحققها .

ثامناً : أن كل شرط من شروط كلمة التوحيد يتفاوت الناس فيه تفاوتاً عظيماً ، أعلاهم درجة رسولنا محمد ﷺ وأدناهم مرتبة ودرجة آخر من يخرج من النار يوم القيامة وآخر من يدخل الجنة .

هذه أهم النتائج التي استخلصتها من هذا البحث الذي أسأل الله أن يبارك فيه وينفع به الإسلام والمسلمين ، وإن كان في ثنايا البحث نتائج لاتقل أهمية عما ذكر غير أنا أثرنا الاختصار وبالله التوفيق والحمدلله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس الفهارس :

فهرس المراجع

١.	الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير للإمام الجوزقاني الهمذاني تحقيق الدكتور عبدالرحمن الفربوائي ، دار الصميعي ، الرياض ، ط الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٢.	الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري ، تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، ط الرابعة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٣.	ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات لمؤلفه الأستاذ محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، ط بدون .
٤.	ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد تأليف الدكتور أحمد ناصر الحمد ، مركز البحوث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ط الأولى ١٤٠٦هـ .
٥.	ابن قيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف تأليف الدكتور عبدالله محمد جار النبي ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٦.	الإتحاف في الرد على الصحاف لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ تحقيق عبد العزيز بن عبدالله آل حمد ، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٧.	الآثار العقدية للوثنية اليونانية تأليف علي بن عبد العزيز الشبل ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٨.	أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة عرض ونقد ، إعداد منيف بن عايش بن مرزم العتيبي ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى قسم العقيدة عام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
٩.	أثر علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تأليف الدكتور عبدالله بن محمد الطيار ، دار ابن الجوزي ، الدمام ط الأولى ١٩٩٢م – ١٤١٣هـ .
١٠.	اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية للإمام ابن القيم تحقيق فواز زمرلي ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١١.	أجوبة المسائل الثمان للشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي تحقيق علي حسن عبدالحميد الحلبي ، دار الراية الرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ .
١٢.	الأحاديث التي حسنها أبو عيسى الترمذي وانفرد بإخراجها عن أصحاب الكتب الستة دراسة تحليلية إعداد عبد الرحمن بن صالح محي الدين ، إشراف الدكتور محمود أحمد ميرة ، دار الفضيلة بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
١٣.	أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح تأليف سليمان بن محمد الدبيخي ، مكتبة دار البيان الحديثة الطائف ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

.١٤	الأحاديث القدسية إعداد مجموعة من العلماء ، الناشر والطبعة بدون .
.١٥	أحاديث القصاص لابن تيمية تحقيق الدكتور محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
.١٦	الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة للإمام ابن قتيبة الدينوري تحقيق عمر محمود أبو عمر ، دار الراية الرياض ، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
.١٧	الاخنائية أو الرد على الاخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق أحمد يونس العنزي ، دار الخراز بجدة ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
.١٨	أراء الصوفية في أركان الإيمان تأليف الدكتور سعد بن ناصر الشتري ، دار اشبيليا ، الرياض ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
.١٩	أراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً ، تأليف الدكتور علي بن سعد الضويحي مكتبة الرشد بالرياض ، ط الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
.٢٠	أراء أهل المدينة الفاضلة لأبي نصر الفارابي ، تقديم الدكتور طه حبيشي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر ، ط بدون .
.٢١	الأربعين في أصول الدين لأبي حامد الغزالي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصري الطبعة بدون .
.٢٢	الأربعين في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي ومعه رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
.٢٣	إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
.٢٤	الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين عبد الملك الجويني ، تحقيق زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
.٢٥	الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين ، إعداد محمد حمد المنيع ، دار طيبة الرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
.٢٦	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل تأليف محمد ناصر الدين الألباني بإشراف زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ببيروت ، ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
.٢٧	أساس التقديس في علم الكلام للفخر الرازي ، طبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ط (١٧)، ١٣٥٤ هـ .
.٢٨	أساس التقديس للرازي ، طبعة الحلبي بمصر ، عام (١٣٥٤هـ) .

٢٩.	الاستغاثة في الرد على البكري تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عبدالله ابن دجين السهلي ، دار الوطن بالرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٣٠.	الاستقامة لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ، توزيع مكتبة السنة بمصر ، ط الثانية ١٤٠٩هـ .
٣١.	اسم الله الأعظم تأليف د. عبدالله بن عمر الدميجي ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٣٢.	الإشارات والتنبيهات لابن سينا مع شرح الطوسي تحقيق سليمان دنيا ط دار المعارف بمصر ط الثالثة.
٣٣.	الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف د. عبد القادر محمد عطا صوفي ، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة النبوية ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٣٤.	أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة تأليف د. محمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار الصميعي الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٣٥.	أصول الدين لجمال الدين الغزنوي الحنفي تحقيق الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية بيروت ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٣٦.	أصول الدين لعبد القاهر البغدادي ، مطبعة الدولة استانبول ، ط الأولى ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .
٣٧.	أصول الدين للإمام أبي اليسر محمد البزدوي الماتريدي تحقيق الدكتور هانزبيتر لنس ، تعليق الدكتور أحمد حجازي السقا ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٣٨.	أصول السنة لابن أبي زمنين تحقيق عبدالله محمد البخاري ، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ، ط الأولى ١٤١٥هـ .
٣٩.	أصول السنة للإمام عبدالله بن الزبير الحميدي تحقيق د. عبدالله الغفيلي / ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٤٠.	أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ، تتمة تلميذه عطية محمد سالم اعتنى صلاح الدين العلايلي ، دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٤١.	إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٤٢.	الاعتصام للإمام الشاطبي تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة

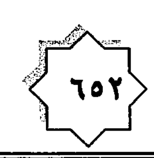
	الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٤٣.	اعتقاد الأئمة الأربعة تأليف محمد الخميس ، وكالة المطبوعات والبحث العلمي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .
٤٤.	الاعتقاد لمحمد بن القاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار أطلس الخضراء الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٤٥.	الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي تحقيق أحمد أبو العينين تقديم عبدالرحمن بن صالح المحمود ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٤٦.	اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
٤٧.	أعلام السنة المنشورة تأليف حافظ الحكمي تحقيق حازم القاضي ، نشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ١٤٢٠هـ .
٤٨.	الأعلام بتوضيح نواقض الإسلام تأليف عبد العزيز مرزوق الطريفي ، مكتبة الرشد بالرياض ١٤٢٥هـ ، ط الأولى .
٤٩.	أعمال القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب سليمان بن صالح الغصن ، دار العاصمة ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ .
٥٠.	أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ومؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
٥١.	اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور ناصر العقل ، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الخامسة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٥٢.	الإقناع لطالب الانتفاع لشرف الدين أبو النجا الحجاوي ، تحقيق عبدالله التركي ، دال عالم الكتب الرياض ، ط الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٥٣.	أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان جمع ودراسة وتحقيق عبد العزيز بن عبدالله المبدل ، الناشر دار التوحيد للنشر ، الرياض ، ط الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٥٤.	الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل تأليف محمد السيد الجليند ، منشورات المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
٥٥.	الإمام أبو الحسن الأشعري وأراؤه الأصولية تأليف الدكتور حسين خلف الجبوري ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٥٦.	الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري تأليف علي بن عبد العزيز الشبل ، ط جامعة الإمام

	محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٥٧.	الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة بقلم الحسن بن عبد الرحمن العلوي تقديم الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٥٨.	الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق د. علي الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ، ط الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٥٩.	الأمثال في القرآن الكريم لابن قيم الجوزية تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة بيروت ، ط الرابعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٦٠.	انتصار الحق بعد الرحمن بن ناصر السعدي ، اعتناء أشرف عبدالمقصود ، أضواء السلف بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٦١.	الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار تأليف الشيخ يحيى بن أبي الخير العمراني ، تحقيق الدكتور سعود الخلف ، أضواء السلف الرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٦م .
٦٢.	الانتصار لحزب الله الموحدين للشيخ عبدالله أبا بطين اعتنى بنشره عبدالملك ابن إبراهيم ، المطبعة السلفية مصر ، ١٣٧٨هـ .
٦٣.	الانتصار للفتوى الحموية وبيان الحيف في القضية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق فهد بن مقعد العتيبي ، دار بلنسية بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٦٤.	الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد للخياط المعتزلي ، مكتبة الثقافة الدينية مصر ، ط بدون .
٦٥.	الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين تأليف علي بن بخيت الزهراني تقديم الشيخ محمد قطب ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، ط الأولى .
٦٦.	الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبدالكريم الجيلي تحقيق فاتن محمد ط مؤسسة التاريخ العربي ط الأولى ١٤٢٠هـ .
٦٧.	الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للإمام الباقلاني ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٨٦هـ .
٦٨.	أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه تأليف الدكتور علي بن نفيع العلياني ، دار طيبة الرياض ، ط الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٦٩.	إيثار الحق على الخلق للإمام ابن الوزير الصنعاني تحقيق أحمد مصطفى حسين إشراف صابر طعمية ، الدار اليمنية للنشر باليمن ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٧٠.	الإيضاح في أصول الدين لابن الزاغوني تحقيق عصام السيد محمود ط مركزالملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية ط الأولى ١٤٢٤هـ	
الإيمان (أركانه – حقيقته – نواقضه) تأليف الدكتور محمد نعيم ياسين ، دار الندوة الجديد بيروت ، ط بدون .	٧١.
الإيمان الأوسط أو (شرح حديث جبريل عليه السلام لشيخ الإسلام ابن تيمية) ، تحقيق الدكتور علي بجيت الزهراني ، دار ابن الجوزي بالدمام ، ط الأولى ١٤٢٣هـ . طبعة أخرى ضمن مجموع الفتاوى ، المجلد السابع .	٧٢.
الإيمان تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الخامسة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ز	٧٣.
الإيمان حقيقته وزيادته وثمرته تأليف عبدالله بن محمد الغنيمان ، دار التدمرية، الرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .	٧٤.
الإيمان لابن أبي شيبة تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .	٧٥.
الإيمان لابن منده تحقيق د. علي الفقيهي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .	٧٦.
الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م . طبعة أخرى بتحقيق محمد زينهم محمد عزب ، المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة ، ط بدون .	٧٧.
بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة المؤيد الرياض، ط الأولى ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .	٧٨.
البداية والنهاية للإمام ابن كثير تحقيق مجموعة من أهل العلم ، دار الريان للتراث مصر ، ط الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .	٧٩.
بدع القبور أنواعها وأحكامها تأليف أبي عبد الإله صالح بن مقبل العصيمي التميمي ، تقديم الدكتور عبد الرحمن المحمود ، دار الفضيلة بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٦هـ .	٨٠.
براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة تأليف د. عبد العزيز بن أحمد الحميدي ، دار ابن عثمان القاهرة ، ط الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .	٨١.
بغية المرتاد تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تحقيق ودراسة الدكتور موسى ابن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية ط الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .	٨٢.
البناء على القبور تأليف عبد الرحمن بن يحيى المعلمي تحقيق د. حاكم المطيري ، دار أطار الخضراء الرياض ، ط الثالثة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .	٨٣.

٨٤.	بيان التوحيد تأليف سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، الناشر بدون ، والطبعة ١٤٢٣هـ .
٨٥.	بيان تلبيس الجهمية تأليف أبي العباس أحمد بن تيمية تصحيح وتعليق محمد ابن عبدالرحمن بن قاسم ، مؤسسة قرطبة ، ط بدون . طبعة أخرى بتحقيق الشيخ موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية ، ط الأولى ١٤٢٤هـ .
٨٦.	البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار تأليف فوزان السابق ، الناشر بدون ، ط الرابعة ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٨٧.	البيان والتبيان للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي مصر ، ط السابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٨٨.	البيهقي وموقفه من الإلهيات تأليف الدكتور أحمد عطية الغامدي ، مكتبة ابن تيمية البحرين ، ط الرابعة ١٤١٣هـ .
٨٩.	تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي ، الناشر والطبعة بدون .
٩٠.	تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس للعلامة عبدالله أبابطين ، تحقيق عبد السلام برجس ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٩١.	تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة تحقيق محمد عبد الرحيم ، دار الفكر بيروت ، ط بدون ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٩٢.	التبيان شرح نواقض الإسلام لسليمان بن ناصر العلوان ، دار المسلم بالرياض، ط السادسة ١٤١٧هـ .
٩٣.	التبيان في أقسام القرآن للإمام ابن القيم تحقيق عصام الحرستاني ومحمد إبراهيم الزغلي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٩٤.	التبرك أنواعه وأحكامه تأليف د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع ، مكتبة الرشد ، ط الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٩٥.	التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفراييني تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب بيروت ، ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٩٦.	التبصير في معالم الدين للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري ، تحقيق علي الشبل، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٩٧.	تبيين كذب المفترى للإمام ابن عساكر الدمشقي ، تحقيق الكوثري ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٩٨.	تجريد التوحيد المفيد للإمام المقريزي ، تحقيق علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد مكة المكرمة ، ط الأولى ١٤١٧هـ .
٩٩.	التجريد في إعراب كلمة التوحيد للعلامة علي القاري تحقيق مشهور حسن سلمان ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
١٠٠.	التحذير من فتنة التكفير للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني تقريظ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وتعليق الشيخ محمد صالح العثيمين ، جمعها وقدم لها علي بن حسن عبد الحميد الحلبي ، دار الراية بالرياض ، ط الثانية عام ١٤١٨هـ .
١٠١.	التحف في مذاهب السلف تأليف محمد علي الشوكاني تقديم وتحقيق سليم الهلالي وعلي حسن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي الدمام ، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٠٢.	تحفة الأخوان للإمام عبد العزيز بن باز ، اعتنى به محمد الشايع ، الناشر بدون، ط الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
١٠٣.	تحفة الطالب الجليس لعبد اللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ اعتنى به عبد السلام بن برجس ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٠٤.	التحفة العراقية في الأعمال القلبية لابن تيمية تحقيق يحيى محمد الهنيدي ، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
١٠٥.	التحفة المدنية في العقيدة السلفية محمد بن ناصر المعمر تحقيق عبد السلام برجس آل عبد الكريم ، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤١٣هـ .
١٠٦.	التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية تأليف الشيخ صالح بن مهدت أل مهدي تصحيح وتعليق د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن بالرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ .
١٠٧.	تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات ، تأليف فوز بنت عبد اللطيف الكردي ، دار طيبة الرياض ، ط الأولى ١٤٢١هـ .
١٠٨.	تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد للشيخ فريح بن صالح الهلال ، تقديم الإمام عبد العزيز بن باز ، دار الأثر بالرياض ، ط الأولى ١٤١٥هـ .
١٠٩.	تدريب الراوي للإمام السيوطي تحقيق أبو قتيبة القاريابي ، مكتبة الكوثر بالرياض ، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ .
١١٠.	تذكر الحفاظ للذهبي وضع حواشيه زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
١١١.	تذكير الموحدين تأليف إبراهيم بن محسن آل عيسى ، مطبعة الرشيد ، المدينة المنورة ، ط الأولى ١٤٢١هـ .



١١٢.	تزكية النفس تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق ودراسة د. محمد سعيد القحطاني ، دار المسلم بالرياض ، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
١١٣.	التسعينية تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان ، مكتبة المعارف الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١١٤.	تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة تأليف محمد أمان بن علي الجامي ، دار المنهاج ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
١١٥.	تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق علي ابن محمد بن سنان ، مكتبة دار الكتاب الإسلامي ، المدينة المنورة ، ط الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
١١٦.	التعرف على لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ت د/ عبدالحليم محمود ط مكتبة الثقافة بمصر.
١١٧.	التعريفات للشريف الجرجاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٧٠م .
١١٨.	تعظيم قدر الصلاة للإمام محمد بن نصر المروزي ، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط الأولى ١٤٠٦هـ .
١١٩.	التعليقات على كشف الشبهات تأليف عبدالله القصير ، دار الحلية الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
١٢٠.	التعليقات على كشف الشبهات لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار المعالي بيروت ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
١٢١.	تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير تقديم الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي دار المعرفة ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ز
١٢٢.	تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس غنيم ، دار الوطن الرياض ، ط ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٢٣.	التفسير القيم للإمام ابن القيم جمع محمد إدريس الندوي تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط بدون .
١٢٤.	تفسير آيات أشكلت لابن تيمية ، دراسة وتحقيق عبد العزيز محمد الخليفة ، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ .
١٢٥.	تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام ابن تيمية تقديم زهير شفيق الكبي ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١٢٦.	تفسير سورة النور لابن تيمية راجعه د. عبد العلي عبد الحميد حامد ، الدار السلفية بالهند ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

١٢٧.	تقريب التدمرية تأليف محمد صالح العثيمين ، اعتنى به سيد بن عباس الجليمي ، مكتبة السنة بمصر ، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
١٢٨.	تقريب التهذيب لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد، سوريا ، ط الرابعة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
١٢٩.	التقريب لعلوم ابن القيم بقلم بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار العاصمة الرياض، ط الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
١٣٠.	التقريب لمنهاج السنة النبوية ، جمع وترتيب عبدالله البراك ، مكتبة الفرقان بالرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ .
١٣١.	تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية إعداد الشيخ خالد فوزي عبد الحميد حمزة ، دار التربية والتراث بمكة ، مكتبة الضياء بجدة ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
١٣٢.	التكليف في ضوء القضاء والقدر تأليف د. أحمد بن علي عبد العال ، الناشر دار الهجرة بأبها ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٣٣.	التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل تأليف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار العاصمة بالرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
١٣٤.	تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية اختصار الحافظ ابن كثير وبهامشه كتاب الرد على الأخنائي لابن تيمية ، دار أطلس بالرياض ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
١٣٥.	التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة للإمام الباقلاني ، تحقيق محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، ط بدون .
١٣٦.	التمهيد في الكلام على التوحيد للإمام جمال الدين يوسف بن عبد الهادي الدمشقي تحقيق د. محمد عبدالله السمهري ، دار بلنسيه الرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
١٣٧.	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد مرتباً على الأبواب الفقهية للموطأ لابن عبدالله الأندلسي ، تحقيق أسامة بن إبراهيم ، الناشر دار الفاروق الحديثة بمصر ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٣٨.	التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنفية تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي تعليق عبد العزيز بن باز تخريج علي حسن عبد الحميد ، دار ابن القيم بالدمام ، ط الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
١٣٩.	تنبيه الأخوان إلى حقيقة الإيمان والرد على المخالفين لعلي بن عبد العزيز موسى ، مكتبة السعيد ، الرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٤٠.	التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري لعلي بن عبد العزيز الشبل تقريظ جماعة من

	العلماء ، دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
١٤١.	التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للإمام أبي الحسين الملطي الشافعي تحقيق يمان بن سعد الدين المياديني ، دار رمادي للنشر ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
١٤٢.	التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل تأليف عبد الرحمن بن يحيى المعلمي تحقيق وتعليق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط الثانية ١٤٠٦هـ .
١٤٣.	تهافت التهافت لأبي الوليد بن رشد ، تحقيق الدكتور صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٤٤.	تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف مصر ، ط السابعة ١٩٨٧م .
١٤٥.	تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، اعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
١٤٦.	التوبة تأليف ابن تيمية إعداد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر شركة مكتبة الخدمات الحديثة بجدة ، ط الأولى ١٤١٤هـ ز
١٤٧.	التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد بقلم علوي بن عبد القادر السقاف ، تقريظ الإمام عبد العزيز بن باز ، دار ابن القيم الدمام ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٤٨.	توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان تأليف مرعي بن يوسف الحنبلي ، تحقيق مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكتبة إمام الدعوة العلمية بمكة المكرمة ، مكتبة الرشد ، ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
١٤٩.	التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية تأليف عبد الرحمن ابن ناصر السعدي ، تصحيح محمد بن سليمان البسام ، دار عالم الفوائد مكة المكرمة ، ط الأولى ١٤٢٠هـ .
١٥٠.	التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات تأليف محمد بن عبدالله الهبدان تقديم عبدالله العقيل و عبدالله السعد ، دار طيبة الرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٥١.	التوكل على الله وعلاقته بالأسباب تأليف د. عبدالله بن عمر الدميجي ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ .
١٥٢.	تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله تحقيق عرفان العشا ، دار الفكر بيروت ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
١٥٣.	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت :

	عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، مكتبة دار الأخيار بالرياض ، ط الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
١٥٤.	تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام إعداد سعد بن محمد القحطاني ، تقديم الشيخ عبدالله السعد ، دار اشبيليا الرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
١٥٥.	تيسير لمعة الاعتقاد للشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
١٥٦.	ثمار يانعة وتعليقات نافعة تأليف عبد الكريم بن صالح الحميد ، الناشر بدون، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٥٧.	جامع البيان عن تأويل أي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
١٥٨.	جامع الترمذي للإمام أبي عيسى الترمذي ، اعتناء بيت الأفكار الدولية بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ .
١٥٩.	جامع الرسائل لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ، دار المدني بجدة ، ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ز
١٦٠.	جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط السادسة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
١٦١.	جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن أثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال تحقيق عزيز شمس والعمران إشراف بكر أبو زيد ، دار عالم الفوائد مكة المكرمة ، ط الأولى ١٤٢٢هـ .
١٦٢.	الجامع للخلال (أهل الردة والزنادقة) تحقيق د. إبراهيم السلطان ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
١٦٣.	جاهلية القرن العشرين للأستاذ محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
١٦٤.	جلاء الأفهام للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق زائد بن أحمد النشيري إشراف بكر أبو زيد ، ضمن آثار ابن قيم الجوزية ومالحقها من أعمال ، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .
١٦٥.	جلاء العينين في محاكمة الأحمدين تأليف نعمان الألوسي البغدادي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط بدون .
١٦٦.	الجمع بين الصحيحين للإمام محمد بن فتوح الحميدي تحقيق الدكتور علي حسين البواب

	، دار ابن حزم بيروت ، ط الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
١٦٧.	الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه تأليف عبد الرزاق بن طاهر بن أحمد معاش إشراف الشيخ عبد الرحمن البراك ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
١٦٨.	جهود الإمام ابن القيم في توضيح العقيدة رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى عام ١٤٠٥هـ قسم العقيدة.
١٦٩.	جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة تأليف د. عبدالله عبد العزيز العنقري ، دار التوحيد الرياض ، ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
١٧٠.	جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية تأليف الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني ، دار الصميعي الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
١٧١.	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية تحقيق د. علي حسن ود. عبد العزيز العسكر ود. حمد الحمدان ، دار العاصمة الرياض ، ط الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
١٧٢.	الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل لابن تيمية تحقيق د. عواد المعتق، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
١٧٣.	الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد لأبي عبدالله عبد الرحمن عبد الحميد ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط بدون .
١٧٤.	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم تحقيق على الشربجي وقاسم النووي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٧٥.	حاشية الأصول الثلاثة بقلم عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي النجدي تقديم الشيخ عبدالله الجبرين ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
١٧٦.	حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر بدون ، ط الثانية ١٤١٦هـ .
١٧٧.	حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ، الناشر بدون ، ط الرابعة ١٤١٤هـ .
١٧٨.	الحاكمية من تفسير أضواء البيان جمعها عبد الرحمن السديس ، دار طيبة ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٢هـ .
١٧٩.	الحب في الإسلام بقلم صالح بن عثمان اللحام ، دار الحسن الأردن ، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
١٨٠.	الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني تحقيق د. محمد المدخلي وأبو رحيم ، دار الراية ، الرياض ، ط الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
١٨١.	حد الإسلام وحقيقة الإيمان للشيخ عبد المجيد الشاذلي ، مركز البحث العلمي وإحياء

	التراث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
.١٨٢	حديث افتراق الأمة للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق سعد السعدان ، تقديم عبد الرحمن المحمود، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤١٥هـ .
.١٨٣	الحسنة والسيئة لابن تيمية تقديم الدكتور محمد جميل غازي ، دار الكتب العلمية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
.١٨٤	حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول بقلم عبدالله الفوزان ، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
.١٨٥	حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والأحلال ، تقديم الشيخ صالح الفوزان ، صدر عن المنتدى الإسلامي ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
.١٨٦	الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ط مكتبة المعارف بالرياض . طبعة أخرى بتحقيق البسام ط دار عالم الفوائد بمكة.
.١٨٧	حقيقة الإيمان عند الشيخ الألباني بقلم د. محمد أبو رحيم تقديم محمد إبراهيم شقرة ، دار الجوهري ، الأردن ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
.١٨٨	حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين لعبد الرحيم بن صمايل السلمي ، طبعة دار المعلمة للنشر والتوزيع ، ط الأولى عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
.١٨٩	حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية تأليف الدكتور علي العلياني دار الوطن للنشر بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
.١٩٠	حقيقة الخلاف بين السلفية الشرعية وأدعيائها في مسائل الإيمان بقلم د. محمد أبو رحيم ، دار الجوهري الأردن ، ط الرابعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
.١٩١	حقيقة الكفر بالطاغوت وعلاقته بالإيمان بالله تأليف علي بن نفيع العلياني ، دار التربية والتراث بمكة المكرمة ، ط الأولى ١٤١٦هـ .
.١٩٢	حقيقة معتقد ابن سينا وموقفه من أنواع التوحيد الثلاثة تأليف أحمد بن مسفر العتيبي ، الناشر بدون ، عام ١٤٢١هـ .
.١٩٣	حكم الجاهلية للعلامة الشيخ أحمد محمد شاكر بإشراف محمود محمد شاكر ، مكتبة السنة بمصر ، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
.١٩٤	الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه ، تأليف عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار طيبة بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
.١٩٥	حكم تارك الصلاة لمحمد ناصر الدين الألباني ، إعداد وتقديم علي حسن عبدالحميد ،

	المكتبة الإسلامية بالأردن ، ط الأولى ١٤٢٢هـ .
.١٩٦	حكم تكفير المعين للقاضي الحسن بن أحمد الضمدي ، تحقيق محمد بن محسن الديباجي ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
.١٩٧	الحماسة السنية في الرد على بعض الصوفية تأليف حسن عبد الرحمن السني البحيري ، تحقيق د. عبد الرحمن الخميس ، دار العاصمة ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ .
.١٩٨	حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد تأليف د. محمد بن عبدالله الغامدي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
.١٩٩	خلق أفعال العباد للإمام البخاري تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل بيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م . طبعة أخرى بتحقيق محمد السعيد بسيوني ، مكتبة التراث الإسلامي مصر ، ط بدون .
.٢٠٠	الداء والدواء تصنيف الإمام ابن قيم الجوزية تحقيق علي حسن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي بالدمام ، ط الثالثة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
.٢٠١	الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للإمام الشوكاني تعليق أبو عبدالله الحلبي ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ .
.٢٠٢	درء الفتنة عن أهل السنة بقلم بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
.٢٠٣	درء تعارض العقل والنقل ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، مصورة عن طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
.٢٠٤	دراسات قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة تأليف د. عادل بن علي الشدي، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
.٢٠٥	الدرة البهية شرح القصيدة التائية تصنيف عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، اعتنى به أشرف عبدالمقصود ، أضواء السلف بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م . هناك طبعة أخرى باعتناء محمد بن سليمان البسام ، دار ابن الجوزي بالدمام ، ط الأولى ١٤٢٢هـ .
.٢٠٦	الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم الظاهري تحقيق د. أحمد الحمد ود. سعيد القزقي ، مطبعة المدني بمصر ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
.٢٠٧	الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر بدون ، ط السادسة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
.٢٠٨	الدرر المتلألئة لمحمد ناصر الدين الألباني ، إعداد وتقديم علي حسن عبد الحميد الأثري ،

	مكتبة الفرقان بالإمارات العربية المتحدة ، ط الأولى ١٤٢٣هـ .
٢٠٩.	دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض إعداد عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤١٢هـ .
٢١٠.	دعاوي المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية عرض ونقد تأليف الدكتور عبدالله ابن صالح الغصن ، دار ابن الجوزي بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ .
٢١١.	دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية بقلم أحمد بن عبد العزيز الحصين ، تقديم عبدالله بن محمد آل الشيخ ، دار عالم الكتب الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٢١٢.	دعوة التوحيد أصولها ، الأدوات التي مرت بها ، مشاهير دعاتها ، تأليف الدكتور محمد خليل هراس ، الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، ط الأولى ١٤٠٧هـ .
٢١٣.	الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى للشيخ عيد عباس تعليق الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ، دار الإيمان بمصر ، ط بدون .
٢١٤.	دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي تأليف الدكتور محمد عبدالله السلمان طبع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض ١٤٢٢هـ .
٢١٥.	دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، مكتبة ابن تيمية ، مصر ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٢١٦.	دقائق التفسير لابن تيمية تحقيق د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن، بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢١٧.	الدلائل والإشارات على كشف الشبهات تأليف الشيخ صالح بن محمد الأسمري ، اعتنى به تركي بن عوض العتيبي ، أضواء السلف الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٢١٨.	الذل والإنكسار للعزيز الجبار للحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق محمد عمرو عبداللطيف وحسين إسماعيل الجمل ، مكتبة الوعي الإسلامي بمصر ، ط الأولى ١٤١٤هـ .
٢١٩.	ذم الكلام وأهله لأبي اسماعيل الهروي تحقيق عبدالرحمن الشبل ، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٢٢٠.	رؤية الله تبارك وتعالى لابن النحاس تحقيق د. محفوظ الرحمن السلفي ، مكتبة الفرقان الإمارات ، ط الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٢٢١.	رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيه تأليف الدكتور أحمد آل حمد ، نشر جامعة أم القرى بمكة

	المكرمة ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٢٢٢.	الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ بقلم أ.د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، دار المآثر بالمدينة النبوية ، ط الثانية عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٢٣.	الرد على أبي الحسن الشاذلي في حزبه لابن تيمية تحقيق د/ سمية علي أحمد ط دار الصحابة بطنطا١٤٢٤هـ.
٢٢٤.	الرد على الجهمية لابن منده تحقيق د. علي الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة ، ط الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٢٢٥.	الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق بدر البدر ، دار ابن الأثير الكويت ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٢٢٦.	الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة دار اللواء الرياض ، ط الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٢٢٧.	الرد على الرافضة لقاسم بن إبراهيم الرسي تحقيق إمام حنفي عبدالله ، دار الآفاق بمصر ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٢٢٨.	الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ، إدارة ترجمان السنة بلاهور ، ط الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
٢٢٩.	الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر السجزي تحقيق محمد باكريم ، دار الراية الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٢٣٠.	رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ببيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٢٣١.	رسائل في العقيدة تأليف المحدث حماد بن محمد الأنصاري ، مكتبة الفرقان الإمارات ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٢٣٢.	رسائل في العقيدة لمحمد بن إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ .
٢٣٣.	رسائل في عقائد أهل السنة والجماعة لمحمد بن درويش الحوت البيروتي تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار عالم الكتب بيروت ، ط الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٢٣٤.	رسائل ودراسات في الأهواء والإفتراق والبدع وموقف السلف منها تأليف د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى .
٢٣٥.	رسائل وفتاوى الشيخ عبدالله أبا بطين جمع وترتيب إبراهيم بن عبدالله الحازمي ، دار الشريف الرياض ، ط الأولى ١٤١٥هـ .

٢٣٦.	رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي جمع وتحقيق د. موسى بن سليمان الدويش ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤١٠هـ .
٢٣٧.	رسالة ابن القيم إلى أحد أخوته للإمام ابن القيم تحقيق عبدالله المديفر تقديم بكر عبدالله أبو زيد ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤٢٠هـ .
٢٣٨.	الرسالة البعلبكية لابن تيمية دراسة وتحقيق مريم عبدالعالي الصاعدي ، دار الفضيلة بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
٢٣٩.	الرسالة التبوكية لشمس الدين بن القيم تحقيق سليم الهلالي ، مكتبة الخراز ، جدة ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٢٤٠.	رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ز
٢٤١.	رسالة الشرك ومظاهره تأليف مبارك بن محمد الميلي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط الخامسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٢٤٢.	الرسالة القبرصية لابن تيمية تقديم وتحقيق علي السيد صبح المدني ، مكتبة الخانجي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢٤٣.	الرسالة القشيرية للقشيري ت معروف زريق ورفيقه ط دار الجيل بيروت
٢٤٤.	الرسالة المدنية لأبي العباس ابن تيمية تحقيق الوليد بن عبدالرحمن الفريان ، دار طيبة بالرياض ، ط الأولى ١٤٠٨هـ .
٢٤٥.	الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة لابن الحنبلي ، تحقيق علي بن عبدالعزيز الشبل ، مجموعة التحف النفائس الدولية الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٢٤٦.	الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني تحقيق د. محمد سعيد القحطاني ، دار ابن الجوزي الدمام ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٢٤٧.	رسالة إلى أهل الثغر للإمام أبي الحسن الأشعري تحقيق عبدالله بن شاكر الجنيدي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٢٤٨.	رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لابي محمد الجويني تحقيق الدكتور أحمد معاذ حقي ، دار طويق الرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٢٤٩.	رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات لابن تيمية تحقيق علي الشبل ، دار علوم السنة بالرياض ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٢٥٠.	رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله لعبدالرحمن بن يحيى المعلمي تحقيق الداني بن منير آل زهوي ، المكتبة العصرية بيروت ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

٢٥١.	رفع اللائمة عن فتوى اللجنة الدائمة تأليف محمد بن سالم الدوسري ، تقديم مجموعة من العلماء ، دار عالم الفوائد مكة المكرمة ، ط الثانية ١٤٢٣هـ .
٢٥٢.	الروح لابن القيم تحقيق عبدالفتاح محمود عمر ، دار الفكر الأردن ، ط الثانية ١٩٨٦م . طبعة أخرى دار المدني بجدة ، ط بدون .
٢٥٣.	روضة الناظر لابن قدامة المقدسي ، مراجعة سيف الدين الكاتب ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٢٥٤.	رياض الصالحين للإمام النووي تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط التاسعة عشرة ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٢٥٥.	زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٢٥٦.	الزهد للإمام أحمد بن حنبل ، دار الريان للتراث القاهرة ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
٢٥٧.	سبيل النجاة والفكاك تأليف حمد بن علي عتيق تحقيق الوليد بن عبدالرحمن الفريان ، دار طيبة الرياض ، ط الثانية ١٤١٥هـ .
٢٥٨.	سلسلة الأحاديث الصحيحة للإمام محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف بالرياض ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٢٥٩.	السلسلة الأنصارية الأولى للشيخ حماد بن محمد الأنصاري ، مكتبة المعلا الكويت ، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢٦٠.	السنة لأبي بكر الخلال تحقيق د. عطية الزهراني ، دار الراية الرياض ، ط الثانية ١٩٩٤م - ١٤١٥هـ .
٢٦١.	السنة لعبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني ، رمادي للنشر الرياض ، ط الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م . طبعة أخرى بتحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٢٦٢.	السنة لمحمد بن نصر المروزي تحقيق الدكتور عبدالله بن محمد البصيري ، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م . طبعة أخرى بتحقيق أبي محمد سالم بن أحمد السلفي مؤسسة الكتب الثقافية ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . طبعة أخرى بتحقيق علي الشبل ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠١م .

٢٦٣.	سنن ابن ماجة بإشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، دار السلام بالرياض، ط الأولى ١٤٢٠هـ . طبعة أخرى باعتناء بيت الأفكار الدولية بالرياض .
٢٦٤.	سنن أبي داود لأبي داود السجستاني ، اعتنى به بيت الأفكار الدولية بالرياض ، ط بدون . طبعة أخرى بتحقيق عزت الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
٢٦٥.	سنن الدارمي تحقيق الدكتور محمد أحمد عبدالمحسن ، دار المعرفة بيروت ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٢٦٦.	السنن الكبرى للإمام النسائي تحقيق د. عبدالغفار البنداوي وسيد كسروي – دار الكتب العلمية ببيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م . طبعة أخرى بتحقيق حسن عبدالمنعم شلبي ، إشراف شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٦٧.	سنن النسائي لأبي عبد الرحمن النسائي اعتناء بيت الأفكار الدولية .
٢٦٨.	سنن سعيد بن منصور تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية بدون ط . طبعة أخرى بتحقيق الشيخ سعد الحميد ، دار الصميعي بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٢٦٩.	سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ، تخريج شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الحادية عشرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٧٠.	السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مؤسسة علوم القرآن جدة ، ط بدون .
٢٧١.	سيف الله على من كذب على أولياء الله تأليف صنع الله الحلبي المكي الحنفي، تحقيق علي رضا بن عبدالله بن علي رضا ، تقديم صالح الفوزان ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٢٧٢.	شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة تأليف سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الناشر بدون ، تقديم د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، الناشر بدون ، ط الرابعة ١٤١٥هـ .
٢٧٣.	شرح أسماء الله الحسنى للرازي ط مصر المكتبة الأزهرية.
٢٧٤.	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام هبة الله اللالكائي ، تحقيق أ.د.أحمد سعد

	حمدان الغامدي ، دار طيبة الرياض ، ط السابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٢٧٥.	شرح أصول السنة للإمام أحمد شرح الشيخ عبدالله الجبرين تصحيح علي بن حسين أبو لوز ، دار المسير الرياض ، ط الثانية ١٤٢٠هـ .
٢٧٦.	شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ، تحقيق قاسم الرفاعي ، دار مكتبة التربية بيروت ١٩٨٨م .
٢٧٧.	شرح الأصول الثلاثة لمحمد بن صالح العثيمين ، إعداد فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٢٧٨.	شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، مصر ، ط الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٢٧٩.	شرح الإمام علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر للعلامة بدر الرشيد تحقيق د. الطيب بن عمر الحسين الشنقيطي ، دار الفضيلة الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٢٨٠.	شرح الرسالة التدمرية لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك ، إعداد سليمان بن صالح الغصن ، كنور اشبيليا بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٢٨١.	شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
٢٨٢.	شرح السنة لإسماعيل بن يحيى المزني تحقيق جمال عزون ، دار ابن حزم بيروت ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٢٨٣.	شرح السنة للبربهاري تحقيق د. محمد سعيد القحطاني ، رمادي للنشر الدمام، ط الثانية ١٤١٤هـ . طبعة أخرى بتحقيق خالد بن قاسم الردادي ، دار الصميعي الرياض ، ط الثالثة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٢٨٤.	شرح العبودية لابن تيمية شرح الشيخ عبد العزيز بن عبدالله الراجحي ، دار الفضيلة بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ز
٢٨٥.	شرح العقيدة الإصفهانية لابن تيمية ، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م . طبعة أخرى بتحقيق سعيد بن نصر محمد ، مكتبة الرشد ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٨٦.	شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تحقيق د. عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط التاسعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م . طبعة أخرى بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط التاسعة

	١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . طبعة أخرى بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ، الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض .
٢٨٧.	شرح العقيدة الواسطية تأليف العلامة محمد خليل هراس ، ضبط وتخريج علوي بن عبد القادر السقاف ، دار الهجرة بالرياض ، ط الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٢٨٨.	شرح العقيدة الواسطية لفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين ، خرج أحاديثه سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي بالدمام ، ط الرابعة ١٤١٧هـ .
٢٨٩.	شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النحو ط دار الكتب العلمية بيروت
٢٩٠.	شرح القصيدة النونية لابن القيم شرح الدكتور محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٢٩١.	شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط المكتبة العصرية بمصر ط الأولى ١٤١٤هـ
٢٩٢.	شرح ثلاثة الأصول للإمام عبد العزيز بن باز اعتنى به علي المرسي وأحمد بن عبد العزيز بن باز ، دار الفتح المدينة المنورة ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٢٩٣.	شرح حديث أبي بكر الصديق لابن تيمية تحقيق أشرف عبد المقصود ، أضواء السلف بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ز
٢٩٤.	شرح حديث النزول تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد عبد الرحمن الحميد ، دار العاصمة بالرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٢٩٥.	شرح حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي لابن تيمية تحقيق محمد صبحي حسن حلان ، مؤسسة الريان بيروت ، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٩٦.	شرح رياض الصالحين لمحمد صالح العثيمين ، إعداد وتقديم عبدالله الطيار ، دار الوطن بالرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ .
٢٩٧.	شرح سنن النسائي تأليف الشيخ محمد المختار بن محمد الشنقيطي ، مطبعة المدني مصر ، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
٢٩٨.	شرح سنن النسائي لشيخنا العلامة محمد علي أدم الأثيوبي الولوي ، دار آل بردم مكة المكرمة ، ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٢٩٩.	شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري تأليف الشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان ، مكتبة لينة بالمدينة النبوية ، ط الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٣٠٠.	شرح كتاب كشف الشبهات من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ جمع وترتيب

	محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤١٩هـ .
٣٠١.	شرح كشف الشبهات للشيخ صالح الفوزان ، جمع وترتيب عادل بن علي الفريدان ، دار النجاح الرياض ، ١٤١٩هـ .
٣٠٢.	شرح مقدمة ابن أبي زيد إعداد الأمين الحاج محمد أحمد ، مكتبة دار المطبوعات الحديثة جدة ، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٣٠٣.	المواقف للإيجي شرح الشريف الجرجاني تصحيح محمود الدمياطي ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٩هـ
٣٠٤.	شرح ملحمة الأعراب للحريري تحقيق وتعليق بركات يوسف هبود ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٣٠٥.	الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة (الإبانة الصغرى) للإمام ابن بطة العكبري ، تحقيق الدكتور رضا نعسان معطي ، المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة ، ط بدون .
٣٠٦.	شروط لا إله إلا الله تأليف الدكتور عواد المعتق ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٣٠٧.	الشريعة للإمام الأجري ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عمر الدميجي ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٣٠٨.	شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن القيم تحقيق عمر بن سليمان الحفيان ، مكتبة العبيكان الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٣٠٩.	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ، تحقيق محمد العلاوي تقديم مصطفى العدوي ، دار ابن رجب بمصر ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣١٠.	الشهادتان كتبها محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٣١١.	الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما تأليف الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، دار الوسيلة ، جدة ، ط الرابعة ١٤١٥هـ .
٣١٢.	الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة بقلم عبد الرزاق بن عبدالمحسن العباد ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
٣١٣.	الشيخ عبد القادر الجيلاني وأراؤه الاعتقادية والصوفية عرض ونقد ، تأليف الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ الناشر بدون .
٣١٤.	الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ لابن تيمية تحقيق محمد عبدالله الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري ، تقديم د. بكر أبوزيد ، ود. محمد بن سعيد القحطاني ، دار الرمادي

	للنشر بالدمام ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
.٣١٥	صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
.٣١٦	صحيح ابن خزيمة تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
.٣١٧	صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري بقلم محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة الدليل بالجبيل الصناعية ، ط الثالثة ١٤١٧هـ .
.٣١٨	صحيح الإمام البخاري بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، بيت الأفكار الدولية بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
.٣١٩	صحيح الجامع الصغير وزيادته تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
.٣٢٠	صحيح مسلم بشرح النووي تحقيق خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت ، ط السادسة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
.٣٢١	صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصميعي بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
.٣٢٢	الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم لموفق الدين ابن قدامة تحقيق د. محمد الخميس ، مكتبة الفرقان الإمارات ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
.٣٢٣	الصراع بين الإسلام والوثنية ، تأليف عبدالله علي القصيمي ، الناشر بدون ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م القاهرة .
.٣٢٤	صريح السنة للإمام ابن جرير الطبري ، تحقيق بدر المعتوق ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
.٣٢٥	صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة تأليف علوي السقاف ، دار الهجرة الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
.٣٢٦	الصفدية لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ، دار الفضيلة الرياض ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م . طبعة أخرى بتحقيق سيد عباس الجليمي وأيمن عارف الدمشقي تقديم عبدالله السعد . أضواء السلف الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
.٣٢٧	الصواعق المحرقة على أهل الروافض والضلال والزندقة لابن حجر الهيثمي تحقيق عبدالرحمن التركي وكامل خراط ، مؤسسة الرسالة بدون ، ط الأولى ١٤١٧هـ -

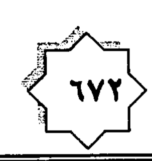


	١٩٩٧م .
٣٢٨.	الصواعق المرسلة الشبهابية على الشبه الداحضة الشامية لسليمان بن سحمان تحقيق عبدالسلام برجس ، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤٠٩هـ .
٣٢٩.	الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للإمام ابن القيم تحقيق الدكتور علي ابن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة الرياض ، ط الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٣٠.	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دخلان للعلامة محمد بشير السهسواني الهندي ، تحقيق وتعليق محمد رشيد رضا ، الناشر بدون ، ط الثانية ١٣٧٨هـ.
٣٣١.	ضبط الضوابط في الإيمان ونواقضه كتبه أحمد بن صالح الزهراني مراجعة الشيخ صالح بن حميد ، الناشر بدون ، ط بدون .
٣٣٢.	ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري بقلم محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة الدليل ، ط الأولى ١٤١٧هـ .
٣٣٣.	ضعيف الجامع الصغير وزيادته تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٣٣٤.	ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصميعي بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٣٣٥.	ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة تأليف عبدالله بن محمد القرني ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م . طبعة أخرى ، دار عالم الفوائد مكة المكرمة ، ط الثانية ١٤٢٠هـ .
٣٣٦.	ضوابط التكفير مستقاة من المصادر السلفية جمع وتأليف حسن علي العواجي نشر وتوزيع دار البخاري بالمدينة النبوية ، ط الأولى ١٤١٥هـ .
٣٣٧.	ضوابط تكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، تأليف أبي العلا بن راشد بن أبي العلا الراشد ، تقديم الشيخ صالح الفوزان ، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الأولى ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٣٣٨.	طبقات الشافعية للتاج السبكي ، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ط الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .
٣٣٩.	طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ، ت : نور الدين شريبة ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط الثالثة عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٣٤٠.	الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها إعداد د/ عبدالله بن دجين السهلي ط كنوز أشبيليا ط الأولى ١٤٢٦هـ.

٣٤١.	طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام ابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٣٤٢.	عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة تأليف أبي العلا بن راشد بن أبي العلا الراشد ، تقديم الشيخ صالح الفوزان ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
٣٤٣.	عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي تحقيق هشام سمير البخاري ، دار أحياء التراث العربي بيروت ، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٣٤٤.	العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق علي حسن عبد الحميد الحلبي الأثري ، مكتبة دار الأصالة بمصر ، ط الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ز
٣٤٥.	العثمانية للجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت، ط الأولى .
٣٤٦.	العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي تأليف مدحت آل فراج تقديم الشيخ عبدالله الجبرين ، الناشر بدون ، ط الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٣٤٧.	العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة تأليف سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٣٤٨.	العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني تحقيق رشاء الله محمد المباركفوري ، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤١١هـ .
٣٤٩.	العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين للعلامة حسين بن غنام تحقيق محمد عبدالله الهبدان ، دار القاسم ، الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣٥٠.	عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان عرضاً ودراسة تأليف سليمان ابن صالح الغصن ، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٣٥١.	عقيدة التوحيد في القرآن الكريم تأليف الدكتور محمد أحمد ملكاوي بإشراف الشيخ عبدالله الغديان ، من منشورات دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام بالرياض ، ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٣٥٢.	عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان الصابوني تحقيق د. ناصر الجديع ، دار العاصمة الرياض ، ط الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م . طبعة أخرى بتحقيق البدر ، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة النبوية ، ط الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٣٥٣.	العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل والإمام ابن تيمية تأليف د. سيد عبد العزيز السيلي

	، المكتبة التجارية مكة المكرمة ، ط الأولى ١٩٩٣م – ١٤١٣هـ .
٣٥٤.	العقيدة في الله للدكتور عمر بن سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح الكويت ، ط الخامسة ١٩٨٤م .
٣٥٥.	علماء نجد خلال ستة قرون لعبد الله بن عبد الرحمن البسام ، ط الأولى ، مكتبة النهضة الحديثة .
٣٥٦.	العلو للعلي العظيم للإمام الذهبي تحقيق د. عبدالله البراك ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٣٥٧.	عمدة التفسير لابن كثير اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر ، دار طيبة ، الرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٣٥٨.	عون المريد لشرح جوهرة التوحيد تأليف عبد الكريم نتان ومحمد أديب الكيلاني ، تقديم عبد الكريم الرفاعي ، ووهبي سليمان غاوجي ، دار البشائر، بيروت ، ط الثانية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٣٥٩.	عيون الرسائل والأجوبة على المسائل للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ تحقيق حسن محمد بوا ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٣٦٠.	فتاوى الأئمة النجدية جمع وإعداد مدحت آل فراج ، دار ابن خزيمة الرياض ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٣٦١.	فتاوى الشيخ الألباني ومقارنتها بفتاوى العلماء ، عكاشة عبد المنان ، مكتبة التراث الإسلامي ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٣٦٢.	فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.وأخرى ط. السلفية.
٣٦٣.	فتح القدير للإمام الشوكاني تصحيح أحمد عبدالسلام ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٣٦٤.	فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد ، تأليف العلامة حامد بن محمد حسن ، تحقيق بكر أبو زيد دار المؤيد الرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٦٥.	فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ت د. الوليد بن عبد الرحمن آل فريان ، دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض ط، الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٣٦٦.	الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية بتحقيق ودراسة حمد عبد المحسن التويجري ، دار الصميعي بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٣٦٧.	الفتوحات المكية لابن عربي تحقيق د/ عثمان يحيى ط الهيئة المصرية.
٣٦٨.	الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي الاسفرائيني تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٣٦٩.	الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، مكتبة المؤيد بالرياض ، ط الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ز
٣٧٠.	الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. عبدالرحمن اليحيى ، دار الفضيلة بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٧١.	الفسق والنفاق تأليف د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ، مدار الوطن للنشر بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٣٧٢.	فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال لمحمد عارف خوقير الكتبي تحقيق أبي بكر بن سالم الشهال ، دار المسلم الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٣٧٣.	الفصل في الملل والنحل الأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري تحقيق د. عبد الرحمن عميره ود. محمد إبراهيم نصر ، دار الجيل بيروت ، ط بدون .
٣٧٤.	فصوص الحكم لابن عربي تعليق د/ عفيفي ط دار الكتاب العربي .
٣٧٥.	الفصول في سيرة الرسول ﷺ للإمام ابن كثير تحقيق محمد الخضراوي ومحي الدين مستور ، دار ابن كثير بيروت ، ط السادسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٣٧٦.	فضل التهليل وثوابه الجزيل لابن البناء تحقيق عبدالله الجديع ، دار العاصمة بالرياض ، ط الأولى ١٤٠٩هـ .
٣٧٧.	فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها إعداد د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة الرياض ، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٣٧٨.	فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري تأليف د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، طبع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط الأولى ١٤٢١هـ .
٣٧٩.	الفوائد للإمام ابن القيم تحقيق د. ماهر منصور عبد الرزاق وكمال الجمل ، دار اليقين بمصر ، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٣٨٠.	الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ط الدار السلفية بالكويت.
٣٨١.	في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد تأليف د. محمود أحمد خفاجي ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .



٣٨٢.	القاعدة المراكشية لابي العباس بن تيمية تحقيق دغش بن شعيب العجمي ، دار ابن حزم بيروت ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٣٨٣.	قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة تأليف أحمد بن تيمية تقديم وتحقيق الدكتور عبدالله بن محمد البصيري ، دار العاصمة بالرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٣٨٤.	قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية تحقيق الدكتور السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٣٨٥.	قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لابن تيمية تحقيق أشرف عبدالمقصود أضواء السلف بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ز
٣٨٦.	قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية تحقيق سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة بالرياض ، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٣٨٧.	قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل لابن تيمية تحقيق علي عبد العزيز الشبل، جار الصميعي بالرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٣٨٨.	قاعدة في المحبة لا بن تيمية تحقيق وتعليق الدكتور محمد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي بمصر ، ط الأولى .
٣٨٩.	قاعدة في الوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية وتحقيق علي عبد العزيز الشبل ، دار العاصمة بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٢م .
٣٩٠.	قرة عيون الموحدين تأليف عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ تصحيح وتعليق إسماعيل الأنصاري ، مكتبة دار حراء مكة المكرمة ، ط بدون .
٣٩١.	القضاء والقدر في الإسلام تأليف فاروق دسوقي ، مكتبة ابن تيمية بمصر ، ط بدون .
٣٩٢.	القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه تأليف الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ، دار الوطن الرياض ، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٣٩٣.	القضاء والقدر للدكتور عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس الأردن ، ط الخامسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٣٩٤.	قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني تحقيق الدكتور إبراهيم بن إبراهيم هلال ، الناشر والطبعة بدون .
٣٩٥.	قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر تأليف صديق حسن خان القنوجي وضع حواشيه محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٣٩٦.	القواعد الحسان لتفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٣٩٧.	قواعد العقائد للإمام الغزالي تحقيق وتعليق موسى محمد علي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٣٩٨.	القواعد والفوائد الحديثية من منهاج السنة النبوية بقلم علي بن محمد العمران دار عالم الفوائد بمكة المكرمة ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٣٩٩.	القول السديد شرح كتاب التوحيد لعبدالرحمن السعدي ، دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٢هـ .
٤٠٠.	القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد تأليف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر تقديم صالح الفوزان ، دار ابن القيم الدمام ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
٤٠١.	القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد صالح العثيمين جمع وتخريج د.سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقع ، دار ابن الجوزي بالدمام ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٤٠٢.	القول المفيد في أول واجب على العبيد إعداد علي بن مشبب القحطاني تقديم الشيخ عبدالله الجبرين ، مدار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٤٠٣.	الكاشف للإمام الذهبي تحقيق محمد عوامة وأحمد الخطيب ، مؤسسة دار علوم القرآن بيروت ، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٤٠٤.	كتاب الإيمان من إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم للقاضي عياض تحقيق الدكتور الحسين بن محمد شواط .
٤٠٥.	كتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة تحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان ، مكتبة الرشد الرياض ، ط السادسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٠٦.	كتاب التوحيد للإمام ابن منده تحقيق علي ناصر الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٤٠٧.	كتاب الجيدة لعبدالعزيز بن يحيى الكناني تحقيق الدكتور جميل صليبا ، دار صادر ، بيروت ، ط الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م . طبعة أخرى بتحقيق الشيخ علي بن ناصر الفقيهي .
٤٠٨.	كتاب السنة لابن أبي عاصم تحقيق الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . طبعة أخرى بتحقيق الدكتور باسم الجوابرة ، دار الصميعي ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٤٠٩.	كتاب الصلاة وحكم تاركها للإمام ابن القيم ، الناشر المكتبة التوفيقية ، ط بدون .
٤١٠.	كتاب العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة تحقيق محمد الحمود ، مكتبة السنة بمصر ، ط الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٤١١.	كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. عبد العزيز صالح الطويان ، أضواء السلف الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م . طبعة أخرى بتحقيق محمد عبد الرحمن عوض ، الناشر دار الكتاب العربي ، ط الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٤١٢.	كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري تحقيق هلموت ريتر ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط الثالثة .
٤١٣.	كتابة البحث العلمي صياغة جديدة للأستاذ عبد الوهاب أبو سليمان ، دار الشروق جدة ، ط السادسة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٤١٤.	الكشاف للزمخشري ، دار الفكر بيروت ، ط بدون .
٤١٥.	الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى تأليف سعيد بن حجي الحنبلي النجدي تحقيق عبدالله بن زيد آل مسلم ، دار التوحيد للنشر بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٤١٦.	الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور محمود حسن أبو ناجي الشيباني ، الناشر بدون ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٤١٧.	كلمة لا إله إلا الله وكيف تنفع قائلها للدكتور عامر سعيد الزيباري ، دار ابن حزم ببيروت ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٤١٨.	الكليات لأبي البقاء الحسيني الكوفي تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٤١٩.	لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة للأستاذ محمد قطب ، دار الوطن ، ط الأولى ١٤١٣هـ .
٤٢٠.	اللآلي البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية للإمام المرداوي ، تعليق د.صالح الفوزان ، تخريج لجنة من طلبة العلم ، دار المسلم بالرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٤٢١.	لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٤٢٢.	لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لإمام الحرمين عبد الملك الجويني ، تحقيق الدكتوره فوقيه حسين محمود ، مراجعة الدكتور محمود الخضيري ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٤٢٣.	لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للإمام السفاريني الحنبلي ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٤٢٤.	الماتريدية دراسة وتقويماً تأليف الدكتور أحمد الحربي ، دار الصميعي الرياض ، ط الثانية ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٤٢٥.	الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس الشلفي الأفغاني ، مكتبة الصديق الطائف ، ط الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٤٢٦.	المباحث المشرقية للإمام فخر الدين الرازي تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٤٢٧.	المتواري على تراجم أبواب البخاري لابن المنير تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد مكتبة المعلا بالكويت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٤٢٨.	مجموع الرسائل لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق د/ الوليد بن عبد الرحمن الفريان ، دار عالم الفوائد مكة المكرمة ، ط الأولى ١٤٢٠هـ .
٤٢٩.	مجموع رسائل عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، إعداد ماجد بن عبد العزيز الزيادي ، المكتبة المكية بمكة المكرمة ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٤٣٠.	مجموع رسائل لابن قدامة المقدسي بعناية بدر بن عبدالله البدر ، دار ابن الأثير الكويت ، ط الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٤٣١.	مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين على نفقة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، ط الأولى .
٤٣٢.	مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للإمام عبد العزيز بن باز جمع وترتيب ، د. محمد الشويعر ، الناشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض ، ط الثالثة ١٤٢١هـ .
٤٣٣..	مجموعة الحديث النجدية تعليق محمد رشيد رضا ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة النبوية ، ط الثالثة ١٣٨٣هـ .
٤٣٤.	مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الفكر ، بيروت ، ط بدون .
٤٣٥.	مجموعة الرسائل المنيرية جمع محمد منير الدمشقي ، إدارة الطباعة المنبرية بيروت، ط الأولى ٣٤٣هـ .
٤٣٦.	مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد ، مكتبة الإمام الشافعي الرياض ، ط الثانية ١٤٠٨هـ .
٤٣٧.	مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشيد رضا ، دار الكتب

	العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٤٣٨.	الجموعة العلية من كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (الجموعة الأولى والثانية) جمع وتحقيق د. هشام بن إسماعيل الصيني ، دار ابن الجوزي بالدمام ، ط الأولى ١٤٢٢هـ .
٤٣٩.	مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط بدون .
٤٤٠.	محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع ، تأليف عبدالرؤوف محمد عثمان ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض ، عام ١٤١٤هـ .
٤٤١.	المحصل للإمام الرازي تقديم وتحقيق دكتور حسين أتاي ، مكتبة دار التراث مصر ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٤٤٢.	المحلى لابن حزم الظاهري تصحيح أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٤٤٣.	المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار جمع الحسن بن أحمد بن متوية تحقيق عمر السيد عزمي ، مراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة الطبعة بدون .
٤٤٤.	مختصر الترغيب والترهيب للمنذري تحقيق عبدالله حجاج ، مكتبة التراث الإسلامي بمصر ، ط بدون .
٤٤٥.	مختصر الصواعق المرسلة اختصار محمد الموصلي تحقيق الدكتور الحسن بن عبدالرحمن العلوي ، أضواء السلف الرياض ، ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. طبعه أخرى بدار الكتب العلمية ، طبعه بدون .
٤٤٦.	مختصر العلو للعلي الغفار تأليف الحافظ الذهبي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٤٤٧.	مختصر القواعد السلفية في الصفات الربانية بقلم الدكتور محمود عبد الرزاق ، الناشر دار ماجد عسيري بجدة ، ط بدون .
٤٤٨.	المختصر المفيد في أنواع التوحيد بقلم د. محمود عبد الرزاق ، دار ماجد عسيري جده ، ط بدون .
٤٤٩.	مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند الإمام أحمد لابن حجر العسقلاني ، تحقيق صبري عبد الخالق أبو ذر ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٤٥٠.	مختصر صحيح الإمام البخاري للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة

	المعارف الرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٤٥١.	مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف الرياض ، ط الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٤٥٢.	مختصر كتاب الاعتصام للشاطبي اختصره علوي السقاف ، دار الهجرة ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٤٥٣.	مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . وطبعة أخرى بتحقيق الجليل.ط دار طيبة
٤٥٤.	مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين بيروت ، ط الأولى ١٩٩٦م .
٤٥٥.	مذكر أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، دار القلم ، بيروت ، ط بدون .
٤٥٦.	المراسيل لأبي داود السجستاني ، بتحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٤٥٧.	مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى تحقيق سعود الخلف ، دار العاصمة الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ .
٤٥٨.	المسائل التي خالف فيها رسول أهل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب شرح يوسف السعيد ، دار المؤيد الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٤٥٩.	المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية تأليف بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٤٦٠.	المسائل العقدية من كتاب الروايتين والوجهين للقاضي أبي يعلى الفراء تحقيق د. سعود الخلف ، أضواء السلف الرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٤٦١.	المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين تأليف الدكتور محمد العروسي عبد القادر ، دار حافظ جدة ، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٤٦٢.	المسائل والأجوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق حسين بن عكاشة ، الفاروق الحديثه مصر ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
٤٦٣.	مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله للإمام يوسف بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، تحقيق عبد الهادي محمد منصور ، تقديم عبدا لقادر الأرناؤوط ، دار البشائر الإسلامية بيروت ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٤٦٤.	المستدرك على الصحيحين للحاكم ومعه تلخيص الذهبي تحقيق عبدالسلام علوش ، دار

	المعرفة بيروت ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٤٦٥.	مسند أبي داود الطيالسي تحقيق د. محمد عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، دار هجر ، دار هجر ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٤٦٦.	مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٤٦٧.	مشكاة المصابيح تأليف محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٤٦٨.	مصادر التلقي عند الصوفية إعداد هارون بن بشير أحمد صديقي ، إشراف الدكتور ناصر العقل ، دار الراية ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ .
٤٦٩.	مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام تأليف عبد اللطيف ابن عبد الرحمن آل الشيخ تقديم إسماعيل بن حمد بن عتيق ، دار الهداية الرياض ، ط بدون .
٤٧٠.	مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للإمام برهان الدين البقاعي تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، الناشر والطبعة بدون .
٤٧١.	المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله – الرب – العبادة – الدين) لأبي الأعلى المودودي تعريب السيد محمد كاظم سباق – الدار السعودية للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤٢٣هـ .
٤٧٢.	مصطلحات القرآن الأربعة في فكر المودودي تأليف الدكتور حمد الجمال ، دار عالم الكتب الرياض ، ط الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٤٧٣.	المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف إعداد محمد بن عبدالله بن علي باجسير ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية قسم العقيدة عام ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ .
٤٧٤.	المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد للإمام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الهداية الرياض ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٤٧٥.	مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية ، تأليف إدريس محمود إدريس ، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٤٧٦.	مظاهر الغلو عند الصوفية تأليف د. محمد بن ناصر الشتري ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٤٧٧.	معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي تحقيق أحمد يوسف وصلاح عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى .

٤٧٨.	معالم التنزيل (تفسير البغوي) للإمام محي السنة البغوي ، تحقيق النمر ورفيقيه، دار طيبة ، الرياض ، ط الأولى من الإصدار الثاني ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٤٧٩.	معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام الخطابي ، تخريج عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ببيروت ، عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٤٨٠.	معالم في السلوك وتزكية النفوس تأليف د. عبد العزيز آل عبد اللطيف ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ .
٤٨١.	المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها تأليف عواد عبدالله المعتق ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٤٨٢.	معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات تأليف الدكتور محمد خليفة التميمي ، أضواء السلف الرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٤٨٣.	المعتمد في أصول الفقه تأليف أبي الحسين البصري المعتزلي ، تقديم خليل الميس ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ط بدون .
٤٨٤.	معجم المؤلفين لعمر كحالة ، ط بيروت ، ط الأولى ١٤١٤هـ .
٤٨٥.	المعجم الوسيط إخراج مجموعة من أهل العلم بإشراف حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين ، دار الفكر ، بيروت ، ط الثانية .
٤٨٦.	معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٢م .
٤٨٧.	معرفة الله عز وجل وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية ، تأليف د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة بمصر ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٤٨٨.	المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها ، تأليف د. عبدالله بن محمد القرني ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط الأولى ١٤١٩هـ .
٤٨٩.	معنى لا إله إلا الله لبدر الدين الزركشي ، دراسة وتحقيق علي محي الدين علي القره داغي ، دار الاعتصام بالقاهرة ، ط الثالثة .
٤٩٠.	المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبدالجبار تحقيق مجموعة من أهل العلم بإشراف طه حسين ط المؤسسة المصرية العامة
٤٩١.	مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي المالكي ط دار الإنسان بالقاهرة ط الأولى
٤٩٢.	مفتاح دار السعادة لابن القيم ت دار الإفتاء.
٤٩٣.	المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، مراجعة محمد خليل غيتاني دار المعرفة بيروت ، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٤٩٤.	المفيد على كتاب التوحيد تأليف عبدالله بن صالح القصير ، دار الحلية الرياض ، ط الأولى ١٤٢٣هـ .
٤٩٥.	المفيد في مهمات التوحيد تأليف الدكتور عبد القادر محمد عطا صوفي ، دار الإيمان بالأردن ، ط الأولى ١٤٢٢هـ .
٤٩٦.	مقالة التعطيل و الجعد بن درهم ، تأليف الدكتور محمد بن خليفة التميمي ، أضواء السلف ، ط الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٤٩٧.	مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة تقديم بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار العاصمة الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ .
٤٩٨.	مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، ط الخامسة ١٩٨٤م .
٤٩٩.	الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد سيد الكيلاني ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ط بدون .
٥٠٠.	مناهج البحث في العلوم الإنسانية تأليف الدكتور مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، مصر ، ط الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٥٠١.	المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية انتخبه علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٥٠٢.	المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي اختصار محمود ابن أمام الموافي ، مكتبة الصحابة جدة ، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٥٠٣.	المنتقى من منهاج الاعتدال للإمام الذهبي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار عالم الكتب ، بالرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٥٠٤.	منهاج التأسيس والتقديس تأليف عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، دار الهداية الرياض ، ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٥٠٥.	منهاج السنة النبوية تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٥٠٦.	المنهاج في شعب الإيمان للإمام الحليمي ، تحقيق حلمي محمد فوده ، دار الفكر، بيروت ، ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٥٠٧.	منهج ابن تيمية في مسألة التكفير تأليف الدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبي ، أضواء السلف بالرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٥٠٨.	منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد تأليف عثمان علي حسن ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٥٠٩.	منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد تأليف الدكتور عثمان علي حسن دار اشبيليا ، الرياض ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٥١٠.	منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل عرض وتقويم ، إعداد محمد بن ناصر السحيباني ، دار الوطن بالرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ .
٥١١.	منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة عرض ونقد تأليف د. أحمد بن عبد اللطيف آل عبد اللطيف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٥١٢.	منهج أهل السنة والجماعة في إثبات أصول الدين (التوحيد والبعث والنبوة) جمع وإعداد محمد عبد الهادي المصري ، دار الفضيلة ودار العواصم بالرياض، ط بدون .
٥١٣.	منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى تأليف خالد ابن عبد اللطيف محمد نور ، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة النبوية ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٥١٤.	منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد ، إعداد إبراهيم محمد البريكان ، دار ابن القيم ودار ابن عفان ، ط الأولى عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥١٥.	منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين تأليف الدكتور مصطفى حلمي دار الدعوة بمصر ، ط الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٥١٦.	الموطأ للإمام مالك بن أنس تحقيق خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٥١٧.	موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف ، والصوفية تأليف عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي ، دار السلام الرياض ، ط الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
٥١٨.	موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد بالرياض ، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٥١٩.	موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية تأليف الدكتور أحمد بن محمد البناني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٥٢٠.	موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من أراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها إعداد الدكتور صالح بن غرم الله الغامدي ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٥٢١.	موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة ، إعداد قدرية عبد الحميد شهاب الدين رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى قسم العقيدة عام ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ .
٥٢٢.	النجاة في المنطق والإلهيات لأبي علي بن سينا تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٥٢٣.	نظرية المعرفة بين القرآن والسنة ، تأليف الدكتور راجح عبد الحميد ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٥٢٤.	النفاق وأثره في حياة الأمة تأليف د. عادل بن علي الشدي ، مدار الوطن للنشر بالرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٥٢٥.	نقض عثمان بن سعيد بن علي المريس الجهمي العنيد تحقيق رشيد الألمعي تقديم عبد العزيز الراجحي ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٥٢٦.	النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى تأليف محمد الحمود النجدي ، دار ابن الجوزي الدمام ، ط الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٥٢٧.	نواقض الإيمان الاعتقادية إعداد د. محمد الوهيبي ، دار المسلم الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٥٢٨.	نواقض الإيمان القولية والاعتقادية تأليف د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن الرياض ، ط الثانية ١٤١٥هـ .
٥٢٩.	نور الاقتباس للحافظ ابن رجب الحنبلي ، تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة المؤيد الرياض ، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٥٣٠.	نور البصيرة والبصر في مسائل القضاء والقدر تأليف الشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد ، الناشر بدون ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٥٣١.	نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار للإمام الشوكاني دراسة وتحقيق علي محمد معوض والشيخ عادل عبد الموجود والدكتور أحمد المعطروي ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٥٣٢.	هداية المريد إلى جوهر التوحيد تأليف الشيخ بكري رجب ، تحقيق وإعداد حازم محي الدين ومحمد وهبي سليمان ، دار الحبر ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٥٣٣.	هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد لأحمد محمد العبادي اليمني تعليق محمد سالم البيحاني قراءة وتصحيح عبدالله البراك ، دار الوطن الرياض ، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٥٣٤.	هذه هي الصوفية تأليف عبد الرحمن الوكيل ، ط الرابعة ، ١٩٨٤ عن دار الكتب العلمية بيروت .
٥٣٥.	هل التصوف له أصل في الكتاب والسنة ؟ بقلم الدكتور محمود عبد الرزاق ، دار الماجد ، جدة ، ط بدون .
٥٣٦.	واقعنا المعاصر لمحمد قطب ، الناشر مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر بجدة ، ط

	الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
٥٣٧.	الورع للإمام أحمد بن حنبل ، نشر دار طيبة بالرياض ، الطبعة الأولى .
٥٣٨.	وسطية أهل السنة في حكم مرتكب الكبير تأليف الدكتور عواد بن عبدالله المعتق ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٥٣٩.	الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد النجدي ، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع بالكويت ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٥٤٠.	الوعد الأخروي شروطه وموانعه تأليف الدكتور عيسى بن عبدالله السعدي ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع بمكة ، ط الأولى ١٤٢٢هـ .
٥٤١.	الولاء والبراء في الإسلام تأليف د. محمد سعيد القحطاني ، تقديم عبد الرزاق عفيفي ، دار طيبة الرياض ، ط الثامنة ١٤١٧هـ .
٥٤٢.	إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان لابن القيم تحقيق محمد عفيفي ط المكتب الإسلامي ط الأولى .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضــــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة


تم بحمد الله